

**لبابۃ السر**

لبابية السر  
شوقي كريم حسن  
الطبعة الاولى ٢٠٢٠  
سلسلة: سرد  
رئيس مجلس الادارة: د. حسين علي جبار كاصد



### الطباعة الإلكترونية : لمعان يوسف

العنوان :

العراق - بغداد - اعظمية - حي تونس  
من. ب. - ٤٣٢ - فاكس ٤٤٤٨٧٦٠ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤  
البريد والموقع الإلكتروني info @dar culture, com www,dar culturecom

All rights reserved . No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in of the publisher .

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون اذن خطوي سابق من الناشر.



# لبابته السر

## رواية

شوقي كريم حسن

الطبعة الاولى - بغداد - ٢٠٢٠

## توضيح المقصد

..... تلك حقيقة

..... الرُّقم

..... التواريُخ

..... الرواَةُ

حقائق وقعت بعد عام ٥٥٦ قبل الميلاد

والشهود متوارثون ... وأجلهم إفصاحاً

الرُّقم التي أنتجها المدون البابلي

والتوارىخ التي سكنت قلب الأرضِ

والرواَةُ الذين وصلوا بالستheim الى حيث امتلأَت العقول بالافعال ... وأي شبهٍ  
بين الحقائق والآتي من الأيام ... إنما هو من باب الكشفِ عما هو مؤهلاً  
للإعلان ... ومن حقٍ من يريدُ الاعتراضَ ....

تقديم ما يراه مناهضاً ... فهي محض تخيلاتٍ لرجلٍ حاصرته آثارُ الحبِّ  
فانفجرَ بجنونٍ .....

شوقي كريم حسن

لقد سقطَ القدحِ محطماً  
ولم يعد ديموزي على قيدِ الحياةِ  
وذهبَتِ الحظيرةُ أدراجِ الرياحِ

أغنية سومرية

## **مقدمة**

لبابة السر، الرواية التي كتبها الروائي في بداية الالفية الثانية، كما هو مدون في نهايتها، تحاول ان تغادر الواقع، وتغوص في الأزمان السحرية، اذ عاش الانسان تحت سلطة الالهة، وكهنتها المشغوفين بالحياة الباذخة، في حين تحمل الانسان نزق الالهة، وظلمهم الذي وصل الى حد انتهاك حقوقه، من دون ادنى شعور بالمسؤولية، تحت ذرائع شتى، لا تخلي دائما من الوازع الديني والاجتماعي، فلا ضير، اذا ما هتك المحرام، وفكك بكارات العذارى، امثالا لتعاليم الآلهة المزيفة، واطاعة اوامر الملك، الذي كثيرا ما كان يمارس صنوف الرذيلة امام مرأى وسمع الآخرين، وهو ما حول المعابد من معابد فضيلة الى معابد رذيلة، يمارس فيها كل ما يحقق رغبات الملك والكهنة، وما يهدى فيها كرامة الناس ظلما وعدواناً.

أ. د. جاسم الخالدي

٦

لبابة السر

## الرقيم الأول

### ١- هل اهتزَ عرش مرسوك؟ !!!

ولم خلت المدينة المشغولة بالتوسلات من عطر وجوده العابق عبر قرون الامتداد، كنا نراه أينما اتجهت تراتيل السنننا، نهمس لحضوره فتملاً المعابد بشذا الصندل والأس وتعتمر قلوب الكهنة بنداءات التكبير لاستلهام، نبصره أملأ في الوصول إلى خلاص أبيدي، كان وهمنا يلاحقه محولاً للإمساك بخطواتنا الآيلة إلى الصمت، ليس ثمة ما يجعل الأرواح تنمو وتتحدد غير وجود إله مثل هذا الذي يغسل بعينيه شوارع المدينة وأزقتها، مباركاً تراتيل العذارى ونهنئ الأمهات وفرح الرجولة الذي يطفح مثل شط الفرات المقدس، فتفيض إثارة وبهجة ، يهرقُ ربُّ خمر فوضاه، وعند عينيه شبه اليابستين تتطرح عرايا القرى الآتية للحسِّ ثماره المباركة، كان رياً ماجناً مروناً مثل حسان كاهن المعبد الكبير، غفلًا لا تهمه سوى إهتزازت ملذاته، عمر الصبايا الآتية بسلام الخوف والرجاء، شبَّت المدينة بنيران البعض، وداست سبابك الخيل جذوع الآمال ولا شيء يدلُّ على وجوده، لقد صار مرسوكُ مجرد صرصار يضم نفسه بين ركام من حجر العفاسِ والجنون، مات ذلك ربُّ الذي ظلت اعماننا تتراجح بين يديه مثل نوافيس المعابد، يؤشرُ إلى حيث يريده، فتسحل مئات الأقدام مليئة توسلاته المنقوعة باللامبالاة.

إن ازدحمت بهِ الطرقَاتِ ... وماذا عساهُ فاعلاً وهو لابدَ رأى، أن بابلَ، بابلَ التي تمثلُ وجودهُ كلهُ قد تحولَتْ إلى مجردِ انقضاضٍ وركامٍ مدوٍ من الصراخِ والضحكَاتِ والدمِ ، كيفَ سولَتْ لهُ نفسهُ وهو الربُّ العارفُ بأن يتخلى عن صولجانِ ربوبيتهِ ويمنحهُ سنابكَ الخيلِ وجنونَ الخيلِ العطشى إلى سمرةِ الأجسادِ ووجعِ اللذة؟ ربُّ مسكنٍ مردوكٌ هذا، أعلنَ عجزَهُ فاحتقرَتْ بابلُ وغدتْ في لحظةٍ زمنٍ خارجَ حدودِ الزمانِ مجردٌ لا شيءٌ.. لقد ماتَ مردوكُ .. وربما وجدَ في جوفِ عالمِهِ الفعلىِ انشى لمعالمِ الخوفِ فبدأ يتناصلُ سريعاً لينجبَ أرياباً من المخاوفِ والآثامِ ، أرياباً صغراً لكنَّهم أبداً يجعلونَنا نتذكرُ أنَّ الربَّ الأولَ كانَ وهمَا تحيطُهُ حالاتٌ من التراطيلِ التي صنعتها عقولُ كهنةٍ منتفعينَ، ثمَّةَ أرياباً ولكنَّهم يشبهونَ بصفاتهمِ الميتةِ وضحكتَ شفاهِهم اليابسةِ مثلَ زورٍ موتى تلك الليلةِ الممطورةِ بلهبِ أحمرِ ما ليثٍ ان تحولَ رويداً رويداً إلى دخانٍ أسودٍ بلونِ قيرِ الطرقَاتِ .

## الرقيم الثاني

٢ - تملأُ الروؤوسَ استللةً لها لذةُ الوجعِ، تنبتُ مثلَ شوكةً ويصمتُ تتحرشُ صاعدةً إلى لبِّ الارتباكِ مميلةً الخطايا إلى لغو نسياناتٍ لا مبرَّ لها، تلوُّكُ الحلقُ محنَّةً الرؤيا واوارَ الوجودِ الذي لا يؤدي إلى غيرِ الانتظارِ ثمَّ عجزٌ دائمٌ يلمُ شباكَ الارواحِ مميلاً إياها إلى توهِّمٍ وفوضى ونواحٍ مسكونٍ بالبغاءِ، ما الذي أوصلَ الخطواتِ إلى حتميةٍ بائسةٍ تنزَّ بحطَّبِ بواباتِ المعابِدِ وارائكِ البيوتِ واطنانِ من

الرقم المؤرخة لوجودنا الكاشف عن بدء الاعراف، تعبأ الايام غربتها  
بقوارير الرفض وتتلاطم الاصوات باحثة عن بعض ما يستر عري  
البقاء في سر الخيبة والانكسار، الان وقد استحالـت الحالـات التي  
نعرفـ رماداً ودخـاناً واصطبـع وجهـ الشـمسـ السابـحةـ كلـ صباحـ بـغـصـةـ  
الـفـراتـ، بأـورـامـ الحـزـنـ، ماـذـا تـرـانـا فـاعـلـينـ، ولـماـذـا تـحدـدـ الـطـرقـاتـ  
مسـارـاتـ خـطـونـا المـحزـونـ، باـبـلـ اـحرـقـتـ وجـودـهاـ بالـخـوفـ وـهـاـ هيـ  
ثـانـيـةـ تـذـرـ رـمـادـهـاـ فـيـ اـمـتدـادـ السـمـاءـ عـلـهـاـ تـنسـىـ وـجـعـ اللـحظـةـ التـيـ  
ايـقـظـتـ كـهـانـهـاـ اـرـتـبـاكـ الـخـطـوـ وـصـهـيلـ الـخـيـولـ وـنـدـاءـاتـ الـحـزـنـ  
الـشـدـيـدةـ الـوطـأـةـ، كـيـفـ يـمـكـنـ لـقـبـ مـلـكـومـ نـسـيـانـ هـذـيـانـ مـحـنـةـ وـثـمـ ماـ  
يـذـكـرـ دـوـمـاـ بـأـنـ الـطـرقـاتـ ماـ عـادـتـ غـيـرـ وـهـمـ مـسـحـورـ وـضـحـكـاتـ تـلـومـ  
الـانـهـزـامـ، وـإـذـاـ كـانـ مـرـدـوكـ قـدـ أـعـلـنـ بـرـاءـتـهـ مـنـ رـوـحـ حـضـورـناـ  
الـانـسـانـيـ، الـرـوـحـ التـيـ قـرـيـتـ بـيـنـ قـدـمـيـهـ الـمـشـلـوـلـتـيـنـ آـنـهـارـاـ مـنـ  
الـاـضـاحـيـ وـغـسلـتـ جـمـجمـتـهـ بـرـافـدـ مـنـ دـمـ الـبـكـارـاتـ النـقـيـةـ، فـمـ اـنـهـزـمـتـ  
توـسـلـاتـ ((بـيـلـ شـاحـرـ)) وـسـبـخـتـ فـيـ آـنـهـارـ آـثـامـهـاـ التـيـ أـحـالـتـ باـبـلـ  
كـلـهـاـ إـلـىـ قـيـحـ وـبـكـاءـ صـامـتـ مـخـذـولـ...  
((بـيـلـ شـاحـرـ)) وـجـهـ اـعـرـفـةـ جـيـداـ.. مـعـجـونـ بـهـيـةـ مـرـدـوكـ وـمـعـطـرـ

برـوـائـحـ الـمعـابـدـ الـعـشـرـ، كـانـتـ باـبـلـ تـجـلـسـ بـيـنـ يـدـيـ غـوـانـيـهـ بـرـضاـ  
عـرـوـسـ فـرـعـونـيـةـ مـنـكـسـرـةـ طـائـعـةـ وـلـكـنـ ثـمـةـ فـيـ القـلـبـ أـوـجـارـاـ مـنـ النـيـرـانـ  
الـشـابـةـ لـيـلـ نـهـارـ كـانـ مـاـخـوذـاـ بـدـلـالـ نـسـوتـهـ الطـامـعـاتـ بـلـيـلـ طـوـيلـ  
وـغـنـاءـاتـ تـتـوجـهـاـ هـبـاتـ لـاـ عـدـ لـنـهـاـيـاتـهـ، ((بـيـلـ شـاحـرـ)) مـلـأـ لـيـلـ باـبـلـ  
بـجـلـالـ هـيـبـيـهـ حـتـىـ غـدـتـ مـثـلـ قـمـرـ مـكـسـورـ الـحـوـافـ يـلـوـدـ بـغـيـومـ

الإهمال، منتظرًا رخاتِ مطرِ الاتهاج، ملكٌ مأْخوذٌ بالدفوفِ والضوّج  
وهباتِ القيثار، كاهنٌ ما كانَ علىَ الملكِ الأجلِ ((نبوخذ نصر)) ان  
يسلمه صولجانَ الفكرة، ويجعلَ منه سيداً لمزارعِ البقاءِ العظيم، ربُّ  
تجلّهُ الرخاءاتُ ، لكنَ الإلهُ مردوك الواهم، سحلَ عينيهِ إلىَ الوحدةِ  
فجعلَهُ يفرُّ إلىَ التيماءِ، تلكَ الخرائبِ التي عمرتها سواعدُ المحبةِ  
لتجعلَ منها ألقاً دائمًا، ومهرجاناً يرددُ ليلَ نهارَ محاسنَ التوحيدِ ،  
وحكمةَ النور، كانَ عليهِ أليها الأجلُ الذي بسيفِهِ إِلْتَمَامُ القدرةِ ، ان لا  
تؤمنُ بغيارِ اكاذيبِ مردوكِ واهتزازاتِ وجودِهِ البدائنةِ عن لذةِ القرابينَ  
وسيولِ دماءِ البكاءاتِ، كانَ عليهِ أنْ تضبطَ زمنَ الانطلاقِ الفتاكِ ما  
دمتْ تريدهُ تراجاً وصولجاناً، أوَ ما علمْتَكِ الأيامُ، يا أيامَ بابل ولبَّ  
حكتها ان هذين الدربيين لا يحقُّ لسالكِهما اتخاذُ مجونَ الارياپِ  
الصغرِ العابثينَ في طمعِ الرحمةِ والغفرانِ، ارياپِ مساكينَ عودتهمِ  
عطاءاتِ بابلِ التي تشبهُ سيولَ اخضرارِها علىَ الانفتاحِ والغرورِ  
ومصادرةِ كراسِي الريوبيةِ لولوجِ كهوفِ المعابدِ وقممِ الزقوراتِ بحثاً  
عن خبايا لذةِ لم تُدقَّ بعدُ ، كانَ عليهِ وانتَ العارفُ بخفاياِ الأيامِ  
ومطامعِ الشَّرِّ ان تتبَّه ججمتَهُ الحمقاءِ ان سرَّ ألقِ الملوكيةِ انما  
الابتعادُ عن لهوِ الفراغِ، لا بأسَ يا سليلَ عظيمِ سومر، ان يتخدَّ  
الفتى قلباً يحنُو اليهِ، ويملاً قلبهِ باللَّهِ والحنينِ، لا بأسَ ان تتعلقَ  
خفقاتُ فؤادِهِ بطائرِ يشبهُ زرازيرِ الحقولِ ولكنَّهُ تمادي .. قدماهُ في  
وحلِ السكوتِ كانتِ ثمةً مخاوفَ تكبيرُ وطرقاتٍ تتبعاً بالفوضى ووجوهُ  
هَذَّها تعُبُ الانتظارِ، فأحالَتْ وجودَها رماداً تلاقفُهُ رياخُ الاضطرابِ،

انطفأَتْ اوجُّ الطرقاتِ واستحالَ شفيفُ الليل العابقِ برذاذِ الضحكاتِ ورنينِ القيثارِ إلى عتمةٍ ضاجِّةٍ بسواتِ الاستهجانِ ، ماتَ البوحُ الذيُّ بينَ يديِ بابلَ ، وماتَتْ بابلُ بكلِّ أبهتها ومنحَ استمراها بينَ هجماتِ المجنونِ وصهيلِ الجيادِ وطعمِ الأفواهِ الطامعةِ بالخرابِ ، كانَ ليلاً مدلهمَا ، وكانتْ فوضى ، وكانَ ضياعاً ، وبينَ كلِّ هذه الكائناتِ استقرتْ أكواةٌ من الوجاعِ والهمومِ والمخاوفِ ، ما الذي يمكنُ أنْ يحدثْ لعينيكِ لحظةً تستيقظُ من حلمِ الوردِ لتجدَ نفسكَ محاطاً بتلالِ من الرقمِ التالفةِ والنوصوصِ المبقورةِ البطون ، وثمةَ مَنْ ينظرُ إليكَ شرزاً راغباً بالعبثِ بينَ يديكَ ، عبِّثَ يبدأ بالاستهجانِ ولا ينتهي عندَ اعلانِ الكراهيةِ ومحاولةِ المحوِّ ، كانتْ سنابكُ الخيلِ لا تزيدُ بقاءً غيرَ بقائِها ولا تزيدُ سيادةً غيرَ سيادتها ، رغمَ احساسِها المتعاظمِ في أنها ما ان تمرَّ بينَ يديِ الازفةِ المأهولةِ بالخوفِ حتى تحيلَ خوفها إلى صرخِ مدرجِ بالدمِ وعيونِ تطلقُ في فراغِ مرتجِ لا تساعدُ اللحظةَ على الاستقرارِ ، تموتُ اللحظاتُ وبينَ موتها وولادةِ لحظاتٍ أخرى أدقُّ حضوراً تتسللُ الفوضى وتتكبرُ النداءاتُ ، ويجري في مياسمِ الارواحِ دمٌ يتعرّز بمدودِ الروعِ والامتنانِ ، فجأةً ، اخترقَ بابلُ ليلُ الكراهيةِ ، فكرهَتْ وجودها رغمَ اعتقادهاِ الإلزاميِّ من أنها مدينةُ الربِّ التي لا يمكنُ أن تطالها خيولُ الرعونةِ وكراهياتُ المعابدِ وزمنٌ تكرةُ مدينةٌ مثلها ذلك الحضورُ الأبهيِّ ، تحرقُ السماءُ رويداً... رويداً يجثو عرشُ مردوكِ عندَ قدميِّ الرذيلةِ ، وتبداً بالنواحِ لأنَّ طعمَ الانكسارِ ما ليثَ ان صارَ انهاراً من الخذلانِ ، تظلُّ السماواتُ ساهمةً ، ويعقدُ

مجلس الريوبية الاعلى ، يبكي انليل ازمنة الانسان وتتوخ عشتاز زمن ديموزي وبينهما يقفُ الرُّبُّ الاعظم مردوك لاعنا حظه العاشر وخطة الاشد انهاماً من خطى كراسع الفرات ، تتوخ بابل خرابها فيما تكتوم عند قدمي ((بيل شاحر)) رياضٌ من الصمت ، ليس ثمة غير سؤال يقرنُ الافواه المتعوبة ، ما الذي يجري ولحظة يتعالى الاحساس بضوءِ الجواب ، تتقىءُ الحناجر غرابةً لماذا... عندها تسودُ الغارات ويطرقُ الملك رأسه خائفاً ، محاولاً طرد المخاوفِ من بين يديه ، ترمي المدينة الى اتون مراجلها ، بآلاف الاحاسيس وتعطبُ طرقاتها المريوطة بمبادر المعابد ، بأوجاع الارتجاف يتيبس عصبُ الشوارع ورويداً ، ورويداً تعلو شارات الاستغاثة ، ينمحي الآخر ، وتصير مرصوفات الاذقة والمعابد خرائب موشومةً بسوادِ ودم.

الى اين تراها تتجه بنا السنوات؟؟!!

وما الذي يمكن ان يفعله متسللو بابل وشحاذوها وسدنة البغایا ، بعد ان غادرنا الإله مردوك وتتبع خطواته مئات الآلهة المحروقين بالانكسار؟!!

وكيف يمكن لنا ان نصنع لنا مجدًا بعد ان ارتشفت عيوننا غبارُ الخشب المحترق وشذر المبادر التي استحالت الى كتلٍ من صمت ، كيف يمكن لنا اعادة ترتيب الشيء ، ولا شيء يشذنا اليه سوى ماضٍ كان ذات يوم حاضراً له طعم عسل التمر وبرودة ماء القرايين؟!!  
امتلأت الافواه بالسئلة ، وغضت الحناجر بأحجار الاعمار ، الى أين تتجه حطانا وطرقات المدينة صارت ترسم بروح الصمت

واللامبالاة، روحٌ كبيرةٌ ومعها كبرت نيرانُ الهمجِ والامتدادِ عبر دروبِ الوحشةِ التي باتت تكتظُ بعواءاتِ الذئابِ ونعيقِ الغربانِ التي تصنفُ في بحبوحةِ السماءِ وبعنفِ شيطاني تندفعُ إلى جوفِ الجنةِ ناشلةً أكبادَ أولئكَ الذين غادروا مسراً بابلَ بقاعةَ الوصولِ إلى عالمِ هاديسِ السفليِ والشكایةِ إليهِ، كنتُ أبصرُ الأكبادَ تطيرُ بثائقِ وما تثبتُ أن تفلتَ المنافقُ فتنهدَ رويداً، رويداً إلى نثارِ النيرانِ وغبارِ الاستذكارِ، ما الذي يمكنُ أن يفعلهُ هاديسُ بشكاوى سكانِ عالمهِ السفليِ وهو العارفُ بأنَّ ثمةَ بينَ خطوِي ميتٍ وآخرٍ يتسبَّثُ بأردانِ الحياةِ، عالمٌ ساكنٌ ذلكَ الذي ذهبوا إليهِ، مطمئنٌ وديعٌ ، لكنه خالٍ من مواجهةِ سنابِ الخيلِ واستفزازاتِ الرجالِ، خالٍ من معنى أن تظلَّ بابلُ مرسومةً في حدقاتِ العيونِ، غادرتَ أحالمهم وجهَ المواجهةِ، ولحظةً مغادرتهم انطفأتْ توهجاتُ الحضورِ وتعالتْ صرخاتُ الاستغاثةِ ملِمًّ منهُ إلى اللاشيءِ وبابلُ تريدُ البدءَ من اللاشيءِ للوصولِ إلى لبِّ ازلى الاكتشافِ، يظلُّ السؤالُ حائراً ملتاماً، ونظلُّ نلاحقُ سنا حيرتنا، كيفَ تكونُ البدايةُ، وصولجانُ العرشِ ارتمى منذَ أولِ خببِ الجوابِ بينَ يديِ الصمتِ، ((بيل شاحر)) نقلتهُ الاوهامُ إلى دروبِ من اوهامِ هاديسِ، فماذا ترانا فاعلينَ وثم انغلقاتِ تدورُ راقصةً حولَ اجسادِنا الناريةِ التي كلَّلها اللهاُ وراءَ استفهماتٍ قد تقضي إلى غيرِ وجودِ قلقٍ يبعثُ بهدوءِ الارواحِ وألقها، انطمسَتْ معالُم وجودنا ومع الانطمامِ خاصَّتْ بواعثُ الارتفاعِ في وحلِ الليالي الموحشةِ المشتعلةِ بكونينِ الترقِ والعجزِ عن عملِ ايما شيءٍ، غبابٌ مشحونٌ

بحضور العربية الاملة بالفيض، كيف تجيء الايام بخلاصها وكل شيء بات مجرد انتظار، انتظار لا يمكن ان يلد غير صغار من الازمنة المرة او الانسداد وعيون تحلق بفراغات الجوع والسباحة من السن من المجهول، صعب ان يظل مثلي جالساً بين اركان انهدامه وشم رقم لا بد وان تؤسس الازمنة البدء والاستمرار، ولكن كيف .. ومتى .. واين .. وقلبي ينشد الى حبائل من المآسي الماجنة، اتفحص استمرار خطوي وما ان تمتلأ حنجرتي بالهذيان حتى تراني اهمس لأوجاعي مستجداً، ولكن ليس ثمة ما يسمع همس فتى يحترق بالسؤال، فتى كان ذات يوم صبي معلم يكتب حكايات الأزمنة الغابرة، فوجد نفسه دون تنبيه يسقط وسط هوة الفراغ والعذاب، كان معلمي يرسم بين عينيه هموم أيام الأوردة البيض، ولحظة سمع وقع خبب الجياد الفائرة استنهض قدميه التعبتين وأشار الى بوابة المعبد هاماً - ولدي .. المعنى ان نبدأ.. ونحن نبدأ بفعل تسجله الأزمنة فلا تنس ان تبقيه بين جوانح رعيك ومتى وجدت نفسك مؤهلاً للبدء، فلا بأس بأن تجد صور الذاكرة وتسجل أوهام الدروب ... تلك ولدي آخر ما يمكن أن تسمعه مني !!

### الرقيم الرابع ٣

الليلة بدأ سن بالاكتمال وتبرجت فوضى بابل بحضورات وجوه كالحة، تتمايل بين احضان الامنيات، ان تكون غائباً في وطن يمتد فيه حتى آخر نبض، هذا يعني أن ثمة ما يقتل الاستمرار في أعماق

انسانيتها، كنتَ أولاً فما الذي يجعل الأولَ أخيراً، غير سيادةِ النقصِ والذلةِ، تلاحت رغباتي الموجلةَ بالكتمانِ واكتملتْ روئي الأنفسِ المطالبةِ بحركةٍ تمكّنها من الاستمرارِ والدخول إلى حدٍ يمكنُها من إعادةِ الفخرِ إلى تاجِ مردوك وعرشِ الوهيةِ بابلِ الحافرةِ في الأعماقِ اسئلةً من الآمالِ، كنتُ أحيلُ مباضعَ الوعيِ فلا أرى غيرَ رقمِ مكتوبٍ بأكdasِ من العذاباتِ، تظلُّ عينايَ تبصرانِ الدمارِ محاولةً خرقَ عادةِ الاستكانةِ التي لفتَ سواداتِ الأحزانِ، حركَ قدمي خارقاً لعبَةِ الخوفِ، لا عليكَ لكي لا ينالكَ قحطُ الإنماءِ !! لا عليكَ لكي تلفَ نفسكَ ومن تريدهُ بها لاتِ الحمايةِ التي تجعلكَ تواصلُ المسيرَ باتجاهِ عالمِ هاديس دونَ دمٍ وضجيجٍ ونواحاتٍ لا ضرورةَ لها، مسيرةُ هادئٍ تملأهُ مبادرَ الكهنةِ بشذا تراتيلِ الاسترحامِ ، تنزلُ بكَ الخطواتُ إلى سراديبِ الأزلِ منتظرةً مجيءَ نقلةِ المجدِ إلى حيثُ يجبُ أن تكونَ الآنَ عندما تنساكَ بابلُ ببطءٍ، وتظلُّ ذكراؤكَ تجيءُ إلى الجماجمِ كلما جاءَ سنُ العظيمِ ليملأَ بضوئهِ الفضي حوافَ بابلَ خارجاً من كبدِ النهرِ المقدسِ، تنظرُ إليهِ، وعليهِ تحدقُ عيونُ الأحبةِ والأصحابِ وبهمسٍ ودُّ يشبهُ همسَ عشاقِ عشتارِ وترتيلِ الشفاعةِ لواقعِ اعماقها، صمتٌ وتحقيقٌ، وصمتٌ وتحقيقٌ وفيضٌ من الأمواجِ المنحدرةِ إلى جرفِ العرشِ، أمواجٌ تحركُ أعماقَ هاديس وتجعلهُ ينهمرُ بنداءاتِ متوجعةٍ، متوسلاً انتليل، بأنَّ يسهمَ بإعادةِ الفتى رفيقِ الصخورِ والحرروفِ إلى عالمِهِ المتسلٍ انتظارهُ، يمورُ سنَ برذاءِ الضوءِ، ويحزنِ تمطرُ مدامعهُ ظلمةً سرمديةً، ((سن أيها الإلهُ الطيبُ قبلَ لنا فتاناً الذي أذهبَهُ البوحُ إن

أنت رأيَتُهُ، سن أيَّا إِلَهُ الطَّيْبُ أَعْدَهُ إِنْ أَسْتَطَعْتَ بِعْرِيْتَكَ الْمَكِيَّةَ  
الَّتِي تَذَهَّبُ وَتَجِيءُ بِهَا بَيْنَ الْأَكْوَانِ، سن أيَّا إِلَهُ الطَّيْبُ لَحْظَةَ  
تَضِيءُ عَالَمَ هَادِيسِ السَّفَلِي لا تَنْسَى أَنْ تَعِيَّدَ الْحَيَاةَ إِلَيْهِ، هَذَا الْفَتَى  
الَّذِي مَا نَسِيَتُهُ بَابُلُ وَمَا مَلَّتْ حَكَايَاتُهِ، سن إِلَهُنَا الْأَمْجَدُ .. بَيْنَكَ  
وَبَيْنَ الْفَتَى أَكْثَرُ مِنْ وَشِيجَةٍ وَدَفَقٌ لَا تَسْعَى إِلَّا نَقَادَهُ، لَحْظَةَ تِرَاكَ بَابُلُ  
تَجِيءُ بِعْرِيْتَكَ الْمَكْحَلَةَ بِالْفَضَّةِ، تَشَتَّلُ نِيرَانُ الْكَوَانِينِ وَتَتَهَيَّءُ  
الْجَدَاتُ لِأَقْوَالٍ كَانَ الْفَتَى قَدْ رَوَاهَا وَهُوَ يَعْطِي مَاءَ قَلْبِهِ لِحَجَرِ الصَّوَانِ  
الْجَافِ وَطِينِ الشَّطَآنِ الْمَغْمُورِ، يَسْتَمِعُ إِلَى وَهْجِ بَابُلِ وَتَسْتَمِعُ بَابُلُ  
إِلَيْهِ فَتَنْطَفَقُ الرَّؤْيَا وَتَصْهَلُ جِيَادُ الْجَنْدِ بِاحْتَشَةً عَنْ زَادٍ يَمْلأُ تَوْحِشَهَا،  
أَتَكُونُ إِلَى نَفْسِي هَازِئًا شَجَرَةً أَعْمَاقِي عَلَيْهَا ثُسْقَطَ ثُمَّرًا يَمْدُنِي بِشَعْلَةِ  
الْبَدْءِ، كَنْتُ مُسِيَّجًا بِدَوَائِرَ مِنَ الْخُوفِ وَالْإِرْتِبَابِ وَالْعَجَزِ، كَانَ مَعْلُومِي  
الْفَخَارُ يَمْلأُ جَوْفَ جَمْجُوتِي بِأَسْئَلَةٍ تَشَعُّ أَعْمَاقِي، وَسَاعَةً اطَّالَبَهُ  
الْجَوَابَ، يَنْظَرُ إِلَيَّ شَزَرًا وَيَرْمِي صَوْبِي كَتْلَةً مِنَ الْحَجَرِ آمِرًا إِيَّاِيَّ بِأَنَّ  
أَدْوَنَ فِي قَلْبِ مَسَاخِتِهَا وَصَايَا الْمَلَكِ الْأَقْدَسِ (حَمُورَابِي)، تَرْتَبَكُ  
مَسَاحَةُ الْإِرْتِبَابِ، وَتَظَلُّ أَنْفَاسِي تَتَلاَحَقُ مَحْنَةً جَسَدَ الصَّخْرِ، مَا الَّذِي  
جَعَلَ هَذَا الشَّيْخَ الْمَكْبُلَ بِالْبَيْاضِ يَرْكُضُ وَرَاءَ حَكَايَاتٍ قَدْ لَا تَكُونُ  
حَدَثَتْ قَطُّ، إِنْ بَيْنَ زَمْنِنَا وَزَمْنِ حَمُورَابِي سَنَوَاتٍ وَأَزْمَنَةً لَا يَمْكُنُ لَأَيِّ  
إِنْسَانٍ إِحْصَاؤُهَا وَعَدْ مَعَالِمِهَا ، فَكِيفَ اسْتَطَاعَ هَذَا الْفَارَقُ بِالْطَّيْبِ  
وَالْطَّيْبَيَّةِ، السَّاهِمُ فِي أَحَلَامِ يَقْظَتِهِ مَعْرِفَةٌ كُلُّ هَذِهِ الْأَسْرَارِ الْمَلَكِيَّةِ وَمَنْ  
أَوْصَلَهَا إِلَيْهِ أَتَرَاهُ عَلَى اتِّصَالٍ مَعَ إِلَهِ مَرْدُوكَ، كَشَفَ لَهُ السَّرُّ وَلَقَاهُ  
دَوَالِخَ الْخَفَاءِ، وَلَمْ اخْتَارَهُ مَرْدُوكُ دُونَ سَوَاءً مِنْ فَتِيَّةِ بَابُلِ لِيَجْعَلَهُ

يتحول رويداً اشتعالاتِ من الصخرِ والمطاراتِ، ما الذي جعله  
يختاز هيئةَ حضوري ويلحُ على أبي لأكونَ صانعةَ ووراثَ مدوناتهِ  
الصخريةِ التي لا عَدَ لها، ما الذي جعله يكشفُ بحورَ الأسئلةِ التي  
تمورُ في أعماقي والتي كثيراً ما رميَّتها باتجاهِ سن، وأنا أتمددُ في  
سماءِ بابلِ العايقِ ليَلْ نهارَ بروائحِ البخورِ والورودِ، كانَ منْ يملأُ  
مرحيِ بأنهارِ من المساراتِ، أتكاً إلى وسادتي، وأراقبُ عينيهِ  
المحيطتينِ بهالاتِ من الرمادِ، رويداً، رويداً يصعدُ إلى قلبِ الظلمةِ  
خارقاً كبدِ السوادِ، ورويداً رويداً يتجللُ بأرديةِ الفضةِ وتيجانِ النجومِ،  
تكتملُ مسرتي، وبسرٍ خفي تسيلُ مداعمي متوسلاً اليهِ "سن، أيها  
العظيمُ اجعلني بدرجةِ العارفِ؟"

يحولُ دائرةَ حضورِهِ، وبهدوءِ جليلٍ يترجُلُ من مركتبهِ العظيمةِ،  
ينفضُ غبارَ رحلتهِ اليوميةِ ويؤشرُ اليَ، تطيرُ روحِي مثل حمامَةِ،  
وتغمسُ نفسي خوارجَ ابصارِها، فجأةً أجلسُ اليهِ، سيداً بزيِ إلهٍ، لكنَّه  
بسطِ ببساطةِ رعاةِ بابلِ وزراعِ حقولها ويقولُ - لمَ جئتَ يا شوفيَا؟  
ترتجفُ أعماقي، ولابدَ أن يحدثَ لكَ هذا، زمنٌ تكونُ بينَ يديِ  
سن، الربُّ المانعُ لضوءِ الأبدِ وأغضُّ روحِ الإبصارِ، وبصوتِ مهمومٍ  
وجلٍ لا يعرفُ كيفَ يستقرُ على معنى مطالبِهِ، أقولُ:  
- سن .. مولايِ الأجل .. أريدُ المعرفةَ، فشمةَ في رأسي أسئلَةً أتعبتَ

حضورِي .. وبيثُ أراقبُ حضوركَ ساهراً !!

يضحُكُ سن .. وتنفجرُ شفتاهُ الطيبتانُ الريحَ عن ضوءِ ما رأيتَ  
متلَّهُ قط .. ضوءِ جعلني أرتمي اليهِ خائفاً، أخذني بينَ يديهِ، ويجالِ

ربت على كتفي، هدأت أنفاسي، وبدأ إحساسني بعظمته ما أرى  
يتضاعده، إحساس أن ثمة مستحيلاً يتهدم بين يدي، تأملت وجهه  
الملائكي الذي يشبه وجه طفلٍ ينام، فأبتسّم آخذاً بهدوء عظمتي،  
قال:

- يا فتى، ارتياحُ الطريق يعني أن ترى ما يحيط بحضورك ..  
والاختيار معنى الاحاطة واستشرافُ كنهِ السؤال .. بين يديك  
حضوراتٌ بابلٌ كلها فلا تجعل نفسك تكسر وجودها، ان ترى هذا يعني  
ان تكتشفَ، ان تكتشفَ هذا معناه ان تؤسسَ، ان تؤسسَ يا فتى  
معناه ان تنفجرَ في ملذاتِ السرِّ مذْ وابدَ الانتباهِ، وحاذر ان ترمي  
بوجدك الى قلبِ وجدى .. بين الاسم ومعناه ثمة فرق وبين معرفةِ  
الشارعِ وبقائه ثمة فرق وبين الفرقانِ معانٍ تحاول النبش والارتماءَ  
.. ولدي ايها الفتى شوقيا .. الطين خلاصك .. الطين خلاصك ..  
الطين خلاصك

تنغمر نفسي بمطرِ الاشارةِ، مطرٌ يجعلني ارتمي اليهِ محاولاً  
الامساك بعمرِ ابديتهِ، المثيرة لدهشةِ القول، كان سنُّ يهبط آكلًا كبدَ  
الشطُّ الذي طوى شطآنَ ظلامِ الصمتِ، تمسكت روحى بعريةِ مجدهِ،  
لكنهُ تلاشى تاركاً وراءهُ نثاراً من الاقدامِ الوديعةِ التي ظلت تنظرني  
بمكرِ اولادِ صغارٍ، طويت رقبتي الى صدري وبوحشةِ وحدتي فاضت  
مدامي فوقَ وهادِ خدي، ليس ثمة عزلةً اشدُّ من ان تجد نفسك  
تتعلق بأديالِ سن، لكنهُ يعلنُ دونما احساسٍ بالانكسارِ، انهُ ليس  
بحاجةٍ اليكَ وان عليكَ ان تختارَ طريقاً لا يمكنُ لعربتهِ الملكيةِ ان

تسلاكَهُ مهما طالت بِكَ السنوَاتِ، اجهشتِ الرؤيا بوايلِ من الاحزانِ  
والترمِ جسي المترخي مثلَ طينِ الارتجافِ، كانَ عالمي الذي رسمنهُ  
بصعوبهِ، يتهاوى بينَ يديِ، كتلاً من الغربةِ والعجزِ واللامبالاةِ،  
افرحنِي معلمِي حينَ اخبارني والدي، انه راضٍ عن نباهتي، وظللتُ  
احدقُ اليه طولَ اليومِ، ووقتِ امرئي بان انقضَ كلمةَ ديموزي عندَ  
بدءِ رقيمِ صخري امتلأَتْ جوانحي بالخجلِ، وتسمرتِ عيوني عندَ  
معنى القولِ، فلقدْ كانَ ديموزي بالنسبةِ لي حلمًا تهُبُ شذراتهُ من  
مدافنِ عوالمِ لا يمكنُ لروحِي الغضةِ ان تطالها مهما قدرتْ مخيلتي  
السباحةَ في بحورِ الاستذكارِ، لحظةً امسكتُ بالازمِيلِ ارتجفتَ يدايِ  
ولحظةً رسمتُ دالَ البدءِ تخيلَ الربِ الشابِ ازاً، ينظرُ اليَ مبتسمًا،  
كانتْ ثمةَ هالةَ خضراءَ بلونِ سعنِ النخيلِ تحيطُ حضورهِ واغنياتِ  
مرحةً تترافقُ بينَ يديهِ، حاولتُ بباءِ التلاوةِ فأعطاني رحiqueَ حضورهِ  
المفاجيِّ، دونِما وعيَ هرشَتْ مقدمةً الازمِيلِ روحَ الآلهةِ وانسكتْ  
حافةً المطرفةً معنةً اتقانَ الياءِ واكمالَ الحضورِ، حدقَ معلمِي ملياً،  
جامعاً ما بينَ عينيهِ، زاماً شفتهِ السفلِيَّ الى عمقِ العلبا، متاؤهاً مثلَ  
من يسبحُ في عمقِ السرِّ، بحركاتِ مدروسَةٍ نقلَ رقبتهِ التي تشبهُ  
قصبةً، بينَ وجهي الطافحِ بالاضطرابِ وبينَ مباحِ الربِ المرسومةِ  
فوقَ سطوحِ الرقِيمِ، تأملتُ محياهُ، وشمَ وجيفَ بدأً يتعالى بينَ  
جوانحيِّ، ليسَ ثمةَ اشدُّ من ان تجدَ نفسَكَ تعيشُ اختياراً مفععاً،  
مرهوناً بحضورِكَ الأبدِيِّ، ان تجدَ نفسَكَ تحركَ عالمَ ربِّ ذابتَ بينَ  
يديهِ عشتازَ ولهاً ورفضتَ من أجلِ فحولتِهِ مئاتِ الأربابِ الصغارِ،

وتابعت حتى عالم هاديس المخيف، قانعةً ان لا مجال لوجودها بغير وجوده المانع للibus اخضراز الاستمرار، فتاك محتنّك، محتنّك التي لا بدّ وان تصل بك الى حافة الجنون إن لم تستطع السيطرة على ذات اعماقك الطافية بديدانٍ من الحكايات التي ملأت جوفك منذ كنت تحبو بين يدي الموافق والشطآن ودروس الكهنة الناظرين الى كل شيء باشمئزازٍ وحقدٍ دفينين، حاولت اخراج الاضطراب الذي تعالى مثل صيحات الاحتجاج، ولكن الكف المحرقة أخذت بيدي ومررتها فوق روح الحروف المشتولة، فأحسست عمق اللذة يسري بين عروقي سريان شيء بارد أزاح عن كاهلي نسر المخاوف، حدقَت روحي بالحرف واليه التصقت، ظل المعلم لزمنٍ يداعب ياء الآخر محاولاً بث الحياة في الشتاقِه، قلتُ والأجر ياخذني الى رؤيا القدس بين الأرباب:

- معلمي، أو رأيت ما أراني إيه الحرف؟
- بلى!!! ..
- أو أعطاك ديموزي وهج معارفه؟
- بلى !!
- والسر يا معلمي
- بنى.. أو أحسست شيئاً ساعةً أمسكت حافة الحجر؟
- نعم.. ارتجف جسدي وفاضت روحي بأسئلة الاستقرار لأعماقنا ... وفجأة معلمي رأيَّت وهجاً من ضوء يسري في دواخلي، ضوء تكشف لحظةً أغمضت عيني اضطراباً عن وجه سيدِي الرب الأخضر

وهو يلوخ بصولجان قوته وبين يديه ثمة ألف من عذارى اوروك ولكنش وايسن واور، عذارى مصبوغات بألوان الخصب تسيل بين ايديهن جداول من حنطة وغلال من ورد، كلها معلمي كانت تحيل امتداداتٍ بين الرب "بابل" الى سوادٍ محضرٍ ما يلبث أن يمسك ردفتي النهرتين العظيمتين الآتيبين من خمور انليل المبارك، رأيت، معلمي، إن ديموزي ربي الأجل ابتسامة لها لذة القمر وطعم رغيف خبزٍ حارٍ، أشار الى، فتقدمت مطمئناً وقد تسربلني ضياءُ الريوبية، هو ديموزي إذن، وديموزي قلب عشتار وقلب دنيانا التي نعيش، ببطء رفع ضوء كفة المباركة ومسح بها لمة رأسي، عندها، معلمي، أحست أن شيئاً ما بدأ يجري في مجاهل دواخلي، حاولت استقراء كنهه، لكنني انطربت بين يدي الإله الأجل، وبدأت أنهر حروفي تسيل وتسيل وثم شيءٌ لذيدٌ، خدرٌ ربما وجعٌ منكوعٌ، سعادةً غامرةً، طيشٌ صبا، حقاً لا أدرى ما الذي أصابني معلمي، فجلست ساهماً منتظراً قرار الإله الأخير، قال :

- أترى وجه الأرض ولدي شوقيا

تنفت مذعوراً، محاولاً اللحاق بضوءِ اصبعه الذي أشار الى مكان ما كنت أراه لولا كتل الضوء التي كشفت عن عمقٍ غريبٍ لشيءٍ تحركت فضاءاته بسريةٍ وجنونٍ، فلت محاولاً حياةً مدى علوه :

- نعم إنني أرى ايها القائس لمسافة الوجود !!

قالَ: شِبْرُ أَحْزَنٍ خَيْرٌ مِنْ مَدِي كَرَاهِيَّةٍ .. مَعْرِفَةٌ مُهْتَارَةٌ خَيْرٌ مِنْ قِيَاسٍ عَاجِزٍ .. طَرْقٌ تَعْثَرُ فِي خَطُوَهَا خَيْرٌ مِنْ وَقْوَفٍ مُحَاصِرٍ بِالْوَجْعِ

- أَوْ هَذَا كُلُّ شَيْءٍ؟

- الصَّعُودُ إِلَى عَلُوٍّ أَيْهَا الْفَتَى شَوْقِيَا ... يَعْنِي أَنَّكَ تَحَاوُلُ اِنْتَاجَ شَيْءٍ ذِي عَمْقٍ وَمَدِي !!

- الصَّعُودُ إِلَى مَاذَا أَيْهَا الرَّبُّ؟

- إِيَّاكَ يَا شَوْقِيَا أَنْ تَأْخُذَكَ رُغْوَةُ الْكَلْمَاتِ ... اِينَما تَرِيدُ الصَّعُودَ .. اِينَما تَتَجَهُ فَلَابِدَ مِنْ شَيْءٍ يَتَحَطَّمُ وَوَجْوَدٌ يَتَغَيَّرُ وَحْضُورٌ يَمْكُنُكَ مِنْ خَلَالِ النَّبُوَةِ بِمَا سُوفَ يَجِيءُ !!

- أَوْ لَا يَمْكُنُ اِختِصَارُ الْمَعْنَى سَيِّدِي الْأَجْلِ؟

- فَلَقُكَ هَذَا لَابِدَّ وَأَنْ يَفْصَحَ أَمَامَ عَيْنِيَكَ يَوْمًا وَصَايَا الْوَضُوحِ !!

- وَإِنْ وَجَدْتُ نَفْسِي وَحِيدًا؟

- لَنْ تَصِيرَ وَحِيدًا شَوْقِيَا مَا دَمْتَ تَتَمَسَّكُ بِأَسْئِلَةِ الْعُقْلِ، لَيْسَ ثَمَةَ فِي الْكَوْنِ اِنْسَانٌ وَحِيدٌ، لَابِدَّ وَأَنْ لَهُ بُوَابَاتٍ يَلْجُهَا سَاعَةً بَرِيدُ، مَا خَلَقَ الْاِنْسَانُ لِيَبْقَى وَحِيدًا، هَذَا شَاءَتِ الْاِلَهَةُ مِنْذُ أَزْمَانٍ سُحْبَةٍ، الْوَحْدَةُ وَهُمْ أَنْتُمْ تَوَسَّلُمُ حَضُورَهُ، كَيْفَ يَمْكُنُ لِمُثَلِّكَ الْبَقاءِ وَحِيدًا وَالْرَّفْقَةُ طَيِّبَةٌ مَعَ سَنِّ، أَوْ تَدْرِكُ وَجْوَدَكَ وَأَنْتَ تَتَأْمِلُ مَثَلَّ هَذِهِ الرَّفْقَةِ، شَوْقِيَا لَا تَقْصِدُ تَوَسِّلَكَ بِتَوَسِّلٍ !!

- سَيِّدِي مَا قَصَدْتُ هَذَا أَبْدًا !!

- الغواية .. شوقيا ... الغواية هي التي تؤسس لاستجماع شاسع المقاصد، لا تبقي وحذتك شاغرةً لكي تستعيد دوماً شكل الامتلاك !!
- وكيف يكون لي هذا، سيد؟
- يكون شوقيا.. يكون إن أنت هيمنت على استجلاء الحرف !!
- أو لا تساعدني في هذا أليها الصامن للنماء ؟
- أساعدك .. ومتي تخلى رب بابل عن رعياه ؟
- أريد مساعدة قصدها استجلاء الحرف !!

خَيْمَ هَدوءُ غَرِيبٍ، وَفَجَأَهُ تَوقَّتِ العَذَارِي عَنِ الْبَحْثِ، وَتَبَيَّنَتْ حَوْافُ الْأَرْضِ، تَسْرِيَتِ إِلَى أَعْمَاقِي صُورَ خَائِفَةً مَلَأَتْ أَعْمَاقِي بِالْأَنْدَهَاشِ، وَنَشِيدَ غَرِيبٌ مِنْ صَرَاخِ، امْتَلَأَتْ رُوحِي بِبَكَاءٍ مَالِحٍ، وَالْتَّمَعَتْ مِبَاصِرُ الرَّبِّ، وَعَلَتْ وَجْنِتِيهِ هَالَاتُ الْإِسْتَرْخَاءِ، كَانَ الزَّمْنُ يَجْرِي بَيْنَ يَدِيهِ، مَتَّلَ مُسْتَحِيلٍ، أَطْلَقَتْ الْمَخَاوِفُ أَفْرَاحَهَا، فَلَامْسَتْ وَجْهِي وَوِجْوهَ العَذَارِي التِّي أَخْجَلَتْهَا حَرَارَةُ الانتِظَارِ، وَفَجَأَهُ تَهَاوِي إِلَيْنَا قَارُبُ عَشْتَارِ الْمَلَكِي .. اهْتَزَّ صَفَحَةُ الشَّطِ الْأَقْدَسِ وَحَفَّتْ بِهِ نَجُومُ الْآلَهَةِ الصَّغَارِ، وَعَلَتْ الْأَنْشِيدُ لِلتَّأْتِي بِإِحْتِوَاءِ الْبَذُورِ ..

فَكِيفَ الْمَدَارَاتُ وَعَشْتَارُ ظَلَّتْ تَدُورُ  
وَاحْلَامُ رَحْنَتْهَا .. سَحَابٌ ... وَأَرْضٌ تَمُورُ  
دِيمُوزِي .. جَوَابٌ ... لَعْشَتَارُ ... التِّي خَلَصَتْ  
مِنْ أَرْضِهَا اسْتَجَارَاتُ الْبَحُورِ  
عَيْنِيكَ نُورٌ ... وَالْجَوَابُ غَرَابٌ جَسُورٌ

ديموزي .. قديم عذاب العذارى

قديم جروح السؤال

وديموزي يا زمن العسرة في غياب القبور"

استقامت بواعث الرب، وانتهبت قامته ملامسةً جسد السماء التي  
فاضت بنداءات التهليل، احتضنت الربة الأجملُ بين الربات بهايات  
ديموزي، وللحظةِ توقفَ الوقت وغدت الإحضارات يوابس تنزُّ بنيرانِ  
السوق والهياج ، تهدم جسد الرب فأقامته عشتار ضوءاً سرمدياً، ما  
لبث أن تلاشى بين طيات الغيوم التي عبَّت هيبيتها لتصبَّ جامَ  
فورتها فوق الرؤوسِ التي طفحَت بالبشرِ والاسترخاءِ، اهتزَّت نواخذُ  
الحربِ، وأطلقَ معلمي نور سعادتهِ لتملأً جدرانَ الرخامِ تأملَ لذقَ  
شفاهي واستبشار مقاصدي فأحتضنتي بألقِ انساني، وسعادةٌ  
صیرتني كائناً لا يدري الى ماذا تسير خطاه، قال وهو يجلس قبالةِ  
الرخامِ:

- من أين أنتك الروايا يا فتى ؟

قلتُ وأنا أغصُّ في مرارةِ كلماتي:

- لا أدرى معلمي .. لكنني رأيت !!

- أوَ لكَ أن تبدأ بما رأيت يا فتى ؟

قلتُ متعجبًا طلبَ الرجلِ الذي ظننتهُ يعرفُ كلَّ شيءٍ:

- أنا ومن ماذا تكون البداية ؟

- مما تراه أعماقك ساعدةً يبدأ الكشفُ !!

- صعبُ أن تسجلَ أحلامَ يقطنُك يا معلمي !!

- لا صعبٌ على فتى أراده ديموزي عارفاً لأسرارِه !!  
- أنا يا معلمِي ؟
- وسترى يا ولدي شوقيا أكثر مما يراه انسانٌ واجلٌ !!  
- أنا يا معلمِي ؟
- وستكونُ لكَ مع الربِّ حكاياتٌ لا يميّثها ربُّ الأزمانِ  
- وكيف لي بهذهِ الحكاياتِ يا معلمِي ؟
- ولدي شوقيا.. بين الانسانِ والمعرفةِ مثلما ما بين العقلِ وروحِ  
الانسانِ !!
- ما سمعتُ أجلَ من هذا معلمِي !!
- الجلالُ يا ولدي في الحفظِ .. وسياقِ البدءِ !!
- كأنكَ تقولُ بما قالهُ الإله ديموزي !!
- معارفُ الأربابِ متساويةٌ في أرضِ الأنهرِ.. على الرغمِ من  
احساسِ الانسانِ أن لكلِ ربِّ ما يفعلُ .. إن المعنى في ختامِ المجيءِ  
الغايةُ هي مقصودُ القولِ معلمِي
- ها أنتَ بدأتَ تلاحقُ انهماراتِ روحِكَ ... أريدُ لكَ يا ولدي  
شوقيا حباً أزلياً لا تفصمهُ الأحلامُ بين سراجِ الحرفِ ومعنى الطينِ  
وبينكَ حدقَ جيداً في محفوظاتِ الرُّقْمِ هذهِ .. ماذا ترى؟
- اشياءً لا حصرَ لها معلمِي
- بل قُل معارفُ لا حصرَ لها ولا حدودَ .. كلُّ ما تراهُ أزمنةً جاءَتْ  
.. وكلُّ ما تسجلُهُ في حضورِكَ أزمنةً تذهبُ لكنَّها أبداً تظلُّ شوقيا ..  
أبداً تظلُّ لأنَّها نتاجُ الانسانِ لمجدِ الانسانِ !!

- معلمِي أو تريـد لي إتمام ما بدأـت ؟
- لا أحد يـتمـم ما بدأـه معلمـه .. بل هو يـضـعـ معـنىـ إلىـ جـوارـ معـنىـ
- ... وما علىـ الآـتـيـ إـلـاـ إـكـمـالـ الـبـداـيـةـ !!
- وبـهـذـاـ مـعـلـمـيـ لـاـ نـصـلـ إـلـىـ تـامـ القـولـ !!
- مـنـ قـالـ هـذـاـ شـوـقـيـاـ .. مـنـ قـالـ هـذـاـ ؟
- هـذـاـ معـنىـ مـاـ فـاهـتـ بـهـ شـفـاهـ آـمـالـكـ !!
- شـوـقـيـاـ وـلـديـ .. لـكـلـ مـاـ تـرـىـ وـمـاـ تـنـفـوهـ وـمـاـ تـؤـسـسـ أـكـثـرـ مـنـ قـفـاـ
- وـأـكـثـرـ مـنـ بـطـنـ، تـأـمـلـ لـتـرـىـ أـنـ المـعـنـىـ قـلـبـ المـعـنـىـ وـالـبـداـيـةـ كـثـرـةـ
- الـاسـتـمـراـرـ .. وـالـدـقـةـ فـيـ الـاخـتـيـارـ منـهـجـ الـمـعـرـفـةـ !!
- مـاـ أـصـعـبـ مـاـ تـرـيـدـ لـيـ حـمـلـهـ مـعـلـمـيـ وـظـهـرـيـ رـاخـ وـعـظـامـيـ غـصـةـ !!
- شـوـقـيـاـ مـاـ الـذـيـ يـفـعـلـهـ الـأـزـمـيلـ فـيـ حـرـ النـقـشـ ؟
- يـؤـسـسـ مـاـ تـرـيـدـهـ الـمـعـرـفـةـ
- وـالـظـهـرـ يـؤـسـسـ فـيـماـ يـحـمـلـ .. لـاـ تـدـعـ نـفـسـكـ تـنـسـكـ فـيـ ضـيـاءـ
- رـفـاهـيـتـهاـ، الـآنـ الرـفـاهـيـةـ مـحـنـةـ الـبـاحـثـ عـماـ يـرـيدـ !!
- الـمـحـنـةـ هـيـ التـيـ تـعـطـلـ القـولـ
- مـاـ أـضـعـقـ قـلـاـ تـعـطـلـهـ مـحـنـةـ يـاـ شـوـقـيـاـ ؟!!
- هـذـاـ مـاـ أـحسـهـ مـعـلـمـيـ !!
- لـيـسـ دـائـمـاـ تـنـهـمـ الـاحـسـاسـاتـ بـصـدـقـ فـوقـ سـطـحـ الـمـعـرـفـةـ !!
- وـالـىـ أـيـنـ تـصـلـ بـنـاـ الـمـعـارـفـ؟
- إـلـىـ مـاـ تـرـيـدـ .. وـنـبـقـىـ .. وـنـكـونـ !!
- مـثـلـ صـعـبـ الـاجـتـياـزـ !!

- بل هو اجتياز الزمن وجود فارغ !!
- ما أقسامك على ... رؤى أغضُّ من ورقةٍ وردٍ ودربٍ لا ملامح له، وتربيدي الوصول إلى ما لا أرغبُ في الاجتيازاتِ، معلمي ليسَ في الرأسِ غير طنينِ ودوبي وأنقامِ القيثارِ عاجزٌ عن الافصاحِ، كلُّ شيءٍ يشبهُ كلَّ شيءٍ، ونفسي عاجزةٌ عن الفرزِ وأنت تدرِّي كم هو صعبٌ لفتى مثلِي أن يظلَّ مكبلاً بليلٍ لا معنى له، لحظةٌ يغادرُ شمسُ فضاءهُ، أحسُّ وكأنَّ الأرضَ لا معنى لوجودها !!
- شوقياً بتَّ تفهمُ سرَّ المعنى !!
- عن أيِّ سرٍّ يتحدثُ معلمِي، والأسرارُ افتضاعُ الأسرارِ .. المعنى أن يبقى السؤالُ سؤالاً والجوابُ جواباً !!
- لا شوقياً .. لا ، لابدَ من اختلاطٍ وابتلاءٍ .. ومعاودةٍ واختلاطٍ !!
- دائرةٌ تشبهُ الوهمَ تلكَ التي تضفي في وسطها معلمِي !!
- كلُّ منا له دائرةٌ .. ولا يمكنُ لإنسانٍ مثلَكَ ومثلي أن يبقى دونما دائرةٌ تحيطُ به ، تشعلُ أعماقِه بأسرارِ السؤالِ وتطفئُ ظمآنَ قلبه بحرٌ ماءِ الجوابِ !!
- والى متى معلمِي.. الى متى ؟
- ليسَ ثمةَ جوابٌ عندي لسؤالِ عاجزٍ ... ما أقسامك شوقياً ييارُكَ ديموزي ويقعدُكَ بينَ يديهِ، لكنَّكَ أبداً تظلُّ حائراً في دربِ المشقاتِ
- وأنتَ معلمِي أو لم تكن ذات يومٍ مثلِي، أو انطفأتْ حرارةُ السؤالِ في جوفِ أعماقِكَ التي لهَّتْ أمامَ سني عمرِي، أو لم تكن البادئَ،

- والصانع لأقوال أولئك الذين ما رأتهم مباصراً أهل بابل، ليس ثمة فرقٌ بينَ ما كنتُ فتى وما أكونه الآن!!
- ها أنت تضعُ الحجةَ أمامَ عمري كله!!
  - ليس هذا ، معلمي .. ليمسخني مردوكُ قدراً إن فعلتْ
  - وماذا إذَا ؟
  - الخطو معلمي .. الخطو هو مرضُ الروح الذي أرآه كلَّ ليلةٍ يطفرُ أمامي مثلَ جداءِ نافرة .. أحاوُل الامساك به لكنَّه يروح بعيداً ، أحركُ جسدي مقترياً، فيبتعدُ .. وهكذا معلمي حتى يغادر سُن قلبِ مملكتِه، عندها يهمُدُ أملِي وتشيدُ روحُه مئاتِ الحقائقِ فجأةً لا شيءَ ، كيفَ لي أن أتحملَ لا شيءَ ، وثُمَّ في دواخلي أشياءٌ تغورُ مبادرَ الزقوراتِ ، أشياءٌ تشتعلُ أبداً دونَ انطفاءٍ ... هنا يكمنُ المعنى وتختتمُ العبارةُ، هل يمكنُ اللاشيءَ أن تؤسسَ شيئاً ، وكيفَ .. كيفَ معلمي .. والفوادُ يمتلأ بالرددِ والسؤالُ يتبعه سؤالٌ ومسألةٌ ، عذابٌ هو يومي ... عذابٌ أحسَّه يتعرشُ في أعمافي ليغطي كلَّ ما يمكنُ رؤيتهُ ، ظلامٌ دامسٌ ومخاوفٌ شتى ، وخطواتٌ لا تدري على ماذا تستقرُ ، وأيُّ الدروبِ تسلكُ وكيفَ ؟
  - كيفَ هذه تقتلُ أوهامي ... وتجعلكَ غارقاً في سواداتٍ لا حصر لها
  - وما العملُ معلمي .. ما العملُ والسوادُ يحصرُ كلَّ ما يمكنُ .. حتى ذلكَ الذي كانَ يوماً يشكلُ وجوداً للبياضِ .. ما العملُ معلمي ونفسي تشبهُ كانواناً دوماً يطالبُ بحطبِ الحطابينَ وإلا انطفأتَ نارُه

واستحال المكان الى برد قارسِ، ما الذي يفعله فتى مثلي إن وجدَ  
نفسه يعيشُ في صحراء شديدةِ القرّ، وكيفَ لَهُ أن يعاينَ عجزَهُ ...  
ها أنا ذا في عجزِ رغمِ أني أحسُ إنكَ تسندُ وجودي، لكنَ السؤالَ،  
الى متى تظلُ ترمُ خرائطي لتحيلها مبانٍ فارهةً ذاتَ جمالٍ أخاذٍ، الى  
متى أظلُ أطلبُ المزيدَ من الترميمِ، أريدُ من يمتلكُ القدرةَ على ايقافِ  
هذا الانهيارِ .. انهيارٌ يكبرُ .. ويكبرُ وأخافُ أن يعمَ بابلَ عندهَا لا  
نقدرُ كُلُّنا على أن نفعَ شيئاً .. أو لا ترى معلمي أن المخاطر جمةً،  
والوجعَ ركُنَ الانقسامِ !!

- شوقيا ولدي ... أو تظنُ أنكَ الوحيدُ الذي تسكنُ جوفَ رأسِهِ  
مخاوفُ مثلُ هذهِ ... حدقَ إلَيَّ ملياً وانظرَ الى ما يكلُّ الرأسَ من  
بياضِ .. ليسَ عدماً هذا ... وليسَ غرابةً ... ما جاءَ إلَّا لأنَّي مخرُّ  
بخطواتي عبابَ الأزمنةِ لأجيبَ عن سؤالِ مما كانَ في رأسي وجاءَ  
إليَّ وكانَ قبليَ وقبلَكَ في رؤوسِ كثيرةٍ تجلُّها بابُ وتقضُها، لستُ  
وحيداً ولن يكونَ لخطواتِكَ وقْعٌ في صحراءِ المعرفةِ إنْ لم تكنَ  
مصحوبةً بمعنى !!

- معنى ماذا معلمي... وأنا أجدُ نفسي دونما معنى ؟  
- معنى نفسِكَ معناها !!

- إيهامٌ لا أعرفُ لَهُ وجوداً فتى مثلي معلمي، لا يمكنُ لَهُ أن يومنَ  
بغيرِ نظرٍ... لا يمكنُ لي أن أصدقَ أنَّ لي أباً وأمَاً ما لم أجدهما الى  
جانبي ... وليلةَ ذهبَ أبي معَ جندِ "تبونيد" ساعياً الى توحيدِ أرضِ  
السودادِ رأيتُ أمي وهي تنكفي الى فراشها مثلَ غرابٍ ، ليسَ ثمةَ أتعسُ

من هذا .. امرأةٌ تبكي وحْدَتِها، وصبيٌّ مثلي لا يعرُفُ كيْفَ يقوُلُ ...  
وكيفَ يبدأ .. ظللتُ أهْدِقُ فِي الفراغِ وظلتُ أمي تذوبُ مثْلَ سراجِ  
البيتِ رويداً.. رويداً .. أراها تخبو لتصلُّ حَدَّ الانطفاءِ، ولا شيءَ  
أمامي أؤسِّسُ لَهُ .. يوم عادَ الجنْدُ، وامتلأَت الشوارعُ بالتراتيلِ  
والاغاني وشمرت نسوةُ بابلَ عن ابتساماتِ فارهةٍ ظللتُ أمي حبيسةَ  
مداعِعِها.. كنتُ أهْدِقُ بما وراءِ المَلِكِ فلا أجدُ غيرَ وجوهٍ لا أعرُفُها،  
وجوهٌ لا تبالي بحضورِي وغيابِي ... عندهَا عرفَت معلمِي لم تطفأْ  
نيرانُ الأمهاتِ حينَ يذهبُ الآباءُ إِلَى الحروبِ، بدأْتُ أتفحصُ جدرانَ  
المعنى مثلَ بصيرٍ، وبهدوءٍ صبيٌ شاذٌ يفتئِنُ الوجعَ اكتشَفَ الأسئلةَ  
أكداساً تتلوهاً أكداساً ، والفتى نفْسُهُ ما كبرَ غيرَ ما في رأسِهِ، بلويَ  
ما كنتُ قادرًا أن أقصُّها على أحدٍ حتَّى أمي التي وجدتُ في وجودِي  
خلاصَها ، كانت تراني لتجدَ أبي، فتهَرَّ متوجعةً، كلُّ ما يحيطُنا وجمعُ،  
شوارعُ بابلَ وآجرُها وترتيلُ المعابِدِ وبخورُ المباخرِ وضحكاتُ العذارِ،  
حتَّى عطِّرِ مردوكَ صازَ وجعاً .. أَيُّ حيرةٌ هذهِ معلمِي .. أَيُّ حيرةٌ  
لولدِ غضِّ الأهابِ مثلي .. بدأْتُ الخطوَ .. ولن أستقرَ أبداً .. أبداً ..  
معلمِي !!

هكذا تتوهُمُ شوقياً .. هكذا تتوهُمُ .. ما من بدايَةٍ لا تستقرُ  
وبدايَتكَ حُسْنُ الاكتشافِ، ما كنتَ تقولُ ما قلتَ لولا معرفتكَ بسرِّ  
الحرفِ، هذهِ الأرقَمُ هي التي لابدَ وان تعطيكَ يوماً بعضاً استقرارِها !!  
أو أصدقُكَ القولَ معلمِي !!؟

ما خضت حواراً مع أيما انسانٍ لا يحثّي بصدقٍ .. لا معنى  
لكلام دونما صدقٍ و هويةٍ !!

آهِ معلمِي .. آهِ الحسَرة تملأ قلبي ولكنني سأقولُ - لا أريدُ حرفًا  
مهما كانَ مشرقاً وذا وقِع إنَّ هو علمَني كيفَ أسلكُ دربَ الاستقرارِ ..  
الأجملُ والأجلُ معلمِي أنَّ لا نستقرَ حتى وإنْ أحستَ أعماقَنا  
بالاستقرارِ، مسكيَنٌ هو الانسانُ الذي يستقرُ .. مسكيَنٌ من يلهيهُ  
الاستقرارُ عن متابعةِ الحركةِ، لا أريدُ معلمِي أنَّ أظلَ مثلَ طينِ البركِ  
تضريهُ رياحُ شمشِ كلَ يومٍ حتى يتَبَسَّ ويتلاشى في وجودِ أعمَمْ هو  
وجودُ الأرضِ ذاتِها، أو تستطيعُ البركُ أن تحافظَ على وجودِها أمامَ  
قوَّةِ شمشِ وجبروتِه .. لا أظنُ معلمِي ، ولكنني أعتقدُ إنَّها لا بدَ أنَّ  
تفعلُ، السؤالُ يبدأ بفعلٍ ... عندهَا حتى وإنْ تلاشتَ في بطنِ الأرضِ  
يبقى السؤالُ يتَوالُ ولابدَ يوماً من إجابةٍ تعمقُ فهمَ الأسئلةِ !!

- شوقياً... من أين لكَ كلَّ هذا ولدي ؟

- البحثُ ومنادمةُ سنِ مردوكِ وديموزي وشمسي... واكتشافُ  
المعنى عندَ تراتيلِ المعابدِ.. وسنواتِ الوحدةِ التي أكلَت عمرَ أمي ..  
ما الحربُ .. ومن ذا الذي أعطى لهذهِ الآلاتِ القاتلةِ معنى الاحترامِ  
.. ولمْ تُجزِّ الأرضُ ثمْ نقاتلَ من أجلِ وحدتها .. ولمْ يموتُ الانسانُ  
وهو يقاتلُ من أجلِ رفعةِ مردوكِ وسموهِ ، ما معنى أن يسهمَ مردوكُ  
والأربابُ الآخرُ في موتِ انسانٍ يدافعُ عن بهاءِ بابلِ الذي يمجُدُ  
مردوكَ ليَ نهار .. أعرفُ معلمِي إنَّ لكلَّ سؤالٍ جواباً هكذا علمتني

- وعلمني غيرك ... وإن لكل لفظا آخر يقابلة ، دورة غريبة لا تنتهي أبداً ... معلمي أحسن إن الأجل آتٍ !!
- أجل ... أجل ماذا؟
  - أجل كل ما يحيط بنا .. أرى في بابل ما لا يراه غيري !!
  - وما الذي ترى شوقيا ؟
  - أشياء أخاف قولها ... أشياء أخاف حتى النطق بها .. أشياء غريبة تاف قلبي بنيران وحرائق !!
  - لن تنجح إن خفت بقول أو نطق !!
  - وتلك هي مهنتي ... مهنتي أمام رقم الطين الفارغة هذه وأمام نفسي ... وأمامك .. لا أريد كتابة أشياء يعرفها الناس من أزل الأعوام .. أريد لهم أشياء جديدة ، معانٍ تعطي لبابل سر وجودها الآخر ... لم نعي ما كتبه الأولون ... كان جل جامش ومضى ... كان أورنemo واتوحيكال ونبونيد وشبي ايرا ... ماذا عن الناس ، ماذا عن أحلامهم وأحزانهم والآمال ... ماذا عن الحب والكراهيات ... ماذا عن الجوع والمحنة ... ماذا عن الانتظار وهو يرکض بين عيون الصبايا والأمهات ، ماذا عن ليالي الشتاء الطويلة وهي تحط بغيريابها في سرادق النسوة المهجورات ... ماذا عن أولاد المصائب والغائبين ، والذين لا يعرفون لم هم هنا دون هناك ، ولم يجدوا في أيديهم طائراً ، لا شيء لحظة ينظرون في أيادي أولاد مثلهم أشياء لا يعرفون لها أسماء ... أي فرق هذا بين صبي مثلي وصبي مثل بيل شاحر ابن ملك وأمه نصف ربة ... ربما ولكن لم لا أكون مثله أو يكون مثلي ،

ما الذي جعله سيداً وجعلني مجرد رقام يسهر ليل نهار من أجل  
أن يروي حكاية ملكِ مجنون، أو ربّ أخضبَ فعلُ انسانٍ فقررَ  
الطفوان ... لم لم تقرر الأربع فناءَ الإنسان وهي التي أقامتهُ  
وسيدتها في أرضها .. أيُّ أربابٍ تافهةٌ وعقيمةٌ الفهم، تضعُ نفسها  
الآقدس إلى جنبِ نفسِ هي التي صيرتها .. محتني معلمي أن أكتبَ  
كلَّ هذا وأشياءً كثيرةً غيره !!

- آه شوقيا ... بدأتُ أخافُ عليك ، هذهِ الرؤى تتعبُ المخيلةَ  
وتجعلُ الروحَ تمتلأً بشططِ الفعل !!

- لهذا تراني عاجزاً عن ملامسةِ ما تريدهِ رسماً !!

- ليسَ عجزاً شوقيا ... ليسَ عجزاً بل هي محاولةً للاتيانِ بما يبقى  
حياتكَ متميزةً !!

- أو تاذنْ لي بالبدءِ معلمي ؟

- ليسَ الآن .. ليسَ الآن !!

- لمَ معلمي ؟

- لابدَ من فعلِ عارِمٍ وطوفانٍ يغلبُ ما نقشَهُ السابقونَ ليكونَ ابهاراً  
وتقديساً !!

- لكنَّ الآلهةَ لا تريدهُ دمارَ الإنسانِ ثانيةً !!

- ليسَ دماراً ما أريدُ يا شوقيا .... بل أفعالٍ تصمدُ أمامَ رويا  
الوجع !!

- أفعالٌ يخلفُها الحاضر .. هذا ما سأفكُّ بهِ دوماً، معلمي، كلُّ ما  
تتمتلاً بهِ سطوحُ الرُّزْقِ ما هو سوى ماضٍ نمرُّ إليهِ مستغربينَ ... مادا

عن فعل الحاضر وناسِه ... أو ليس ثمة جلجامش آخر وإنكيدو وهبوط إلى عالمِ كن نوجي السفلي ... ماذا عن أنانا وريات سومر ولكش وكيش الجدد ... أيُّ معنى لماضٍ يستندُ إلى حاضرٍ جديدٍ ... يأخذُ بيديه حتى بواباتِ المستقبل ... أريدُ تدوينَ حضوراتنا ... تدوينَ نحنُ الأهم ... حتى إن كانت النحنُ هذه مدنسةً لا مجد لها سوى مجدِ الأكاذيب ... أريدُ أن تصيءَ جوانبُ بابلَ التي أظلمها البعيد...

- وكيفَ يكونُ الانقاضُ شوقياً وكلُّ ما يحيطُ بنا معروفٌ ولا ضرورةً لتدوينِه ؟

- ما تقولُ أفوهُ به ليلَ نهارَ معلمي ... بلـى... أريدُ تلكَ الضرورةِ التي تحرقُ سناً الرقم وتشتعلُ وهجُ الحروفِ ... أريدُ تجربةً حارةً تذهبُ مواقعاً وجودي وتجعلُ رقمي أبديةَ القدرة ، مسهمةً في إلقاءِ العقولِ ، أليسَ هذا ممكناً معلمي؟!!

- ولمْ لا يكونُ ممكناً وأنتَ تسعى .. والسعى خطوة التمام !!  
- أو أبداً ... !!؟؟!

- تبدأ... تبدأ... أو أهمسُ لكَ بشيءٍ ولدي؟

- أو تحيرُ الأسرارُ العقولَ إلى حدِ الهمسِ؟؟!

- ليسَ دائماً شوقياً .. ثمةُ اسرارٍ لها ثقلُ الريحِ واخرى لها ثقلُ جبالِ آشور!!..

- وأيهما الأبقى معلمي ؟

- البقاءُ بحسبِ المعرفةِ ... والثقلُ بحسبِ التقديرِ !!

- فهمت معلمي .. فهمت .. فماذا عن السر؟
- شوقيا ولدي .. هلا نظرت الى السماء نظرة عارفٍ ... هلا تفحصت شوارع بابل تفحص حكيم!!
- فعلت هذا معلمي .. ورأيت ما رأيت!!...
- روياك سرّك يا ولدي
- وسرك ؟
- كلامها تفحصٌ ومعنى ... ولدي إن أنت نظرت ما نظرت وتفحصت حواض الرؤيا ، فما عليك إلا أن تبدأ وتنظر النتيجة للنيل
- لكنه خطبٌ شديد الوطأة
- كلما اشتدَّ أوارِ الدهرِ ... امتلأتُ رقْمَكَ بأفعالٍ مشهودةٍ
- أوَّلَّ هذا حقاً معلمي ؟
- حقاً ما نطقَ به لسانِي بغيرِ موضعِه !!
- ما أجلكَ معلمي .. ما أجلكَ !!
- وما أكبُرُ ما تحملُ أيها الفتى الغريبُ منذَ الآنَ .. كتفاكَ تحملانِ أشياءَ ثقيلةَ ... ولا أعرفُ كيفَ يكونُ خلاصُكَ منها.. ربما تساعدكَ رقمُ الطينِ ... وربما تتخلَّ عنكَ الأريابُ في ساعةٍ محنتكَ ومحنتها
- معلمي، أقسمُ لكَ بما كتبْتُ ... بهيبة جلجامش ووفاء عشتار ... إني ما عدتُ بحاجةٍ الى أريابٍ ... الذي يمسكُ بصولجانِ الكلمِ ، لا حاجةَ لهُ بربٍ لا يعرفُ لماذا يغضبُ ولماذا يهدُم .. أحسنُ في أريابٍ بابل عجزاً أشنعَ من خللِ دماء العطايا ... أريابٌ لا هم لهم غيرَ بكاراتِ العذاري وخمورِ معتقةٍ يهرقُها الكهنةُ فوقَ أسرةِ المعابدِ

المظلمة ... أريدُ، معلمي ربياً يقدس فعل الكلم ويسمهم في تمجيد الفعل !!

- شوقيا... صه كي لا يسمع قوله جاهل!!
- وهذه محنّة ثانية سيدى ... صعب أن تقول معارفاً في حضور الجهال ... عيون بابل كلها تتعلق بأهادب مردوك، رغم إنني أعرف الألسن في خفائها لا تتقول بغير فضائح مردوك وكهانه ... امتلأت الشوارع بحكايات وضيعة لها طعم العلقم ... مردوك هذا أيها السيد المعلم يبدو مثل رب مجنون!!
- بل هو مجنون فعلاً ... شوقيا!!
- محنّة أن يكون لمدينة مثل بابل رب مجنون ذهب عقله بين أخاذ مهووس لا هم له غير الضحك والسباب
- من أين لك بكل هذه المعارف ، شوقيا ؟
- التفحص في دروب السؤال ... والتأمل بعيني الصقر المنتظر
- ما خاب بطن أم حملتك شوقيا
- وما خاب ظهر أب
- بلى... بلى ولدي ... ولكنني أوصيك..
- أو بعد كل هذا وصية سيدى الأجل ؟
- دوماً ثمة وصايا ووصايا .. يا أنت !!
- كم أنت عظيم أيها البابلي الحكيم !!

- لا عليك بهذه الألقاب يا ولدي ... وإياك أن تغتر بوجودها بين يديك ... كلما جاء يومك بحكمة ، عليك أن تروض نفسك وتدون ما يمكن أن يجيء ... نعم ولدي .. نعم !!
- تغمرني بحسن ما تقول سيدتي !!
- اسمع إذن ... ولتكن المسافة خاتمة حضورنا !!
- لماذا سيدتي ؟
- لحظة تبدأ التدوين لا تجعل ذاكرتك تنطق بغير الصدق ولا تحرك أزميل يديك بغير الحب ... كلاهما يؤسس لوجود الأزل ومعنى الاستمرار !!
- حفظت ... حفظت ووعيت سيدتي
- مبارك سعي شوقيا ، مبارك سعي الفتى البابلي الكريم !!
- وأنت معلمي سعي معارفك مقدس وحكمتك أجل من الفرات !!
- أو تأذن لي بالبدع ، سيدتي ؟
- لماذا كتبت في أول الرقيم ؟
- اسم رب الذي بارك حضوره حضوري !!
- ديموزي ... الأزل القادر .. رب بابل وسومر وكل أرض السواد .. إقرأ معي شوقيا... اقرأ معي بخطو المبارك رب السماء ، سليل المباهاة والمعرفة ، عظيم العطايا ، الذي في مدة تعجب الحقول ، الإله ... الإله ... الإله ... الذي قاسم عشتار بهجتها وأولادها الخصب والأمنيات
- إليك أقدم زرع الحروف ...

إليك أقدم نور العلوم ... العزيز البهء .. تقبل... تقبل أيها  
 القابع في جمجمة المعرفة .. تقبل خطاه وخذ بيديه الى بئر العلو ..  
 سليل الذي ملت في دوحة الأسئلة ... ابن الأنامل الطيعبات في  
 عمق طين الفرات  
 رب العلو ... بعل عشتار وابن انتيل ... خذ به اليك لأنه كاشف  
 للسؤال ، مجيب لكل ما ترغب الأزمنة ... بابل تقدمه أضحية وانتظاراً  
 بابل تجيء به سرداً للمسار ... بابل تعمده نخلة وسنبلة وانغماساً ..  
 بابل كبدة اليك يهفو فخذ بعين النهار ، يا ابن انتيل ... اعطيه دورقاً  
 من علوم وحكايات وسماري ... هو المدون .. العارف ... الراسم ...  
 القادر ... هو الحب بعد ليل البذار ، هو الأول في علم المعالي ، ابن  
 رأية الitem ، ربب المباحث والرقم والقصص  
 المنار ... إليك أقدمه كوكباً فلا تفرط بكوكب بابلي ملؤه مودة  
 وعسار .

علت الروح مرففة في الفضاء الذي عبق فجاءه بحضورات  
 ديموزي المتعددة الوجوه ، وارتقت هممات المعلم حتى طفت على  
 ما يحيط بي ، وبهدوء وجدتني أنترغ في وحدة الانتظار ، تلاشت  
 الأزمنة ، وغدا الولد الذي حضنته التعاميد رقمياً محاطاً بالآلاف الآلواح  
 الفارغة ، والحكايات التي لا حصر لها ، كان الولد الصغير المتقى  
 الرأس يتأمل محنـة الرجل الذي كنتـه مبتسمـاً ، شاماـتاً ، متائـماً ، تهـدر  
 بين شـطـآن قـلـبه أـسـئـلة لا يـمـكـن لـه تـجاـوزـ وجـودـها ، كانـ الفتـى يـطـردـ  
 وجـهـه ، فيـلـمـه الآخـرـ مـحزـونـاً مـراـقبـاً من خـلـالـ كـوـةـ المـكـانـ خـبـبـ الجـيـادـ

وصرخاتِ الأفواه وانهزماتِ الأزقةِ والشوارعِ التي خدت مقابراً لجثثِ  
متناشرةٍ تحلقُ فوقها غربانٌ وصقورٌ ، وتأملها باشتهاءٍ وحوشٍ غابٍ  
لا يدري أحدٌ كيفَ حلَّ محلَّ الإنسانِ الذي غادرَ متوجعاً باتجاهِ عالمٍ  
آخرٍ أكثرَ عتمةً لكنه أقلَ شقاءً وأرحمُ، عالمٌ تموتُ فيهِ الرغباتُ  
وتتزرعُ محلها سعاداتٍ وريحُ اطمئنانٍ ما تلبثُ أن تخدرُ الحواسُ  
وتملاً الأفواهَ بتراتيلٍ أشدَ استحساناً وأجملَ في تمجيدِ عطاءاتِ الربِّ  
الذي أعطى لكلَّ حقيقةٍ مناراً من الاستذكارِ، وحدِي تسكتني البلوى،  
تافتتَ فلا أجدُ غيرَ ذاتي، تتوزعُ فراغاتُ الطينِ، حاولتُ الامساكَ  
ببعضِ هدوئيِّ، لكنِّي تيقنتُ أنَّ ليسَ ثمةَ خلاصٍ أمامَ ما أرى وأحسُّ  
وأعتقدُ، أمسكتُ بهمِّي وتأملتُ وجهَ مردوكَ الذي لم أعدْ أراهُ سوى  
مسخٍ يلهثُ وراءَ عوانسِ بابلَ ومجانيتها ، مردوكُ العاجزُ عن الاتيانِ  
بنهايَ يمرُّ بابلَ من محتتها، أنظرُ إليهِ متأسفاً، واودُّ لو كانتْ ليَ  
القدرةُ على مساعدتهِ، ارتجعُ ذاتي فلا أجدُ غيرَ هِمْ يتكونُ فوقَ عذابٍ  
ومساعاتِ موبوءةٍ بالرزايا ، أيُّ محنَّةٍ أعيشُ وأنا اسعى للإخلالِ محلَّ  
مردوكَ الذي كفتتهُ السفالاتُ والانهزمُ أيُّ بلدٍ تلكَ التي صيرتني تدورُّ  
يشعلُ في أعماقهِ كلَّ شيءٍ قابلاً للاشتعالِ دونَ أنْ يسألَ لماذاً ومتىً  
وكيفَ، تحيطُ خراباتيُّ الهمومُ، ولحظةً اعلنَ البدءُ تندفعُ البابُ بقوَّةٍ  
وتطالعني وجوةً محزونةً تمورُ في عظمةِ الخرابِ، ينظرُني الذي فيِ  
المقدمةِ، ودونَ أنْ يفوَّه بشيءٍ، يشيرُ ناحيتيَ فيتقدمُ الجنُّ الذي  
آخذينَ بيديِّ ... إلى أينَ ... ولماذاً ... وما الذي اقترفتهُ ضدَّ بابلَ  
التي محتها طفولةُ الitemِ وبكاءُ الاحتضانِ وتأملتُ وجهَ أميِّ من

خلالها وهي تشيح متوجعةً، وساعةً أحسست باشتداد المحنَّةِ أعطيتُ  
للطينِ رضايَ وعمرِي الكاشفَ عن معنى وجودي، أعرفَ أينَ وجهتُ  
الآمالَ بشدةٍ وأعلنَتْ صراحةً عداوتِي لأربابِ بابلَ وسومرَ بل تجرأتُ  
ولعنتُ مردوكَ أمامَ كهنةِ المعبدِ الأولِ الذينَ أعلنوا استغراقَهم  
وأتهموني بالخروج عن مبدأ الاتفاقِ واتباع خطى أربابِ الشرِّ، لماذا  
تحاسبُني بابلُ وما سعيتُ إلى غيرِ رضاها وتحسينِ مواجهها التي  
ملأَتْ قلبي بقبحِ نازفٍ ليَّل نهارَ، أخذَ الحرسُ بيدي .. دونَ لحظةٍ  
انتظارٍ .. وجدتُ نفسي معصوبَ العينينِ مشدوداً لوتدِ ينفرزُ عميقاً  
في لُبِّ الأرضِ التي بدأَت تحتَ قدمي مثلَ بركةِ آسنةٍ تعجُّ من بينِ  
ثناياها رواحةً كريهةً تزكمُ الأنوفَ وتذكّرني بمجانينِ بابلِ الذينَ  
يتبلونَ عندَ معابِدِ الأربابِ دونما حياءً ودونما معرفةٍ انهم بهذا إنما  
يغضبونَ الأربابَ التي لا تأبهُ لجنونِهم بل ترى فيهم بشراً خرجوا عن  
طوعِ ارادتهمِ العصيةِ إلى التجاوزِ ، كنتُ أفكُرُ وأنا أغوصُ في شذا  
تلكِ الرائحةِ، ما الذي يشعلُ الآلهةَ من رائحةٍ تخرجُ من جوفِ  
الإنسانِ، ولم لا يفرحونَ بوجودِها عندَ بواباتِ المعابِدِ، لم أعدْ أرى  
 شيئاً، كانَ الظلامُ يحيطُ بكلِّ فراغٍ ، وبملاً عيني بضجيجِ موجعٍ،  
جعلني أحawlُ الامساكَ بلحظتي التاليةِ، لكنني عباً حاولتُ، إذْ ما  
لبثتُ أصواتُ الاستغاثاتِ أنْ علتَ مصحوبةً بضحكاتِ خرقاءِ، قلتُ  
متسائلاً لنفسي ... ما الذي جرى ؟  
فتعالتِ الصيحاتُ استحساناً، وما لبستِ الأقدامُ أنْ جاءَت إلَيَّ،  
انهمرَ الضوءُ وفجأةً وجدتُ نفسي ببطنِ كهفِ رطبٍ والى جانبي

يجلسُ شِيْخٌ بَهِيُّ، بَعْيُونٍ تَشْتَعِلُ وَجْدًا، انْهَارَ جَسْدِي فَقَعَدَ مَتْوِسِلاً  
الْأَلَيْنَ وَالصَّرَاحَ بِالصَّمْتِ، قَالَ الرَّجُلُ بِصَوْتٍ خَافِتٍ مَحْمَلًا بِمَعْنَى  
الْإِمْتَانِ:

- ما الَّذِي جَاءَكَ إِلَيْهَا هَنَا؟

- أَوْ تَعْرَفُنِي؟

- بَلِي... أَوْ مَا عَرَفْتَنِي أَيُّهَا الطَّيْبُ شَوْقِيَا؟

حَدَّقَتْ عَيْنِي فِي ظَلْمَةِ الْكَهْفِ الشَّفِيفَةِ، فَمَا وَجَدَتْ غَيْرَ بَقَايَا  
رَجُلٍ كَثِيرِ الشِّعْرِ، مَمْلُوءٍ بِالتَّأْمِلِ حِيثُ تَوْحِي بِدَقَّةِ التَّقَاطِيعِ أَنَّهُ كَانَ  
شَكْلًا مَلْكِيًّا... أَوْ هُوَ نَصْفُ إِلَهٍ... قَلَّتْ مُتَوَجِّعًا:

- لَكِنِي لَمْ أَرَكَ مِنْ قَبْلٍ!!

فَقَالَ مُبْتَسِمًا: - بَلْ لَاقِيْتَنِي كَثِيرًا أَيُّهَا الْحَرْفِيُّ الطَّيْبُ!!

قَلَّتْ مُسْتَغْرِيًّا: - أَيْنَ سِيدِي؟

- فِي كُلِّ مَكَانٍ، أَبُوكَ كَانَ صَدِيقًا لِي، مَعًا تَجاوزَنَا حَدَّوَدَ بَابَلَ  
لِلْوُصُولِ إِلَى هَدْفِ الْمَعْنَى

- أَوْ كُنْتَ مَقَاطِلًا مَعَ الْمَلَكِ نَبُونِيدِ؟

- بَلْ هُوَ أَنَا نَبُونِيدِ بَعْيِنِه... أَنَا أَيُّهَا الطَّيْبُ شَوْقِيَا... مَلَكُ بَابَلَ  
الَّذِي مَا عَرَفَ كَيْفَ يَحْفَظُ عَلَى أَمِنِ وَحْدَتِهَا  
- سِيدِي!!!

- كَلَّا نَعِيشُ مَحْنَةً وَاحِدَةً، وَلَكِنِي قَدْ أَغَادَرُ إِلَى دَارِ الْأَجَادِ بَيْنَ  
لَحْظَةٍ وَثَانِيَةٍ لِذَا أَرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكَ شَيْئًا!!

- نبونيد .. نبونيد .. نبونيد .. أَيُّ تعاَسِهِ هذِهِ التِّي جمعتني وَإِيَّاكَ  
أَيْهَا الْمَالُكُ الَّذِي أَعْرَفُ وَأَجْلُ وَلَمْ أَنَا دُونَ سَوَاِي .. أَهُو اخْتَبَارٌ آخَرٌ  
مِنْ تَلْكَ الْاَخْتَبَارَاتِ التِّي وَضَعَهَا مَرْدُوكُ أَمَامَ قَدْمِي .. لَمْ أَنَا دُونَ  
سَوَاِي مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَى مَا يَرِيدُ أَنْ يَقُولَهُ سَيِّدُ بَابِلَ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ كُلُّ  
الْأَذَانِ تَرْهُفُ السَّمْعَ إِلَيْهِ ... وَبِلُّ بَابِلَ التِّي صَمَتْ آذَانُهَا مِنْ سَمَاعِ  
آخَرٍ مَا يَمْكُنُ أَنْ يَقُولَهُ سَيِّدُهَا الْجَامِعُ .. إِنَّكَ تَضَعُّنِي سَيِّدِي أَمَامَ  
اخْتَبَارٍ صَعِّبٍ ... صَعِّبٌ أَنْ أَحْفَظَ مَا تَقُولُ وَأَنَا أَعْيَشُ كُلَّ هَذِهِ  
الْكَرَاهِيَّاتِ .. مَا تَعْلَمْتُ أَنْ أَصْفِي وَأَكْتَبَ وَأَرَى وَنَفْسِي تَمُورُ بِالْأَحْقَادِ  
وَالْدَّمِ .. الْاَصْغَاءُ فَعُلُّ سَلَامٌ ، الْكَتَابَةُ فَعُلُّ سَلَامٌ ، الرُّؤْيَا فَعُلُّ سَلَامٌ  
فَكِيفَ أَجَدُ نَفْسِي فِي مَعْبِدِ السَّلَامِ وَالْجِيَادِ تَدُوسُ كُلَّ مَعَابِدِ  
السَّلَامِ ... سَيِّدِي مَا الَّذِي يَمْكُنُ أَنْ تَقُولَ غَيْرَ مَا رَأَيْتَ وَرَأَيْتُ ؟

- هَذَا أَنْتَ دَوْمًا تَبْعَطُ خَطَاكَ وَعَرَفْتَ مَا يَمْتَلِأُ بِهِ رَأْسُكَ ... كَمْ  
تَشْبَهُ أَبَاكَ شَوْقِيَا ... تَذَكَّرُنِي بِهِ يَا ابْنَ سَنِ الْعَظِيمِ، كَأَنِّي أَسْتَمِعُ  
إِلَيْهِ .. كَانَ يَنَادِنِي مَا أَنْ يَجِنُ اللَّيلُ وَتَهَدُّ أَوَارَاتُ الْمَوْتِ، وَيَبْتَعِدُ  
شَبَّحُ الْحَرْبِ قَلِيلًا ، نَسِندُ ظَهَرِينَا إِلَى جَذْعِ نَخْلَةِ رَطْبَةٍ ... وَنَرْسُلُ  
الْقَوْلَ تَلَوَ الْقَوْلِ مَنَادِمَةً وَاحْتِاجَاجًا وَكَشْفًا ، كَأَنِّي أَرَاهُ السَّاعَةَ ...  
السَّاعَةُ تَعُودُ بِي ... هَلْ حَقًا إِنَّ النَّفْسَ التِّي تَوَاجِهُ الْمَوْتَ تَسْتَرْجُ  
كُلَّ أَيَّامِهَا، أَوْ يَرِيدُ الْمَوْتُ اعْلَانَ هَزِيمَتِي إِلَآنٍ .. وَبِلُّ "بَيْلُ شَاحِرٍ"  
مَعْتَوْهَةً مَا كَانَ عَلَيَّ أَنْ اسْلَمَهُ صَوْلَجَانَ مَدِينَتِي ... كُلُّ شَيْءٍ أَرَاهُ كَمَا  
أَرَاكَ إِلَآنٍ يَا ابْنَ سَنِ ... كُلُّ شَيْءٍ كَانَ يَسْعَى بِاتِّجَاهِ وَحْدَةِ أَرْضِ

السواه ... كنت أحلُم بأن أجعلَ من بابلَ أمًا للدنيا ، لكنَّ سنَ كانَ يكرهُ الحربَ ، كانَ يملأُ رأسِي بأنَّ بلادِ الرافدينِ كافيةً لتحقيقَ حلمِي ،  
كيفَ سنَّ كيفَ ؟

- المعرفةُ مولاي الملك .. المعرفةُ ابن الالهة هي التي تجعلُ من بابلَ أمًا عظيمةً لما تريده !!
- المعرفةُ معرفةٌ ماذا في ماذا يا سن ؟
- كلُّ شيءٍ في كلُّ شيءٍ !!
- لكنَ الأيامُ تغيرُ هيئةَ الأشياءِ ، سن !!
- لا بأسَ مadam العقلُ يتغيرُ ... البدءُ يتولهُ بدءٌ آخرٌ وال بداياتُ نتاجٌ لا ينقطعُ أبداً !!
- في قولهِ الكثيرُ من الابهامِ ، سن !!
- وفي قولهِ الكثيرُ من الحدةِ ورغبةِ الدِم ، يا ابنَ الربِ !!
- ما أنا الذي يعيشُ الدِم ، سن ، ولكنَ لا طريقَ غيرَ الذي سلَكنا !!
- صعبٌ ، مولاي أنْ أسمعَ ما تقولُ ، صعبٌ أنْ يكونَ لنبوبيَّد طريقَ واحدةً ، الملوكُ ما صاروا ملوكًا إلا لأنَّ أمَّاهم أكثرُ من طريقِ !!
- هذا ما كنتُ أعتقدُ ، شوقيا ... ليسَ الملوكُ بحاجةٍ إلى طريقٍ يسلكونَ مجاهلًا بل هم أشدُّ حوجًا لأختياراتٍ يجعلُهم يؤمنونَ بالآتي
- أوَ ما كانتَ لدى نبوبيَّد ، وهو العارفُ بكلِّ ما يرى جمَّ اختياراتٍ !!
- في المسالكِ الواحدِ بلى ... ولكنَ ثمَّ مسالكِ كثيرةٌ لا أرى في أعماقِها سوى العتمةِ ... العتمةُ التي ملأتَ قلبي حزناً ، فجعلَتني

أودع كلَّ شيءٍ، تعبُ السنواتِ وسهرُ بابلَ بينَ يديِ الغَرْ "بيل شاحر"  
... أو تدري كيفَ الأمرُ بينَ جوانحَكَ حينَ ترى كلَّ ما شيدَتْ يداكَ  
مجردَ انفاضٍ ... انفاضٍ ليسَ لديكَ خيارٌ في إعادةِ ترتيبها ، خيارٌ  
حتى لمرةٍ واحدةٍ ، شاهدَ أتعبةُ البحثُ عن معنى لوجودهِ، حبُّ الجيادِ  
وصهيُّلها وصراخُ الاستجادِ ما زالتَ تملأُ أذني، غدتَ التيماءُ رغمَ  
كلَّ ما زوّقَها بهِ، مجردُ فراغٍ لا معنى لهُ، تعجبُ نفسِي بالكراهياتِ رغمَ  
سموها الملكي قُتلَ ولدي "بيل شاحر" لأنَّهُ ما حفظَ ودَ بابلَ وأغرقَ  
ليَّلها بمسراتِ تافهَةٍ، فماذا عن بابلَ وماذا عن أريابِها، ماذا عن  
أولئكَ الذينَ عجَّنوا دمَ أيامِهم بحضوراتِها الزكيةَ، منْ ذا يقدِّرُ أنْ  
يعيشَ بعدَ أنْ ماتت بابلُ، ولا أظنُّ أنَّ مدينةً مثلَها قادرةً على  
النهوضِ منْ رحمِ الموتِ دونَما مساعدةً منْ أكْفِ راغبةٍ بالحياةِ، يومَ  
حملتُ سلاحي وبدأتُ رحلتي باتجاهِ وحدةِ الأرضِ كانَ قلبي مزروعاً  
بالآمالِ وبينَ يديِ ثمةً آلافِ من الرجالِ الذينَ وحدتهمْ تلكَ الآمالِ،  
فكيفَ يكونُ الأمرُ اليومَ، كيفَ يكونُ لرجلٍ مثلِي هدفٌ وهو محاصرٌ،  
مسلوبُ المعنى، حزنٌ ... وخوفٌ ... واتبهارٌ ... هذا ما أحستُهُ  
شوقياً، ونحنُ نعيشُ غريتنا بينَ جدرانِ هذا الكهفِ المعتمِ الرطبِ ،  
كاتبٌ دونَما رقمٍ وازميلٌ، وملكٌ دونَما سيفٍ وملكةٌ ، لقاءُ مزكومٌ يعُجُّ  
بالموتِ، ملكٌ سلبتهُ الأيامُ مجدَ عمرِهِ كلهِ، وكاتبٌ لا يدري منْ أينَ  
يبدأُ ومتي... محنَّةُ المتى هذهِ هي التي ستجعلُ منْ لقائنا بدايةً  
حسنةً لحلمٍ بعيدٍ ... شوقياً، لا تجعلُ منِي بطلاً، لا تجعلُ منِي سوى

محنة مكفنة بالغرابة، غريب هذا الأمر الذي جعل مني هامشاً تعجزه  
اللامبالاة ، ولكن ثمة متى تراود رأسينا، متى شوقيا يمكن لك أن تبدأ  
ويتمكن لبابل أن تمد عصا عمرها إلى موعده الأzman ، ثمة محنة ...  
محنة شوقيا !!

- سيدني نبونيد ... لا تكثر من ايام بابل .. لا ترمي آمالك فوق  
أكتافها المدمات ... لا أرى غير الصراح والمراجع، لا أرى غير زمن  
مفتوح وفارسٍ ترجل عنوةً مضمون بالبلوى... لا تكثر سيدني فلا لوم  
يفيد ولا بكاء، ولا أظن إن لبابل عودةً بعد كبوتها هذه، كلُّ ما يحيط  
بها شرورٌ تتزايد ... وتتزايد ... ونيرانٌ تشتعل وشتاتٌ  
- أو رأيت أنت أيضاً ؟

- لا أدرى لم تذكرت الملك الأمجاد نبودن نصر ... لا أدرى ماذا تغنى  
لي كلمة شتاتٍ ... كلُّ شيء محمول على محامل الفوضى والانهزام  
شوارع كانت يوماً ممزحمة بالتمجيد فعدت فجأةً تسبح بخطوات راكضةٍ  
باختلاع عن بوابةٍ تأوي خوفها فقيأت البيوت ساكنيها ... وعادت  
الخطوات سيرها باتجاه مدنٍ عفنةٍ لا تدري لأهل بابل فضلاً ، كيف  
يمكن لأهل بابل السكن مع انسٍ لا يدرؤن جذورهم ... محنة سيدني  
أن تتكأ إلى شجرةٍ منخورة الجذع ... محنة أن ترمي ثقلك اليها خوف  
السقوط ... هذه هي بابل شجرةٍ يابسةٌ .. ولا شيء حتى أنت ...  
نبونيد الذي كانت الشفاعة لا تكفي عن اللهيج بفعاليه، ها هو الآن يلوم  
وحده بانتظار الرحيل إلى عالم الأسف، أو يعتقد سيدني أن ثمة

ارتيحاً إن أنت رحلت إلى هناك .. أو لا تجد إن الأرباب والأجداد لابد  
إن سبوك ... فرازك من هنا يوقيعك بسؤال المهاك، بنت أعمارهم مدنًا  
ظاهرةً وينت مواجهك مجرد حطام، ماذا سيدى ، إن سالك أحدهم عن  
معنى وجودك دونما حلم بعيد ... أو يكون جوابك إنك رحلت دون  
وداع ملكي ... ودونما حزن عميق في القلوب ... دونما معنى لهذا  
الرحيل ... لابد أن يكون لرحيل نبونيد السيد الأجل معنى وإلا فقدت  
كل سنوات عمره بهاء وجودها !!

- أقسم لك بمروعك إن عقلي يفكر بهذا !!
- أظنّ اني أصدقُ سيدِي دونَ القسم باللهِ مثل مردوك !!
- ولم لا تريدينِ أن أقسم بمروعك وهو ربُّ بابل وناصرها ؟
- ها أنت تجib على سؤالك، ربُّ بابل وناصرها ... ما معنى أن يكونَ الربُّ ربَا إن هو أخلَّ بريوبنته ولم تصرُّ على ابقاءِه ... مردوك هذا إلهُ مجنونٌ جعلتهُ النذالة يodusُ بابل بين يدي الموت ... متى قام بفعلِ رفضتهُ بابل، ها هي تتمرغُ بالدم وهو لا يدرى شيئاً ... حدثني سيدِي عن أيما شيءٍ سوى مردوك، فأننا أعرفُ ما يقالُ عنه !!
- هذا ما كان يقوله الكهنة عنك !!
- وأين هم الآن - لم لا يقولون شيئاً عن ذبح بابل من القفى ... لم لا ترتفع تراتيلهم المخلصة، الكهنة هولاءِ سيدِي، مثل دباب المنازل لا هم لهم سوى تقريبِ الربِّ من عرشِ الملك وابعاده عن عامةِ الناس، كائنات ملأَت احشاءها بجيِّف الأضاحي، وتركت الجوع

يسري بين أوصال العامة ... الكهنة أشد خطراً على بابل من قاتلها ... ما تلبث سيدني أن تراهم يوصون بمراعاة حرمة الملك الجديد واطاعة أوامره لأنَّه من نسل مرسوك ... ستري أفواه الناس تتلوُّن هذا النسب على حساب الحقيقة التي تعرفها بابل سراً .. الكهنة مرسوك شرٌّ بلية بابل ، وأعظم خطراً على كل شيء !!

- في أعماقي من يقول ان كلمك هذا حق وعرف !!  
- ما فائدة هذا الاعتراض الآن وقد أفنين عمرى كلَّه أنا دى به .. لا خلاص الآن بعد أن نزلت الصاعقة ببابل لا بمعابد مرسوك وكهنتها !  
- حدِيثك شوقيا يملاً قلبي حزناً ويحذُّ من معارفِ جمجمتي !!  
- كنت أظنُّ ان قلبك ملأُ الحزن منذ استلمت القيادة للملك الأصغر ... أما معارفُ جمجمتك فلا أعتقد أنها ما توصلت يوماً إلى حقيقة ما ترى الآن !!

- وما العمل شوقيا .. ما العمل ؟  
- يا لها من مصادفة .. يا لها من غرابة .. يا له من جنون ..  
ملك أعزل عجوز يوقفُ في نفسِ رقمِ نصفِ مجنون ، هوش سؤالِ غريب .. لو كنت أدرِي سيدني لأجِب بصراحة .. لكن المطرَّعْ جسدي وشدني بدُّن الارتجاف إلى وهم الأكاذيب .. ترى ما العمل سيدِي ؟  
- أو تعيدُ قولي بقولِ شوقيا ؟

- هي لعبة لابد منها ونحن نعيش وحدتنا المؤلمة ... ما الذي يمكن أن أقوله لرجل مثلك خبر الدنيا وعرف الكثير من مواجهتها واعلامها.. أبيفة حلقي بالذنب وأنت الخاير ... لا أقدر على غير رد السؤال بسؤال وليس هذا الأمر سوى الهيبة واستمرار... فرأسي لا يمكن أن يصدق أن ثمة إنساناً قادراً على العيش دونما نطقٍ وتبادل معارف .. وأنا أحوج ما أكون الساعة إلى سماع نبونيد ... وهو يقول ويقول !!

- إنك تضفي أمام بوابة لا قدرة لي على ولو جها شوقيا !!  
- ليس ثمة بوابات .. ليس ثمة غير حكايا وازمن وتواريخ !!  
- أو تريدين صناعة معنى لفعل كان؟  
- هي صناعتي لكنك ترى أن لا طين ولا ازميل ... غراب الوحشة يطاردنا ، لكنني أريد السماء ليس إلا !!  
- مهما كان جواب العقل مسرعاً فلابد من ركوبه .. لكنني أحسن بعجز الآن .. وأحسن أن تفسى تضطرب مثل ماء الفرات لحظة مرور سن فوق قفاه .. لا قرة لي على التوغل في ما مضى ... أريد الركض سريعاً باتجاه الآتي ليطمئن قلبي ، أريد كشف السر لأرى ما الذي ستكونه بابل بعد كل هذا الموت ... هل حقاً ما تنبأ به ، من أنها الموته الأخيرة ، بابل التي عودتنا الوقوف بعد كل كبوة ، تموث وهي جاثمة على ركبها تتزلف عوياً، ولا أحد يغمد صراخها غير وحشة الليل وبرودة الاقصاع

- أو تحسُّن يا سيدِي إن النهایات مرسومة بوجودِ الآجال؟
- ليس ثمة احساسٍ في هذا شوقيا.. أو لا تصفحت ما تقول تلك الرقم التي أخذت عمقَ روحك ... الآجال وجودٌ حتى ... الأول يوصلُ إلى ما يليه ... وما يلي إلى ما يلي، وهكذا يبقى الحتم سيداً يقدرُ سيادةً ما يحيط به .. وعظمةً أن تؤسسَ لـأن تقولَ بلا صناعةً فعلٍ !!
- لا أدرِي سيدِي إلى أين ترید الذهاب بذاكرتي ؟
- إلى ما يمكنُ أن يموت عنده ... الملكُ انسانٌ يمضي تاركاً وراءه افعلاً قد تنسى وبعمقٍ مساراتِ الأربابِ تتلاشى عندما لا يكونُ لأيما شيءٍ أهميةٌ ... إذا ما خافَ رجلٌ مثلُكَ أن يدونَ ما يعرفُ ... ليس حكايا فقط فما عادَ لإنسانٍ أن يهتمُ لقصصٍ لا طائلٌ من وراءها، أريදُكَ شوقيا نابتَا في العمقِ ... لا سابحاً عند الشيطانِ الآسنَة
- مولاي عمري كُلُّه سعى باتجاهِ هذا المبتغى ... كنتُ ألومن نفسي إن هي ركنتَ إلى ما اعتادَ عليهِ الناسُ ... لا بحثاً عن غرابةٍ بل عن سبرِ غورٍ لكنهُ الأعمق .. تأملَ ما كتبَتْ مولاي وأظنكَ تأملته .. تجدُ أن الواقعَ هي همي لا ما يدورُ في رؤوسِ الأربابِ والكهنةِ والملوكِ ، لقد أشبعَتِ الأزمانَ هولاءِ قصصاً وحكاياتِ ، فماذا عن أولئكَ الذينَ يسكنونَ بعيداً عن مهرجاناتِ الكذبِ والرياءِ والخداعِ ؟
- كم أنتَ قريبٌ مني شوقيا؟!!

- وما فائدة هذا القرب وكلانا عاجزٌ مسكينٌ لا يدرى الى أين تتجه  
بِهِ عَرْيَةُ الْمَخَاوِفِ ؟
- مهما كان هذا الاتجاه ... فلا بد لك أن تبدأ ... ولتكن بدايتك من  
عمق ليل بابل ومؤسسة الاحتراق !!
- بلى ... بلى سيدى ... شرف لي أن أحافظ بهذا التكليف  
الملكي!! ..
- ومنى تكون البداية ، شوقيا؟
- متى ما أزيَلُ هم الانتظار ... متى ما توفر شيءٌ من الطين !!
- أرجو أن لا يعيقك انتظار الطين .. لتكن لك وسائلٌ مبتكرة !!
- وهذا ما أفكّ به وحق بابل ... ما أغمضت جفناً إلا وثم لها ث  
وراءَ جديـد يعـفي زـمنـي من الـانتـظـار !!
- الآن شوقيا، اسمع مني واحفظ واذان تسجل وعيونك تشهد  
الرؤيا !!
- حسناً شوقيا .. حسناً

## الرقيم السابع - ٤-

ما الذي تبدأه نبنيـدـ، وكيف تسمح لنفسـكـ أن تبدأ وفي أعماقـكـ  
يمورـ الارتبـاكـ وتتوسـعـ الفوضـىـ، كـيفـ تـبدأـ وقد عـودـتـ الـربـ سنـ إـلهـ  
حرـنـ ونـفـرـ وـكـيـشـ أـنـ لاـ تـصـمـتـ مـاـ دـامـ نـبـضـ الـربـ يـسـريـ بـيـنـ جـوانـحـكـ  
هـاـ أـنـتـ وـحـيـداـ تـطـارـدـ وـحـوشـ الـاسـتـذـكارـ، بـيـنـ جـدـرانـ مـظـلـمةـ وـرـطـوـيـةـ مـاـ

تعدّتها تحضن مساعاتِ بابل التي رمتَ عظامك وحيرتك، فتَّى بري في الحبِّ خلاصاً أبداً، تشيعُ الأوهام في مباصِرِ خطواتك، يجعلك تسعى حثيثاً باتجاهِ ما تريده، اراده جمةً وطرقًّا وعرةً تعج بالدم والخراب، كنتَ تنتظرُ موكبَ الملك "لباشي مردوك" حاسباً انهماراتِ الغضبِ الذي يجذحُ بينَ مفارقِ عينيه، غضبٌ جعلَ نفسك تغوصُ في وحولِ أسئلةٍ صعبةٍ، تكونتَ بابلُ أمماً لغوِ أحلامك وغادرت روحك تسقطُ في حرائقِ التمني، لم تظلْ بابلُ سائرةً لوحدها في أزقةِ الانتحارِ حلمُ مردوكَ واشراقةُ سنِ البهيةُ تسقطُ في بحرِ الصمتِ، ما الذي يحلمُ به "لباشي مردوك" اذاً إنْ هو لم يحلم بوحدةِ السوادِ، ولمملمة الأرضِ التي توزعتها المحنَّةُ، وما فائدَةُ الملوكِ وعروشِهم إنْ هم ما حفزوا خطوةَ الناسِ صوبَ بحرِ من الرغباتِ التي تصيرُهم وجوداً سرمدياً، كانَ الكاهنُ الأكبرُ يرى في أنفاسِي عطرَ الأسئلةِ، فيأخذُ بيدي اليهِ، أبصرُ عيني الربَّ المظلمتينِ اليابستينِ مثلَ صافِ الفراتِ، فلا أجدهُ ثمَّ خلاصاً وشعلي بخورِ الصندلِ وابتلهُ دونَ يقينِ، يظلُّ الكاهنُ صامتاً، وتظلُّ الخطواتُ الملكيةُ تبتعدُ، وأظلُّ ألتلو لواعجاً نفسيِّ الحاسةِ بالغرابةِ والانكسارِ، الموتُ يرفُّ بينَ عينيكِ إنْ أنتَ وجدتَ نفسكَ تتولى لغواً لا تؤمنُ بهِ، كانَ الربُّ بالنسبةِ لي نزاعاً يجبُ أن يتحققَ ما أصبو اليهِ، ربُّ يمنعني لسانِي وجوداً، ويمنعني وجوده لساناً قادراً على المباركةِ ، كانتْ أمي تجلسُ اليها لتملاً رأسي بخراباتِ مردوكَ وجنوبيهِ، بعشيقِ الذي لا ينتهي للذلةِ والابتهاجِ، وكانتْ اعمالي تطيرُ متفحصةً حوابَ الربِّ الذي ينتصبُ واقفاً عندَ المعبدِ الكبيرِ، ربُّ

أملح كسولٌ لا يرى غيرَ مجانينَ بابلَ وهم يطوفونَ متسللينَ رضاهُ  
وعظمتهِ، ثم عجزٌ في وجودِ مردوكَ بينَ احضانِ لُبِّ الأرضِ بابلُ،  
عجزٌ لابدَ من معالجتهِ وايجادِ منفذٍ لخلاصِ أبدى، أمسى للغومي  
بصمتٍ وألودٌ في أذیالِ رسومِ أرى من خلالها مئاتِ الألسنِ وهي تشدو  
أحلامي الى قاعِ ايمانها، وفجأةً أبصرُ مردوكَ يتهمشُ ويتشلاشي في  
دوايرِ من الضبابِ تتحولُ رويداً، رويداً الى هديرِ وظواهـاتِ ونداءـاتِ  
ترحيبٍ ، كنتُ أؤمنُ انَ الخلاصَ يمكنُ أن يجيءَ دونَ انهزامٍ، هذا  
الربُّ الثملُ بما في أمجادِه التي لا يمكنُ لرأسِ عصيٍّ صعبِ المراسِ  
مثل رأسِي تصدقُها، تحضرُنَ أمي وحدتها وأحتضنُ جدرانَ المعبـدِ  
الذي أرى فراغـه يمتلأ بضوءِ سنِ الاخـاذ، أغمضُ عيني أفتحـها ثانيةً،  
اغمضـها، أفتحـ اشرعةَ حلمـي فتسافـر دواخـلي اليـه، سنَ بهـالتـهِ  
المستديرةِ الدائمةِ السطـوح الواجهـة مثل كوانـين لـيل بـابل، تخـرسُ السنـةِ  
ابتـهاجـي وتـنـفـر عـذـابـاتـي هـارـبـة، ما الذي يـجـعـل الـاجـل بـيـن الـأـرـبـابـ  
ساـكـناـً وهو الذي تـعود قـطـع مـسـافـاتـ الدـنـيـا طـوـلاً وـعـرـضاً، هو العـارـفـ  
بـكـلـ ما يـحـمـلـه قـفـا الـأـرـضـ، المـسيـطـرـ علىـ كـلـ ما يـجـري !!

يـضـحـكـ سـنـ، وزـمـنـ يـضـحـكـ الضـوءـ تـتـلـلـ النـجـومـ وـتـنـمـيـ عنـتهـ  
الـسـمـاـواتـ وـتـفـيـضـ سـطـوحـ الـأـرـضـ بـغـصـةـ الـكـشـفـ، ثـمـ ما يـغـشـيـ  
الـأـجـسـادـ وـالـأـمـكـنـةـ فـتـخـرـ شـاكـرـةـ منـحـ الـرـبـ وـابـتـهـاجـهـ المـانـحـ لـلـبـشـرـ،  
تـتـهـامـسـ الشـطـوطـ وـتـتـمـنـىـ لـوـ انـ الـرـبـ اـعـطاـهاـ شـرـفـ الـأـخـفاءـ فـيـ  
جوـهـرـ أـعـماـقـهاـ وـالـخـروـجـ سـاعـةـ يـرـيدـ شـاقـاـ قـلـبـ اـدـمـتهاـ بـعـرـيـتـهـ التـيـ لـهـاـ  
رـائـحـةـ الـدـهـورـ، لـكـنـهـ يـفـضـلـ الجـلوـسـ بـيـنـ اـحـضـانـ الفـراتـ، مـرـدـداـ أـغـانـيـهـ

التي ما تلبث أن تسبح في الأرجاء جاعلةً الأرض تهتز بايقاعاتٍ سريعةٍ تنير الأولاد والصبيان، وتبعاً عيونهم بشذر الأحلام، لحظتها ينهمد الصمت وتوغل جرائدُه إلى التلاشي وتشتعل موادُ الحكايات والأخيلة ، تخمد مبادر الأرباب ووحده سن يحرس حرس الطرق وبائعة الخمور في الحالات، وسكنى الفرح، وحده يبتسم حين يسمع همس حبيبين في خلسةِ الأمكنة، وحده يبارك مواجعَ الحب واستذكارات القلوب وأيام الترد والانبهار، ويقهقُه متاخراً وهو يرى ألسنة الشعراء الجوالين وهي تلهج مادحةً منحه البهيء، فيما لا كفيه من فضة لسانه ويطشها فوق الرؤوس مباركاً، عندها رويداً، رويداً تخنس الأنفاس ويظل وحده.. وحده تماماً يردد ما شافتة عيناًه الربانية ليدون ما يمكن أن يفيده في قابل الأيام، ينظرني بحب ما عرف قلبي قبله، ويؤشر إلى بالاقتراب، بتردد وخوف أقف بين يديه، فيوضع كفيه الفضيتين فوق هامتي ماسحاً، ويكون عظمته ل تستقر بين جوانحي، ضوء فضي شفيفٌ وعارفٌ لم أجد لسبراها وسيلةً، فجأة تقيأت أحشائي أرخيتها لتمتلأ بسر سن القدس قال:

لتكن روحك مزروعةً بالحلم .. الطيب أيها الملك نبونيد !!  
ولتكن قدرتك قدرة سن ذاتها ... لا عاراً يجللوك ولا مرتبة تعلو فوق مرتبتك ... بابل تخلع خجلها بين يديك ... وغريتها تمزق اشلاءها .. علم تبقى ... علم تصير حتى ساعة ذهابك إلى حيث مجلس الأرباب .. لا سر يخفى عنك ... ولا سر تنبئ ... العتمة لا تطال عينيك ... وستكون من أصحاب المكارم ... ولن تفقد أملأ ...

وحي أ Gusl عقالك بباب الحكمة المقدسة ... أحالمك دوماً أشياء  
مرئية ... صوت يمشي بدأب ورمانة .. ولتكن صلاتك لي  
عذراء .. عذراء لا يمسها جنون الطلب .. انت نبنيد الأفضل بين  
أناسِ بابل ... الأجل في استغلالِ جليدِ الفراغ. //

كيف يمكن أن أكون وسن ينهر بنبوءات غريبة ، أو أصابت  
ذاكرةَ رب لوثة ، لحظة دعاني بالملك الطيب ، أنا مجرد كاهن تقبله  
الأحلام بسلاسل من الانتظارات ، كيف يمكن أن أكون ملكاً ولبashi  
مردوك" ما زال شاباً وحديث عهد بالملوكية ؟  
تعجنت ججمتي بخزين الأسئلة ، وأطرقَت متربداً خائفاً ترتجفُ  
أوصالي مثل قصبة ماء ، نفح سن في جسد علوه ، واتكاً كبد  
الماء، وبعد صمت قال:

- نبنيد .. نبنيد ، حاذر أن تكون غير ما تريده !!
- وكيف لي أن أكون وأنت ترى ؟
- لا أرى غير تاج بابل وهو يستقر فوق هامتك ... وصولجانها  
وهو بين يديك !!
- السعي لهذا يكلف رغباتِ ودم !!
- ومتى كانت الرغبات رخيصة أيها الملك ؟
- ما قصدت سوى البذل أيها رب سن !!
- ما عمل دونما بذل .. أو ما تراني كل ساعـة أقوم برحلي بين  
الأرجاء !!
- نعم !!

- لم ترِد لأَحَلَّمَكَ أَنْ تَظَلَّ كَسِيحةً وَجُودَهَا ؟
- ما الْعَمَلُ إِذَا ؟
- نَبُونِيد .. أَيَّهَا الْمَلَكُ الَّذِي أَحَبُّ ... الْأَرْيَابُ لَا يَسْأَلُونَ هَذَا ..
- الْأَرْيَابُ قَرْأٌ لِيْسَ إِلَّا !!
- لَكُنِي لَا أَجُدُ طَرِيقًا
- كُلُّ هَذِهِ الْطَرِقَاتِ الَّتِي يَنْبَرُّهَا لَكَ سَنٌ وَلَا تَجِدُ طَرِيقًا !!
- كُلُّهَا أَيَّهَا الرَّبُّ مُوْحَشَةً وَلَا أَرَى فِيهَا خَطْوًا غَيْرَ خَطْوِي !!
- بَلِي أَيَّهَا الْمَلَكُ .. بَلِي خَطْوَةً وَاحِدَةً ... لَحْظَةً وَاحِدَةً .. زَمْنٌ وَاحِدَّ .. هَذَا هِيَ الْانْهَمَارَاتِ .. الْوَاحِدُ عِنْدَ أَرْيَابِ بَابِلَ هُوَ الْأَجْلُ وَالْأَكْثَرُ تَمَاسِكًا ، وَهُوَ الَّذِي يَقْرُرُ كُمْ تَسَاوِي خَطْوَاتِ الْآتَيْنِ !!
- أَوْ يَعْنِي هَذَا أَنِّي أَبْقَى وَهِدِي أَزَلًا ؟
- تَبْقَى .. أَوْ رَأَيْتَ نَبُونِيدَ مَلَكًا كَانَ وَحْدَهُ ؟
- سَنْ أَيَّهَا الْمَبَارَكُ .. أَرَاكَ تَصْفُنِي بِمَا لَا أَحْسُنُ خَطْوَةً يُسْرِي إِلَيْهِ !!
- أَسْفًا أَيَّهَا الْكَاهِنُ نَبُونِيد .. مَا كَنْتُ أَرَى فِيكَ غَيْرَ شَيْءٍ ..
- الْأَرْضُ ، الْمَيَاهُ كُلُّهَا .. لَكُنِي أَرَاكَ الْآنَ تَعُدو خَلْفَ بَطِ الْخَوْفِ ..
- اسْمَعْ نَبُونِيدَ ، لَنْ يَقُولَ سَنْ إِلَّا مَا يَقْرُرُ ، فَقْطَ أَرِيدُ لَكَ الْبَدَائِيَة !!
- انْدَادَتْ مَوَاجِعُ سَنْ فِي عَمْقِ الْفَرَاتِ الَّذِي بَدَأَ يَفْوَرُ رَاغِبًا ، لِيَسْ ثَمَهُ أَبْهَجُ مِنْ أَنْ تَرَى سِيدَ عَشَاقِ بَابِلَ وَهُوَ يَغْمُرُ جَسَدَهُ الْمُلْطَخَ بِالْفَضَّةِ بِأَدِيمِ مِيَاهِ الْفَرَاتِ ، لِبَرْهَةٍ ظَلَّتْ عَيْنَايَ تَبْحَرُنِ الْيَهِ رَاكِضًا ، وَلِبَرْهَةٍ وَجَدَتْ نَفْسِي أَفْوَجُ فِي بَحْرِ مِنْ أَمْوَاجِ الْأَرْتِبَاكَاتِ وَالْهَلْعِ

والجنون ، ثم أزمنة لا أعرفُ لي كيفَ أتجاوزُها ، أزمنة تمسك بأردية  
"لبashi مرسوك" الماسك بعرش رب بابل المطلق ، أجلت بصري بين  
أرجاءِ الرؤيا فلم الحظ غير امتدادٍ من الاخضرار أو هدير لج يلوح  
لي من خلله وجهه انثوي يفيض نوراً ، بارتعاشِ أنت اليه فائضاً في  
لجب الماء التي تحولت فجأة إلى خيولٍ تعدو خبباً ولحظة رأته  
استكانت قوادها وظللت تبصرني بانتظار ، كانت الأنثى التي انعمت  
بوهج الصباحاتِ ترشُّ فوق قامتي أزهار الآس والحناء ، وترفع  
أيديها بأدعيةٍ مبهمةٍ لم أفقه منها شيئاً ، ثمة مهنة بدأت تملأ  
فؤادي وتغور في عميقاً مهنةً أن ترى نفسك وسط عالم لا تدري كيفَ  
الخلاص منه ، وكيفَ تتجاوزه للوصول إلى صفة ما تريده ،أخذت  
الأنثى بيدي عابرةً وإياتي سبعَ بحورٍ من دخانٍ ولازورٍ ، عندها  
عرفتُ ما يمكن أن أصل إليه ، كان بحرُ الأمان يسوز جسي ، وثم  
ضحكاتٍ تلاحقتني مباركةً ، غدت بابل تسكنْ بكامل انكسارها ووحشةٍ  
غيريتها في بؤيوي ، بابل الآخذة بالموت بحاجةٍ إلى شرائين تمذها  
بدماءٍ توصلها وتواريختها البعيدة ، رغباتُ حياتي بسرابِ أسئلةٍ بدأت  
الأقيها بين انعطافاتِ الأزمنة واكتظاظاتِ الشوارع ، ليس ثمةَ املٍ  
"لبashi مرسوك" مدام يحسُّ عجزاً وانهزاماً داخلياً ، بدأتُ الاحقُّ  
خطواتِ التبشير ، وصارتِ الأفواه تمتلأ بغرابة وجودها ، نبنيده فجأةً  
اعتمر قلبه الراعن بالحزن بفرحِ السؤال وفجأةً غداً السير صوبَ  
مدنِ الانتماء ، بينَ بابل ونفر وكيش انشتلت معارفُ قوله ، ومثلُ  
شهرِ الحطَّ ارثِ مورثةُ عذاباتِ الصمتِ فاستحالَ الرجوعُ مساءً ،

وقدَّ المُراسيَّم مواسم تكالُّ نهاراتِ الأمل برجاءِ الاستمرارِ ، كانَ مالِ  
تمتدُّ جنُورَهُ عبرَ كهوفِ الكهنةِ مبتعدةً حتَّى عروشِ سنِ الأعلى بينَ  
الأربابِ ، يرتلُّ مسارَ وجودِهِ ، فتعجُّ الأصواتُ متابعةً آخذةً صوتهِ  
الذِي لَهُ رائحةُ الخيزرانِ //

مزيداً، مزيداً، تسترقُ الطرقَاتُ سمعاً

وتهمُ بالهناهِ / ثمرةً توسيعُ الأنطواءِ فيغدو الوضوخُ سلوةً  
والانبعاثُ فاصلاً للندم.. هو الأولُ مصغيَاً .. هو الآخرُ  
ومصفيَاً

هو العارُفُ بانقسامِ المرافقِ ، جثةً بصفاءِ الطفولةِ  
طرياً هو الابتغاءُ ، طريةً هي الامنيَّةُ ، ما الذي تخافُ والمداركُ  
خوفٌ ويدرَّهُ ، لا ترى اعوجاجَ الزمانِ ، تمُّ الكلماتُ وحدها تلزمُ  
الصمتَ وجيفُ الضياعِ تقودُ الفضيلةَ ، بصلبِ العاصفةِ ، حزينةً  
مشارفُ الوجهِ ، منقسمةً رؤوسُ الشمارِ رؤيةً قيثارةُ الوقتِ ، عظيمةً  
قواريرُ بابلَ مملوقةً برائحةِ الأعشابِ ، وفتاً ثمِّينَ مسرعَ باتجاهِ  
العروقِ ، صوتهاً وطيدٌ ، باكتراشٍ تلهجُ في غبطِ الكلامِ .

يحومُ زمني فوقَ فيضاناتِ أزمتي ، تمتلأُ لاتٍ بوجعِ الرغباتِ  
التي تريدُ حلاً يسرعُ باتجاهِ بواباتِ العرشِ ، بقدرةِ عربةِ سنِ ، وجودةِ  
اختراقها عالمُ الوهمِ والاكتمال ، ثمَّ لحظاتٍ تقتلُ همي وتحيلُ عمري  
إلى ورقةٍ يابسةٍ تتقادُّها غباراتُ بابلَ لتوصلها إلى حيثُ الصمتِ  
واللامبالاةِ ، كانت حاجتي إلى الاختلاطِ ومعرفةٍ سرَّ المعنى تزدادُ ،  
وكنتُ لا أرى وحدتني وشتاتي غيرَ اتساعِ الهوةِ واضطرابِ الآمالِ ،

لحظةٌ يجيءُ سن مخترقاً كبد النهر، ترتجف نواجذبي فأهبط واقفاً  
متفهماً تلك الهالة الربانية التي تجلّى الكون بضيائها الفضي الذي  
له طعم التمر، أنظر إليه ملياً مولاً سير سره العتيق لكنه يعمد إلى  
تدوير هيئته تاركاً إياي في حيرة دائرةً في غربة دروب السؤال، تحسُّ  
روحى اطمئناناً، لكن جسدي يحاول الارتباط بحبال وجوده، أخفض  
رأسي تذلاً وأجهشُ في بكاءٍ يعبأ شفتني بطعم الملح المح وأغفو  
على أصيـد همـمة أصواتـه المتـعددـة الـوجـوهـ، ليس ثـمةـ ما يـجيـءـ،  
وـحدـيـ أـقـلـبـ حـلـمـيـ وـثـمـ فـرـاغـ .. فـرـاغـ يـرـكـضـ بـخـطـوـيـ إـلـىـ مجـهـولـاتـ  
حزـينـةـ مـوـلـمـةـ، ماـذـيـ جـعـلـ سـنـ الـوـاعـدـ ، يـعنـ عـزـوفـةـ عنـ رـؤـيـتـيـ ،  
وكـيفـ يـكـونـ السـبـيلـ إـلـيـهـ، ماـدـمـتـ أحـمـلـ أـحـمـلـ فوقـ كـواـهـليـ اـمـنـيـاتـ لـاـ طـاقـةـ  
لـرـجـلـ مـثـلـيـ عـلـىـ تـحـمـلـهـ، ماـكـنـتـ أحـمـلـ جـذـعـ اـمـنـيـةـ خـالـصـةـ لـيـ، ثـمـةـ  
جـذـوعـ مـنـ الرـغـبـاتـ وـالـامـنـيـاتـ التـيـ تـجـعـلـ مـنـ بـاـبـلـ فـيـضاـ مـنـ الـوـجـدـ إـنـ  
هيـ أـعـلـنتـ حـقـيـقـةـ حـضـورـهـاـ، فـجـأـةـ وـجـدـثـهـ يـحـاذـيـ جـسـدـيـ الغـائـبـ فـيـ  
اسـنـةـ الـاـرـتـخـاءـ، كـانـ يـرـانـيـ بـفـرـحـ مـنـ يـرـىـ عـدـوـهـ يـسـقـطـ فـيـ بـئـرـ لـاـ  
خـلـاصـ مـنـهـاـ، رـفـعـتـ رـأـسـيـ مـسـتـفـهـماـ ، فـأـشـارـ إـلـيـ بالـصـمـتـ  
وـالـاسـتـلـقـاءـ، هـزـزـتـ رـأـسـيـ بـبـطـءـ، وـتـلـمـسـتـ حـافـةـ فـرـاشـيـ مـتـيقـنـاـ انـماـ  
الـأـحـلـامـ مـحـضـ خـرـابـاتـ تـجـزـ النـفـوسـ إـلـىـ وـهـدـ مـنـ الـأـوـهـامـ وـالـاـكـاذـيبـ  
وـالـجـنـونـ، قـالـ وـهـوـ يـغـمـضـ عـيـنـيـ:  
- ماـبـالـ نـبـونـيـدـ لـاـ يـعـرـفـ غـيرـ طـرـيقـ الـكـلـمـاتـ ؟

أحسَت روحي بأنَّ ثمة حجراً يسقطُ فوقَ صدري، حجراً جعلني  
أتنفسُ باضطرابٍ، تحتَ سترِ الظلمةِ تفحصتُ وجودي فرأيت ملامسَ  
يدي كتلاً من الكلماتِ الحارةِ مثلَ موادِ، قالَ وهو يضعُ يدهُ فوقَ  
صدرِي ويضغطُ بشدةٍ:

- نبونيد لا يعرفُ غيرَ الصمتِ للوصولِ إلى سرِّ الاختيارِ !!  
تحرَّكت معالِم وجهِي فرفعتُ رأسِي قليلاً محاولاً طردَ عتمَة الليلِ  
التي سيطرَت على كاملِ هيئتي ، ارتفعتَ يدُه ببطءٍ ، وبيطءٍ بدأ نثارُ  
الحجرِ يتطايرُ باعثاً في أعماقي شيئاً من الارتياحِ والسعادةِ ، قالَ:  
نبونيد لا يعرفُ غيرَ الانتظارِ لعبَةَ للمسارِ !!  
 أمسكْت بكتلةِ وجودِي لكتنا يديَ ، مستنهضاً جسدي الذي أحسَ  
أماناً ، فماجَ بسطوطِ من الأسئلةِ والاستفساراتِ فتحَت مباصِرِ رغبتي ،  
فالفيتهُ يستقرُ عندَ حضوري الطافِ بالانهيارِ قلتُ:  
- وما الذي يمكنُ أن يفعلُه رجلٌ وحيدٌ مثلي !!  
- نبونيد ، لم تعلقُ على وحدتكَ عجزَ الاختيارِ؟  
- عن ماذا تتحدثُ ؟  
- منذَ متى ونبونيد يبصرُ ولا يفعلُ ؟  
- لن أقدرُ على فعلِ كهذا وحدي !!  
- وحدكَ نبونيد .. وحدكَ ، أخلَت بابلُ من الاختيارِ .. أتظنُ ان ما  
يراودُ رأسكَ لا يحيطُ عندَ رؤوسِ الآخرينِ ... أوَ لم تتجبُ بابلُ غيرَكَ  
عارفاً ، أوَ تعتقدُ نبونيد انَّ بابلَ لم تعدَ خصبةً ؟

- لكنني أخافُ الاختيار !!
- هذه هي المسألة نبونيد .. هذه هي المسألة !!
- وكيفَ الحلُّ اذن ؟
- اسمع مني نبونيد .. اسمع مني جيداً ، وحادر أن تنسى !!
- ما نسيتْ قط كلَّ ما عرفت..
- حسناً.. أو تعتقدُ ان الزارع بحاجةٍ الى اختبارِ الأرضِ الى سؤالها  
إن كانت ستمنحه بذراً كافياً لاستمرارِ العيش ؟
- ان لهُ معارفٌ تؤمنُ لهُ الجوابَ
- معارفٌ وأنتَ أمامك مثل هذهِ المعارفِ ... أو تحسُ ان المزارعَ  
أقدرُ على معرفةِ الاختيارِ؟
- فيما يريدُ ، بلى !!
- وفيما يريدُ نبونيد ؟
- المحنَّةُ في أولِ الخطوط .. صعبٌ أن ترعرع في مجھولٍ ... ماذا إن  
كان الاختيار خطأً ... ماذا إن كان الاختيار عيناً من عيونِ "لباشي  
مردوك" وأنتَ تعرفُ كم لهُ من العيونِ والآذانِ ؟
- وما الذي يحدثُ .. أو تخافُ الموت ... أم السكنى في كهوفِ  
الابعادِ أو تظنُ أن لا أحدَ هناك ، مثلاً لك دربٌ تسلكهُ للآخرين  
دروبٌ رغمَ ان كلَّ ما تمشيهُ الخطواتُ يؤدي الى مكانٍ واحدٍ !!
- ما خفتُ كهفاً ولا موتاً !!
- ماذا إذَا ؟

- التحقق من صدق الهدف وايمان الموافقة .. فشل الخطوة قد يؤثر على الاستمرار .. فشل قد يقتل حقيقة يجب أن تظهر مهما كان الأمر !!
- بدأت تعرف نبونيد ... بدأت تعرف ... اسمع مني وأحفظ .. المعنى أن لا تعرف الحزن ولا تعترف به !!
- حفظت !!
- عند الشطِ الذي يحتضن جسد سن ... تجد الفتى الذي يعرف معنى الاختيار ... هناك تجده ساهماً يتابع خطو الارتحال ... كلّا كما واحد ابن أم وأب ، الأول أول والثاني ثان !!
- لابد وأن يكون معي الآن !!
- نبونيد ولم لا تكون معه؟ أو تكوننا معاً في قلب الأرض التي تحبُ!
- لن أهتم لحرف الكلام مadam الاختيار موافقاً !!
- قبل أن تذهب نبونيد، تذكر إن الخطأ قاتل، ومحطم لكلّ ما تحلم به
- وكيف يكون البدء اذن ، وقد وضعتني في بوتقة اللاوجود؟
- وأنت تمشي نبونيد.. وأنت تمشي لابد لك من الاتكاء الى شيءٍ مهما كان هذا الشيء بسيطاً ويبدو للناظر انه ليس ذا فائدة !!
- فهمت!!--..
- معك نبونيد خطوات سن ... وبين أنفاسك تجري أنفاسه .. وبضوء وجوده تهتدى حتى تحيط الساعه ويكتمل درب الوجود !!

## الرقيم السادس - ٥

عيثأً تملأً أعماقك المشتعلة بأسئلةٍ تطفئُ أوارها، عيثأً يجعلُ من  
عني وجودك مجرد مشخصاتٍ دون فهم، عيثأً تأتي وأنت محاطٌ  
بدوائرِ الانتظارِ، تهترأ بواباتِ الكهوفِ الرطبةِ دوماً مثلَ مقابرِ  
المعدمين وتنكشفُ عن وجوهِ جرداً ملفوقةً بخرقِ غريبةِ التكوينِ،  
تتفحصُ هيئةَ وجودك فلا تجدُ ان ثمةَ فرقاً، ليس ثمةَ ما يميزُ سكانَ  
الكهوفِ، وخطواتِ انتظارِهم غيرِ ريحِ الفهمِ وسرِّ الوجودِ المرتبطِ دوماً  
بعلوِ بابلِ وسموِ وجودها، وثمَ حلمَ يملأُ الغرابةَ، ولكنَ ثمةَ هدفٍ لا  
يمكنُ أن يستقرُ بغيرِ قلبِ المدينةِ التي لا تفرقُ بينَ كاملِ هيئتها،  
في بابلِ تتقىُ الطرقُ متسليةَا مثلاً تلفظُ مجانيتها وكهنةُ المعابدِ،  
تأتي الخطواتُ، تأتي الخطواتُ ببطءٍ فتمتلأُ الفوضى بأنسامِ المعارفِ،  
ورويداً، رويداً تسيخُ المباھجُ مضمحةً الوجهِ بالفرحِ وظلالِ الحزنِ ،  
بالخوفِ وظلالِ الرجاءِ، وبالبؤسِ وظلالِ الودِ، بالفوضى وظلالِ  
التحديِ، بالحبِّ وظلالِ الوهمِ، بالموتِ وظلالِ هاديسِ الذي لا عودةَ  
منهُ، تعباً الوجودُ بكلِّ ما يجعلُك تنوءَ تحتَ ثقلِ الترددِ، تتلاقفُكَ  
الكلماتُ لتلتقيَ بكَ في عمرِ الاشاعاتِ والسبابِ والكراهياتِ، كلُّ ما يمرُّ  
عبرِ شوارعِ بابلِ وازقتها الضيقَةُ وحواريها، كلُّ ما يجيءُ بعدَ هوسِ  
التراطيلِ وهديرِ المباخرِ، إنما هو محضُ السنِ تلوكُ رغباتها، السنِ  
تبداً بصمتٍ ما يلبثُ أنْ يتحولَ إلى همماتٍ تتتساعدُ رويداً رويداً  
لتتحولَ إلى صرائحٍ .. صرائحٍ ... لكنه لا يصلُ حدَّ الحلقومِ .. جافُ ،

متوحدٌ يتلاشى بينَ جدرانِ فراغِ النفسِ التي تتكسرُ غاضبةً ولبرهةٍ  
تعاودُ فيضُ الأسئلةِ التي تنبتُ مثلَ عرابينِ الشوكِ، تسيلُ بابلُ بوهمِ  
الخلاصِ، ولكن من ماذَا؟ يظلُ السؤالُ معلقاً بينَ شفاهِ الامهاتِ  
المتحفّاتِ أبداً بخطوطٍ من سواداتِ الأحزانِ ولهاشِ الآباءِ الراكضينَ  
وسطَ بساتينِ النخيلِ وقطافِ المزارعِ ورحلاتِ لخش ونفرِ وكيشِ تعتمرُ  
الحكايةُ الأقواءَ وفجأةً تصوّغُ وجودها بذبِ السؤالِ، متى تتخالصُ  
بابلُ من وهمِ حقائقِها، متى يطلقُ مردوكُ رضاهُ، مادامتُ بابلُ تمنحُ  
بسخاءً أبًّا مفاحرها اليهِ، ليسَ ثمّةَ إلٰهٌ أجلُّ منهُ وأغنى، ليسَ ثمّةَ  
إلٰهٌ يعيشُ بطرأً مثلاً محاطاً ببهرجِ العذارى وريحِ المبادرِ وشذا  
الخمورِ الآتيةِ من عمقِ مدنِ البحارِ، ألم يصمتُ وبابلُ أحوجُ ما  
تكونُ اليومُ اليهِ، حاجةً تؤكدُ خلاصها وتصنعُ منهُ رياً أبداً تمجدُهُ  
الحكاياتُ وتنشدُ مفاحرَهُ حناجرُ الشعراَءِ والمشعوذينَ وغانياتُ اللياليِ،  
تعالى حناجرُ الأسئلةِ ويحسُّ مردوكُ بالاختناقِ والخوفِ ، تعبُّ  
البواباتُ السبعُ السنةُ حادةً كاشفةً عن زيفِ الادعاءاتِ وغرابةِ  
الوجودِ المذلِّ لكهنةِ مردوكِ المنتخرينَ مثلَ دجاجِ الحقولِ، تختلطُ  
الوجوهُ باحثةً عن أملٍ في النجاةِ، والوصولِ إلى ورقةِ الأمانِ، فما  
عادَ أحدُ يريدُ الاستقرارَ والبحثَ عن منفذٍ لخلاصِ جمعيِّ الكهوفِ  
اعادتْ أرواحنا إلى وحدتها المتوضّحةِ، جعلتْ انتظارنا لوهِمٍ لا يجيءُ  
حقيقةً يجبُ تجاوزُها ، تأمّلتُ البواباتِ الممتدَّةَ إلى بعضِها فثمّةَ سعةٍ  
كانَ الجمعُ المهزومُ يمتلأً بضميجها ، سعةً تحولَ عبرِ امتدادِ الوقفِ  
إلى أماكنٍ لا يمكنُ لمدينةٍ كاملةٍ أن تسعُها ، ثمّةَ مخازنٍ لبيعِ

الأغذية وأخرى ل حاجيات لا ضرورة لوجودها بين سكان الكهوف فقط ، ثمة أزمنة لاطلاق الألسن لعبادة " سن ومردوك معاً " ولحظات لعبادة عشتار وفروسيتها وطقوس تبارك أليل آيا وارياب سومر ، تختلط التراتيل بعبارات الكفر والرفض والاستهجان ، وتغدو الفسحة الرابطة بين الجحور سيلًا من الآثام والتوابات وتنكأ الحقيقة إلى نفسها مشتعلة بهاجس واحد ، ثمة من يرى أن لا خلاص من الأغراب إلا من خلال احتضان بابل بأكمل أهلها ، وثمة من يريد خلاصاً مرتبطاً بااغراب آخر ، كان وحش الشر الجاثم فوق الجسد الممزق ينهش بتؤدة ما تطاله قواضمه ، وحش أحوال بابل إلى جسد مسجى رعاف لا يقوى على إيماء حركة سوى حركة الاحتصار البطيء الموجع والداعم إلى روؤس أهل بابل بمئات الآثام والكراهيات ، بين الفسحة وبوابات الكهوف تسمع أصواتاً تلجم أن ليس ثمة خلاص لبابل أبداً وإن النهاية آتية لا ريب في ذلك ، ويظل السؤال متصارعاً وحضورات الآخرين ، كيف يمكن لمدينة تتجاذب إلى أوصال تتجاذب هي الأخرى أن ترفع نفسها إلى علية الأرباب ، مدينة هجرها ربها الحامي فجاست بين ظهرانيها سبابك الخيول وضحكاث الاستهجان وسموم الانتقامات ، دوماً تجذب من لا يرى غير خلاصه الفردي ، جنون مذبوح فوق تاج المفاخرة والاتجار بكلّ الخرابات والسموم ، فجأةً امتلأت سماءات المدن بأكاذيب جرّت وراءها مئات الشبان الذين ما عرفوا غير الاستهجان وضياع المصائر ، بابل جنت وساعة تُجْنِ المدن ، تحول الأرض إلى نار .. نازٌ تأخذ إلى أعماقها كل شيء ، وأول تلك الأشياء الحبُّ

والسلام ، تموت الأفكار وتنعدب الألسن بكلام لا جدوى منه ، تجلسُكْ  
أوهامكَ عند بابِ الكهفِ فلا ترى غيرَ أنوارِ ضاجةٍ بالانتماءِ ، وجوهٌ  
صفرٌ لها كركمِ الموتِ وانتظاراتٌ لا يمكنُ ان تجيءَ ، ثمةً من لا يرى  
غيرَ انتهاءٍ وضياعٍ وبؤسٍ ، كانت حياثاً مجردَ حسابٍ لمجيءِ سنِ ،  
وعيابٍ شمش ، وهمٌ محصورٌ بينَ مجينينٍ يتكررانِ بحزنٍ عميقٍ ،  
فتحتُ عيني فما وجدتُ غيرَ صفي طويلٍ متكونٍ من أخماسٍ ،  
أجلسني الحرسُ عند الصفي الآخرِ ويأمرُ من رجلٍ آخرٍ بدأ العدُّ ، يا  
لها من محنٍةٍ أن تجدَ نفسَكَ مجردَ رقمٍ يتساوى ومئاتِ الأرقامِ  
المعدودةِ ، لا مجالَ لأن تفكَرَ ، لا مجالَ لأن ترى غيرَ وجودكَ  
الضائعِ بينَ كلَّ هذهِ الوجوداتِ المباحةِ لسياطِ السجانينِ ، وتتصدرُ  
الذواتِ وهي تتخرُبُ رويداً رويداً نافضاً وردَ انسانيتها بينَ أسنةِ  
المواجعِ وترابِ الاستذكارِ ، تتحولُ العيونُ بضوءِ انكسارها إلى فتنةٍ  
يرومُ الجميعُ التخلصَ منها ، فتنةٌ تبوحُ لغورِ الروحِ غزوَ الخارجِ  
المكتظُ بالعلوِ من المسراتِ والسعاداتِ البادئةِ تواً ، كان يومُ الكهوفِ  
يبداً بنداءاتِ التعدادِ المأخوذِ بالإجبارِ ، تتجمعُ الوجوهُ راشةً ريشَ  
نعمتها بينَ البواباتِ الغريبةِ التكوينِ والفسحةِ اللافةِ بدمِ الضجيجِ ،  
يصفطُ المجنُدُ تلوَ صاحبهِ ، وتطرقُ الرؤوسُ اجباراً ، ثمةً احساسٍ  
بالمهانةِ ، والقبابُ يرقبُ لحظةَ التعدادِ هذهِ ، وما أن يجدها تهدأُ حتى  
ينقَ غاسلاً الجمامِ التعبَةَ المسورةَ بالسوادِ بدويد من الأسئلةِ المرةِ  
مثلِ الحنظلِ ، اسئلةً تبدأً ولحظةً وقوفِ الحراسِ مثلَ ثورِ البواباتِ  
الساميِ ، نافخاً اوداجهِ ، نافضاً عذاباتِ يومِهِ الذي يبدو مثلَ زمنِ

طويلٌ ما الذي يمنح هذا الرجلُ الملونُ كُلَّ هذهِ السلطاتِ ، وكيف استطاعَ الحصولَ عليها ، ولمْ ثمةَ غرابةً في شكل اختياره وطرق تعاملِه مع الآخرين ، يمتدُ الصُّفُ طويلاً محاطاً بصراخِ الاستعداد لعمل شيءٍ ما ، ليس ثمةَ ما نقوم به رغم احاطتنا بالآلافِ الأعمالِ غيرَ ديدنِ الانتظارِ ولوكِ الدقائقِ بكرابيةِ واشمتازِ ، عالمٌ تحفهُ الخراباتُ والخوفُ والجنونُ ، كنتُ أجدُ نفسي وهي تغورُ عميقاً بين لججِهِ محاولاً سبر أغوارِ صدقِ الانتماءِ إليهِ ، بينَ هذا العالمِ المعزولِ وبابلِ ثمةَ وسائلٍ لا يمكنُ لأيما كراهيةً وتحدي قطعها ، وسائلٍ تتوجُ الرؤوسَ مثلَ حالاتِ يبارُكها سنُ وآنُ ويحلُمُ "تيساباً" منحها أرزَ عظمتهِ واحضرارَ ما تقدمهُ يداهُ ، كنتُ مبهوراً تأكليني قصصُ البحثِ عن وجودِ أعظمٍ من هذا ، الوجودُ الذي وجدتُ نفسي فيهِ فجأةً ، حاولتُ البحثَ عن الملكِ نبونيد ولكن بحثي ذهبَ صوبَ جنونِ الاستغرابِ ، قلتُ لرجلٍ كانت عيناهُ تفيضُ حكمةً:

- أو ما رأيتَ الملكَ الأَبُّ؟

تفحصني بهدوءٍ وتراجعَ لاماً الفسحةَ بينَ عينيهِ، ولحظةً أطمئنَ لخلوِ المكانِ، همسَ :

- أو أنتَ الرقمُ شوقياً؟

بخجلٍ ، بخوفٍ برغبةٍ بالانهزامِ نظرتُ إليهِ ولوقتِ اطمأنَتْ إليهِ، هزَّتْ رأسِي موافقاً ، قالَ وهو يأخذُ يديَ بينَ يديهِ وقد امتلأ وجههُ بفرحٍ طاغٍ:

- أو تسألُ عن نبونيد وأنتَ بينَ أكفِ الموتِ؟

- كانَ الْمَلَكُ الْأَبُّ معي قَبْلَ أَنْ أَجِيءَ إِلَى هَذَا !!
- كَانَ مَعَكَ .. هَذَا قَبْلَ زَمْنٍ طَوِيلٍ ... أَوْ تَدْرِي أَنَّ الْمُلُوكَ لَا يَبْقَوْنَ طَوِيلًا ... ارِيشِكِيجال ، الرَّبُّ السَّفْلِي يَدْعُو هُمَّ دَوْمًا إِلَى سُكُونِ عَالَمِهِ
- أَوْ غَادَ نَبُونِيدُ الطَّيِّبُ عَالَمَنَا .. أَوْ يَحْقُّ لَهُ تَرْكُ بَابِلَ فِي مُحْنَتِهَا وَيَمْضِي دُونَمَا سُؤَالٌ ؟
- بَلْ هِي بَابِلُ الَّتِي هَجَرَتْهُ ... مَا مَعْنَى أَنْ يَظْلَمَ مَالُكُ مَثْلَهُ سَجِينٌ وَحْشَةُ الْكَهْوَفِ الْبَارِدَةِ .. مَا الَّذِي فَعَلَتْهُ بَابِلُ مِنْ أَجْلِ انْقَاذِهِ .. وَلَمْ تَرْكَتْهُ وَحِيدًا .. يَأْكُلُ عَزْلَةَ نَدِمِهِ .. كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَرْجِعَ مِنْذَ أَبْعَدِ الْأَزْمَانِ.
- لَا أَدْرِي بِمَ أَجِيبُ .. أَحْسُنُ أَعْمَاقِي تَحْرِقُ ، وَالسَّوَادُ يَلْفُ عَمْرِي كُلَّهُ ، إِلَى أَيْنَ .. إِلَى أَيْنَ أَيُّهَا الصَّاحِبُ يَمْكُنُ أَنْ تَمْضِي بَنَا مَرَاكِبُ الْإِنْتِلَالِ ، مَحْنَةً فَاتَّهَ .. وَلِلَّيْلِ مَدْلُومُهُمْ لَا أَظْنَ أَنَّهُ يَغَادِرُ أَرْوَاحَنَا أَبْدًا
- أَوْ هَذَا مَا يَقْلُقُ شَوْقِيَا ... الَّذِي أَقْلَقَ بَابِلَ بِمَا يَنْدَدِي ؟
- فِي الرَّأْسِ أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ ... وَالخُوفُ يَمْلأُ جَوَانِحِي أَيُّهَا الصَّاحِبُ !!
- أَيُّ مَحْنَةٍ تَعِيشُ بَابِلُ حِينَ تَرِي رَجُلًا مِثْلَ شَوْقِيَا يَسْبُحُ فِي أَفْذَارِ قَلْقِهِ مَحْنَةً حَقًا تَلَكَ الَّتِي تَكْتُفُ بَابِلَ وَتَغْنُمُهَا إِلَى الْأَسْئَلَةِ !!
- وَمَا الَّذِي يَمْكُنُ أَنْ أَكُونَهُ غَيْرَ مَا أَنَا عَلَيْهِ ؟
- وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ .. مَجْرُدُ رَقْمٍ يَسْكُنُ كَهْوَفًا اخْتَارَهُ هُوَ .. أَوْ تَرْمِي عَجَزَكَ بَيْنَ يَدِي حَابِسِكَ .. أَوْ مَا رَاوَدَ شَوْقِيَا السُّؤَالُ ؟
- سُؤَالٌ .. قُلْ مَئَاتُ الْأَسْئَلَةِ !!
- لَيْسَ هَذَا .. ثَمَّةُ سُؤَالٍ وَاحِدٍ .. وَاحِدٌ لَا غَيْرِ !!

- مَاذَا.. مَاذَا أَيُّهَا الصَّاحِبُ؟

- لَمْ جِيءَ بِكَ هُنَّا .. لَمْ نَحْنُ هُنَّا .. مَا فَائِدَةُ انسانٍ مَحْبُوسٍ بَيْنَ لَيلِ الْكَهْوَفِ وَجَدَرِي الانتِظارِ ، الَّذِي يَنْتَظِرُ انسانًا يَعِيشُ مَثْلَمَا نَعِيشُ غَيْرَ رَحْمَةٍ سَاجِنِيهِ وَعَطْفِهِم .. لَمْ نَبْحُثُ عَنْ عَطْفٍ وَاسْتِرْحَامٍ بَيْنَ رِكَامَاتِ مِنْ جَمَاجِمْ وَدِم .. انْظُرْ حَوْلَكَ مَا الَّذِي تَرَى غَيْرَ هِيَاكِلْ تَمْشِي وَوَجْعٌ يَفِيضُ . وَامْنَيَاتٍ تَسْرِيْلُ الْخَرَابِ .. مَا فَائِدَةُ وَجْدِكَ بَيْنَ كُلَّ هَذِهِ الْأَحَلَامِ الْمَيِّتَةِ وَالْأَنْتَظَارِ الْهَشَّةِ مَثَلَ طَيْنِ .. أَوْ تَوْدُ أَنْ تَكُونَ رَقْمًا لِيَسَ غَيْرِ .. وَلَمْ اخْتَرْتِ الصَّمَتِ .. لَمْ جَعَلْتِ مِنَ الصَّمَتِ كَفَّاً لَوْهَمِكِ .. أَوْ مَا كَانَ عَلَيْكَ أَنْ تَقْرَرَ مِنْدَ الْبَدَءِ .. أَوْ مَا كَنْتَ تَعْرِفُ أَنْ بَابِلَ لَابَدَ عَائِشَةَ مَحْنَتَهَا ذَاتَ يَوْمٍ .. كَنْتُ أَرَاكَ وَأَنْتَ تَعْلُنُ رَفْضَكَ عَالِيًّا لِكُلِّ مَا يَقُولُ بِهِ "بَيْلَ شَاحِرٍ" فَلِمْ تَلْفُ نَفْسَكَ الْيَوْمَ بِأَرْدِيَّةِ الْلَّامِبَلَّاَةِ ، وَسَنَابِكَ خَيُولَ الْأَعْدَاءِ تَجُوسُ لَيْلَ نَهَارَ فِي شَوَّارِ الْمَدِينَةِ الَّتِي عَشَقْتَ .. بَابِلُ الَّتِي غَنَتْ شَفَاهُهَا جَمِيعًا مِنْ أَجْلِ دِيمُومَتِهَا ، لَمْ شَوْفِيَا صَمَتْتَ تَلَكَ الشَّفَاهُ .. لَمْ تَحُولَتِ الْأَنَاشِيدُ الْوَارِفَةُ الْمَحِبَّةُ إِلَى نَبَاحٍ وَوَجْعٍ كَيْفَ يَمْكُنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَعْلَمَ رَفْضَهُ لِلْفَرَحِ وَانْتِمَاعِهِ لِعَالَمٍ مَنْحُطٍ قَذِيرٍ .. مَا فَائِدَةُ أَحَلَامٍ تَمُوتُ ، وَقُولٍ لَا يُكْتَبُ ، وَحَقِيقَةٌ مَرَّةٌ لَا تَقَالُ .. مَاذَا تَرِيدُ مِنْ نَبُونِيَّدُ أَنْ يَفْعَلَ .. وَقَدْ أَتَمْتَ خطواتَهُ الطَّرِيقَ .. الْمَوْتِي أُولَئِكَ الَّذِينَ أَحْسَوا الْعَجَزَ سَائِرُونَ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ .. أَمَا أَنْتَ فَلَابَدَ لِكَ مِنْ طَرِيقٍ حَتَّى وَإِنْ كَنْتَ تَسْكُنُ لَيْلَ الْكَهْوَفِ الرَّطَبِ هَذَا .. ثُمَّ أَشْيَاءٍ كَثِيرَةٍ يَمْكُنُ أَنْ تَقَالَ ، أَشْيَاءٌ تَؤْسِسُ لِمَلْحَمَةٍ أُخْرَى .. مَلْحَمَةٌ تَبْقَى أَرْلَانًا .. وَحَكَائِيَاتٍ تَرَى ، وَحَكَائِيَاتٍ تَعِيشُ

، وحكاياتٌ تسمعُ وانت الشاهدُ الذي لا يحقُ له الصمتُ أبداً.. أبداً ،  
تلعنَكَ الآلهةُ إن أنت ملأْتَ أعماقَ بالصمتِ ... أبداً .. أبداً ، تلعنَكَ  
الآلهةُ إن أنت وضعْتَ نفسَكَ المشغولةَ في رحمِ الرمادِ ... أبداً .. أبداً  
لابد من قولِ يوقدُ الاشتعالَ ويجعلُه ينمو مثلَ نخلِ الفراتِ !!  
- وكيفَ هذا أيها الصاحبُ .. أراكَ تضعُ على ظهرِي ما لا طاقةَ لي  
بهِ !!

- لن أضعَ على ظهرِكَ إلا ما أخترتهُ منْ أولى خطواتِكَ .. أنتَ الذي  
اخترتَ لا أنا !!

- أنتَ دوماً تضفي في دائرةِ الحيرةِ !!

- وأنتَ دوماً .. دوماً جعلتني في دائرةِ السؤالِ .. لو لا ما حفرتَ يدَكَ  
منْ رقمٍ ما كنتُ هنا ، أنتَ المسؤولُ عن وجودِي ... أشعّلتَ في  
أعمافي أسرارِ المعنى واسئلةً لا أجوبةَ لها ... عاشرَ تبحثُ عن  
فحولةٍ تخصُّ رحْمَها ... كنتُ أرى فيما تقولُ حقيقةً .. أشدُ رسوخاً  
منْ معنى وجودِ ربِّ هرمِ مثلَ مردوكَ .. كنتُ شوقياً أغمضُ عيني وثُمَّ  
نداءٍ يتددُّ بينَ جوانحي يدعو "إيرا" الى المجيءِ ليدمِرَ كلَّ شيءٍ !!

-وها هو يحطُ بأجنبتهِ الثقالِ بينَ حواري بابل !!

- ليسَ "إيرا" أبداً ، الأربابُ لا يمكنُ لهم أن يمتهنوا الموتَ .. حتى  
وإن كانوا أهلَ حرفةٍ .. إيرا عاشقٌ لبابلَ ولا يمكنُ لربِّ عاشقٍ أن  
يدمرَ وجودَ حبيبتهِ .. كيفَ يكونُ هذا شوقياً.. محْبٌ يهلكُ قلبَهِ .. ما

فائدة وجوده اذن .. ثمة وجود في وجود.. وحلم في حلم وخطوة في خطوة

- إن في ما تقول حقيقة أيها الصاحب
- بل هي الحقيقة دونما مواربة ... حقيقة أن تكون أبدا .. ما الذي يمكن أن تكونه دونما بابل تأوي أحلامنا وتملاً افندتنا بأغانيها ... أو يستطيع الشتات احتواء طفولة أولادنا ، ورقصات عذراراتنا الجميلات ، هل يستطيع ناسبا المجيء يوم " الايكيفو " ، ما دامت بابل ترزع تحت نير الخرابات .. أو يستطيع الشتات السيطرة على عواطف ناسنا الناظرين الى كبد الفرات وهو يتقلب غيظا ..؟
- يا لها من حقيقة موجعة أيها الصاحب !!
- ومنى كانت الحقيقة لا توجع ؟
- أراك تدفعني الى أب ما أريد !!
- وأراك أيها الرقام الطيب تسير الى حقيقة وجودك الأزلي !!
- ومن أين نبدأ .. وحياة الكهوف ضاجة بالحيرة والانكسار ؟
- من أيما شيء ... اينما تضع رقتك تجد ان ثمة معنى .. وثمة حكاية .. وثمة قولًا !! ..
- أو تساعدني على لملمة المحننة يا صاحبي ؟
- لم لا .. لم لا وفي أعماقي الكثير من الأسرار التي أود البوح بها !!
- وما أسم صاحبي ؟

- أو تهم الأسماء إلى هذا الحد؟
- ما دمنا نريد الحقيقة .. أقول نعم!!
- حسناً أيها الرقم .. حسناً .. أسمي .. "نودعس!!"
- ماذَا .. أنت هو اذن؟
- أو لم أقول لك إن دائرة الانتظار لابد وان تتفلش!!
- يا لها من مصادفة ... يا لها من مصادفة!!
- ليس ثمة ما يجعل المرأة يتعجب غير الخوف!!
- ثم أشياء كثيرة تثير الدهشة يا صاحبي نودعس
- الدهشة لرجل ليس أنت ... منذ أزمان لا أدرى كيف بدأت وثم سؤال يراود الجماجم
- ماذَا؟
- كيف يمكن للإنسان أن يستمر ... ومع الاستمرار كيف يمكنه إيقاد محبته؟
- هذا ما منحته عمرى كلَّه
- أعرف أيها السيد الرقم وقد أخذته عنك ... أو لم أقل لك إنك أعطيني عبوديتي!!
- لن تقدم الكلمات غير الحرية
- هذا ما نتوهُم ... ليس ثمة معنى لهذه الكلمة ... تقرأ وتتعلم لتتملاً قحفة رأسك بسهلٍ من الأشياء المضجرة .. ترى بعيون الكلمات الماكِرَة ما لا يمكن لغيرك أن يراه ... وكلما أوغلت قدمًا اشتغلت بين

جوائحِ مسمياتٍ جديدةً ... وعرفت أسرار الاختيار .. لا معنى لغير  
ما تعرفُ !!

- لكن هذا مسار الحرية

- أبداً أيها الصاحبُ الرقامُ ... ان تشعر انك عبد لمدينتك ... عبد  
لقضية أكبر من فردك ... أين هذا من هذه الكلمة ... كلما أقتربت  
قدماك من معناها ، فررت لاذةً بالآلافِ الأسئلةِ .. سؤالٌ يأتي بسؤالٍ،  
وأنت تدورُ .. وتدورُ .. وتدورُ !

- هي دورة المعرفة المانحة لعطر الانتماء

- دورة المعرفة التي تجعل منك عبدَ أممَ نفسك

- صعب أن يرى الإنسان نفسه عبداً لنفسه

- والصعب أن لا تعشق تلك العبودية ... دوماً تحاول جلد ذاتك  
بوابل من سياط البحث والغوص عميقاً في الماذا والأين والمتنى

- أراك تجرني إلى بداية أخرى

- أو لم أقل لك اينما وضعت خطوك فشمة بداية

- كيف نوفي بابل حقها ونحن اسرى انتظارنا وسياط السجانين ؟

- الانتظار وقود نشعُل به جذواتِ أرواحنا ... والسياط تتعدُّها  
الأرواحُ بعدَ حين، حيث لا تكون ثمة ضرورة لوجع أو صرخ أو تالم  
... الإنسان ايها الرقم سر لا يعرف كنهه غير الإنسان أما أولئك  
الحاملين لسياط الألم فلا يعنون سوى أنفسهم ... الكثير من  
الأسئلة أراها تفر من بين جوانحهم وهم يقومون بأعمالهم، محنّة أن  
تحول إلى جلا وقاتل .. محنّة أيها الصاحب أن ترى انساناً لا معنى

لوجوده ... أو تعتقد انه يرضي غروره ويطمئن وجوده حين ينهال علينا ضرباً ... أبداً .. أحـسـ أعمـاقـهـ وهي تـشـتعلـ بالـغـيـظـ لكنـهـ يـعـيشـ فيـ مـحـطـةـ الـخـوـفـ هوـ الـذـيـ جـعـلـ مـنـهـ سـجـانـاـ،ـ وـحرـرـ ماـ فـيـ رـأـسـكـ ...ـ الخـوـفـ هوـ الـذـيـ يـجـعـلـ يـرـتـعـدـ غـصـباـ ويـفـوـرـ حينـ يـرـاكـ تمـشـيـ وـبـيـنـ يـدـيـكـ حـائـمـ الفـرـحـ وـالـسـعـادـةـ وـالـلـوـدـ ...ـ أـنـتـ هـنـاـ وـهـوـ هـنـاـ،ـ وـالـفـرـقـ اـنـهـ يـتـعـذـبـ ...ـ وـيـخـبـوـ ..ـ وـيـضـيـعـ ...ـ أـمـاـ أـنـتـ فـتـشـتـعـلـ وـتـتـقـدـمـ وـتـعـطـيـ ...ـ الـفـرـقـ اـنـهـ يـتـحـولـ إـلـىـ كـائـنـ مـسـخـ لـاـ مـلـامـحـ لـهـ،ـ أـمـاـ أـنـتـ فـتـزـدـادـ أـعـماـكـ وـضـوـحاـ ...ـ وـتـنـمـوـ بـيـنـ جـوـانـحـكـ بـلـابـلـ تـغـرـدـ لـيـلـ نـهـارـ فـرـحةـ بـحـرـيـتهاـ التـيـ لـاـ يـعـرـفـهـ أـحـدـ ..ـ حـرـيـةـ الـاسـتـمـارـ وـالـأـمـلـ ...ـ الـأـمـالـ هـيـ التـيـ تـتـيـرـ لـيـلـ الـكـهـوـفـ أـمـاـ هـمـ فـلـاـ آـمـالـ لـهـمـ ...ـ لـاـ أـمـلـ لـسـجـانـ وـثـمـةـ الكـثـيرـ مـنـ الـأـمـالـ لـنـاـ!!

- ما أغرب قولك أيها الصديق نودعـ
- أي غـرـابـةـ فيـ أنـ تـغـوصـ عـمـيقـاـ فيـ لـجـةـ الـكـهـوـفـ ؟
- لقد مـلـأـتـ قـلـبـيـ حـبـاـ ...ـ وـجـعـلـتـيـ أـنـقـذـ مـثـلـ مـشـعلـ
- وهذا ما يـجـبـ أنـ تـكـوـنـ عـلـيـهـ أـيـهـ الرـقـامـ الـذـيـ تـبـنيـ عـلـيـهـ بـاـبـلـ أـمـلاـ !!
- ليس علىـ فقطـ أيـهـ الصـاحـبـ !!
- لكنـ هـلـ الـحـرـوفـ فيـ المـقـدـمـةـ دـوـمـاـ ..ـ وـهـجـ الـكـلـمـاتـ هـوـ الـذـيـ يـضـيـءـ لـتـمـشـيـ خـطـوـاتـ الـآـخـرـينـ
- انـ لـدـيـكـ مـعـرـفـةـ ضـدـ مـعـرـفـةـ
- أـنـتـ مـنـ وـضـعـتـ بـيـنـ يـدـيـ هـذـهـ الـأـضـدـادـ !!

كانت الفسحة تمتلأ بالآصوات الغريبة المتوجعة التي لا ترى غير غياب أيامها في خضم السكوت، غياب تلاحمه فورانات غضب وانكفاء وبكاء موجع، ثم من لا يدرى ما يريد .. وكيف جاءت به خطوهاته التعبة إلى حيث وهم الكهوف وضجيج الامتحانات، الغريب لا يبصر غير تoslات أيامه المارقات بسرعة الخديعة، ثم مأساة تحول رويداً .. رويداً إلى مارد يلتهم أي شيء يقف أمامه، كما نحاول الانزواء إلى أنفسنا ، مانحين ذواتنا المشتعلة بعض الخرس والتأمل والارتياح بعيداً عن معنى الفوضى، تزدحم الوجوه بالمخاوف وتنتعثر الخطوات في طين أساها، طين لزب ما يلبث أن يضع أشكالاً بمسوخات غريبة، كنت لا أرى غير نفسي تراقب هذا الوجه الماز عبر مرات الأزمنة، تلفه الوحشة والاضطراب ومعرفة بلا شيء، قادني "تودعس" إلى حيث كان يجلس رجل عينين تعبيتين، وثمة مسحة من الحزن تراود وجهه المشرب بالحزن بالتقاطيع ، لحظة رأنا الرجل هش وافقاً ماسحاً شفتيه بحيرة جعلتني أغوص في ارتحالاته الأشبه، مددت يدي بفتور متقصد فأخذها بحرارة وود جعلاني أرمي إليه بثقل هواجي، كان الرجل الماخوذ بالاستغراب لا يرى غير رسوم حضوره التي يريد، حضور عرف فيه همساً دائماً واكتشافات كانت تدفعني فيما بعد الاستذكار ما يدور بين حاضر الكهوف واضطرابات أيامها، قال بصوت يشبه الرعد: - ها أنت معنا أيها الكاتب! ابتسمت نفسي بارتياح، وأشارت إلى بأن آخذ الرجل إلى صدري رابتًا على كتفيه ثمة ملامح بابلية تفيض بالحب ، وجه رغم انغماسته بعطر

القلق يسبح في بحورِ من الارتياحِ والوجودِ، ويرمي اليكَ ما أَنْ يشعرَ  
بالأمانِ مئاتِ البراقِ التي تكلّلَ بالسعادة، قلتُ بصوٍتٍ تعمدتهُ رخواً  
يشعُّ انبهاراً - : نعم.. ها هي بابلٌ ترمي بيَّ إلى ليلِ الكهوفِ وكأني  
سلعةٌ زائدةٌ !!

نظرني باستغرابٍ وهو يأخذني إلى جدارِ بابل... بابل... لمَّا أَبْهَا  
الكاتبُ ترمي أوجاعنا وإنها راتنا إلى قلبِ الموتِ وهي لا تتحملُ ..  
بابل أبداً ما لفظَ أولادَها وما نسَتْ مواجهَهم ... هي المحنَةُ التي  
جعلَتها تصمتُ لبعضِ الوقتِ .. المحنَةُ التي جاءَتْ بكَ .. فلا تتحدثُ  
عن أمٍّ تبكي أولادَها ليلَ نهارٍ !!

حزنٌ أطلقَتْ لعيني العنانَ متفحصاً وجعَ المكانِ ، وانسراحَ  
الخطواتِ التي لا تجدُ لها استقراراً ، قالَ نودعُس وهو يجلسُ هامساً:  
- كيفَ أنتَ أيها الحكيمُ سن ماغرض؟

التفتَ الرجلُ إليهِ وثُمَّ انكسَرَ يملاً جوانِحِهِ ، انكسارٌ جعلَني أهيمُ في  
صحرى المكانِ ، كانَ ثمةُ حراسٌ يجوسونَ الأرضَ بقلقٍ من أضاعَ  
 شيئاً ، ناظرينَ إلى الوجهِ باشمئزازٍ من ينظرُ إلى مرضى الطاعونِ ،  
قالَ الحكيمُ " سن ما غرضُ " وهو يحكُ رأسَهُ بطرفِ ابهامِهِ مثلَ من  
يداعِبُ ولداً صغيراً :

- كما ترى الحياةُ تمضي ونحنُ كما نحنُ .. اوهامٌ تلاحقُنا، عذاباتٌ  
مجنونةٌ، لا شيءٌ يشدُّنا إلى الخارجِ .. إلى تلكَ الأرضِ التي  
خبرتَ وجودَنا غيرَ استذكاراتٍ موحشةٍ وأيامٍ أتعبَها السؤالُ...

ما كنت أصدق أنَّه يمكن أن يحدث بابل ما حدث .. بابل فكرةٌ وافرةُ الوجود.. كانت كلماتها ترعاها فيسمو قلبها الغاطسٌ حدَ الهيام في غناءٍ يهزُ القلوب .. كنت أجول متفحصاً ببوابات المعابدِ وبمباحثِ مردوك المتمتمةِ بكلماتِ الحبِّ، التي أراها اليوم تصيبُ في خرسِ النسيان .. ثمةً عيونٍ بحجم الودَّ تفعُّم أيامها فتجعلها تحدقُ في لبِّ الإلهِ شمش، ورحابةٍ وجودِ السماويةِ ، كانت بابل تختلفُ بذهبِ الودَّ وفضةِ الرجاءِ ، فتصبحُ القلوبُ أكثر دفناً وأكثر انتماءً ، تمتلاً الأوردةُ بقاعاتِ الصبايا وهمساتِ الصبيةِ الناعمةِ مثل نسماتِ ريحٍ ، فتعجُّ الصدورُ بأغانيٍّ ما تثبتُ أنَّ تكبرَ وسطَ أحلامِ الرجالِ وهدهدةِ تراتيلِ الكهنةِ ، بابل تلكَ مدينةٌ تبعثُ على الارتياحِ واستمرارِ الأحلامِ ، لا شيءٌ يعتقُّ ولا شيءٌ يظلُّ أبداً، تتجددُ الأيامُ ومعَ تجدُّدها تمتلاً الفضاءاتِ بهوسِ الإلهِ "تيساباً" تكتظُ الشوارعُ بالزغاريدِ ، ويتفاخرُ مردوكُ مزهواً .. كانَ الربُّ العارفُ ببغضِ إيرا فتدوي الصيحاتُ وتمورُ السننُ الشعراً بقصائدِ .. وتراتيلِ .. ومباهجِ -

- وبعدُ ، أيها الحكيمُ الذي لا يرى غيرَ بابلَ بينَ عينيهِ ؟ !!

- بعدُ ، ثمَّ اشياءٌ كثيرةٌ .. يجبُ أنْ تقالَ شوقياً !!

- اشياءٌ لا ضرورةَ أنْ تقالَ ما دامَ لا أحدَ يريدُ السماعِ !!

- وكيفَ عرفتَ أنَّ لا أحدَ يريدُ السماعَ ... أوَ عرفتَ أنَّ كلَّ هؤلاءِ لا يريدونَ السماعَ .. أبداً شوقياً أبداً، جلُّ هؤلاءِ ينامونَ وبينَ احضانِهم تغفو بابل .. عروسَةٌ بھيَّةٌ ... لا يمكنُ لانسانٍ يعيشُ تحتَ وهجِّ شمش أنَّ لا يحبَ بابلَ، أبداً بابلَ تلكَ بابَ الآلهةِ، ولا بدَ للبوابةِ من

- مبادرٍ وأحلامٍ ... كيف يمكن للإنسان أن ينهى تلك الأرض التي منحته كل شيء .. أبداً .. أبداً أيها الكاتب، الكل هنا يريد معرفة الدرب .. فقط أبداً .. وستجدنا معك!!
- نبدأ لماذا .. والقول لا جدوى منه ؟
  - القول فرس الأفعال ... نبدأ بالتحدث عن بابل التي نعرفُ والتي نحب ... عن بابل التي تضم بين جوانحها أولادنا ونساعنا والحببيات .. نتحدث عن سر الانتماء ... بعدها نجد الزرع ينمو ... ويكتبُ عندها يحيى وقت الحصاد
  - هؤلاء الذين يتعلّقون بأذيايل الكهنة ... ويعتقدون أن لا خلاص دونما نجدة مردوك !!
  - الوهم وباطلُ الكهنة لا يمكن أن يستمر طويلاً ... عقول هؤلاء أتعبتها زيف التراتيل ، والغوص في ماضي الارباب وأكاذيب ما حققوا .. لا عليك منهم .. حياة بابل لا تقرّها سوى بابل نفسها !!
  - أو تحديّني أيها الحكيم عما تعرفُ ؟
  - لا أريد الحديث عما حدث في البعيد .. دعنا أيها الرقام نعيش حاضرنا لنرى من وراءه أفق أيامنا الآتية ، دع الماضي لمن يقدر عليه ... خطوي معك خطو حاضر وآت !!
  - إنك تضفي وسط دوامة من الهم والاضطراب .. منذ وطئت قدمائي رطوبة الكهوف وأنا لا أنظر غير أسى العيون وخوف الأرواح ، ثم مجهول يجري بين هاتيك العتمات ، مجهول يلوث الأرواح بدم الحزن .. حزن لا قرار له .. أيُّ معنى لوجودنا هنا.. وبابل تحرق ... بابل

التي تزهُر بينَ أعماقِنا ثمراتٍ لذهبِ الودِ .. تلكَ محنَةٌ لا يحقُّ لليل  
 الكهوفِ تجاوزُها، محنَةٌ ليسَ من صنعِ انليل ، بل هي من خلقِ  
 أرواحِنا التي عاشَت الصمتَ وما استطاعتَ أن تصرخَ بوجهِ "بيل  
 شاحر" .. اواهِ أيها الحكيم .. اواهِ يا ابنَ سن ... لا اراكَ تنسى نهاراتِ  
 بابلَ التي لا تعرفُ غيرَ الحبِ .. ليستِ ثمةٌ عتمَةٌ أشدَّ من هذهِ التي  
 نعيشُ، لاتدعِ أحلامَكَ ترتجفُ، كي لا يصابُ عقلي بالجنونِ .. في  
 لحظاتٍ كانتَ المدينةُ توقظُ في أعمقِي انغاماً غريبَةً عبرَ ذكرياتِ  
 زاهيةٍ خالدةٍ كأنَّها غيومُ اللهِ "شورنا" ، لحظاتٍ ترمي بي إلى أروقةِ  
 أحسُّ معها بالأمانِ، كنتُ أصعدُ الدرجاتِ صوبَ "سن" ، تتبعُني  
 أصواتُ نسوةٍ، أصواتٍ تتغافلُ في روحِي، عذبةٌ، جميلةٌ، أعتقدُ لو  
 أنها خرجَت من حنجرةِ انليل لماتَ، عذبةٌ تضربُ روحِي بودِ سؤالِها،  
 إلى أينَ تمضي بكَ الخطواتُ صعوداً إليها الرِّقامُ، ليتني كنتُ أستطيعُ  
 الاستمرارَ، كان قلبي يهيمُ وحيداً وحينَ أصلُ إليهِ إلى "سن" المباركِ  
 الجليلِ، كان يتحسُّنُ فوادي التوجعِ، محاولاً العزفَ على وترِ قيثارةِ  
 البوحِ، فجأةً تورقُ أزهارُ الوردِ وتعمُّ المسراةُ، كان سن يملاً جوارحي  
 بمشاعرٍ لامعةً مملوءَةً بالكبيراءِ والزهوِ، يا لهُ من حلمٍ أيها الحكيمُ،  
 أن ترى نفسَكَ تستعيدُ الاندھاشَ كاشفةً عن مجدهِ يُطمئنُ الروحُ  
 المضطربةُ، أتأملُ وجهَهُ الباسمَ بالفضةِ وأستمعُ إليهِ مسروراً ، ثمةُ  
 ما يضعُ مصيرِي بينَ يديِ، لحظتهاً أنظرُ إلى تحتِ، ثمةُ دنيا ترسلُ  
 شعاعَ السلامِ، امتدادُ الفراتِ بلونِهِ الأديمي ومدماتُ النخيلِ وسواهُ  
 المزارِعِ ، اتمنى لو يبرقُ شمسُ لأرى كلَّ شيءٍ فيؤشرُ سنَ، كانَ

قلبي يمتلأ غناءً، ما الذي يملأ القلب بكلّ هذا الودّ غير حماسةِ  
التأمل والاخلاص، بابلُ طريقان لا يمكنُ لها اللقاء أبداً!!

- أحلامٌ ليس إلا ، أيها الرقام !!

- هي مهنتي أيها الحكيم ... مهنتي التي لا أجد منها خلاصاً!!

- أو ما زلت تنظر من علو سـن؟

- لا.. ما عادت أحلامي تحلقُ بعيداً .. كلّ ما أرآه اليوم ، رضا يعجـ بالصراخ والتوصيات والهزائم ... أو يمكن أن تجيبَ عـلـ سـؤـالـيـ أيـهاـ الحـكـيمـ ؟

- إن قدرت ، وقدرت معارفي !!

- لم بـابـلـ دونـ غـيرـهاـ تـتحـمـلـ تلكـ المـهـانـاتـ .. لمـ بـابـلـ دونـ غـيرـهاـ تـتـعـرـضـ لـغـسلـ الدـمـ ... لمـ بـابـلـ دونـ غـيرـهاـ تـتحـمـلـ غـضـبـ اـيـراـ ؟

- أو تظنـ انـكـ وحـدـكـ مـنـ تـفـوـرـ بـنـفـسـهـ هـذـهـ الأـسـئـلـةـ ؟

- هـذـاـ يـحـدـثـيـ عـقـليـ !!

- دـعـ عـقـلـكـ يـمـتـدـ بـعـيدـاـ إـيـاهـ الرـقامـ لـلـمـدـنـ أـقـدـارـ وأـحـلـامـ تـورـقـ وـتـمـوـثـ،ـ  
لـلـمـدـنـ أـغـانـ تـحـبـبـ الموـتـ ،ـ وـاـخـرىـ لـطـيفـةـ مـرـحـةـ ..ـ وـبـيـنـ هـذـهـ وـتـلـكـ  
شـمـةـ مـنـ يـرـيدـ دـونـنـاـ عـطـاءـ ..ـ وـقـدـ أـخـذـ النـاسـ مـنـ بـابـلـ أـكـثـرـ مـاـ  
أـعـطـوهـ ..ـ مـاـ الـذـيـ قـدـمـ "ـ بـيـلـ شـاحـرـ"ـ لـبـابـلـ لـيـأـخـذـ مـنـهاـ كـلـ مـاـ يـرـيدـ  
..ـ لـاـ شـيـءـ غـيرـ جـنـونـهـ وـسـفـلـاتـهـ وـحـرـوبـهـ التـيـ تـلـاحـقـتـ دـونـنـاـ مـعـنـىـ  
...ـ بـابـلـ وـجـدـتـ نـفـسـهـ بـقـتـةـ مـحـاطـةـ بـآـلـافـ الـأـعـادـءـ دـونـنـاـ سـبـبـ وـجـيـهـ  
...ـ وـجـدـتـ نـفـسـهـ مـغـسـولـةـ بـالـدـمـ وـالـأـحـزـانـ ..ـ وـلـاـ أـحـدـ مـنـ كـانـ يـجـيـدـ  
الـسـؤـالـ ،ـ لـمـاـذـاـ كـلـ مـاـ حـدـثـ بـابـلـ مـاـ الـذـيـ أـخـذـتـ بـابـلـ مـنـ حـرـوبـهـ الـخـاسـرـةـ

غير ضياع ما بناؤه نبنيه وأنهارٍ من ترقيبٍ وقلقيٍ وشكٍ، تلك هي  
محنةٌ بابلٌ ، صوتٌ ذاتيٌ وأصابعٌ تتثبتُ بأطرافِ الحياة ... وكلنا  
يحسُ العجزَ ... بعضنا ما عاد يفهمُ والبعضُ عفنتهُ الكهوفَ...  
وطرفٌ آخرُ أصابةُ الخرسُ فلفَ جسدهُ بأرديةِ اللامبالاة ... هكذا هو  
الأمرُ أيها الرقمُ الذي يخلقُ دونما سببٍ في بساطتينِ أحلامه!!

كان صوتُ الحكيم "سن ما غرض" يجمعُ بينَ جوانحِه أشجانَ  
المدينةِ كلّها ، وثمةُ التماسِ واسترخاءٍ يملأُ غرابتنا ، فجأةً ، علتَ  
الصيحاتُ فتلتتنا مذهولينَ ، كان الرقيبُ يطالعنا التجمعَ ، أصفَّ  
الرتلُ بأخمسِ متناليةٍ ، بهدوءٍ شدَّ الحكيمُ يديه مشجعاً .  
وبهمسٍ يشبهُ صوتٍ برميٍ تتفتحُ قال

// تطلعُ أحلامنا زاهياتٍ ، وعنَ البدايةٍ تسيرُ العيونُ

نمنُجُ أفواهنا فرحةً ، تمنحنَا غضباً وانتفاءً

تلك مدنٌ عامرةٌ بالمسرةِ

تلك مدنٌ مأهولةٌ بالكهوفِ... والنقاءِ ... مدنٌ تتعرى ، ومدنٌ  
تشيدُها الأمنياتُ ... ومدنٌ تعيشُ نهار النزواتِ  
وبينَ الكهوفِ تركضُ الأجويةُ ... تدركُ أنَّ الذواتَ جمرٌ وشبابٌ  
ونغم!!

قاطعَ همسنا صوتُ الرقيبِ وهو يشيرُ إلى الحكيم "سن ما ماغرض"  
بالوقوفِ، تحركت قدمًا الرجلُ بالآليةِ وهو يبتسمُ محولاً اشاعةً روحَ  
الألفةِ بينَ الحضورِ ، ثمةً طائرٌ بلونِ الرمادِ بدأ ينقرُ الجمامِ حمولاً  
نشر رمادِها ، طائرٌ يشبهُ شعلةً نارٍ تدورُ حاميةً أغمضَ البعضُ

عينيهِ وحاولَ بعضُنا تجاوزَ حضورِهِ بالسفرِ إلى غربِهِ والبُحْرِ لوجوهِ  
أضاعَتِ الأيامِ ملامحَها ، سحبَ يدُ الحكيمِ بشدةٍ وما لبثَ السياطُ أن  
انهالَتْ عليهِ ، كانَ يقفُ صامتاً مراقباً روحَ شمش و هي تغدو السيرَ  
تجاهِ الجهةِ الثانيةِ الزمنِ كانَ صوتُ السياطِ وصراخُ الرقيبِ وهمهاتُ  
"سن ماغرض" تعذّبَ ذاتَنا ، صرخاتٌ غسلَتْ حضورَنا بصوتٍ بدأً  
يرتلُ بحماسةٍ بعضَ تراتيلِ الخلاصاتِ البابليةِ ، تلفتَ الرقيبُ مرعوباً ،  
فتعالتِ الأصواتُ بهممةٍ مفجوعةٍ تحولتْ رويداً ، رويداً إلى هديرِ  
جعلَ الحكيمَ يبتسمُ بتشفٍ وامتنانٍ ، لم يفهُ الرقيبُ بشيءٍ وانسحبَ  
محاولاً مسَّ جسدِ الأرضِ الموحلةَ بنظراتهِ الوجلةَ التي اتقدتْ شرراً ،  
فيما ظلَّ الحكيمُ واقفاً وهو يرمي بحيرةَ السؤالِ، كانَ سؤالُهُ يملأُ  
روحِي بوحشةٍ استغرابِها ، قالَ الذي كانَ يرتلُ :

- يا ربَّ بابل .. يا ربَّ بابل لا تملأُ روحي بالحزنِ من أجلِ عيني  
المرأةِ التي أحبُ  
صاحَ آخرَ

- بل من أجلِ بابل نفسيها أطبعُ أجملَ الكلماتِ فوقَ شفتِي  
صاحَ آخرَ

- الليلُ يجيءُ وشمسُ يغادرُ مزهواً مرتدياً ثوبَهُ الذهبي وبابلُ تغرقُ  
نفسَها في الظلامِ !!

فجأةً ، هبطَ الليلُ وجاءَ الرقيبُ يجرُ وراءَهُ زمرةً من الموهوبينَ ،  
أشارَ إليهم فانهالوا علينا بالضربِ ، أشارَ علينا الحكيمُ بالصمتِ  
فامتلأتِ الأصواتِ بالخرسِ، ورويداً، رويداً، تلاشتِ الأحلامُ وتقطعتِ

أنفاسُ الحكيمِ وهو يسقطُ فوقَ الأرضِ، ثمةُ خيطٌ من دمٍ بدأً يغطي  
فسحةَ جسدهِ الضاحِي بالاسترخاءِ، دونَ ضجيجٍ انسحبَ الرقيبُ يتبعُهُ  
الرجالُ الذينْ عمرتَ وجوهُهم سعاداتٌ تشبهُ الموتَ، قالَ الصوتُ الذي  
بدأ النشيدَ وهو يصفقُ بكلتا يديهِ:

((يمضي نهار .. ويجيءُ ليلٌ وبابلٌ عنديبُ المحبُ

غناءً وص حقوقَ، زمانٌ ، فصدقني يا صاحبي

بأنَ النهارُ يجيءُ وبابلٌ عروسٌ وصوتُ محبٌ))

رفعَ الحكيمُ عينيهِ مدركاً سرَّ الفكرةِ التي انبثقتَ بينَ الشفاهِ ،  
بوردَ عينيهِ تأملَ سماواتِ سن المكتظةِ بلا لؤلؤةِ النجومِ ووشوماتِ  
البياضِ، وبهدوءٍ بدأً الصوتُ المتراخي يشتُدُّ نازعاً منهُ ارتجافاتهِ  
وهمومهِ، صوتٌ جعلَ الصفوفَ الممتدةَ طويلاً تستحضرُ رغوةَ رجولتها  
المتخاذلةِ، كنثَ أنظرَ إليهِ وهو يزحزحُ ركامَ آلامِهِ ورعافاتِ جسدهِ  
الساخِبِ دماً أسودَ، ليسَ أبهى منْ أنْ تجدَ رجلاً مثلَهُ يقفُ ساماً  
مثلَ جذعِ نخلةِ، الشفاهُ التي أخرسَها الصمتُ، العيونُ التي ظلتَ  
تحدقُ بالفراغِ زمناً، الوجُعُ الذي أرهبَ انقضاضَ السياطِ والمخاوفِ  
التي كانتَ تسربِيلُ امتداداتِ الكهوفِ بحكاياتٍ تشبعُ الاستمرارَ،  
الخطواتُ المعجونَةُ باللوعةِ والفرقاتِ والمجهولُ الذي يهروءُ لاهثاً  
بينَ الأجسادِ، الامتحانُ الصعبُ الجاثمُ فوقَ سائلةِ الجماجمِ،  
الهواجسُ، الجنونُ، الرغبةُ بالخلاصِ، الهيامُ الخالقُ للتحديِ،  
المعارفُ العاجزةُ عن الانوثاقِ، الوجودُ الاعزلُ الفاقدُ لهيمنةِ إنسانيتهِ،  
الضياعُ وسطَ بحارِ من الأكاذيبِ، والانتماءاتِ المنحطَةِ، الخياناتُ

المكشوفة أمام الأ بصار دون أن تجد أحداً يقاوم وجودها، العذابات التي تقلق سهاد الليل المعتم الممزوج وعفن البطون، الكركارات الماجنة، اتباع الكهنة الذين يلودون مثل جرذان بأذيال الأرباب العاجزين عن بعث روح الخير وسط الأجساد الملوكمة، كانت تسبح بين يديه فائضة بود الامتنان، انهمرت أمطار الرد، فتحركت الأجساد مبتعدةً تجر وراءها صخوراً من الخيبة والضياع، في فسحة الكهوف تتساوى الخطوات وتتشابه هذيات الأسنان ويفغدو النوم الوسيلة الوحيدة لتجاوز محن الانتظار، نوم مقطوع الأوصال يرعن تحت ضغط الكوابيس والبكاء المخلوس، ثمة خيط سري تحاول الاستذكارات مدة إلى عمق الخراب الذي أحاط بتراب بابل وأزقتها المأهولة بنواح ولغو ، بعد أن كانت بابل ترفل بالسخرية والود والضحكات، كانت المدينة لحظة يحل الظلام تبدو مثل امرأة مجونة شعاع الشعر وخطوات مضطربة، واللوف من الأفواه التي تلهج بأذكار تحاول انتزاع حياة الاستمرار، كانت الأفواه تحس ان ثمة خطير دائم يرافق ذلك الضجيج الذي لا ينقطع لكنها لا تعرف له دريا، رويدا، رويدا، تشربت المرأة الأفواه، ورويدا، ورويدا، خططت الخرابات فوق وهم الرؤوس، كنت أراها وهي تتبث مثل دغل المراعي، مخترقةً مظاهر الانتظار، حاولت الاستمتاع بمتابعة هذا المجتمع الآخرين، لكنني وجدت ان ليس ثمة عدل في جحود بوابات السماء، ثمة انهماك دائم في اشياء تجعل من الخلوات تشبه خطوات المسؤولين وسكارى الليالي، السن

- تلوك الطيبة والغرور والزهو، لكنها تركض مسحورةً بملامح امرأةٍ  
تتحي بالفطنة والخلود، قال الحكيم فجأةً وهو يسحلني بعيداً :
- أو رأيت ثمة حقيقة أخرى !!
  - اعرف أيها الطيب .. ومن هنا اخترت بدايتي !!
  - حسناً، لابد لك اذن من رقم الطين
  - نعم !!
  - أربع رجال على استعداد لتهيأ لك ما تريده
  - بدايةً .. لكنها احتراق الاس !!
  - هكذا هي المحنـة شوقيا .. تخلقـ منا اناسـاً جددـاً ... تظهرـ بين جوانحـهم آلفـ الأسئلةـ التي ما كانت تجدـ لها مخرجاً .. لعبةـ صعبـةـ هذهـ التي نعيشـها .. بينـ ليلـ الكهوفـ والموتـ والشتاتـ ليسـ أمامـ خطونـا طريقـ آخرـ ... ضاعتـ بابلـ بينـ هاتيكـ الاختيارـينـ .. ضاعتـ وخوفيـ أنـ يتحولـ ضياغـها إلىـ تلاشـ وموتـ .. يومـ تموتـ بابلـ لابـذـ لذواتـنا أنـ تموتـ !!
  - هي ميـنةـ لاـ محـالةـ أيـهاـ الحـكـيمـ الطـيـبـ سنـ ماـ عـرـضـ !!
  - الشـتـاتـ ليسـ موتـاـ .. ماـ زـالـ فيـ الأـقـفـ ثـمـةـ أـمـلـ .. أـمـلـ كـبـيرـ ووارـفـ الـظـلـالـ !!
  - لكنـاـ لاـ نـعـرـفـ ماـ يـحـسـ بـهـ الـخـارـجـ !!
  - وهـلـ يـعـتـقـدـ شـوـقـيـاـ انـ ثـمـةـ اـحـاسـيـسـ تـخـتـلـفـ ؟
  - هـذـاـ مـاـ أـنـاـ مـتـيقـنـ مـنـهـ ... فـيـ الـخـارـجـ صـارـ الـانـسـانـ لـاـ يـصـدقـ بـوـعـودـ الـخـالـصـ ... ثـمـ فـرـاقـ وـقـطـيـعـةـ بـيـنـ الـاـلـهـ وـبـيـنـ الـانـسـانـ ...

قطيعةٌ بينَ الاستمرارِ المكفنِ بلا جدوٍ، والانتظارِ المفضي إلى الموتِ، باتَّ الانسُانُ لا يعرُفُ غيرَ مخاوفِ يومِه... ولا يرى غيرَ حدودِ وجودِه البسيطِ، لقد ضاعتَ تلكُ الآمالُ بأنْ تكونَ أحلامُنا شجرةً مثمرةً تمنَحُ ثمارَها لكلَّ أرضِ السوادِ... بتنا لا نريِّدُ غيرَ بابلَ المقطوعةِ الأوصالِ... الضائعةُ في لحجِ الخوفِ والدم.. ماتَتْ أحلامُنا ويهوتها صارتُ الخياناتُ حقائقٌ يتفاخرُ بها البعضُ، صارتْ الأفواهُ تمنَحُ الأعداءَ شريعةَ البقاءِ والامتنانِ... أما نحنُ أيَّها الحكيمُ الطيبُ... سكانُ الكهوفِ الذينْ أوقفَ الزمْنُ خطوةً أرواحِهم، فلا حقيقةَ أمامَ أبصارِهم غيرَ أنْ يعودوا إلى ما كانوا عليهِ، عودٌ بسيطٌ إلى وسطِ دائرةِ الأسرةِ والأولادِ بعيدًاً عن همومِ التحدِي والمواجهةِ.. ليسَ ثمةَ غيرَ حلمٍ واحدٍ.. أنْ نجدَ أنفسَنا بعيدًاً عن كلِّ هذهِ الفوضى والاحتقار!!

- هدفُ بسيطٌ يؤدي إلى صلةٍ ساميةٍ... لا بأسَ بأنْ تحلمَ بخلاصٍ فرديٍّ... لا بأسَ بأنْ ترى ذاتكَ أولاً ولكنَ...
- يا لها ، لكنَ أيَّها الطيبُ... الذواتُ فارغةٌ والمحنةُ أشدُ فراغاً... لا أعتقدُ أنَّ الخلاصاتِ الفرديةَ توصلُ إلى حقائقٍ جمعيةٍ... ما هو فرديٌ يتلاشى عندَ حدودِ الفردِ ، أريدُ خلاصاً جماعياً... خلاصٌ ينيرُ الدربَ أمامَ بابلٍ ويعيدُ بهاءَ أيامِها!!
- كلُّنا ي يريدُ هذا ايَّها الرَّقام!!
- كلُّنا.. منْ نحنُ.. ازاميلُ معطلةٌ... ورقمٌ طينٌ لا يقرؤها أحدٌ.. وحكاياتٌ عتيقةٌ عتقَ الكلامَ نفسهِ ، نحنُ أزمنةٌ فرحٌ معطلةٌ ، طوالَ

عمري وأنا أرى الأفعال أصدقَ حضوراً من كلام لا طائلَ وراءه .. ها هي بابلُ تغورُ في بحر نهايتها ما الذي فعلناه لها ... ما الذي يمكن أن تفعله ... نديخ الكلام تلو الكلام ، ونخافُ مواجهة الحقائقِ كي لا نعرض انفسنا إلى مهاناتٍ لا طائلٌ منها .. مهاناتٌ تقتلُ في أعماقنا وهجَ الإنسانِ وسلامه .. ماذا اذن .. انظر بعيداً وسترى ، انت منقسمون إلى اشلاءٍ مثلاً هي بابل ... بعضنا باع نفسه لقتليه وجلادي ناسِه ، اشعلَ في اعماق قاتليه روح التفاخر والمجد ، والبعض فرَّ بعيداً يبحثُ عن خلاصٍ لنفسِه دون أن يلتفت إلى جرائم البيوت ودماراتِ الأرواح ، باتت نفسه لا ترى غير وجودها الباعث على الاشمئزاز ، تأكلُ مع الخبز وجع غربتها وانكسارها ولا ترى في هذا الضياع غير وطن مؤقت قد يتحولُ مع الأزمان إلى هم يعذبُ الروح ... أما نحن... نحن سكنةُ الكهوفِ وعالماها المضطربِ فما الذي تراه ، غير انقساماتٍ موجعةٍ ، وتفاخرٍ بكلٍّ ما هو فردي ... ما عندي هو أصلٌ مما عندك ... وعليك أن تؤمن به وإلا اسلمنتَ إلى عصا الرقيبِ وبعثت أمام عينيك خياناتٍ وتسيفيها ... الصراعُ هنا صراعُبقاءٍ فقيرُ المعاني لا قدرة له على تجاوزِ ذاتهِ صوبَ الجمع ... كلُّ يريدُ التقربَ من أولئكَ الذين لا هم لهم غير احتقارِه ومنح وجوده الإنساني... كلُّ يريدُ البقاء على حسابِ فكرةِ الجمع وتقريبِ الأزمنة ... لعبةُ مسخٍ ووجهةٍ نذلةً .. تلكَ التي نطالعُها كلَّ يوم ... سوقٌ نخasseِ هذا الذي نعيشُ داخلَ احتراقِه أيها الطيبُ "سن ماغرض!!" - ثمةُ من يعرفُ وجوده جيداً ويعملُ عليه!! "

- قليلٌ مثلُ قطراتِ ندى الفجرِ ، تنهزمُ ما أَنْ تجيءُ الشمسُ !!
- وصفُكَ هذا يخلو من الدقة . شوقيا !!
- ربما أيها الحكيم ، ربما ، لكنه وجود قائمٌ على أية حال !! -
- لحظةً استمع اليكَ أحسُ انكَ تموتُ خوفاً !!
- ومنْ مَنْ لا يموتُ وهو يرى نفسهُ محاصرةً بكلٍّ هذه الانهزامات ..  
الى ماذا تؤدي بنا مسالكُ الانتظارِ ، وكيفَ يمكنُ لذواتنا أن تستقيم  
وكلٌّ ما يحيطُنا خرابٌ وجنونٌ وبيعٌ لا طائلَ منه ؟ !!
- لا أعتقدُ أنَّ الأمرَ سهلٌ إلى هذا الحدِ ... وأنْتَ ترى عيونَ الرقيب  
مدسوسةً أينما اتجهت !!
- الأفكارُ تنبتُ بهدوءِ المحبةِ ... لا نريدُ مواجهةً ساخنةً مع هؤلاء  
أو غيرِهم ... فقط نزرعُ بذر الفكرِ وسترى ان الثمارَ تجيءُ بما لا  
تتوقعُ !!
- "سن ماغرض" أيها الطيبُ بحكمتهِ ... في غابةٍ مليئةٍ بالآفاعي  
لا يمكنُ لأسدٍ مهما كانَ حاذفاً وقوياً أن يبقى طويلاً ... لابدَ من  
تصادمٍ ومواجهةٍ ... لحظتها يجدُ نفسهُ وحيداً تحيطُ به أفاعٌ فاحِدةٌ لا  
ترغبُ بغيرِ الخلاصِ منه !!
- الحكايةُ تختلفُ أيها الإنسانُ ... كم من الناسِ هنا يفكرونَ كما  
تفكرُ ؟
- ليسَ كثيراً... ليسَ كثيراً !!

- ومن هذاليس كثيراً تصيير الخطوات أملأ ... ماذا لو بحث الأسد عن حليفٍ من خارج غابته . حليفٌ يقوى وجوده ويسهم واياه على تجاوز تلك الأفاعي السامة !!
- عنده تكون التقاسمات هذا لي وهذا لك !!
- ولم لا ... أو تظن أن في هذا بأساً... ليكن الوجود وجود الكل ... والاستمرار استمرار الكل والفرصة تطال الكل !!
- عندها على الأسد أن يتنازل عن مقدمة الصفة ... وربما عليه الإعلان انه ليس سيداً للغاب ... ولا حقيقة لوجوده غير حقيقة الآخر الذي أسهم واياه في الخلاص !!
- لا أرى في هذا خيراً ايها الطيبة ... ليس الفكرة في من يكون في أول الصفة ومن يكون في آخره ، الفكرة في خلق معنى للوجود، في خلق منابع تديم طقوس السعادة والأمل ... ما جئنا الى هنا ، ما اخترنا هذا المكان من أجل أن تكون في المقدمة ... بل نريد لبابل تراتيل تحفُّز وجودها على الاستمرار !!
- كان هذا الاختيار ونحن خارج هذه العتمة ... خارج هذا الانعزال الموحش ... خارج هذه السياط التي تهدد وجودك كل يوم ... خارج هذه الخيانات التي تبحث عن مبرر للاستمرا ... خارج هذه المعاني التي لا معنى لها ... خارج هذه الأفكار الميتة التي لا تأخذ من المعابد غير قشور الوهم ... خارج هذه الطقوس المليئة بالكذب والرياء والبهتان ... أما اليوم فلا مجال أمامنا غير فسحة الوقف وتأمل ذواتنا ولملمة جراح الحزن ... لا تدري يا سيدى كيف يكون

نُزفِي وَأَنَا أَتُوْسِدُ رطْوِيَّةَ الْعَتْمَةِ ، وَأَجْهَشُ وَسْطَ لَيْلِ الانتِظارِ ... تَلُوْجُ  
رُوْحِي وَتَفَرُّ بَعِيداً ... بَعِيداً ... أَحَاوَلُ قَتْلَ الْإِنْسَانَ فِي دَاخْلِي لِكُنِي  
أَرَاهُ أَمَامِي كُلَّ لَحْظَةٍ ... أَحْسَنُ جِيفَ الْكَلِمَاتِ وَهِيَ تَمَلُّ حِيَاشِي ،  
وَأَغْمَضُ عَيْنِي وَلَيْسَ غَيْرَ سُؤَالٍ يَسْكُنُ قَحْفَ رَأْسِي ... لَمْ نَحْنُ دُونَ  
سُوانَا مَنْ تَتَسَرِّبُ الْأَيَّامُ بَيْنَ يَدِيهِ !!؟

- مَوْقُفٌ ارْدَنَاهُ نَحْنُ شَوْقِيَا !!

- أَرْدَنَاهُ نَحْنُ مَعَ خَطْوِ الْجَمْعِ .. أَرْدَنَاهُ حَقِيقَةَ الْجَمْعِ لَا حَقِيقَتَنَا  
نَحْنُ فَقْطُ !!

- وَهَذَا مَا نَسْعِي إِلَيْهِ وَنَرِيدُ تَوْكِيْدَهُ !!

- الْأَجْسَادُ الْمِيَتَةُ لَا تَسْعِي لِشَيْءٍ ... الْأَرْوَاحُ الَّتِي تَسْكُنُهَا دِيَانُ  
الْخُوفِ لَا يَمْكُنُ لَهَا أَنْ تَحْلُمَ بِشَيْءٍ ... الْخُوفُ مَحْنَةٌ وَجُودُنَا هُنَّا ..  
قُلْ لِي ... هَلْ تَتَعَطَّلُ الْأَكْفُ عنِ الْخَلَاصِ ، وَكَيْفَ يَمْكُنُ لِلرَّقِيبِ  
وَرَجَالِهِ أَنْ يَصْدِقُوا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى بَقَائِنَا مَعْزُولِينَ لَوْ لَا مَا نَحْسَبُهُ  
نَحْنُ مِنْ خُوفٍ ... الْخُوفُ هُوَ الَّذِي يَبْقِي أَرْوَاحَنَا تَعِيشُ الانتِظارِ ..  
لَا أَظُنُّ أَنْ هَذِهِ الْجَدَرَانَ قَادِرَةٌ عَلَى بَقَائِنَا هُنَّا ... هُوَ اخْتِيَارٌ مَلْفُوفٌ  
بِالْخُوفِ مِنْ غِيَابِ الْمَصِيرِ !!

- شَوْقِيَا ... أَيُّهَا الرَّقَامُ الَّذِي أَحْبَبُ ... أَرَاكَ ذَهْبَتَ بِي بَعِيداً !!

- وَأَرَاكَ أَيُّهَا الْحَكِيمُ تَرِيدُ الْبَقَاءَ عَنْدَ الْجَرْفِ !!

- ابْدَأُ وَلَكِنْ أَرِيدُ الْبَدَائِيَّةَ مِنْ أَجْلِ الْوَصْوَلِ إِلَى لُبِّ الْفَعْلِ !!

- بَلَى ... وَهَذَا مَا قَالَهُ نُوبُونِيدُ ... قَبْلَ أَنْ يَتَلاشِي أَمَامَ عَيْنِي !!

- أَوْ نَبْدَأُ الْآنَ ؟

- لم لا ... إذا كان ثم رقم جاهز !!

## الرقيم العاشر - ٦-

الرغبة جناح الأطياف التي تحلق بالأعمار عبر مديات أفالها المكونة لأسس الاستمرار ، الرغبة فرصن البوح المانحة للوجود ضوء حضوراته الدائم . ذلك الحضور المرسوم فوق جبار القدر والقدرة والقول ، حضور يكون فضاء الرحيل صوب الأعمار التي نريد ، كنت أرى من خلال أعمدة جدران المعبد الواقفة مثل خيول تنتظر رغباتي وهي تتناثر مطشوشة في غفوة الأحلام ، سن يلاحق رغبتي وانليل يزحف الأيام لي . وبينهما أحد ان ثمّة من يتذكر محاولاً الولوج إلى روح عالمي الدائخ بين شتات بابل ووحدة الوهم الذي أريده حقيقةً راسخةً ، وحدي كان سن يلطفني ووحدي كنت ارتمي بين يدي سطوعه الأخاذ ، ينهر عمرى فوق بلاط المعبد وتمطر سماوات حلقي تراتيل متولسةً ، ثمّة معنى يؤكّد حضور حياتي ، معنى يريد لي تأكيد الألم الذي بدأ يدب دبيب الهوام فوق عروش روحي ، أجلس مبهوراً بين ليل سن وشفيف ضيائه الفضي ، فيسأل صمتي راغباً في كشف ستر داخلي التي تبدأ بالارتفاع مثل ولد محموم ... ما الذي تريدُ نبني .. غير ما تحلم به ؟

تلتصق لهاطي بأطراف لساني ، وبصعوبة أعبء هواء الخوف فتتوjer داخلي نيران الاضطراب ، ما فائد أن تكون بين يدي سن وثم عجز يقطف رأسك المتورم بالافكار ، كنت أهث وراء رغبتي ، أهث

وراء هنِيَّة بُوْح، وحينَ أمسك بوجودها تطير نوارسُ الكلم وتفرُّ  
باتجاهِ سماواتٍ لا قدرةَ لي على اختراقها، ينظرني سن باسماً وما  
يلبث ان يطش فوقَ جبهتي نثار ريببيته، فتشرقُ الأوهام وتغورُ  
قدورُ الافكارِ، بسعادةِ طفلٍ أقولُ:

- سن ايها الربُّ الجليلُ، أريدُ لبابل جسداً متماسكاً، واقراناً يحمونَ  
وجودها .. ورفعهُ تؤكُّد حضورها بينَ الحواضر !!
- لكَ كلُّ هذا نبنيـيد... لكَ كلُّ هذا !!
- أريدُ لسن غطاسَ بابل باجمعها في طasseَ العلوم !!
- لكَ هذا نبنيـيد
- أريدُ لطرقِ بابل وازقتها، اسواقها ومعابدها .. حاناتها وانهارها ..  
زرعها وضرعها ديمومةً دائمةً
- لكَ هذا نبنيـيد... لكَ هذا !!!
- أريدُ لنسوةِ بابل خصباً دائماً ولأولادها طفولةً آمنةً ... ولرجالها  
وفرةَ رزقٍ ونماءٍ !!
- لكَ هذا نبنيـيد !!
- أريدُ لأنهارِها لونَ الأرضِ، ولأشجارِها لونَ الحزنِ، ولمعابدها لونَ  
القمم !!
- لكَ هذا نبنيـيد
- أريدُ لبابل عمرًا لا ينتهي ما بقيَ انسانٌ فوقَ سطحِ الأرضِ
- لكَ هذا نبنيـيد
- لا أريدُ لا يرا أن يدخلَ بدني أبداً ايها البهيُّ سن !!

- نبونيد، لا يمكن لأحدٍ أن يمنع ملكاً من دخول المدينةِ التي يريدُ!
  - لكنَّه يدمُر ما أريده وأطمح!!
  - أن للأريابِ معارفٌ لا يقدِّر أحدٌ على سبرِ أغوارها ... ورغباتٍ قد تبدو للناظرِ إنها سلوكٌ جنونٌ!!
  - تلك هي علة العللِ ايها البهـي سن ... يعمرُ الانسـان ويقدمُ الأضاحـي ويهرقُ الدـم، ولحظـة تستقرُ الأفـداء وتفيضُ الأحلـام بدمـع الورـد، يجيـء من يعصـف بكلـ شيء ... لم .. ومن أعـطاه ذلك الحقِ المرتجـف .. غـريب .. غـريب هو المسـير ايها البـهـي سن !!
  - لك كلـ ما تـريـد نـبونـيد... لك كلـ ما تـريـد
- تركـت هـالـة الدـائـرة، وانـغـمـرت أـعمـدة المـعـبد وارـوـقـتـه في عـتمـة جـعلـتـني اـتـلـفت مـبـهـورـاً، ثـم أـصـواتـ تـحدـد عـالـم وجـودـي ، أـصـواتـ أـفـرغـت حـيـواتـها فـي دـوارـقـ الاستـرـحام، كـانـت نـفـسي تـلـوـبـ ذاتـهـة فـي بـحـرـ من الحـرـمانـاتـ، لـيـس ثـمـةـ من يـجـعـنـي وهذا العـالـم غـيرـ حـلـمي الذي ما بـحـثـ بـهـ لـغـيرـ سنـ، سنـ العـارـفـ أنـ الأـحـلام لـابـدـ وـانـ تـؤـكـدـ حـقـيقـتها لـحظـةـ تـجيـءـ من عـالـمـ مـجـهـولـها المـضـطـربـ، كـانـت أـمـي تـمـلاـ حـلـقـي بـبـياـضـ الـحـكاـيـاتـ التي تـجـعـلـنـي أـشـبـ اـحـرـاقـاـ وـأـنـ أـحـدـ فـي وجودـنا الـبعـيدـ، وـجـوـدـ جـعـلـنـي أـرـى عـينـيهـ مـحاـواـ استـكـنـاهـ حـزـنـها العـمـيقـ، كـانـت تـقـفـ عندـ بـابـ الدـارـ مـنـظـرـةـ أـوـيـةـ أـبـيـ الذـي هـذـهـ تـعـبـ الـبـحـثـ عنـ ما يـسـدـ رـمـقـ القـلـبـ، الـاضـطـرـابـ، والـمـحـنـةـ، والـخـرـابـ حـبـالـ كـانـت تـسـوـرـ نـهـارـاتـ بـاـبـ وـتـكـبـلـها لـحظـةـ يـجيـءـ سنـ مـحـمـولاـ بـعـرـيـتهـ الـذـهـبـيـةـ، اـغـفوـ وـثـمـ وـجـعـ لـذـيـذـ يـسـيـرـ بـيـنـ جـوانـحـيـ، وـجـعـ كـبـيرـ دونـ أـقـدرـ عـلـىـ

تجاوزه، نبنيد الصبي اللاهي بحكايات الخوف واللعن اعطى نبنيد الآخر سيف عظمته واكتشافاته السائرة في درب الامتنان، كان ليل المهد يرعب وحدي وأنا أرى عيني مردوك الذي لا أحب تحدق بي محاولاً الوصول إلى عمق اسراري، الأسرار التي لو وصلت إلى "لبashi مردوك" لضاعت رقبتي في يم من الدماء، كنت أتوسل مردوك بأن لا يقترب مني، بأن يظل بعيداً، حاولت عقد اتفاق يجعلنا في منأى عن ايما شيء يضيقنا في المواجهة، لكنه كان يتملص، راغباً مثل كل الأرباب وأشاره الحقد والأكاذيب والاضغان، كان رأسى يمتلأ بأسئلة الخوف، ما فائدأ أرباب تجمعهم الاحداث على بنى الانسان وبيتهجون حين تحط المحنـة فوق رؤوس بنـي الأرض، ما الذي يمكن أن تقدمـه معارفـهم غير الفرقـة والقلقـ وحدـ الانتـماء، كان نهـاز بـابل يعـج بـفوـضـى الاختـيـارات وـصـرـاعـ المـصالـحـ، صـراعـاتـ يـغـذـيـهاـ حـقـدـ دـفـينـ بينـ الـوـجـودـاتـ العـفـنةـ والتـيـ لاـ تـهـدـأـ بـغـيرـ مـرـآـيـ الدـمـ والتـوـسـلاتـ وـصـرـاخـ الأمـهـاـتـ الـمـلـكـومـاتـ الـقـلـوبـ، كانـ الـواـحـدـ مـنـهـ يـنـجـزـ مـقـهـقـهاـ وـهـوـ يـرـىـ زـوـجـةـ رـجـلـ ماـ تـلـوـدـ فـيـ فـراـشـ حـزـنـهاـ ، غـرـبـيـةـ تـبـحـثـ عـنـ جـذـوةـ نـارـ تـدـفـعـ لـيلـ آـمـالـهـ الـآـفـلـةـ، تـبـكـيـ لـصـمـتـ فـتـرـادـ الـقـهـقـهـاتـ، تـغـطـيـ رـأـسـهـ بـغـطـاءـ اـضـطـرابـهـ، فـتـمـتـ يـدـهـ الـبـلـاءـ مـمـسـدـةـ شـيـطـانـ رـذـيلـهـ، عـازـفـاـ عـلـىـ قـيـثـارـ الشـهـوـاتـ ، تـتـحـولـ الـأـنـشـىـ إـلـىـ انـهـادـ، وـالـرـبـ إـلـىـ قـوـادـ يـقـوـدـ بـغـيـةـ إـلـىـ حـيـثـ تـنـفـضـ رـيشـ عـفـتهاـ وـطـاهـرـةـ اـنـوـثـتـهاـ الـبـارـقـةـ ، تـطمـئـنـ دـوـاـخـلـهـ وـهـوـ يـرـاـهـ تـلـهـتـ وـرـاءـ سـرـابـ الاـشـهـاءـ ، وـالـتـأـوـهـ وـالـحـزـنـ، تـمـتـلـأـ اوـدـاجـهـ فـخـراـ وـهـوـ يـرـىـ انـاثـ الـحـرـوبـ يـبـعـنـ اـنـفـسـهـنـ مـثـلـ سـلـعـ تـافـهـةـ

عنيقةِ، ما الذي أوصلَ الحبَّ إلى دركِ الرذيلةِ غير هولاءِ الأربابِ  
المتناقضِي الرغباتِ المجانينِ في إيذاءِ بنى الأرضِ، كنُتْ أراهُ وهو  
يرمي إلى شباكِ رغباتِه المدسوسةِ بسهمِ الإرادةِ، كانَ مردوكُ رياً  
خائباً لا يحبُّ التطلعاتِ التي تعاكسُ ارادته العظيمةَ، كانَ ثمَّ في قلبيِ  
أحلامٍ ومسراتٍ وحقائقٍ، كنُتْ أريدهُ لها استمراً وتأثيراً في عمقِ  
وجوديِ العامِ، لكنَّها كانتْ دوماً تصطدمُ بجبارٍ من المخاوفِ  
والعذاباتِ، فأكَّرَ السيرَ باتجاهِ وحدتيِ توغلُ في أسنةِ الاستنكارِ  
والتطلعِ في الوجوهِ الممسوحةِ بالتعجبِ والاهتزازِ، ليسَ ما يدعُ  
للاستقرارِ، ليسَ ما يدعُ للأمانِ، ليسَ ما يدعُ لمصادقةِ مزاميرِ  
الفرحِ وطبولِ المسراتِ، ثمةً عتمةً تسربُ كلَّ ما تلوحُه يدُ وتحلمُ بهِ  
جمجمةً، عتمةً تمطرُ فوقَ الهماماتِ غرابةً واستنكاراً فتحيلُها إلى  
ارданِ تتقىحُ صديداً يدمُرُ الأرواحَ، تظلُّ وحدتي مربوطةً إلى رهافةِ  
أملِي، وأظلُّ مربوطاً إلى عيني سنِ المتوجهتينِ مثلَ موقدِ نارِ، ثمَّ  
جمِّرُ يشيعُ في أعماقي أماناً وطمأنينةً وهدوءاً، فتبداً أيامِ بولوجِ رقمِ  
الطينِ محاولاً فضَّ طاسِمَ البوحِ التي تلهمنَا بها الحكاياتِ، كنُتْ  
أسافرُ طويلاً في دسمِ التراتيلِ التي حملتها القدرُ من وحشةِ سومرِ  
واوروكِ إلى ضجيجِ بابلِ وألاعيبها التي لا أجدُ لها مستقراً، تأخذني  
السنواتُ إلى وردِ الألسنِ اللاهجةِ بمجيدِ أرضِ السوادِ والنهرِينِ  
المقدسينِ فتنفيسُ مدامعي وتسكنُ روحي مسؤولةً بمطرِ المباخرِ التي  
أراها تعجُّ فجأةً بتراتيلِ الاستحسانِ، ثمةً معنى لوجودي بينِ اركانِ  
معبدِ مردوكِ، ولكنَّ إلى متى يمكنَ لهذا الوجودِ أنْ يستمرَّ، كانَ

السؤال يأكل أعصاب جسي، فأقرب النهارات بحذري وعزلة ، رغم احساسي بأن الخلاص الذي أريد لا يمكن أن يكون خلاصاً فردياً لابد لأحلامي من موزاره وسدّ أزرِ، وتربة تجدد بذارها ليكون جني الثمر جاهزاً بعد حين، كيف يمكن تمام المسارك والدروب ترفل بظلام دامس والخطوات تتعرّض في سيرها، وحدى كانت الدروب تجرّبي بعيداً ملقياً بي إلى قلب الظلمة والانتصار، ليس غير مسار واحد والاختيارات جمة، والصعوبة ترى ما لا يراه غيرك، تحدق خطواتي بطرقات الآجر الموصولة إلى بوابة الشط الأقدس بين الأنهر، وتنمو في عمق روحي تحديات تورق نوراً، أراه جالساً بين يدي النهر وثم خيوط من الأسئلة تمتد إلى عمق اللجة، لحظة يبصر وجهي في سطح الماء يهش واقفاً آخذاً بجسي إلى حضنه البارد كالثلج، يهمس في اذني بصوت وديع يشبه غناء فتاة عاشقة:

- وأخيراً جئت إليها الكاهن الذي لا يرى غير نفسه!!
- ما كنت لأجيء لولا ما أراده سن !!
- هو الاختيار البعيد إليها الكاهن الذي يريد أن يكون ملكاً !!
- ليس في رأسي إليها السيد غير أحالم توحد الجسد المقطوع الأوصال
- وهذا ما جعلني أنتظر أوبتك
- تنتظرني أنا ؟ !!

- نعم.. مثلاً حدثكَ سن زمن خلوتكِ... حدثي وأمرني بأن انتظر نبونيد كاهن معبد مردوك الغاضب عل فعل الرب المجبول على الحقيقة !!
- أراك تعرفني يا ابن بابل الطيبة !!
- كلانا ابنا الأرض لابد وان تمنح عقولنا العفة !!
- أوثق اننا نصل الى ما نريد؟
- لو لم أكن واثقاً ما أطلت الانتظار... ثقتي أجل أن يقال عنها رغبة جامحة
- الآن أحس في نفسي اطمئناناً ومحبةً وحبوراً
- الآن تبدأ المسألة... الآن نبدأ الميسير... فهل أنت على استعداد لمواصلة الخطوط نبونيد ؟
- ليس قبل ان أعرف من أنت ومن تكون ؟
- ليس مهماً ما تريده معرفته ايها الكاهن
- بل في غاية الأهمية... لن تثق روحي بشيء لا تعرف ما هو ... وما ينبغي وأي الوسائل يسلك ؟
- أسئلة صعبة .. لن أجيب عليها
- اذن .. لابد أن نفترق
- أو عازم أنت عل ما تريده ؟
- لن أعيش عمري بصيراً لا يرى غير ظلمة نفسه
- يا لك من انسان نبونيد... يا لك من انسان
- هكذا عودتني وحدتي ايها السيد الذي اختاره سن لي صديقاً

- ليس صديقاً بل صاحبٌ ورفيقٌ هدفٌ
- الفاظُ ليس لها غيرُ معنى الودِ والانسجامِ
- هكذا تشعرُ أنت.. إن كانت ذات دلالةٍ واحدةٍ فلا أرى ثمة ضرورةٍ  
لوجودِها في جوفِ السنّةِ
- أو لا تقل لي من أنت... قبلَ أن أغادر
- دائماً نبونيد ... دائماً تريـد سبـر تموز ما ترى؟
- تلك هي مهنتي ، وهذا هو هدفي ... في الرأس شيءٌ يكبرُ معـي كلَّ يومٍ ... أحـسـه بـرـغـم ذـاـكـرـتـي وـيرـدـ كـلـ الأـشـيـاءـ التي لا ضـرـورـةـ لها .. شيءٌ واحدٌ نـامـ في سـترـ أـعـماـقـيـ !!
- ما هو ايها الكاهنُ الذي نـامـ في أعـماـقـكـ ولا تـرـيـدـ الإـاعـلـانـ عـنـهـ ؟
- لن أبوح بشيءٍ لـرـجـلـ لا أـعـرـفـ منـ هوـ !!
- حسناً... لقد أوصلتـي إلى حـافـةـ الاختيارـ... ولا أحدـ بـقـادـرـ علىـ عـصـيـانـ رـغـباتـ الأـقـدـسـ سنـ !!
- ليس في معرفـةـ الرـفـقةـ غيرـ اطمـئـنانـ الفـوـادـ !!
- بلـىـ.. بلـىـ نـبـونـيدـ... بينـ جـرـفـ الشـطـ هـذـاـ... وـذـاكـ الجـرـفـ أـكـثـرـ منـ وـشـيـحةـ... وهـيـ بـيـنـيـ وـبـيـنـكـ بـهـذـاـ أوـ أـكـثـرـ... أوـ ماـ سـمعـتـ "ـسـنـ مـاغـرـضـ"ـ؟ـ
- ومنـ ذـاـ لاـ يـسـمـعـ بـحـكـيمـ أـرـضـ السـوـادـ !!
- أوـ ماـ وـصـفـتـهـ لـيـ !!

- عجوزٌ.. كهلٌ، أكلَتِ السنوَاتِ عسلَ عمرِهِ وأعْطَتْهُ وافرًا منِ الحكمةِ  
والجاهِ!
- ولم ترَهُ عجوزًا؟
- هذَا هيِ الحكمةُ لا تجيءُ لشَابٍ أبداً!!
- الوهمُ.. الوهمُ يبعُدُ العقولَ عنِ قولِ الحقيقةِ!!
- كيَفَ وَأَنَا الْعَارِفُ بِمَا كَانَ!!
- لَنْ تَعْرِفَ بَعْدُ.. لَنْ تَعْرِفَ بَعْدُ أَنَّ الْحَكْمَةَ قَدْ تَجَدَّدَ الْعُقْلَ وَعِنْدَهَا  
يَعُودُ الْجَسْدُ فَتِيًّا قَادِرًا عَلَىِ الْاسْتِمْرَارِ!!
- صَعُبٌ عَلَيَّ تَصْدِيقُ مَا لَا أَعْرِفُ وَلَا أَرَىُ !!
- وَإِنْ رَأَيْتَ وَعْرَفْتَ نَبُونِيدَ؟
- عِنْدَهَا لَابَدَ لِلْحَالِ أَنْ يَتَغَيَّرَ
- أَنَا هُوَ "سَنْ مَا غَرَضَ" إِيَاهَا الْكَاهْنُ نَبُونِيدَ !!
- طَفَرَتْ رُوحِي محاولةً الْهَرُوبِ عَبْرَ الدُّرُوبِ الَّتِي بَدَتْ لِي فَارِغَةً  
لَحْظَتِهِ، انْجَبَتْ أَنْفَاسِي وَطَارَتْ مَعَارِفُ رَأْسِي مُثِلَّ غَرِيَانِ مَنْذُرَةً  
بِشَوْئِمَ، تَهَالَكَ الْجَسْدُ الَّذِي أَحْمَلُ وَغَدَا مُثِلَّ خَرْقَةً بِالْيَهِ، حَاوَلَتْ لَمْمَةً  
وَصَالِبَهَا لَكَنَّ الْحَكِيمَ مَدَ قَوَاهُ فَاسْتَقَامَ جَسْدِي نَافِضاً غَبَارَ الصَّدَمَةِ،  
فَتَقَرَّ مَا تَجاوزَ الْحَلْمَ بَعْدُ، ثُمَّ عَيْنَانِ مَتَوَهِجَتَانِ، وَوَجْهٌ يَشْعُرُ بِأَلْقِ  
غَرِيبٍ، وَابْتِسَامَةً لَنْ تَفَارَقَ شَفَتِيهِ مِنْذُ أَنْ وَطَتْ طَفُولَتُهُ الْأَرْضَ،  
دارَتْ فِي رَأْسِي أَسْئَلَةً جَمَّةً، رِيمَا كَانَ "سَنْ مَا غَرَضَ" بِهِيَنَتِهِ هُوَ سَنْ  
نَفْسُهُ، الرَّبُّ الْقَادِرُ عَلَىِ تَشْكِيلِ ذَاتِهِ تَشْكِيلًا أَبْدِيًّا، امْتِحَانٌ صَعُبٌ هَذَا

- الذى وضعنى عندَ الربِّ الموشى بالفضةِ والانبهارِ، حدثُ فى العينينِ ملياً، تراجعتُ أوهامي وفرعي واضطرابي وسكنَت روحي وسطَ غابةٍ من المباحثِ الدفينةِ، قالَ وهو يغوصُ فى سرِّ انتقامي إليهِ
- نبونيد، لا تنسى ان للحكمةِ أسرارها !!
  - أيُّ اسرارٍ هذهِ التي تجعلُ الربَّ يهبطُ ليكونَ حكيمًا ؟
  - عماذا يتحدثُ نبونيد ؟
  - أوَ لا يعرفُ الربُّ عماذا يتحدثُ ؟
  - أوَ لم أقل لكَ عليكَ الابتعادُ عن شذى الوهم... ليسَ كلُّ ما تتصورُه العقولُ حقيقةً... ثمَّ أشياءٍ لن تصلَ إلى عمقِ ديمومتها أبداً، أشياءٌ ننظرُها كلَّ يومٍ دونَ ان نكتشفَ سرَّ هذا الاستمرارِ، أوَ لا تحثى عن سرِّ استمرارِ الفراتِ بهذهِ الشاكلةِ، لمْ ينحدرْ صوبَ سومر دونَ سواها.. لمْ لا يغيرُ أمرهُ ؟
  - هذا ما لا يعرفهُ أحدٌ !!
  - أوَ رأيتَ دوماً تظلُّ معارفنا قاصرةً ، أشياءٌ جُدُّ كثيرةٌ إنْ أوغلتَ في دربِ أسئلتها لن تجدَ لها جواباً !!
  - أوَ تريدُ اقناعي بما لا أعتقدُ ؟
  - ليسَ هذا ما أريدُ... إذا ما فرنا المسيرَ صوبَ ما أرادهُ سن وأردناهُ فما علينا إلا أن نطردَ الوهمَ ... الوهمُ مرضٌ يقتلُ صدقَ أحلامِ الراغبينَ يجعلها حقيقةً أرضيةً !!
  - أراكَ تعرفُ ما أبغى في عمقِ أحلامي !!

- نبنيد أيها الطيب... ثمَّة ما يكشفُ أسرارَ المرءِ... ضوءٌ يتوجهُ من بؤبؤِ العينِ وتلعمُ في رغبةِ اللسانِ وتعثرُ في اتصالِ فكِّه... وسهوُم يقلقُ الناظرَ فيجعلُه يتبعُ خطواتِ ناظره... وتحقيقُ في فراغِ الوجهِ... كواشفٌ لا يعرفُها إلا من خبرِ الأيامِ وتعزفُ على أسرارِ أعماقها !!

- ملمح آخر... ودرَبَ تحفةِ الكلماتِ هذا الذي تنيرهُ أمامِ باصري !! نظرُ إلى وجهي محاولاً الغورَ في ما رسمَ في عيني، وكأنَّ ثمَّةَ إضطراباً وخوفاً يملأَنِ روحي، جلستُ إليه دونَ حراكٍ، فرفعَ رأسه ناظراً إلى هيئتي المتحفزةِ التي جعلتني أشعرُ بالذنبِ، كانَ "سن ماغرض" يتکأُ إلى عالمِ من التعاساتِ والبؤسِ، فجأةً تلاشتُ أفكارِ وسيطرَ علىَ ظنِّ غريبٍ، ربما كانَ سن يدفعنا إلى هوةِ النهايةِ، ليستلذَ بعذابِنا مثلاً هم الأربابِ، رحتُ أتعثرُ في سكونِ شكلِه متلمساً ملامحَ أساهُ، قالَ:

- نبنيد، لا تنتصِ إلى غيرِ كلماتِ العامِ !!

- لكنِّي أرى في الخاصِ خلاصاً !!

- اسمع مني أيُّها الكاهنُ... أولُ الخطوطِ باتجاهِ العرشِ هو أن تخلصَ من وحدةِ نفسِك... أنتَ جمعٌ يرى جمعاً... كيفَ تريُّد لبابِ ان تلمَّ أسلاءِها وأنْتَ تسعى إلى نفسِكَ بنفسِكِ... !!!

- لكنِّي أريدُ معنى لوحدي يجعلني أغورُ في أعماقِ الجمعِ

- لغةُ الكهنةِ أبداً لا تشبهُ لغةَ الملوكِ... لكلِّ منها طريقٌ يسألُ ولسانٌ يقولُ !!

- وصعب أن أترك لسان الكهنة منذ الآن!!
- أرى إنك تردد هذه الكلمة كثيراً نبونيد... صعب... واترك... كيف يمكن لملك يقرر ويشاء مadam لا يستقر على فكرة تعزز أمانيه!!
- ما زال الكاهن الذي في أعماقي منتصراً!!
- اختر بينهما أيهما الحائز بين العرش وترتيب الأكاذيب!!
- ما أنا الذي أختار " سن ماغرض" بل هي ريبة الأقدار!!
- كيف تقول هذا يا من تغسل أيامه وحدة الاضطراب... لا دخل للقدر بشيء... هو المصير الذي يجعل مني حكيمًا ومنك ملكاً ومن الآخر مجرد عبد يؤدي واجب الطاعة!!
- كيف هذا... كيف هذا ايها الحكيم؟
- أو أخترت لنفسك أحلامك؟؟!!
- لا!!!
- أو أخترت لك أحلامك؟؟!!
- لا أدرى ان كانت الأحلام تخاف حاليها
- وادن ايها السائل درب العرش... كل منا رسمت له الألوان مصيره قبل أن يجيء ، كان سيداً .. كان عبداً... وكانت أمة... كان يشرب الشر... وكان حكيمًا يرى بعين الأرباب ... وكانت بغياً لا نرى في جسدها غير سلعة ثياب وثشتري !!
- احسست بشيء من الفرح يتسلل جسدي ، فشمه من كان ينصت في داخلي صوت تلك الكلمات التي تلمست خوف روحي وأدركَت فيض روحي وأساي ، رحث أرقب النهر طويلاً ومن خلالي

أبصرت سنابك خيولي وهي تدرك معناها، كانت بابل تحمي تفاصيل وجهها وتقهقها متفاخرة فاهمةً احساس بديها، توقفت خطواتي وعنده بوابةٍ معدٍ مرسوكةً ابصرتها تقفُ دموع الخوف تتقاطر من عينيها، قطارات شذريةٌ تنزلقُ فوقَ خدين مرمررين، أبصرت يأسها يكفل وحدتي ويسحبُ حلمي الى عالم من الانهيار، كان ثمةً ما يجعلها شبيهةً بي، مظهر عاجزٌ وغيابٌ في امتحان الوعي والتصاقٍ في مجاهيل المعابد التي ما عادت تقدم غير غبار الاستجداء، أو مأت برأسها وهي تنظر اليَّ، ثم فتحت فمهما ... فتقدمت مشدوداً الى حبل محبتها، قالت:

- لم تركتنِي أنتظركَ كلَّ هذا الوقتِ نبونيد ؟
- تنتظرينَ... من ؟

امتلأت وجنتها بالدموع، وتطاير شعرها الذي يشبه الحناء مدواماً في فضاءِ المعبدِ، كانت تنسج مثل امرأة عانسٍ أمسكت بيدها فتراجعت ساحبةً جسدِها المفتول مثل المغزل الى الخلف، كانت مغمورةً بسحبٍ من الانتظارات المبللة باحساسِ السعادة، مدَّت يدها معرضةً طرقي، وهي تقولُ:

- أو لست أنت نبونيد ؟

تررقق الفرح بين ضفافِ عينيها، فأحسست بشيءٍ من الهدوء بدأ يشعُّ داخلي، كنت أسعى معه الى الانفجار في ضحكٍ وصرخٍ، كانت تبدو أمام حضوري مثل قطةٍ تتخطى محاولةَ البحث عن خلاصٍ، قطةٌ ناعمةٌ، صغيرةٌ، دافئةٌ، تمُّ بهدوءٍ بحثاً عن يأوي وحدها

وينزلُ الرعبُ الذي حفرَ عميقاً في سراديبِ انسانيتها، بثباتٍ خطأ  
واياديَ إلى عمقِ العتمةِ، وثم ابتسامةٌ بدأَت ترفرفُ فوقَ محياتها،  
ابتسامةٌ أضاءَت الدربَ وايقظَت في وحديٍ وحشَ الانتماءِ، منذُ كم  
من السنواتِ وأنا أفارقُ هذا العالمَ الغريبَ وما الذي جعلَ مثلَ هذهِ  
الأنثى تجيءُ إلى لحظةٍ قرارِ البدءِ، أو تراهُ سنَ ثانيةٍ يضعُ أمامي  
اختياراً آخرَا، بالجزءِ الذي كادَ نسيانهُ، كانَ الاحسانُ بالحبِّ ينموُ  
مثلَ وردِ البساتينِ، احساسٌ لذيدٌ أهاجَ اعصابيِّ، فبدأت مفاصلُ  
جسدي تفرقعُ، جفلت المرأةُ وفركت كفيها، وبفترةٍ انطفأت شعاعاتُ  
الابتسامِ، وغدت فسحةُ المعبدِ تشغِّل بصمتٍ مطبقٍ يشبهُ ساعةً مجيئَ  
سنِّ، أو يريدُ هذا الربُّ السخيُّ تبديلاً وحدَتِي ونثرها في رياحِ  
النسيانِ، ومن تكونُ هذهِ المرأةُ التي تمتلأُ ثقَّةً بالنفسِ، ثانيةً برقَ  
المكانُ بضوءِ أخذِي... ابتسمتَ لي، وقالَت لي... فاحسستُ أنَّ العالمَ  
بأسرهِ اندمجَ فيَ:

- ما لكَ ساهمَ ايها المجلُّ نبونيد... أرى الحيرةَ تلفُّ رأسكَ... من  
ذا يصدقُ إنَّ الملوكَ أسرى حيرتهم؟
  - من أنتِ ايتها المرأةُ؟
  - سؤالُكَ لا يحددُ حتى انليلِ المجلِ!!
  - لا تتلاعبي في الإجابةِ يا أنتِ !!
  - اتلاءُبُ أمَّاْنَ المَلَكِ... أوَّهذا جائزٌ يا سيدِي ؟
- نظرتُ إلى هذا المخلوقِ الذي بدا أمامي هشاً... مثلَ رملِ،  
كنتُ مبهوراً بفمهَا الطفوليِّ الذي يفترُ عن ابتسامةِ أخذِي، وجاهَ

متورّدٌ وعينانِ ناعستانِ، ثمَ ضوءٌ أبيضٌ يسُيخُ فوقَ مساحةِ الخدينِ، حاولتُ التأكُّدُ من حضورِها، فكثيراً ما كانَ الوهمُ يلاحقُ وحداتي باللاعبِ غريبةٍ، حدقتُ كثيراً في الوجهِ فتحاشتِ النظرَ إلى عيني، تورّدَ خداها واضيءَ دربُ حضوري، فجأةً اكتشفتُ ان ثمةَ ما يريطني إليها، كانَ وجهُها يمُرُّ قريباً من عمقِ ذاكرتي، انتصبَتْ أمي أمامَ باصري وهي تومئُ لي بالذهابِ إلى حيثُ كانتْ تقيمُ، كانَ عالمُ " الرجال " ينكشفُ أمامي فأراها راغبةً باحتضاني... امتداداتُ أحلامي محدقةٌ في سيخِ الانبهارِ الذي لطمَ عيني، فضاءً لازوردي وضوءٌ متوجّحٌ وثمَ صخبٌ مستمرٌ لأصواتٍ تزرعُ الهدوءَ في أعماقِ النفسِ، حاولتُ اجتيازَ لحظةَ غربتي والوصولَ إلى حيثُ كانتْ، لكنَ الغيومَ غطّتْ مساحةَ الانتظارِ، ورويداً سقطتْ قطراتٌ مطرٌ انزلقتْ فوقَ الجسدِ الذي كانَ ينظرني بهدوءٍ، امتلأتْ عيني قلقاً وأنا أراها تمرُّ مجتازةً هليعي، واضعةً ظهرها باتجاهِ المحرابِ، لم يكنَ ثمةَ مجالٌ للتقاطِ تلكِ الأحلامِ التي بدأتْ تفيضُ مثلَ نهرٍ، رميَتْ نفسيَ إلى الجدارِ فأنسدَ ظهري بودٌ، مانحاً ذاكرتي بعضَ الضوءِ، ليسَ في افقٍ وجودُها غيرُ امرأةٍ غيرتها الأيامُ منذُ زمنٍ طويلٍ فمنَ أينَ جاءتْ الثانيةُ، وكيفَ استطاعَ هذا الشبهُ الغريبُ أن يجمعَ بينهما، قالتَ:

- أَوْ ما زالتَ روحُ الملكِ تسْبِخُ في بحرِ اضطرابِها؟

هرولتَ روحي بـكاملِ انسها صوبَ نغمِ صوتها الذي جثمَ مثلَ وجعٍ فوقَ سطحِ انفاسي، كانتْ تقترُبُ مني محفوفةً بأصواتِ الترحيبِ، ثوبٌ أبيضٌ وقاعةٌ ملكيةٌ منتصبةٌ، شبكتَ يدها إلى ثدييها،

فبدت أمامي رقيقةً مثل ورقه زعتر، تغلقت روحه في أعماقِ الرويا  
محاولةً الاستقرار بين حطاماتِ الاستذكار، وقالت:

- أو لا يكُنْ المَلَكُ عن الابتعاد؟

أغمضت عيني بقوّةٍ محاولاً طرد شبح الوهم الذي سيطر علىَ ،  
كانت وحدي تصطدم بوجودها الوامض مثل برق الرعد، وجود  
مزدان بهيئةٍ ترسل نداوةً وبقع ضوءٍ شديدة السطوع، لامست نفسي  
حقيقةً تكوينها الانساني فطالعت حضورها البال في دواخلي انفعالاتٍ  
نفسية احسست معها بسعادةٍ ، قالت بضرجٍ:

- أَعْجَزْتَكَ الْمَوْاجِهَةُ إِيَّاهَا الْكَاهِنُ؟

احنيت رأسي مرسلًا تنهداً، وبهدوءٍ تناولت يديها التي استقرت  
بين كفي باردةً، ببطءٍ رفعت رأسها إلى قائلةً بصوتٍ يغلب عليه  
الخضوع:

- أو بَيْنَ الْمَلَكِ وَسَنَ ثَمَ جَفَاءُ؟

قلت مرتباً: لولا ما عشت وحدي كلها!!

أومأت برأسها ونظرتني نظراتٍ طويلةً أشاعت في أعماقي نوعاً  
من الرضا والاطمئنان، سحبَت يدها واصعدةً رأسها إلى برودة  
المحراب، فخطوت نحوها وثُمَّ سمات من الألم تسيل فوق وجهي،  
كانت بالنسبة لي عالماً أجهل وأخافُ، وكنت بالنسبة لها مازقاً تحاولُ  
الخلاص منه بأي ثمن، قلت:

- ما الذي جاء بكِ إِيَّاهَا؟

- محنَّةُ اسْتِلَةِ الرَّاسِ إِيَّاهَا الْمَبْجلُ!!

- أو في رأسك أسئلة تحيرها الإجابات؟
- نعم!!
- غريب هذا ... انتى تحمل كل هذا الجمال والضوء تسربيل رأسها بخراب الأسئلة!!
- أو يختلف السؤال بين انتى وذكر؟
- لا أقصد هذا ...
- ماذا اذن أيها الكاهن الملك؟
- الأسئلة الصعبة تدمر بهاء الجمال ... وتزهق روح الاسترخاء ...  
ولا أظن ان انتى لها كل هذه الفتنة وهذا الألق تריד تدمير عظمتها تحت وابل لا وجود له!!
- السؤال حقيقة دائمة الحضور!!
- في رأسِ اتعبه الترقب ايُّها الْأَنْثى!!
- في رأسِ اتعبه الترقب ... نعم ... مثلما لك موعدٌ مع سن،  
وحوار ... كان لي مثل هذا الحوار ... لحظةً، أراه يمُر بعريته الإلهية  
المفضضة، يمتلاً رأسي بالاستغراب، ولا بد غير أن أقف في طريقه  
نافضةً جوابَ أسئلتي عند أقدامِ الريوبية ... أسئلةً كنتُ أظنُّها عصيةً  
على الإجابة، لكنه كان يزيل غبارِ البوج فتظهرُ نارُ الجواب ساطعةً  
مثل وجه الماء!!
- وايُّ أسئلة تلك التي يحملها هذا الرأسُ الذي يشبه زهرة القرنفل؟!!
- هي ذاتُ الأسئلة التي يحملها الرأسُ الذي يشبه حدَّ السيف!!

- مَاذَا يَا امْرَأَةَ ... أَوْ تَحْلِمِينَ بِذَاتِ حَلْمِي ؟
- وَلَمْ لَا ... وَالْحَضُورُ وَاحِدٌ ... تَسْكُنْ وَهَذِهِ ، وَاسْكُنْ رَضَايِ ..  
وَسَاعِةً أَخْبَرْتِي سَنْ بَأْنَ شَمَةَ مَنْ يَحْلُمُ ذَاتَ الْأَحْلَامِ رَجُوْنَهُ بِاعْلَانِ  
مَنْ يَكُونُ ... وَهَا أَنَا ذَا مَنْذُوجَوْدَكَ إِيْهَا الْمَبْجُولُ نَبُونِي !!
- اذن هو سَنَ الذِّي دَبَرَ كُلَّ شَيْءٍ ؟
- هو سَنَ الذِّي أَهْدَى الطَّرِيقَ الذِّي يَجِبُ ان نَسْلِكَ !!
- أَوْ تَعْرِفِينَ سَرَّ القَوْلِ إِيْثَاهَا الفَاحِهُ بِشَذَا الْوَرْدِ ؟
- مَا كُنْتُ أَجِيءُ لَوْلَا تَلَكَ الْمَعْرِفَةِ
- لَكَنْهُ دَرْبٌ صَعِبٌ ... مَسِيرَةٌ وَجْلَةٌ !!
- مَا دَمْنَا مَعًا ... وَمَبَارِكَهُ سَنْ لَابَدَ وَان نَصْلَ !!
- أَوْ لَدِيكَ الْقَدْرَةُ عَلَى الْوَقْوَفِ طَوِيلًا ؟
- مَهْمَا كَانَ الْفَعْلُ لَابَدَ مِنْ غَايَةٍ تَجَدُّدُ اسْتِمْرَارِهِ !!
- يَا لَهَا مِنْ مَفَاجِأَةٍ.. مَا كُنْتُ ادْرِي ان يَمْكُنْ لَبَابَلَ أَنْ تَحْوِيَ كُلَّ  
هُوَلَاءِ الْحَالَمِينَ !!
- وَسْتَجِدُ الْكَثِيرُ مِنْ يَعْرِفُ مَا يَرِيدُ نَبُونِي ... لَيْسَ سَرًا مَا تَحْلُمُ  
بِهِ ... بَلْ هُوَ حَلْمٌ يَرَاوِدُ كُلَّ الرَّوْقَسِ التِّي تَكَرُّهُ بِقَاءَ بَابَلَ بَعِيدَةً عَنِ  
أَجْزَاءِ الْجَسَدِ الْمُتَرَاخِي !!
- سَنِ إِيْهَا الرَّبُّ الْأَمْجَدُ ، المَضِيُّ فِي عَتْمَةِ اللَّيْلِ... هَلَا مَنْحَتِنِي  
اِرَادَةً أَقْوَى... وَصُوتًا أَشَدَّ ؟
- كَانَ قَدْ أَعْطَاكَ هَذَا مَنْذُ زَمِنِ طَوِيلِ إِيْهَا الْمَلَكُ !!

- ليس دائماً نعرفُ ما في أعماقنا ايّها الجميلة!!...  
مالونيد... هذا هو أسمى ايّها الملك!!
- مالونيد... اسم لم أسمع به من قبل!!  
وها أنت تسمع به ... وتنتقم من وجوده!!
- مالونيد... كيف ستكون البداية ولنيل بابل طويلاً ؟
- منذ زمنٍ بدأَت البداية ايّها المبارك نبونيد...وها نحن نواصل المسير!!
- أو تسمين هذا بداية ايّها المرأة ؟  
وكيف تريدها أن تكون؟
- البدايات يجب أن تكون بحجم ما نفكّر به ... لكي تؤكّد حضورنا  
مالونيد!!
- بحجم ما نفكّر به... كاهنٌ وحكيمٌ وامرأة... دربٌ تؤسسه خطوات لا تتشابه قط!!
- ما عنيت هذا ... ما عنيت هذا مالونيد!!
- أيُّ ما يكون المعنى... الهدف هو الأجل والأسمى!!
- بوابة اختيارٍ أخرى ايّها المرأة!!
- لست بحاجة إلى اختيارٍ... لقد عرفَ سن كنهِ اعماقك!!
- أهو الذي دلَّ الدربَ اليكِ؟
- مثلُك أنا ايّها الملك... مثلُك أنا وفي عمقِ عيني بابل الموحدة...  
أرضُ السوادِ التي تجتمع تحت ظلٍ قضيةٍ واحدةٍ.. بابلُ الباحثةُ بين

كلَّ تلكَ الطرقِ عن معنى لوجودِها بمعزلٍ عن نفرٍ وكيشٍ ولتش،  
قلَّ لي ايها الكاهنُ ، مَنْ الْذِي يريدهُ أَنْ يكونَ ملكاً... مَا الْذِي يفعُلُهُ  
ملكٌ بلادَةً مجزأةً... كيفَ تقامُ عيناهُ وأرضاً عرشَهُ مأكولةً الاوصالِ...  
أيُّ معنى لوجودِهِ أصلًا .. الملوكُ وجودٌ لا مسمى؟

- وهذا ما كانَ يملأُ ججمتي مalonide!!

- وما كانَ يملأُ ججمةَ سنِ ماغرض... ويملاً الكثيَرَ من الجمامِ  
... أرضَ تسييرِ باتجاهِ واحدٍ ... هو أنتَ نبونيد... أنتَ الذي اخترَكَ  
سنَ لتكونَ في صُفِ المقدمةِ !!

- يا لَهُ من اختيارٍ... ويا لها من مهمَةٍ صعبَةٍ وشاقَةٍ... مَاذا لو  
اصطدمَتْ أحلامُنا بجدارِ الرفضِ، وكم من الدماءِ تحتاجُ مهمَةٌ  
كهذهِ... كانَ على سنِ ان يحسبَ لكلِ شيءٍ حسابَهُ !!

- أوَ تعتقدُ ان الأربابَ لا يحسبونَ لأمرٍ كهذا؟

- أخافُ أن تأخذَ الخطواتِ سعةً أكثرَ مما نريدهُ... رؤوسَ تذهبُ  
دونما فائدةً... وأحلامَ تموتُ قبلَ ايناعها عندها كيفَ يكونُ الحالُ  
مالونيد؟

- لمْ تضعُ الخسنانَ محلَ الحقيقةِ ايها الملكُ؟

- كفِ عن مناداتي بهذا اللقبِ ايتها المرأةُ... لا أريدُ ألقاباً ، وما  
جئتُ بأسألكي من أجلِ هذهِ المسمياتِ... في الرأسِ الذي ترينَ ثمَّ  
مئاتِ من الأحلامِ أولها هذا الذي كنا نتحدثُ عنهُ.. بعدها أريدُ لهذهِ  
الأرضِ أن تشتعلَ بالعلومِ والمعارفِ... كلُّ شيءٍ لهُ هدفٌ ومعنى...

أَبْطَلَ سِيَطَرَةً هُولَاءِ الْأَوْغَادِ الْكَهْنَةِ وَأَكْشَفَ زَيْفَ ادْعَائِهِمْ... أَغْيَرَ حَالَ الْأَرْضِ وَأَقْتَلَ شَبَحَ الْفَاقَةِ... لَا أَرِيدُ فِي بَابِ بَيْتَأَ يَنْقُلُ دُونَمَا زَادَ وَمَلَبِسٍ... لَا أَرِيدُ لِبَابِ حَزَنًا مِهْمَا كَانَ بِسِيطًا وَسَادِجًا... دَوَامَةً مِنَ الْمَهْرَجَانَاتِ وَالْأَفْرَاحِ... وَرَبُّ وَاحِدٍ هُوَ سَنُّ الذِّي يَرْعِي كُلَّ شَيْءٍ وَتَمْجُدُهُ الْأَلْسُنُ لَيْلَ نَهَارٍ... يَغَازِلُهُ الْعَشَاقُ وَنَدَامِي الْخَمَارَاتِ... وَيَلْهُجُ بِذِكْرِهِ شُعَرَاءُ بَابِ وَرَقَامَهَا، سَنُّ هُوَ الْأُولُّ عَنِّي، وَأَنْتَ تَعْرِفِينَ مَالَوْنِيدِ... كَمْ هُوَ صَعُبٌ أَنْ نَقْطِعَ النَّاسَ إِنْ لَا إِلَهَ غَيْرُ سَنُّ !!

- إِذَا مَا كُنْتَ جَالِسًا فَوْقَ عَرْشِكَ سَتَرِي إِنْ كُلَّ شَيْءٍ سَهْلٌ وَبِسِيطٌ... كُلَّ شَيْءٍ يَجْرِي كَمَا تَقْرُرُ وَتَرِيدُ، أَمَّا الْآنَ فَالصَّاعُوبَةُ ثُرَى... لَأَنَّ الْأَحَلَامَ كَثَاثٌ وَالْقَلْهَةُ هِيَ الَّتِي تَقْرُرُ !!

- لَقَدْ وَضَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ فِي حِسَابِهِ مَالَوْنِيدِ !!

- وَهَذَا يَجُبُ أَنْ يَكُونَ... لَكِ تَبْدَأُ بِخَطْوَةٍ .. عَلَيْكَ أَنْ تَقْرَرَ مَاذَا بَعْدَهَا... وَلَمْ هِيَ دُونَ سَوَاهَا !!

- وَهَذَا مَا أَفْعَلُ وَأَنَا فِي كَهْفِ وَحْدَتِي وَضَعْتُ لَكُلَّ شَيْءٍ اسْاسًا لِلْبَدْءِ وَبِدِيلِ وَجُودِهِ !!

- وَلَهُذَا كُنْتَ ابْنَ سَنُّ الذِّي أَخْتَارَهُ لِلأَصْعَبِ !!

- مَالَوْنِيدِ... أَرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكِ شَيْئًا بَعِيدًا عَمَّا نَتَحَدَّثُ عَنْهُ !!  
أَبْسَمَ الْوَجْهَ الَّذِي تَحْمُلُ بِهَدْوَهُ وَرِزَانَةً، وَرَاحَتْ تَخْتَلِسُ النَّظَرَ إِلَيَّ، مَحاوِلَةً الاقْتِرَابَ مِنْ عَمَقِ مَا أَرِيدُ، ثَمَّةَ احْسَاسٌ بِالسَّعَادَةِ بَدَأَ يَغْمُرُ رُوحِنَا ، احْسَاسٌ حَلُو المَذاقِ بِشَبَهِ شَيْئًا حَقِيقِيًّا أَغْلَتَهُ رُوحِي مِنْذُ زَمِنٍ طَوِيلٍ، تَظَاهَرَتْ بِتَفْحِصِ ارْكَانَ الْمَعْبُدِ وَتَظَاهَرَتْ بِمَرَاجِعِ

نفسي لكي أسهل لها سير غور الكلمات التي أريد قولها ، لا أريد  
ل بدايتني ان تكون حكاية خيالية تستقر في احضانها تفسيرات الأيام  
واجوبية الحياة القادمة ، كان ثمّة ظلام يغطي جسدينا ، ظلام يشبه  
رجالاً مخيفاً يتآبّطُ رقماً ، ثمَّ غضب شديد يسيطر على جمِعِ جسدهِ  
وَدَّت روحي لو ارتمت في حضن النوم ولو لدقائقِ راغبةً بمنع فرحِ  
الاختيار عن الانبعاثِ ، ثمَّ علاقَةٌ شديدةُ الانبهار ترعرعت بينَ  
وجودينا ، كم من الأيام مرَّ وأنا ساهِ لا أدرى انَّ في المسير خطواتٌ  
يجب أن ترافقَ خطواتي ، عالم لا أدرى كم كنت افكُر بأنَّ الجَهَ وحدي  
دونما نصير ، كنت واثقاً من اني قادرٌ على اجتيازِ بحورِ الصعوباتِ  
والوصول الى هدفِ المعنى دون مساعدةٍ من أحدٍ ، لم أكن أبدى  
اهتمامًا لشيءٍ ، وها أنا ذا أصبُ جام اهتمامي عندَ أولِ شيءٍ  
صادفةً ، واعجبني الاحتفاظُ بهِ ، جلسَت مالونيد مغطيةً عينيها كانت  
تعرفُ انَ الكلماتِ التي تنتظرُ هي التي تقرُّ تواصلُ تقاربنا في حضرةِ  
الاله سن ، أخذت يدها اليَّ فاستقامت واقفةً ، وبخطواتٍ تجنبت  
نظراتنا ، سرنا صوبَ الخارجِ ، كانت ساحةُ المعبِّد فارغةً تحبطُ وجودها  
عتمةً خرساءً لها لونُ الصمتِ ، للحظاتٍ ظلتُ أكفنا تحتفظُ ببعضها ،  
ومن بينَ عتمةِ الليل برزت عريّةُ سن الملكية ، هيئةُ أخاذةٍ محاطةٍ  
بغضّةٍ ثمَ ستارةٌ بيضاءٌ طويلةٌ تجلُّ حضورَ الرياني ، أشارَ بعصاهُ  
فتوقفَت الخيولُ محمّمةً وسيّلٌ من ذهبِ الاجسامِ يتتساقطُ عندَ  
حوالفها متلائماً ، كان سن يرتدي زرقةَ خفيفَةً ويحملُ بينَ يديهِ طاسةَ  
الوهيَّةِ التي ببارُك من خاللها من يريدهُ ، كانت أمي تبدي اهتماماً

غريبًا لمجيء سن، تجلس صيفاً عند باحة الحوش مزوجة نفستها  
بألوان عديدة، ولحظة تراه يشرق وجهها بنور الفرح، وتبدأ جدائها  
بالترافق فوق كتفيها، تنغمُ بتكشيرة سعيدة، ناظرةٌ نحو ناحية البابِ  
الذى يجىء منه أبي، تدور الأرض وأستمع بهدوء إلى توسّلات المرأةِ  
التي كانت قبل هنีهة حبيبة سن، وأمي تتقدّل المشاعر، وتصهلَ  
خيول أبي التعبة، ولحظة يصعد سن عربته تبدو باحة الدار مثل قبرٍ  
شديد الاعتمام مليء بالصور التي لا أحد لوجوده مبرراً، أحawlَ  
تفحص بعضها فلا أحد غير مدين تنهّم وصرخ ولوّعه وانهار...  
انهار من دم وجماجم، أغمض عيني واستمع إلى صوت أمي وهي  
تكرر ضاحكةً والى خيول أبي وهي تنهّر تعبة متولدة الصمت ،  
والى عربة سن وهي تغادر مجلجةً مانحة الليل ستراً من السوادِ  
الشديد الوضوح، ابصرتني المرأة - التي أحب - وأنا أغوص في بحرِ  
الاستذكار، فلاذت هي الأخرى في بحار لا أدرى كيف تكون، طائرٌ  
استقر فوق رأسينا، طائرٌ له لون الفضة ونقاء الحليب، رفعت رأسي  
فاصطدمت بحجر عينيها المغسولتين بكم العتمة، كان الابتسام  
يسقط على كامل وجهها واضعاً ايها في طبقه من الاختيارات، كنت  
أجز نفسي إلى اختيارِ صعب، لكنه بالنسبة لي وجود يقرُّ استمراري،  
رفعت عيني صوب سن الذي كان لحظتَه يتقدّم بتسماً وهو يشيرُ  
إلى طاسته المباركة، هزّت رأسي شاعراً ان قشعريرةً مرّة تهدمُ  
اطرافي وامتلأت عيناي بالدموع، من يعلم غير سن كيف يكونُ  
الاختيار، أحسست روحي ان استمراري بالموكب وحيداً، أمر صعب غير

مرغوبٍ فيهِ وبحاجةٍ الى قطعٍ، عبّت المرأةُ بأصابعها آكلةً دقائقَ الانتظارِ، حاولتُ الغورَ في عمقِ ما تفكُّر بهِ فاصطدمَ رأسي بوهمِ المطالبِ، قالت بفرحٍ مَنْ وجدَ نفْسَهُ فجأةً بينَ يديِّ منْ يحبُ:

- هـ هو سن يقدم !!

هززتُ رأسي مومنٍ، ورفعتُ عيني محاولاً الولوجَ الى قلبِ الرَّبِّ الذي بدا مثلَ كتلةٍ صخِرٍ يضيءُ وجودُهُ بصمتٍ أربعَ وجودي، أخذتُ يديِّ مالوبيدَ الى صدري وبهمسِ العارفِ قلتُ بصوتٍ تعمدُهُ رقيقاً مثلَ ندى الصباحِ:

- مالونيد، اختاركِ نبونيد ملكةً لنفسِهِ، فماذا تقولين ، ،؟

سحبَت يدهَا بهدوءٍ، وظلَّت للحظاتِ تحدقُ في استدارَةِ سنِ التي ما لبَثت ان اتسعَت مباركةً اختياري، ابتسَمت مالونيد ابتسامةً عريضةً، احسستُ من خلالِها ببعضِ الانتصارِ وبعضِ الواقعَةِ وبعضِ الرضا، كانَ ثمةً صمتٌ عميقٌ يقفُ بينَ نفسينا، صمتٌ يغسلُ ادراकنا ثمَّ يمضي بأسرعِ ما يستطيعُ ليترميَّ بينَ احضانِ سنِ ، قلتُ محاولاً جمعَ شتاتِ قلبيِّ الذي بدأ يرتجفُ خوفَ الرفضِ :

- ما الذي تقولُ مالونيد .. فيما قلتُ؟

أغمضت عينيها وارتجمَ الجسدُ الذي تحملُ، وشعَّ سن من خلالِ وجودِهِ محاولاً السيطرةَ على لحظاتِ آمالِنا، كانت مالونيد تهمُّ لنفسِها بأشياءٍ لا يمكنُ ان يعيها أحدٌ، ربما كانت تخطابُ سنِ مستشيرةً ايادِهِ، ربما كانت تخطابُ نفسها القلقَة، ربما كانت تسترجعُ بعضَ احلامِها، ثمَّ الكثيرِ من الأحلامِ تنصبُ أمامَ حضورِنا كثيفاً،

الواحدة لصق الأخرى، أحالم بيض وسود وزرق، ساكنة تنتظر،  
وصارخة بضجيج موجع، وميّة بانتظار قبس حياة يعيده لها الوجود،  
أمسيكت مالونيد بيديها الباردتين مثل ماء الفرات وهمست:

- لقد قبلت أيها السيد نبونيد !!

ترنمت روحى بلحن سرورها، محاولة تمزيق ستِر الوجود الذى  
غلفتها فيه، كنت أصدق في عيني المرأة التي وجف قلبى لوجودها،  
فلا أجد غير سلال من الثمار، وسطوع الشعاع لا أدرى من أين  
يجيء، ضياء يتذفق قوياً حتى عمر روحينا، بحث عن أطرافِ  
أصابع يديها طويلاً محاولاً الصاقَّ نفسي بنفسها التي تشبه الببور،  
ولحظة وجدتها همسَت روحى ولأول مرة منذ غادرتني المرأة التي  
كانت تتزوقُ لسن وتتنظر عند الباب:

- مالونيد ... أحبك أيتها الرقيقة مثل زهر الرمان !!

ارتجمَتْ أوصالها وبهدوء سحبَتْ أصابعها إلى صدرها، كاشفةً عن  
ضوءِ أسنانها البيض مثل قطع لؤلؤ، وللحظة فتحت عينيها على  
اتساعهما، كانتا تشبهان ناراً متقدّةً وثمة لمعان يسيطر على  
البؤبؤين، مدَّت المرأة التي أحب روحها إلى روحى وضحكَت بصوتٍ  
جعل سن يسقط بين حضورينا جذلاً، قالت :

- أحبك نبونيد... منذ عرفت سن عرفتك... كان يحدثني عن فتى  
يحلم كما أحلم... ويريد كما أريد، كنت أتمنى لو جاء لي به... لكنه  
كان يطمئن قلبي... بأن الفتى لي... ولا بد لقلبينا أن يصيرا معاً...  
ولحظة كنت أسبح في حزني وغضبي وأسائله متى.. لقد توَّرم القلب..

كان يأخذ بيدي... حاملاً نفسي الى حيث تكون... أراك نبونيد نائماً  
تتوسد أحلامك... وسعادة الاختيار.. يشير سن فتكشف الرؤيا عما  
أعيش اللحظة وأرى، أحسّ أماناً وأعود وقد صار حزني فرحاً وصار  
غضبي ثمار انتظار... يرحل سن ويحيي شمش... فأصمت نهاري  
بيلج الأحلام وليلي يؤكدها... ما كنت أرى أحداً سواك... كنت أرغب  
بأن اسمى الجميع باسمك... ولزمن كان لساني يخطأ فاسمي اخوتي  
باسمك... وصار اسمى مالونيد، بعد أن كان مالو فقط

- ليحرستك سن مالونيد... ولتكوني زوجاً صالحاً تنجُّب أولاداً  
اصحاء لبابل... أولاد يعرفون فضل سن ويقدرون حضوره!!  
- لن أنجُّب سوى هولاء الأولاد... أما إذا كان أحدهم ناشزاً فعالُم  
نرجال أحسن له!!

- بلى.. بلى.. ايتها المرأة التي ملأت قلبي اطمئناناً وسعادةً... لا  
وجود لولد لا يحب بابل... تلك هي حبنا الأولى... هي التي جمعت  
قبينا فلا بد وأن نظل أوفياء لهذا الجب ما دمنا هنا!!!

- ليبارك سن خطواتك ايها الملك الذي أحب!!

- مالونيد... هلا قلت لي غير هذا الكلام؟!!

- لم أيها العزيز المجل؟

- كي لا يتوقف قلبي عن الخفقان... فأنا ما تعودت سماع مثل هذا  
الكلام قط!!

- أذناك وقلبك ولسانك.. ستتعود الاغمار في أزمنة الحب... لا أدرى  
كيف كنت تعيش ولم خلت أحلامك من امرأة تحب؟

- وهذا ما كنتُ أسأل نفسي فيه منذ هنيهة!!
- حلم... ايها الملكُ هذا الذي نعيشُ الساعَة... حلمٌ لابد وأن يستمرَ ما عاشَتْ أرواحُنا في عمقِ هذينِ الجسدَين!!
- حلمٌ لابدَ أن أحافظُ على استمرارِ حفاظي على بهاءِ بابلَ وجودِها
- هل بالامكانِ مقارقةِ دفقِ الدم الذي بدأً يتسرّبُ من قلبي، وكيف يمكنُ لي ايقافَ هذا الوجيفِ الموجعِ الذي أحسُ بانجذابِ إلى هذهِ المalonid فحاولَ ابقاءها معَهُ، لا أعرفُ لمَ وقعَ الاختيارُ على هذهِ المرأةِ دونَ سواها، ربما تكونُ هي الوحيدةُ التي عرفَتْ وعرفَتْ أسرارَكَ، ربما هي الوحيدةُ التي احاطَتْ بعمقِ وجودِكَ وتسللتَ اليكَ بذكاءِ فطنتِها، مبددةً وحدتكَ ناثرةً ايها مثلَ حلوى بينَ يدي سن، بلطفِ كانَ سن ينظرُنا، وبهدوءِ باركَ الاختيار، فجأةً طشَ طاسةً مباركتِه فوقَ رأسينا فغمزنا فيضُّ من الود. كنتُ دوماً أحسُّ بأنِي بحاجةٍ إلى شيءٍ ما، لكنني أبداً ما كنتُ أعرفُ انهُ امرأة، كانت النسوةُ بالنسبةِ لي مجردَ كائناتٍ هشاتٍ لا ضرورةَ لوجودِهنَّ، وكانتُ أحلمُ بأنَّ أخلصَ بابلَ من هذا الحضورِ الهشِ غيرِ المفيدِ، كانتَ malonid بالنسبةِ لي مثلَ نسمةٍ رقيقةٍ ربطتِ أحلامي وجعلتني أنهمكَ حَدَّ الموتِ بحبِّ بابلَ واطلاقِ حدودِ هذا الحبِّ، أخذتها إلى صدري، ولحظةً رأنا سن، انسحبَ مغطياً الفضاءَ بأغطيةٍ سودٍ، ابتسمتْ بدهاءٍ وشمرتْ جسدهَا لي، كانتْ تفوحُ مثلَ قدرِ ماءٍ ساخنٍ، وكانتْ أرزعَ تحتَ وابلِ من الآثامِ التي طفحَتْ فوقَ سطحِ رغباتي ، انهمزَ

مطر لذتنا غاسلاً باحة المعبِد المكتظ بالحرس، فجأةً وجدنا أرواحنا تسهم في تراويل أخاذةٍ تثير نغم المودة والأمان، وكانت مالونيد تموت رويداً، وكان جسي يستيقظ من غفوة مواجهه التي طال حضوره منذ أن أحـسـ وحدـةـ المـعـبـدـ وـرـطـوبـةـ اـرـكـانـهـ الـبـاعـثـةـ عـلـىـ الـكـراـهـيـةـ والـاشـمـئـزـازـ، بـغـتـةـ كـشـفـ سـنـ بـرـجـوـعـهـ المـوجـعـ نـورـ الجـسـدـينـ الـوـالـجـيـنـ فيـ آنـهـارـ الفتـنةـ فـلـادـتـ مـالـونـيدـ بـوـجـودـيـ رـاغـبـةـ اـخـفـاءـ تـقـاطـيعـ الجـسـدـ البـصـيـ فيـ آنـهـارـ الـمـلـذـاتـ الـمـكـشـوفـةـ، أـخـذـتـ الجـسـدـ الـيـ وـبـحـانـ هـمـسـتـ لهاـ:

- والآن ايـتهاـ الـمـلـكـةـ ؟
- الـآنـ ايـهاـ الـمـلـكـ ...

وسكتت دون أن تكمل ، لحظتها ، همس سن وهو يهبط رويداً إلى كـبـدـ الفـراتـ الـذـيـ ماـ لـبـثـ أـنـ طـرـدـ نـوـارـسـةـ الـبـيـضـ إـلـىـ رـوـحـ الـفـضـاءـ

- كـلـأـكـماـ يـعـرـفـ الـجـوـابـ ... كـلـأـكـماـ يـعـرـفـ أـنـ الـأـيـامـ تـؤـسـسـ لـحـضـورـ غيرـ هـذـاـ الـذـيـ تـعـيشـانـ !!
- ـ أحـبـكـ مـالـونـيدـ ... أحـبـكـ ياـ اـبـنـةـ بـاـبـلـ وـسـيـدـتـهاـ !!

## الرقيم الثاني عشر -٧-

رقيم في توضيح الرغبات

مسلسل الأسئلة

// بعناد الصيادين / وجنون بغايا اوروك / وغياب الكهنة  
الماجنيين / تقىيم الرؤيا / قيامة الفوضى في نهر الأرواح / تعلن حق  
السفر بخطو المسافرين الحاملين لتعب الانتظار / ما الذي يعطي  
للمعنى أبداًة الورد / وللعمـر درـر الغـيـابـات / عـمـر أورـدـتـنا النـازـفـة  
لـلـأـحـزـانـ وـالـخـوـفـ / عـمـرـ المـسـرـاتـ المـيـتـةـ بـالـرـدـ علىـ درـرـ المـفـاخـرـ  
الـفـارـغـةـ / ماـذـيـ يـصـنـعـهـ الفـرـاغـ فـيـ مـزارـعـ الـأـجـسـادـ،ـ غـيـرـ اـنـبـاتـ عـشـبـ  
الـمـواـجـعـ وـالـدـنـاءـاتـ وـالـفـشـلـ المـسـتـبـاحـ / ماـذـيـ يـمـنـحـ العـمـرـ غـرـيـثـةـ...ـ  
ولـمـاـذاـ الرـغـبـاتـ تـمـوـثـ باـسـمـهـ فـيـ مـاـدـافـنـ الـأـفـدـةـ / ماـلـهـ لاـ تـحـبـ  
الـحـيـاةـ،ـ مـالـهـ لاـ تـقـيمـ لـلـفـرـحـ مـدـنـاـ مـنـ مـزـامـيرـ وـأـزـقـةـ مـنـ طـبـولـ وـكـيفـ  
الـسـبـيلـ لـفـضـ اـشـتـبـاكـ الشـفـاهـ عـنـ دـسـمـ الـأـسـئـلـةـ ،ـ توـدـعـنـا سـوـمـرـ  
بـالـأـضـاحـيـ وـالـدـمـوعـ /ـ وـنـوـدـعـ كـيـشـ بـالـأـمـنـيـاتـ /ـ وـعـنـ حـلـمـ تـوـسـسـهـ نـفـرـ  
تـصـلـبـ الـمـعـابـدـ أوـهـامـهـاـ،ـ وـيـغـدوـ الـكـهـنـةـ رـعـاءـ الـأـكـاذـبـ ،ـ مـحـضـ انـهـامـ  
لـلـغـبـاءـ /ـ توـدـعـ اـورـوكـ جـثـ مـوـتهاـ بـالـزـغـارـيدـ وـالـمـحنـ المـسـتـبـاحـ وـتـمـتلـأـ  
الـفـضـاءـاتـ بـالـصـمـتـ،ـ تـطـيـرـ النـوارـسـ صـوبـ اـسـوـدـادـ الـمـيـاهـ،ـ فـلاـ تـجـدـ  
غـيـرـ قـصـبـ حـزـينـ وـزـرـافـةـ تـدقـ الـخـرابـ فـيـ نـعـشـ "ـتـنـخـرـ مـبـاحـ"ـ أـمـ الـمـيـاهـ  
وـرـبـةـ الـأـزـمـنـةـ /ـ تـبـكـ الصـبـاحـاتـ عـشـقـهـاـ،ـ وـسـوـمـرـ تـسـلـمـ الـمـرـقـيـ لـعـقـلـ  
ابـطـالـةـ /ـ سـيـدـ هـوـ الصـمـتـ /ـ سـيـدـةـ هـيـ الـفـوضـىـ /ـ مـلـكـ هـوـ الـمـوـتـ /ـ مـلـكـةـ

هي الأحزان / شحاذ هو الغناء أما المغون فهم مجرد كلامٍ تملأً ليل  
الشوارع بالنباح والرذيلة والتسلل المقيت / سيد هو البحر ، سيدة هي  
الضفاف / سيد هو الحب / سيدة هي الامنيات / شحاذ قاتل هو  
الانهزم / سيدة متوجهة هي الكراهية / تسافر الخطوات في دروب  
الم اذا / فتخرِّب الحماقات أعشاشِ أعمارها وترمي محسنها للغرباب /  
هي الجواب ميت حد انتظاره للسؤال / هي المسألة والسائل / عفن  
المقابر في نهاراتِ الحروب / ما الذي يفعله الكهنة والتوابيت نعش  
من أحلامِ، ورؤى، وأناملِ عاشقة للبقاء / هي الرغبة في توليد  
الكلماتِ لمعنى الشرِ، والشرورِ والأشرارِ / ما الذي تعصفه الرياحِ  
الشك في الإباحةِ، الشروقُ لشمسِ بضوءِ خرابنا، الاشر بجرائمِ  
المحارم، وخوضُ رقمِ الحروب / تروح العواصفُ / تروح الأحلامُ / تروح  
الأزمنةُ / ما الذي يثيرُ شك القلوبِ ومردوك يحرسها / وكيفَ للمعاني  
أن تستقيمِ والسلالاتُ هجنَها العابثون بالارتكان إلى عظمةِ الانتماءِ /  
ما الذي يجعلُ الوردةَ تعلنَ أن أصلُها شذرةُ الربِ ... وانها عطرُ عرسِ  
انليل المبارك، ما الذي يجعلُ الشعراً يبحثون عن جذورِ لأشعارِهم،  
فتعلنُ القصائدُ انما هي أقوالُ الطواويسِ وأهلُ السماءِ للجنبياتِ /  
وكلامُ الالهِ لصاحبةِ دربهِ العارفةِ بالاحبابِ / ما الذي يجعلُ الكهنةَ  
يعلنون ان الالهِ محضُ نزواتِ وجونِ ورغبةٍ في امتلاكِ مستودعِ  
البكاراتِ / ما الذي يجعلُ المجانينِ محبسِي أقوالِهم الكاشفةِ لسترِ  
الحقائقِ / ما الذي يجعلُ القلبَ يهفو إلى النورسةِ، والنورسةُ للشطوطِ  
والشطوطُ لمنابعِ أصلِها ، لم نرِد لأرواحِنا أصولاً وهي تنزعُ للوحدةِ

والارتكانِ / ما الذي يجعلُ الكلماتِ كلَّ هذا الرنينِ وهذا التحدي / ما الذي يجعلُ الملوكَ رغم انسابِهم القريبةِ من عرشِ انليل يمتهنونَ مهمنَ السفالاتِ والوضاعةِ والخاسينِ، لم تمتلأُ بلاطاتهمِ بأمهرِ قطاعاتِ الطرقاتِ والقتلةِ المأجورينِ / ما الذي يجعلُ الوهمَ وهماً غير ما تشعرُ الأنفسُ من ضياعٍ / تختلطُ الأحزانُ بالدمِ / والمسراتُ بالخوفِ، والجنونُ بالعظمةِ، والملوکُ بالكلابِ، والنساءُ بالخيانتِ، والأولادُ بالضجيجِ، والصبايا بالانتظارِ، والشرعاُ بالأكاذيبِ، والأنهارُ بالارتياحِ، والورُدُ بالأمالِ، والطرقاتُ بالارتحالِ، والأنهارُ بالدمِ / ....

### مسألةُ الأجوية

هل في قولِ الليالي عبرَ مخاوفها لغةٌ غيرُ اللغةِ التي تستطيعُ  
والصفاءُ حلمٌ مضاءٌ بالمنالاةِ، وتحلو بهم الخيالِ / رمتنا الرياحُ  
بالياشينِ، فساحتَ المقلةَ بالأخيلةِ المعزولةِ . /

لتقفُ جانباً فالعيونُ عيناكِ وحدُها / والشعورُ حرارةُ الانتماءِ  
إليكِ، والفراغُ هجرٌ غيرُ جفوةِ المراكبِ وشروعِ القفارِ / لأننا على  
غبارِ الجفافِ نسافرُ، تتمردُ أقدارِنا بشوقِ إلى حياةٍ، تلفُ العواصفُ  
رمالاً مذابحَ الانطلاقِ، والمهاوي صافيةٌ لا تعرفُ الارتماءِ / الغدرُ  
يشهمُ الأجويةَ، والجفافُ تستكينُ عبرَ مجاهلِ البعدِ، تضربُ الصفوةُ  
قرارَ الصفاءِ البارحةَ وددتُ لو أقبلَ وجنةُ المستحيلِ، لأنَّه يذكرُنا دائماً  
بأنْمنةِ باطلةِ بالنجومِ / أودُّ لو أقبلَ صباحاتِ الرياحِ لأنَّها تعصفُ  
بشجرةِ الأسرارِ . /

يُوْمَ كَانَ قَلْبِي صَغِيرًا، حِيرَتِهِ الْمَنَابُعُ، فَيَبْتَدأُ الْحَسَابُ / مَنْبَعُ  
لِلرَّحِيلِ / مَنْبَعُ لِلْمَطَرِ، مَنْبَعُ لِلثَّمَرِ، مَنْبَعُ لِوَطَءِ الْهَمُومِ، مَنْبَعُ لِلْغَيْوَمِ،  
مَنْبَعُ لِلَّاْتِ، لِغَفْرَانِ الرِّبُوبِيَّةِ مَنْبَعُ لِلرَّغَبَاتِ الْمُؤْجَلَةِ بِعَسْرِ الْامْتَحَانِ /  
مَنْبَعُ لِأَنْتِ التِّي تَسُورُهَا الْكَآبَاتُ وَحِيلُ الْمَشْعُوذِينَ، مَنْبَعُ لِلْحَصَانِ  
اللَّاهِثِ عَبَرَ دَرَوْبِ الْمَخَاطِرِ وَالرِّضَا، مَنْبَعُ لِأَلْتَلِيلِ وَأَنَّ الْهَ السَّمَاءِ  
الْمَهِيمِينَ عَلَى مَجْمَعِ الْآلَهَةِ الْمَوْلَعِينَ بِحَضُورِ الْجَنَازَاتِ وَنَعْيِ خَرَابِ  
الْمَكَابِرَةِ، مَنْبَعُ لِلْكَبِيرِيَّةِ الْعَجَبِ / مَنْبَعُ لِلْحَصَارَاتِ الْمَاجِنَةِ وَارْتِكَابِ  
لِجَنَوْنِ، مَنْبَعُ لِلْضَّجَرِ، رِيمًا نَخْتَارُ عَذَابَنَا، وَأَعْوَادَ الْجَلِدِ وَنَرْكَبَ  
حَشُودَ الْقَوَافِلِ، وَنَعْبُرُ أَسَى الْطَّرَقَاتِ، لَنَرِى أَنَّ النَّهَارَاتِ رَوْعَةُ الْعَطَشِ  
لِدَمَاءِ يَشْرِبُهَا الْغَبَارُ، مَثَلَ كُلَّ الاضْطَرَابَاتِ تَحْبُّ النَّجُومُ مَلاَعِقَ  
الْزَّيْنَةِ، وَتَنْسَجُ لَوْلَوَ الْإِسْتَحْسَانِ، تَمُوتُ دَائِرَةُ الشَّعَرَاءِ بَيْنَ الْمَسَافَةِ  
وَالسَّاعَةِ، الزَّمْنُ الْمَرْصُودُ بِامْنِيَّاتِ النَّفْسِ، تَبْلُغُ الْعَيْوَنُ فَيَضَّ  
نَوَاعِزُهَا، فَتَوْقُفُ الْخِيَانَاتُ سَفَاحُ الشَّجَاعَةِ وَتَرْكُبُ الْمَجَاعَاتُ هَدِي  
الْكَلْمَاتِ، هَذِيَانُ الرِّفْقَةِ وَالْجَيَاعِ، مَا الَّذِي تَفْعُلُهُ الطَّرَائِدُ بِالسَّرْوَرِ،  
وَالْفَضَاءُ يَغْرِقُ السَّهُولَ بِسَيْلِ الْوَحْولِ، تَرَابُّ هِيَ الشَّجَرَةُ وَالثَّمَارُ  
ذَبُولٌ، غَرَبِيَّةُ هِيَ الْأَقْدَامُ الَّتِي تَجْزُ التَّعَاوِيَّذُ صَوْبَ اَنْبَهَارِ السَّنَنِ،  
كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَفْتَقُ صُورَةً شَكِّلَهَا عَنْدَ ضَفَّةِ الْمَعْرِفَةِ، فَتَرَى عَمَقَ الْمَسَرَّةِ  
بِارْتِجَالِ حَكَايَةِ، يَخْلُعُ النَّدُّ لِهَاثِ الْطَّرَقَاتِ، وَاجِرَ الرِّحْمَةِ، وَتَفْلُقُ الْرِّيحِ  
صَفَّ الْمَنَامَاتِ الْمَرْعَبَةِ يَشْرِبُنَا خَوْفُ الضَّيَاعِ، وَلَحَظَاتِ الْإِسْلَامِ  
لِلْهَجَوْعِ، حِينَ يَجْنُ الظَّلَامُ تَرْنُ الْمَقْلُ، تَمُوتُ دَائِرَةُ بَطِيفِ لَذِيْنِ، فَاجَةُ  
رَائِحَةٍ لَا تَزُولُ، رَقْصٌ عَلَى أَكْتَافِ الشَّوْقِ، لَوْ تَعُلُّ الْأَجْوِيَّةُ، أَنْ افْتَرَاقَ

الأرق عن عيون البحر رحيل، وكل الصباحات نسائم الطيور التي  
تملاً المغارات بالنعيّب، لا تقولي ان اوروك صائمة بـثار السماء، وان  
بابل مستودع لأزهار العمر، وقيود السوقـي، اسفري عن نهد ذاكيـي،  
فالقلب يضـل السـبيل، لا تقولـي... صـمت هي الاغـنيـاث، والاخـرـاقـ نـارـ  
تركـبـه لـمحـاثـ الصـدـىـ وـالـأـنـيـنـ، هي عمرـ الخـزـائـنـ المـسـتـبـاحـةـ وـورـدـ  
الـمـعـابـدـ فـيـ رـضاـ الدـوـرـةـ، كـنـتـ أـنـتـ بـعـمـرـ آـهـاتـناـ وـطـاـحـونـةـ الـأـقـدـةـ،  
وـكـنـتـ آـنـاـ بـعـمـرـ أـحـلـامـنـاـ وـارـتـمـاءـ السـفـوحـ فـيـ بـرـكـ أـلـسـنـ الـفـاجـرـاتـ، كـنـاـ  
نهـجـرـ القـبـورـ خـوـفـ انـهـادـ المـفـرـاقـاتـ، هي حـربـ اـسـرـارـنـاـ الصـانـعـةـ  
لـلـبـؤـسـاءـ وـالـقـتـلـةـ، صـنـعـةـ الـبـرـتـقـالـ بـعـطـرـ الدـمـاءـ، وـانتـهـاكـ اـسـمـاءـ  
الـأـرـيـاـكـ، فـيـ أـسـفـ الـارـتـجـالـ... يـتـسـيـدـ "ـنـرـجـالـ"ـ وـيـنـعـسـ اـيـرـاـ بـخـرـابـ  
الـأـكـفـ وـآنـ يـكـفـنـ حـزـنـ الزـمـانـ، كـذـبـ اـدـعـاءـ المـعـابـدـ بـأـنـ الـلـهـ حـضـورـ  
الـمـشـاهـدـ، وـآنـ الـلـهـ دـرـةـ وـسـوـسـنـةـ وـحـضـورـاتـ الـاـخـضـرـارـ، وـعـمـرـ الـمـوـدةـ  
سـرـةـ الـرـبـ وـعـرـشـ خـمـورـهـ الـمـرـاقـةـ مـنـذـ بـوـاـبـةـ الشـبـعـ الـمـسـتـهـابـ، تـعـبـرـ  
أـيـمـانـاـ سـدـرـةـ الـقـصـبـ، فـتـرـجـ هـلـوـسـةـ الـنـايـاتـ وـتـصـيـرـ النـوارـسـ اـغـنيـةـ  
لـلـسـقاـةـ، الـمـواـصـيـلـ تـدقـ أـسـاهـاـ وـالـانـوـفـ تـغـرـيلـ عـطـورـ الـمـيـاهـ، دـفـرـ  
الـأـوـبـيـةـ. وـهـجـرـةـ إـلـىـ الـأـرـضـ الـبـيـاسـ، اـخـضـرـ تـاجـ اـورـوكـ، اـسـوـدـ عـرـشـ  
بـابـلـ وـكـيـشـ، بـهـيـ اـمـتـادـ عـرـوـسـ الـمـيـاهـ عـنـدـ ضـفـةـ الشـطـينـ، كـانـ  
يـحـدـثـاـ عـنـ صـمـتـ مـيـاهـ السـوـاـحـلـ، وـنـفـرـ التـيـ تـدـفـعـهـاـ الـمـنـاحـةـ فـيـ لـجـةـ  
الـمـرـضـ، فـتـشـرـلـبـ الـمـفـاتـنـ وـتـزـغـرـدـ الـأـلـسـنـ بـأـنـاشـيـدـ الـمـكـارـهـ، تـأـخذـ السـرـ  
إـلـيـهاـ، وـإـلـيـهاـ تـرـوـحـ الـحـكـاـيـاتـ.

## نشيد ١

يا ورد أعمارنا ترجل، فالزمان دخان  
والألماني دخان... والعيون تهمز آلامها في عيون الدخان !! //

## نشيد ٢

يا لهذا الزمان كلما مر ذكر البغایا، ناخ ستر المعابد  
وامتلأت عيون الكهنة بالامتنان  
يا لهذا الزمان... غرية دروب العجیع اليه، مكھر حضوره  
تمتلأ الأوردة بدم الفضائح ، افتصرت الناحاث !!

## نشيد ٣

توقف... بين الغرية والغرابة غرابة يصبح  
أن لا تروح... وان عاندت صرخته وارتاحت  
بادر الليل بالضجيج... حاذروا بان لا يجيء خوف انهدام الألسن  
بوعي الكلام !!

## نشيد ٤

هي العمر بحساب التواریخ القادمة من أقصى التكوین  
هي الأرض بحساب الأعمار المباحة للجنون

هي الوطن الذي يحلم بالمسرات والصهيل... ويحمل بين يديه عالماً  
من خمور.

## نشيد ٥

عودتنا العيون على الانفاسِ لمرأى الجثث المستاءة من عفن الموتِ  
ومرأى مفاخراتِ الحروبِ

### نشيدُ الانشاد

### سفر الانهزامِ

القادم من جزءِ الأقصى يبحث عن حنينٍ وحكاياتٍ ترضي  
الوجوه المنقوعةَ بضوءِ الاسمرارِ، ليسَ غيرَ سعتها بسلمٍ تحاصرُهُ  
حرقَ المذابحِ، كانَ ناضجاً وجهاً لها السومري، يلقي في التيهِ إلى  
لهفةِ التمنيِ، عينانِ يفجّرُهما الجوّي ودفءُ التناخيِ، الطيورُ تحرسُ  
وحشةَ الافتراقِ، فيصبحُ البعدُ وحدةً والعيونُ بذاراً، والغفاءُ طائراً ينأى  
ملوحاً بالجفافِ، تغدو الأماسي ضعافاً، والغفاءُ هيامُ الروابيِ، والعودةُ  
ترقبٌ... قالَ عن !!

قالَ: مهما احترقتَ بنارِ الشهادِ ... فلن أحسَّ صدى الاغترابِ !!

قالَ: عن !!

قالَ: الرؤوسُ عamerةٌ بالتمنيِ ... وبابل تأخذُ صخبَ النفوسِ

قالَ: عن !!

## مسلةُ المصالحة

--- بابلُ توقظُ تيهها

تستيقظُ المدنُ المستجيرة

وتضمُ الجراحَ بحرِ الفوادِ

وحلُمُ الشطِ يغدو هوماً وحكاياتٌ تبصقُها الحاجزُ

تسألُ العابرينَ... أيُّ المساءاتِ يجيءُ الفتى؟

تسألُ أوجاعَ يقطنُها... والحروبَ... والطرقاتِ

والمراكبُ المغلوبةُ بالرحبِ

تسألُ النخيلَ برعافِ العواصفِ... ثُرى آأَنت آتيةً بصفرِ

اللقاءِ؟

تظلُ الأماني موجةً ترمي عندَ جرفِ الجنونِ

والعمرُ يمدُ يديه، فتصحو الغيمُ... بدفعِ المباحثِ

محترقاً شاطئَ الدفَاعِ... والواحَ لحظتها الباهرةِ

نشيدٌ تقيمةُ الريحُ... للمنتظرِ حيرةُ العطشِ

ببني وبينَ البينِ... شدٌّ وتوقٌ وانتظارٌ

ببني وبينَ البينِ... ازمنةُ البذارِ

فأبقى قريباً... عندَ قصةِ النهارِ

تسمعُ الأصواتُ ريحَ غربتها، هي بابلُ، يقولُ الذي عاشَ في

سورةِ الأسئلةِ:

ـ فلا تعبروا على عجلِ الرجولةِ الماكنةِ!!

يقولُ الذي دارَ في لُبِّ أرحامِ المدنِ العائرةِ:  
هي بابلٌ موجٌ سيلمعُ مثلَ برقٍ فلا تهمسوا للخطو بخطوةٍ  
عابرةً !!

يقولُ الذي أستجمعَ الوجهَ موصلًا بينَ سرًّ وسرًّ:  
هي بابلٌ فلا تبكي طويلاً !!

تنفلتُ الأوردةُ، وتفيضُ السماءُ بزرقةِها الصافيةِ، وتزدهرُ  
الطرقَاتُ، وثمَّ قلبٌ يضيءُ، ودرُّبٌ يضيءُ، و Wolfe تحملُ غدرَها لتغادرُ  
يم الإشتياقِ والمهجِ التي سيجثُها المسافاتُ، تحرمُ الفوضى اعوجاجَ  
البارحةِ، وتسري رياحُ الليلِ في هودجِ الرغبةِ، عرباتٌ تؤجلُ  
الفيضاناتِ، وتعبرُ الضفةَ باتجاهِ الندى الذي عفرَ العصفُ جباهم  
وتلونتْ أرديةِهم بريحِ الحروبِ، تجرُّ الخيولُ صهيلًا اضطرابِها اليه !!  
- فلتكن ملكاً !! ... قالت الأمنياتُ

- لتكن سرادقُ نهبِ أضرعةِ الأضرمةِ !! ، قالت البحارُ وهي تسافرُ  
في محيطِ الصبحِ إلى ظلمةِ المهزلةِ  
- فلتكن ... ثم ماذا ايها الدربُ الذي جلَّه اضطرابُ الخطأ بعمرِ  
الخطايا !!

- فلتكن ... عمرُ أوهانِنا في مجراتِ الهشيمِ ... قالت المسألةُ للمساءِ  
المفضض بالنجومِ

فتلتكن ... فلتلتكن ... فلتلتكن، سبعٌ من الأرضين تعددُها رغبةُ الفرحِ  
والارتماءِ في صفةِ البدرِ، كانَ فجرًا مضى، كانَ صبحًا تغلَّهُ  
الغراباتُ، كانَ جمعُ نوارسِ أو صمتُ بالبياضِ فجرَ السلالاتِ ولعبةُ

الارتفاعِ إلى حيث لا تراك، عينها بابل مملوءةً بالعطشِ أو القاءِ،  
الغاءُ والصمت... والقلقُ، عينها فضةُ الرغوةِ وسؤالُ البعدِ، كانَ  
صاحبِي لعنةً للكلامِ، وبهرجاً للملاحِ من كهوفِ المعابدِ... متى تلعن  
الفضاءُ انهزاماً أمامَ الدبورِ؟ متى تملأُ المعابدُ بطونَها بصدقِ  
الدعاءِ؟ متى يجلُّ الدعاءُ رغبةً الأربابِ بطريقِ مستقيمٍ ، كانَ يرى  
بعدِ المسلاطِ عن سني الكلامِ... مباحُ دمِ الأسئلةِ... مباحُ دمِ  
الأجوبةِ... مباحُ حسنهَا... مباحُ لهاُ المعابدِ ونورُ اللحيِ، مباحُ  
نباحُ السماواتِ المليئةِ بالفضلاتِ، مباحُ كشفُ سرِّ التمنيِ واللهوِ  
بنهرِ الأمنياتِ، مباحُ ... ان يجيءَ الفتى حاملاً سؤالاً عزيزاً،  
يتفحصُ الأجوبةِ..

الأولُ... لا تقدم... توقف عندَ ساقيةِ الارتفاعِ !!

الثاني... لات... ت... ت... ق.. عندَ صخرةِ الارتفاعِ

الثالثُ لا تـ ق... عند نورِ الأعمـارِ وسوستـنةِ السـماءِ

الرابـعُ مخـافـةُ الـوعـد... موعدُ للأضـاحـي ودرـوبـ الـبـلـسـم !!

الخامـسُ... السـادـسُ... السـابـعُ... الأـلـفُ... منـاـشـفـ أـهـواـنـا

دورِ المسـائـةِ، مـالـ كـلـ هـذـا يـمـزـ ... والـوقـوفـ حرـيـةـ عندـ رـأسـ

الحرـابـ... مـالـ كـلـ هـذـا يـمـوتـ والـرـؤـوسـ تـقـتـلـ المـراسـ بـأـطـيـافـ

الـأـنـبـاءـ... قـيـلـ بـأـبـلـ سـيفـ مـواـجـعاـ... وـقـيـلـ هـيـ عـرـوـسـ الـكـلـامـ بـشـطـانـ

طـيـنـ الـمـحـنـ... وـقـيـلـ هـيـ المرـتـجـىـ فـيـ الـجـوابـ وـقـيـلـ إـذـاـ ماـ جـلـسـ الـأـلـهـ

إـلـيـهـاـ ... كـانـتـ نـخلـةـ عـنـ بـابـ السـمـاءـ... وـقـيـلـ بـأـبـلـ لـبـ العـقـولـ وـسـرـ

جوـهـرـهـاـ الـبـهـيـ... وـقـيـلـ هـيـ مـهـرـةـ الـأـفـدـةـ... وـقـيـلـ مـنـذـ أـزـمـنـةـ الـبـحـثـ

عن الخلوٰ... سجل انليلٌ في عمق ذاكرتهِ، انَّ الْبَلَادَ اذَا مَا أَرَادَتْ  
حِيَاةً عَلَيْهَا بِرُوحٍ بَابِلَ مجسماً بالغناءِ، وَقَيْلَ هِيَ مِنْذُ الرَّحِيلِ فَوْقَ  
مَرِيكِ الْآلَهَ .. كَانَ غَماً الْمُحِبِّينَ ... أَجْلَسَهَا الرَّبُّ مَجْلِسَ الانتظارِ  
حَاسِماً دَرَّ أَحَلَّمَهَا، قَالَ آنَ رَبُّ السَّمَاءِ، وَهُوَ يَجْلِسُ مُتَكَّأً إِلَى صَخْرَةِ  
الْآلَهَةِ: - هَلُمُوا.. هَلُمُوا إِلَيَّ !!

جلسَ انليلٌ وشمشٌ ومردوكٌ وايرا وتنورنا والعروس نيساباً ،  
إِلَيْهِ وَقَالَ ... أَلَا تَسْمَعُونَا مَا أَرِيدُ ... ، المَجْلِسُ امْتَلَأَ بِالصَّيَاخِ ...  
فَمَنْ ذَا يَعْنِدُ ائِيَّةَ الرَّبِّ ... قَالَ: أَرِيدُ بَلَداً مِنْ سَوَادِ الْمَزَارِعِ يَكُونُ  
تَبْسِمَتِ الْعَرْوَسِ نِيسَابَا ... وَأَوْمَاتِ بِصُولْجَانِ انبهارِهَا .. مَكَانُ  
الْسَّوَادِ بِزَرْعِ الْحَقْوَلِ !!

قَالَ: أَرِيدُ الْمَيَاهَ صَافِيَّةً بِشَقِّينِ مِثْلَ أَوْرَدِ الْقَلْبِ، ضَحَّكَتْ زَوْجَ  
دِيمُوزِي ... وَامْطَرَتْ لَوْلَوَ الْأَمْنِيَّاتِ ... فَكَانَ السَّوَادُ تَجْلِلُهُ الْمَيَاهُ ...  
فَقَالَ الْذِي فِي الْأَعْلَى .. أَرِيدُ كُلَّ مَا تَحْلُمُ بِهِ الْآلَهَةُ ... فَصَبَّتْ  
الْأَرْيَابُ حَسَنَ مَصَانِعِهَا ... فَكَانَتْ بَلَدُ السَّلَامِ  
قَالَ اسْمَهَا ... سُومَر... وَقَالَ كِيش... وَأُورُوك... وَلِكْشُ وَنَفْرُ  
وَسِبار !!

فَقَالَ سَن... مَبَارِكٌ خَلَقَ أَرْيَابِنَا ... وَلَتَكُنْ مَا صَنَعْنَا وَاحِدَةً مِثْلَ  
حَلْمِ الْفَتَاهِ ... قَالَ آن.. مَا اسْمُهَا إِيَّاهَا الرَّبُّ الَّذِي لَا يَعْرُفُ الْأَزْمَنَةَ؟  
قَالَ هِيَ بَابُ الْآلَهَةِ ... بَابِ ... مَبَارِكَةً بِكُلِّ الْخَطَى ... شَمْشُ  
يَغْذِي نَهَارَتَهَا بِالضَّيَاءِ ... وَكُلُّنَا يَسْلُمُ الْأَمْكَنَةَ فَرَاشَ الْأَخْضَرَلَرِ //...  
تَوْقُفٌ .. إِيَّاهَا الْبَابِلِيُّ الْجَلِيلُ... وَاعْرُفُ الْوَرَدَ بِالْمَسْرَاتِ !!

ما نَدِرِبُ العَيْنَ كَارثَةُ الْفَجْرِ ، وَانتَظَارُ الْمُصَالَحَاتِ.... !!

## مسلةُ الحفظ

### - سفر الانهماء

عرىٰ قياثةِ الفكرِ، دربُ المناراتِ واحتعمالُ سورتها في الندىِ،  
تحملُ الخطواتِ ضغطَ القلوبِ فترتجُ الفضاءاتِ بغضِّ، وتنصبُ  
السودادُت باحمرارِ الخجلِ العذريِّ، تصيرُ الألاعيبُ دنسَ التماشيلِ التي  
غادرتْ أمكنةَ اليسِرِ حكايةً امتدادً لِلمعنىِ، سورُ أوروكَ عرقُ السياطِ  
ووجعُ الظهورِ البارعةِ لبسِ أرديةَ الخوفِ والارتihanِ، عرقُ المسراتِ  
لحظةَ انفضاضِ الحزنِ صوبَ هاماتِ الصخرِ، أتأخذُ واحدةً بعدَ التي  
أطلقتْ جناحَ الهدنةِ للصراخِ والنشيجِ، يكاءٌ يمرُّ بعينِ الإلهِ المعزولِ  
بينَ شطِ العروشِ وحكمةِ الطرقاتِ، اللهُ تلاحمُه دودةُ الشركِ بصولجانِ  
المباحثِ، ما الذي يجعلُ العروشَ تربطُ قوائمهَا بحبالِ السياطِ وتعلقُ  
تيجانها فوقَ هرمِ الجماجمِ، وتمنحُ الحمامَ اسودادَ الدماءِ!! ما الذي  
 يجعلُ العمرَ تمرةً نخرةً، وسوالاً قديماً، كذبٌ بالفوضى وغريتها الآمرةِ،  
وعمرُ بهرجةِ الأحلامِ، كانَ فتى سيداً لطيفَ المروءةِ، ما الذي جعلَ  
المروءةَ تغادرُ الانتظارِ، قيدُ اساهُ ينفصِمُ فتعجُّ المعابدُ بالصمتِ،  
وتصيرُ التراتيلُ نزةً عابرةً، سيفُ سومرَ يعبرُ الامنياتِ، سيفُها خشبٌ  
وانهمارُ ثباتِ، سيفُها وجعٌ وجوعٌ ورعافٌ فلاةً، سيفُها لعبَةٌ تغمُرُ  
بوحها الهباتُ، خذ اليكَ السؤالَ وجلِ المعايني بدمِ الرجاءاتِ قاطعةً

التأوه وعمر الابتعاد... العروش تصنفها الأوردة، والأوردة تصنعها الموجع، والموجع تصنفها الطعنات، والطعنات تسمو لها الخيانة، الخيانة تزوقها شروع الآمال، والآمال أكاذيب اشيانا الغاربة جهة الأربع العاطلين بالتمني، غيمة.. مطر.. عواصف صاحبة ... وخمور المداعع ونهنئه الأمهات، هي الحرب تدق بوابة الصبر وببوابة الازمة، الأزمه هي المكر تؤسس الفواجع والخسارات وارتکاس الرؤوس في تراب خبب الجياد، أي دورة تتوجه اليك، وأنت سليل الأحزان ووحدة التأمل والانتظار، أي دروب تلاحق غيش المجيء، ووحدك ترفل بالرغبات وسر قطرة، والى أين ايها المرتجى بالخلاص... الى أين تحط بك الأعمار وقد جاوزت محنـة الخوف المأقى باتجاه القلوب، واجف قلب دمية الانتظار، واجف نوع صمتها، فلا ترد الطرف للتأمل وانهمـر باتجاه الشطوط التي أغرقها الظمى والإھاطات، والقصور الغربية التي تستنشق الرطب من الأمنيات، تمنـح الفواجع خطوها للثبات، فتصهل أعمدة المعابد، وترتج بالرجاء نصب الملوك، كان الأول في الصـف يزحرـح ما يليه واحداً واحداً، هو الأول فمن تراه يكون الأخير والنـيل يشعـلـ المنـاز، هو الواحد بمعرفـة المثل والخطوط وهـامـات كلـ النـخيـل، هو الأول في المعـاني، في بـثـ روحـ العـطـاءـ، فـمن يـقدـرـ علىـ منـحـ السـيـادـةـ لـقـلـبـ أـوـقـةـ خـفـقـ الجنـوـنـ، بـاتـ الدـرـبـ فـارـغاـ فـلاـ تـمـلـاـ الـخـطـوـ بالـضـجـيجـ وـارـتكـنـ لـصـوتـ الغـباءـ، خـذـ طـرـقاـ كـلـماـ عـرـيكـ الـخـرابـ، خـذـ بـلـسـماـ لـلـمـوـاجـعـ وـسـرـمـداـ لـجـوـعـ الـخـرـائـبـ، وـاغـلقـ خـرـائـبـ الرـفـضـ مـاجـنةـ فـوـاجـعـهاـ، مـاجـنـ صـحـوـهاـ، مـاجـنـ

كلُّ الذي يجعلُ الرغبةَ أمنيَّةً لفتى السومري، لتحطِّ الأزمنةَ وَهَا،  
فتهنَّئُ معاني الأَجْرِ، وتغدو المسافاتُ عروشَ الفراغِ، خذْ قطرةَ  
الصنعِ، ودعْ أوروكَ تقيِّمُ احتفالاً للمباھجِ والمستحيلِ.

قالَ... عاطلٌ سيفُ الخطأ !!

قالَ.. عاطلٌ دُمُّ الانتظارات !!

قالَ ... عاطلٌ دُمُّ الوردةِ الافقية !!

قالَ... عاطلٌ صوتها... عاطلٌ بوحها... عاطلٌ عمرٌ ما بينَ  
المطالبِ وفراغِ التمني... عاطلٌ ادراكُ الشروودِ الى شتاتِ اللاشيءِ...  
عاطلٌ انهدامِ البيوتِ وصمتِ الخاجِرِ... عاطلٌ دحرُنا المتواحشُ  
الراقصُ بالخيال !!

قالَ: أتُودُ لو تمنَّخَ النَّفَسَ حلماً وتأخذُ قرصَ النَّجومِ اليك !!

قالَ: خذْ وجعكَ وبعضَ اليأسِ وضعهما في سُمِّ الخديعةِ... وألقِ  
بالجمعِ في محرقةِ المهالكِ يسودُ الاطمئنانُ الأزقةَ وتصيرُ البيوتُ  
أوجاراً للوحشِ، وخرابُ البومِ الهجرانِ، تسيِّدُ حلمكَ المفضيَّ لدرِّ  
الاستحوادِ، واجعلَ المهنَّةَ سرَّ عطاءِ الامتلاكِ، واقبضَ بشدةِ الرغبةِ  
على رسنِ الخياناتِ، سُمِّ الأشياءِ توريَّةً... بالحبِّ... اقتلْ قيمَ  
الحقيقةِ بسترِ البطولةِ... والاخوةَ... بسترِ الوطنِ، والحقيقةُ بسترِ  
الرضاِ، والشرفَ بسترِ المبدأِ، والمبدأُ بسترِ الانحرافِ ، واقمِ للبقاءِ  
نصباً تتفاخرُ بإشعاعِ مرقدِ الآلهةِ بالمبادرِ والقبورِ، تحدثُ إلى  
"برجال" بصوتِ الذي يرغبُ، ولا تكسرُ الارتفاعَ، فما جاءَ وعدُّ منْ ذاكِ  
الذي غادرَ الفرجَ لِكِ اللهَاثِ، كانَ واهمًا كانَ عاشقاً فأرادَ

التخلص من فكرة المراقبة، والارتماء إليها، قال للنفس - كيف الخلاص؟ فسولت للنفس نبضٌ من معارفٍ، خذ واحدةً وارمها اليه، فانكشَّف القولُ، منْذ ذلك الذي عاند الرأسِ واكتفى باللسانِ، كان يملأ الورَدَ بالأسئلةِ ويدفعُها عند شطِّ الفراتِ، يرقبُ ايناعها، وردةً للجوابِ، وردةً للخرابِ، وردةً للجريمةِ الماجنةِ، وردةً للدهاءِ، وردةً للمكيدةِ، وردةً ملأها حباً، وردةً للتسامحِ، وردةً للمستحيلِ، وردةً للرغبةِ، وردةً للرهبةِ، وردةً للصمتِ، أينعٰت حدائقُ صبرهِ وانتظارِ القطاوِ، قال:

- ما الذي يتطلبه القلبُ؟

قال: - وردةً واحدةً... هجينٌ لكلِّ الذي أقمت !!

- وكيفَ السبيلُ لهذا .. ولا ثمرَ في القطاوِ؟

قال: - أو لا ترى انَّ المسيرَ يؤسسُ للمفاخرِ أرضَها العامرة!! الرؤيا تلهبُ بؤيُو الرفضِ والارتهانِ، كان جذلاً يتسرى عطر النواحِ ويسقطُ الماويلَ فوقَ سطحِ الفوادِ، لذةً غامرةً، وجعاً طافحاً بالتبشيرِ التي توهُّنَ المصلينَ بالارتياجِ، تعبِّرُ الوحَدةُ شطُّ الارتضاءِ، قادرَةً تفيءُ الأمسياتِ بالانتظارِ، تطرقُ الأبوابُ فضاءً الارتيابِ، خطوةً توجُّلُ المسألةَ وترهنُ برقَ السمرِ عندَ عطرِ المحبينِ، كان سيداً ومضى، كان بعضُ الرسائلِ بالخرابِ، تتقىءُ بابلُ وأبلُ غفوتها وتعمرُ الأزقةَ بطينِ الأعمارِ، يمزُّ المساءُ أليماً معتماً مثلَ ريشِ الطواويسِ، راغباً بالغنا، تلاحقُ البيغاواتُ أعمارنا بالهدرِ وترتکُّسُ المحنَّةُ، تنفل ضوءَها لبحقةِ النجومِ، نجمةً ماكِّةً هي التي ترمي إلَيَّ سورةَ البركةِ، فترتجُ المفاتيحُ بآليةِ السوادِ، تقاومُ الأمسيةُ الوهمَ بالرجاءِ، كان

يلبس نور المكابرة ويطلق للدمى رماح التكوير، تهتز أرجاء الأماجِدِ  
وتبوح الخيول بالصهيل، يعرض الورُد عطره في دروب البيع فتبأسُ  
الصبياً بالنشيج، يتسلُّل العطر وردةً بالمباهأة ، فتأمُرُه بالسكنِ  
وغريةِ العنفِ، يا دار مأساتنا انهدمي عندَ مركب المطر الغزيرِ،  
وتحملني وزر الارتفاعِ وثورة الانبعاثِ، جَن "تنورنا" فالتهبت الازمنةُ  
بالعواصفِ وتعالتِ الأمسياتِ بالأئنينِ، هو الآخرُ كان يلقى التحياتِ  
إلى مجمع الآلهةِ، فتقومُ الحروبُ وتشتعلُ المواقفُ بالحكاياتِ  
والانتظارِ، قالَ:

- أينَا باعث عمرِه لضاعَ الوهمُ والغريةُ الفاضحةُ !!  
لم يجب... ساكناً كان الفتى يستقيمُ، رايةُ وارفةُ الأماني  
والسؤالِ، قالَ

- اتئذ يا ابن الفراقاتِ التي فرقْت شملَ اركانها !!  
لم يجب ساكناً كان يبصُر الصرخاتِ تمحو لهاثِ الحروبِ. قالَ  
- من أين للترابِ لمعانِ الحروفِ !!

لم يجب ساكناً كان يشدو مواويلَ الأزمنةِ. قالَ:

- إلى أين تزيدُ الرحيلُ والمدنُ شتاتُ واختصارُ الحضورِ !!  
ظلَ الفتى باسمًا يلعقُ خبزَ الغباء بمكرِ الصراصيرِ ونفورِ اليعاسِ،  
وانهزمَ القرادِ، ظلَ الفتى يلاحقُ العاصفةَ وتحرفُ شذراتِ المباخرِ  
والنواحِ، كان الفتى ساهماً ، يعرفُ أن الطريقَ إليها تحفُهُ أعينُ  
السنديانِ، كورَت عشتازُ أعمارها، سبعةً كان تسلسلُها الخصبُ، عندَ  
راعي الهوى، والمزارعِ، والحدادِ، ونخاسُ المدينةِ، والآلهةِ، قالتَ:

اليكِ انتماي ولو لاكِ ما أكونُ !!

قالَ مستسلماً للمدى والحبور :

عشتار... يا عشتار، يا زمنٌ من نار

يا لهبَ الأفئدةِ ... السمـار .. يا كوكباً أتعـبةُ البوار

عشـتـار... يا عـشـتـار .. الـربـ مـاتـ وـانـصـرـمـ النـهـارـ

فـاستـبـشـريـ يا سـرـمـداـ ... يا أـلقـاـ جـبارـ

عشـتـار... يا عـشـتـار... الـربـ مـاتـ .. وـاثـقـلـتـ أحـلامـناـ تـيـبـسـ

الـبـذـارـ

فـليـسـ عنـدـنـاـ سـواـهـ ... يـعـاـوـدـ النـمـوـ ... يـعـمـرـ الأـسـوـارـ

لـيـسـ لـنـاـ سـوـىـ الـالـهـ ... فـلـتـرـحـلـيـ عـشـتـارـ

يـاـ رـيـةـ الـحـبـ التـيـ اـبـيـسـهـاـ المـسـارـ

كـانـتـ تحـكـيـ تـرـتـيلـ الـمـعـابـدـ وـتـشـيدـ لـلـمـعـنـىـ اـنـثـاءـ،ـ كـيـ تـنـجـبـ

عـجـولـ القـوـلـ،ـ كـانـتـ تـرـىـ العـسـلـ تـذـوـبـهـ أـلـسـنـةـ الـدـهـرـ،ـ تـعـبـاـ المـحـنـةـ

دـهـورـ الـفـكـرـ وـتـحـوـلـ السـوـاـعـدـ رـسـنـ الـفـجـرـ،ـ الـيـهـ تـرـتـمـيـ الـأـسـيـجـةـ بـزـيـتـ

الـمـبـارـكـةـ،ـ رـيـنـاـ ،ـ صـمـتـ اـفـلـاكـنـ الـرـافـضـةـ لـلـضـيـاءـ ،ـ رـيـنـاـ غـيمـةـ فـيـ سـمـاءـ

الـمـانـحـيـنـ لـلـسـيـوـفـ صـلـيلـ الرـقـابـ،ـ رـيـنـاـ كـوـكـبـ منـ ضـيـاءـ الـأـمـانـيـ

وـوـشـالـ الـآـمـالـ،ـ رـيـنـاـ كـذـبـةـ يـرـدـدـهـاـ الـكـهـنـةـ الـمـدـجـونـ بـذـهـبـ الزـوـاياـ،ـ

وـمـجـونـ الـلـهـاـتـ،ـ رـيـنـاـ كـذـبـ وـصـمـتـ،ـ رـيـنـاـ رـيـخـ الـاضـطـرـابـ،ـ فـيـ لـيـلـ بـابـ

تـقـدـمـ الـيـهـ وـاسـتـقـمـ بـأـمـرـ الطـاعـنـيـنـ بـالـحـكـاـيـاتـ،ـ يـاـ لـيـلـ بـابـ اـعـطـهـ قـبـةـ

مـنـ أـقـاـوـيـلـ تـحـرـقـ مـدـافـنـ أـسـاهـ،ـ تـرـتـدـ الـقـيـامـاتـ مـبـتـهـجـةـ،ـ وـتـعـلـوـ خـطـوطـ

الباحثِ صاجةً بركامِ الفجرِ، تدقُّ الحروبُ ضوحاً الأرواحِ، تورمُ  
الأفندَةُ، تسأَلُ الأمهاتُ عيونَ الحقائقِ : علامَ هذا الضجيجُ ؟  
- علامَ كُلُّ هذهِ المواجهِ والمدافنِ... والنعوشِ التي لا تستريحُ.  
علامَ كُلُّ هذا الضياعِ ؟  
- علامَ كُلُّ هذا اللهاثِ وراءِ بذارِ الكلامِ المجمَلِ بالخرابِ ؟  
- علامَ كُلُّ هذهِ الاوبيَةِ ... وهذهِ الأسئلةِ ؟  
- علامَ الجوابِ والالهِ ... اللهُ الحروبُ خراباً !!

تبني اللذَّةُ نعشَاً وتودعُه قافلةُ الذاهبينَ إلى الحدودِ، تجتمعُ  
اللعنةُ بالطعناتِ، فتنتَخُ انتظاراً وشقاءً، وابهاماً في معنى السرورِ  
وكتلَةً من ترقِّبٍ، تقولُ التي غادرَتْ دربَ أحَلامِها - متى يجيءُ ؟  
ترتكِّسُ المهماتُ بالحبِّ، وتسرِّيلُ العلاقاتُ دهشةً الاستعانةِ، ثم  
صراطُ غيرِ سويٍ، وتأمينٌ يقْنَقُ دربَ القِيامِ، تؤدي الفرائضُ دورَتها  
بلغِ القديمِ، المؤجرُ بوهِمِ الادعاءِ، قالتَ تعزِّزُ سُؤالَ المنافي - متى  
يمكُنُ للقلبِ ان يرحلَ اليهِ !!؟

تصنمُ صرخاتُ المودةِ ويعلوُ، المخاوفُ تبني الاحتجاجَ،  
رؤوسُ هنا... مقلولةُ هناك... سُؤالُ هنا... صنمُ هناك... لهاثُ  
هنا... نباخُ هناك... لذَّةُ باكتشافِ المجنونِ هنا... لا... لا... لا  
شيءٌ يأتيُ والحروبُ قياماتُ الفصلِ بينَ جنوبِ القلوبِ الحزينِ  
وشمالِ المقاصِدِ المستباحةِ، تقولُ التي راودَتْ نفسهاَ بالسؤالِ - متى  
تسكنُ الأحلامُ ويستقرُّ دينُها البعيدُ ؟

تدقُ المعابدُ تراثيلَ أربابها، وتسجّمُ الهفواتِ، بابلُ قيدُ أرواحنا  
بالهزائمِ، بابلُ وكُرْ حمايمِ لهنَ رغبةُ السفرِ البعيدِ، بابلُ خوفُ  
حونٌ... ونداءاتُ قلبِ دمرتةِ المهازلُ... بابلُ طريقُ الأغنيةِ  
الصامتةِ أوداجها... بابلُ محنَةِ المستحيلِ، توقف لحظةً ايهَا الراغبُ  
بأثارةِ نهشِ المجيءِ، عثارٌ خطٌّ اختيَارٌ مجيءٌ... عثارٌ وهما...  
عثارٌ جمعٌ نرجستينِ في حضنِ الأزمةِ، فلا تؤدي تراثيلُ كهانِها  
المانحينِ رداءَ البركةِ لملاوكِ قتلوا أحلامَهم بالدهاءِ، والتمسِّكِ بعمرِ  
الرذيلةِ، لا تؤدوا تراثيلَ ريةِ ضاجعتِ عريها بسترِ الذهاباتِ وعلوِ  
أسيجةِ اليقينِ، لو تبتَّأْسُ أو تصابُ بعطبِ الكبرياءِ، أو تلتحقُ خطاكَ  
الدروبُ، إنها درَّةُ المفازاتِ وسلسلَةُ الانتماءِ إلى شطها المؤملِ  
بالرجاءِ، كانتَ تحدثنا عن حربِها الأجلةِ... وعن محنَةِ الباهتينِ  
بالترددِ... وعن عمرِ التي ألبستِ عريها بعضَ ساعاتِ خلوتنا  
والضياءِ، كانتَ تحدثنا عن مدنِ مؤجلةٍ بالمسراتِ... وعن لغةٍ تستقرُ  
عندَ قلبِ السانِ تفجرُ أحلامنا إلى ظلٌّ صمتنا ونداءاتِ الموعِدِ...  
هي أرضُ أكفاننا فلا تستقرُ!!

تقولُ: متى تؤسسُ الخطايا خطابَ النعشِ؟؟

تقولُ: يا محنَةِ العابرينِ إلى اللهاثِ توقي عنَّدَ خطوِ الوصالِ!!

تقولُ: يا لوعتي ما لهذا السؤالِ لا يرحمُ الأفندِ؟

ترسمُ اللوحةُ إطارِ اصياغها بالمدافنِ والسوادِ الذي لا يعرفُ  
غيرَ أبيضاضِ الجسدِ المستكينِ، نظرُ أوجاعنا... نظرُ أحلامنا...  
نظرُ آمالنا... نظرُ جوعنا... لوعتنا... أفعالنا المستباحةُ سرُّ

المحال... هي الحرب... رؤاها تعب القلوب.. فلا تلتام يا جرح الذي  
لا يجيء... نكفن الغاديَات اليه ونلوم انفسنا بصورة الوجع الرافع  
لثقل المأساة... خذ ما تريده من الفتنة !!

### سلة الشيء والسمير

- طبولٌ تدقُّ الآذان بأصواتِ أرواحنا، حروبٌ تقام، جسدٌ يغادرُ  
بعض رضاها، المياه تعذب الآلهة بالمباح من الوهج المستديم، تقييمٌ  
عشتاز احتفالاً لتخسيب أرحامها التالفة فلا تلدُ الآملين بالنجاة،  
عاقر رحمُ أحلامها والبذار جفافٌ، تبني لديموزي معبداً وتطشُ  
المبادر في البلاد، فتهدمُ الرجاءات، تلاحقُ الأمكنة بين التي في  
لكش والسؤال، نفرُ والجوابُ، وبين اوروك وسومر وبابل وكيش أوجُ  
محبتنا والانتظار، وبين السؤال والجواب جثثٌ ونواحٌ وورودٌ من  
الرغباتِ، أعمائنا تشعل مفاحزننا بالتراطيل، أعمائنا زمنٌ من غدرٍ  
أزمنة العثار، أعمائنا طين المعابد ونهم الكهنة، أعمائنا تقسيم لارث  
والارتفاع ، من الذي سيد ذاك الذي لا يعرف المعنى وأعطاه الحكم  
صبياً!!

مفاحرة الجدود، نسب الوردة لعطر البهاء، نوزُ أوردتنا الذي  
يشغُل ضياءً، ما سطره لوح الليل في مجمعِ، الآلهةِ، رغبة العاشقاتِ  
بالبقاء ورقصة الاستعراضِ، الأمهات اللواتي يأكلهن الانهدامِ،  
الحبيبات الملوثات بالدموع، أولادُ اوروك وصمت العابِهم وانتظارِ  
أسنتمهم لحزنِ الشطوطِ، ايَا ويلُ هذا الليل ... ايَا ويلُ الماويِلِ وتعِبِ

الغاء// من ذا الذي جعل الحفاة المارقين لصوص المقابر، مجنى  
غاباتِ الرمل والحمى سادةً للمبادل ، والعيون التي اكتحلت بالعلو...  
انليل... آن... أم رية العاشقين؟ تغادرنا الوجه المرسومة بالملامح،  
وتتحفّر الدروب على جدرانِ القلب، وتضيءُ الأشجار بقافلةِ القفار،  
وتفيضُ بابل ببرعم الدفء

- أرنى زمني !!

- أي الزمان من لهب القص تريد؟

- قلتُ زمني لا لظى الأمنياتِ

- وإن تشظى بالرعود وخطير الوعود؟

- وإن ايها الذابلة بالوعود !!

- وإن ايها الذابلة بالبروق !!

- ما الذي يفيد احتشادِ الجمامج المضرجة بالمهود؟

- ما الذي تفيه بعثرة الهوس وعيون الثكالي من الامنيات؟

- ما الذي يوفى سيل الصباحات إذا ما انتشر الرجاء؟

- ما الذي يداعب كحل العينين ما انغرمت بوحشة الانتظار؟

- ما الذي يحمي الوجه من دنسِ المساءاتِ سوى الدماء؟

- ما الذي يجعل الأحلام أبعد من كلّ مثال ... سوى الخيال؟

ماذا أقول لزمنِ نابضِ بالأكاذيب. يلملم الوجع مقلِ الريح،

ويرمي البحار في مجاهلِ المفازاتِ، صفاء العيون يصير احتجاجاً وعزلتها قصية، والنداءات بـ التوصل الى اتفاق، تبحث

بين الحطاماتِ عن لحظةٍ للهدوء.. لحظةٌ للسلام ، تقوى التي  
أسست للحنينِ معبداً من دماءٍ :  
- لقد جاءَ حافطاً لعمد البذار !!  
تقولُ: لم تنتهِ الأسئلةُ... لم تنتهِ الأسئلةُ فمَن يدلُ الغريبَ على  
اساءة؟

تقولُ: زرعنا في الثرى أرواحنا وقد آن ظلامُ الحصادِ !!  
تقولُ: ألا تجُدُ يا فتى في مقلتيك قراراً؟  
الإشارةُ عبورُ المسرةِ إلى شاطئِ الأخضرارِ !!  
تقولُ: لنبدأ !!

### الرقيمُ الثالثُ -٨-

تلكَ ولدي رؤيا معاني الأفعال، تأخذنا احلام خطواتنا الى أزمنةٍ  
راغبةٍ بالزوال، كنتُ أسجلُ عمري في رحمِ الذاكرةِ وأثيرُ عزاءَ وحدتي  
في دربِ الآثام، ما كنتُ انطربُ لولا مجئاتُ سن وغثيانِ الأطيافِ  
التي ظلتْ تلاحقُ رأسي منذُ وجدتُ عمري ينسكبُ بينَ جدرانِ  
المعارفِ، العمرُ بعشرةِ الامنياتِ، كنتُ أملأهُ فینطشُ راغباً بالارتفاعِ  
باتجاهِ علاماتِ المباركةِ الآيلةِ للسفرِ، كان خطوي يقيم خطوةَ الأجلِ  
سن، أراه يلهبُ جسدَ الفضةِ بسياطِ رضاه، فأنحنُ الى قصصِ الذينَ  
غيّبهم نرجالٌ في دهاليزِ انوثتهِ الماكنةِ، تمتلأ عظمةُ أوهامي بصدقِ  
ما تتقولُ به الشفاعةُ، وتميلُ بثقلِ الأحلامِ اليهِ، فيسرجُ قوافلَ نفسيٍ  
ويعبرُ بي راسماً لوهمي مدنَا من اللازورزدِ، يعبُ أملبي بالسؤالِ، بينَ

نفر وكيس، أراه يجثو راغباً بالبكاء، كان صاحبي "سن ماغرض" يحدث ليل انبهارنا عن رؤى مضات وخلالها تدور في مدافن الشتات، الأيسُ يملأ أعمارنا بالهمسات، أقول: وكيف السبيل "سن ماغرض"؟ لم يفه بشيء، كان يرقب الجسد المستدير بهالة الضوء، ويبصر في عيني مالونيد، اسئلة حائره الخطوات تأخذنا بعيداً، ندور بعجز وحدتنا نحدث الليل عن حلم مضى وازمنة تجيء، يرحل شمس غاضباً، كان مجمع الآلهة يذبح تراتيل الكهنة بالغباء ويغذي مسعى العدد الذي يملأ الشفاه، الآلهة ترى شمس يمضي راغباً باكتشاف مدنًا أشد حضوراً في لجِ الفراغ، لحظة يجيء سن تتوقف قمامشة عن الجلوس، وتستقيم حضوراً فرحاً، أو لا تبدأ بالقول أيها الذي يملأ الفلوت؟!!

يبتسم الآلهة بالجواب، وتذوب المبادر بسواند الارتهان، يقول: كلّا كما يعرفُ الجواب... وتبقي واحداً أزلاً!!..  
كان "سن ماغرض" يقدم الأضحية فيرفع رأسه بدفء المفازات، يقول: متى..!!؟

يصمت الربُّ هنيهةً، متأنلاً حوافاً وحدتنا، مالونيد تظل صامتةً رغم امتناع احشائنا بالحياة، تتأمل ظلمة الحد وقد هدّها نعاسُ الرحيل، تمتذّ الصحرى عند كلّ الضفاف، وتعلو نداءات الدهشة تهزُّ أوتار القيثار "سن ماغرض" وحده ينتظر السؤال ليرد بسؤال يضيع ليل الرغبات، الى أين تسكبنا الخطوات... أومدنْ مأهولة بالشرور؟!!

كنا نريد لمواجعنا خلاصاً يؤكد انبعث أحلامنا التي اوجلت دهوراً  
وهي تدور بين الأرقّة الصامتة والطريقات الخرساء، ليلٌ تفيضُ أرجاءهُ  
بزهرِ الانتظارِ، كأنَّ الزمان سيرٌ وحديهِ وهيامهِ بين المداراتِ  
يلاحقُ فضةَ العربيةِ الإلهيةِ اينما مشَتَ، يعلقُ أنفاسهِ بضياءِ الأربابِ،  
ينفضُ سنَّ أرديةَ فيتساقطُ درُّ الرغباتِ والأملُ الأولُ... بايلٌ هي  
الرغبةُ الدائمةُ، كنتُ أحدهُ نفسِي فتتوسّع بالرهانِ، وتؤكّدُ سلامَةَ ما  
أخطيَ اليهِ، تغمُرني الكلماتُ ويُسرِّنِي بهرجُ المهرجانِ، وكنتُ أريدُ  
لنفسِي غيرَ الارتماءِ بينِ أحضانِ المشي جامعاً الأشلاءِ المنهوبةِ  
بالفتنةِ، أحدهُ أعمقِي فتروحُ في رهدنةِ المسألةِ... المجيءُ رغبةُ  
التحققِ لأنها أمرُ سنِّ الذي لا يردد!!

أتَكَّا وحدي إلى زمنِي فأبعدُ اتكاءَ مالونيدَ إلى نفسِها، وسنَّ  
ما غرضَ إلى وجعِهِ، تسريثُنا الحكمةُ وتسترُّ أيامنا أنوثةُ الارباءِ ،  
أقولُ وكأني أهمسُ لشيءٍ قصي: ترى إلى أين نتجه؟  
ترفعُ مالونيدَ رأسَها بجلالِ، وتضعُ نورَ الكلامَ فوقَ لسانِها، فيشعُّ  
البرقُ الذي ترتدي:

- نبونيد... كاهنُ المعرفةِ لا يعرفُ إلى أين يكونُ الاتجاه؟  
أقصمُ كأسَ خجي، ولزمنِي أمسدُ جسدَ الخيبةِ، تؤرقني مسراً  
الأسئلةِ، وتهزمُ الأورامُ وهي ترى عمقَ فورتي، كانت مالونيد ترى  
بغيرِ ما أريدُ، تعباً سؤالها بجنونِ المعاني، وتمسحُ الرجاءاتِ بانتظارِ  
الردّ، بخجلِ أرى إليها، فيضحكُ "سن ماغرصن" منتشياً وهو يراقبُ  
عيني المرأةِ التي التصقت بحضورِنا، ما كنا نعرفُ لم يريدُ منا سن

ضياعاً وسط تلك المفازات التي لا نصل الى حدودها قط، ظلمة  
موحنة وهسيس لا ينتهي يلاعب انكماش أرواحنا المصغية الى نعيب  
اليوم وعواء الذئاب ، تلوذ مالونيد بظلي فأجسُّ نبض فؤادها، بهدوءٍ  
تسلمني باسم أناملها الفائضة بالرقّة، وتدعني لزمنِ أداعُ دفعة  
الأطراف الذي سرى مثل ضوء بعيد، ينظرُنا "سن ماغرض" هادئاً وفي  
عمق عينيه تسبح المسافات، بفتحةٍ تضيء المفازات أجسادنا فيأتي  
سن محمولاً على هودج من رنين، تجلس أرواحنا بهدوء، وأسحبُ  
كفي عن أناملها ، تقول بحزنٍ من أضعاف دفعة الطريق:

- لم؟

رفع "سن ماغرض" رأسه وراح ينظر الى القمر، وثم صور تأتي  
من عمق التاريخ تتفاوز اليه، أشكال الكائنات فقدت ملامح وجودها  
باعثة على الاشمئizar والكراهية، وأشياء تحس أن أعماقها تمور بهدير  
صاحب يضم الاذان، وسن يتارجح مانحاً ضوءاً عبر الوف النهنهات  
والالام ، ترمي مالونيد قبضتها الى محاولة اضاعة الشحوب الذي بدأ  
يسطير علىَّ، عالم مجهول هذا الذي تاجه مثل مجانين، استحالات  
أرواحنا الى زهور بريّة مشربة، وأعمالنا الى دخان يسري ملاً  
الأرجاء، كنت أرى ان ثمة بصيص ضوء ينتصب أمام عيني، ضوء  
ساكن يقف عند قمة تبدو أمام عيني مثل رأس شعر الشعرا، أمسكت  
مالونيد يدي هاصرة ايها بقوه، فأطلقت لعمري العنان، همست لكي لا  
يسمع سن، وهكذا قصدت:  
- أترانا أضعنا الطريق؟

ارتجمَ جسدي وبدأ سن يرمي الي شعاعَ آمالهِ دونما صوتٍ، كانَ يحدُقُ في خطواتِ انتظارنا مبهوراً، نظراتٌ اضطرابٌ وخوفٌ رفرفَ الجسدُ الذي أطلقَ السؤالَ، وشعَّ متألقاً، أخذتْ رأسها الي غارقاً في بحرِ عينيها اللتينِ بدتا مثلَ عيني هرّةٍ تمعنَ النظرَ في امتدادِ الأرضِ الملحاءِ الخاليةِ من الروحِ، بسرعةٍ غادرَ "سن ماغرُض" صمتَهِ مطلقاً صرخةً قصيرةً، تلفَّتْ سن متفحصاً روحُ الاضطرابِ، وتأملتْ مالونيدَ الحركةَ التي راحَتْ تدومُ مثلَ ريحٍ في امتدادِ الصحراءِ، قالَ "سن ماغرُض":

- ما أتعُسْنا مشاةً ... غادرتْ أرواحُنا بابل .. فغادرتنا  
المحبةُ !!

قلَّتْ : " سن ماغرُض" ما الذي تقولُ؟

قالَ ممسكاً اياديَ من كتفي:

- ما سمعتَ... كانَ علينا أن نبدأ من هناك؟

قالَتْ مالونيد وهي تحدُقُ في فسحةِ الظلمِ بعيونها البراقَةِ

بابلُ تنتظرُ الجوابَ... لهذا جئنا "سن ماغرُض"!!

رفعَ "سن ماغرُض" رأسهُ باستحياءٍ محاولاً اعادةَ الأشياءَ الى اماكنِ وجودها ، فجأةً طفرتْ أحلامنا مجتازةً ليلَ وحدتنا البهيم، امتلأتْ مواجهنا بدخانِ النزواتِ ، فأنسئتْ رغباتنا المؤجلةُ بخفةٍ صوبَ المدنِ التي نريدُ، تحصَّتْ مالونيدَ هدوئي راغبةً الانفراطَ بوجودي الذي أفققَ وجودها ، قالَ "سن ماغرُض" مواصلاً دونَ اكتراضٍ لوجودنا:

- كان علينا أن نطرد الفزع الذي عباً دواخنا بعذاباتٍ لا مبرر لوجودها... ما الذي نريد... هذا ما كان علينا ان نحدده... ولحظة نجد الجواب... .

صرخت مالونيد بصوتٍ جعلني أحسُ بشيءٍ من الارتباك وعدم الثقة.

- ما الذي تقول "سن ماغرض" نحن نعرفُ ما نريد قبل أن تلتقي خطواتنا ، اجبنا السؤال قبل أن يجيء سن ويعلن اجتماع ما نريد

- ليس هذا ما أقصد مالونيد... ليس هذا ما أقصد... أعرف أن بابل تسكن أحلامنا... أعرف أن محبتنا لأرضِ السوادِ شملٌ يقيم لها آمال الاستمرار... أعرف مالوييد أن قلوبنا لا تهفو إلى غير ما أتعب وسائل مناماتنا ولكن قصدت... ما الذي نريدُ القيام به... ولم نحن دائمون في دائرة البحث... وأي المدن يمكن أن تلم خطونا الذي أتعبَهُ السفر... نفر... كيش... لكش... سومر... بلاد الشمال... كلها تنتظر والجوابُ مرهونٌ بالوصول إلى نقطة الانطلاق... لا أخفي جزعي مالونيد، ولكنني مطمئنٌ أن ارواحنا يجب أن تصل إلى مرادِ أعمالها .. وبعد مالونيد... وبعد، أتبقى خطواتنا مغمومةً بغيار الترحال.... بين كيش ونفر ... ما الذي نزرع وكيف ومن يرعى الزرع بعد أن ترحل الخطوات!!

فجأةً أضاءَ سن حافةَ الصحراء فتكشفَ الضوءَ عن مدنٍ تمتلأ بفضاءاتٍ بيضاءٍ ثم خطواتٍ ترصفُ وجودها بهدوءٍ، تجوبُ الطرقَ وهي تثبتُ وجودها المملوء بالمشقاتِ، كانت مالونيد تهيؤ نفسها

للانطلاق لكن "سن ماغرض" اعترض طريقها عارضاً خطواته  
للمسير، كنتُ أصدقُ في الامتدادِ مريحاً رأسي إلى راحتني دونَ أن  
تنبسَ بحربٍ، هامت مالونيد في هاوية سن، قال "سن ماغرض"،  
مواصلاً بغضِّ :

أخافُ نبونيد .. أخافُ ضياعَ خطواتنا في مدنٍ لا تبرُّ وجودنا  
وترفضُ الانصياعَ إلى ذاتِ الحلِّ الذي يدورُ في الرؤوس!!  
قلتُ: أوَ تعتقدُ إيهَا الحكيمُ ان في المدن التي نريدُ ليسَ ثمةُ من  
يحلُّ بما نحلمُ؟

قالَ: صعبُ أنْ أقرَّ هذا... آلامُنا اوجَدتها حاجةُ الروحِ أولاً!!  
قلتُ: ومثلاً انجبَتْ أرواحُنا أحَلامَ بابلَ وشَملَ أرضِ السوادِ...  
لابدَ ان هناكَ أرواحاً راوَدَها الحُلُمُ عينُهُ ... الأرضُ التي تنبتُ خلاً  
يرتوي من ذاتِ الشَّطِّ لابدَ أن تكونَ احلَامُ ابنائِها واحدةً!!  
قالَ: ليسَ كُلُّ ما تقولُ حقيقةً ، نبونيد... لـكُلَّ مَنْ أَنْبَى النَّاسَ  
حُلُمهُ ... ولـكُلِّ اختيارٍ طرِيقٍ

- الا في ما نحنُ فيهِ إيهَا الحكيمُ ... الا في ما نحنُ فيهِ!!
- قد أقولُ نعم إيهَا الكاهنُ ... ولكن الاختياراتُ تختلفُ!!
- ما هذا زمنُ الاختياراتِ ثمَ اختيارِ واحدٍ لا غير، وحدةُ بابلَ ولمُ  
الأشلاءِ... صعبُ أن يحلُّ الرأسُ بغيرِ هذا الحُلُمِ الجميلِ ... لا أدرِي  
كيفَ ينامُ الملوكُ والقادةُ بارتياحٍ وفي رؤوسِهم غيرُ هذا الحُلُمُ ...  
كيفَ تهناً أرواحُهم بالمسراتِ والدائنةُ تضيقُ ليلَ نهار... ما كانَ كبيراً  
وماجداً صارَ بحجمِ راحةِ اليدينِ... يا لها من محنَةٍ أن يحلُّ رأسُ الملكِ

- بغيرِ بلاه... كلُّ الأحلام يجُبُ ان تموت لحظةً يحيطُ الخطرُ بروحِ الأرضِ كلها، يجبُ أن تبقى مجردُ أحلامٍ ما دامت ثم مأساةً تقامُ..
- تلك هي علةُ المسؤول نبنيده الملكُ .. ان تقى قدرَ الأرضِ التي تريدهُ.. ما معنى أن تكون ملكاً وبلاكَ تتوزعُها المتأهاتُ... والى أين يمكنُ ان تتجهَ بأفعالِ الخلود!!
- نعم ايها الحكيم... نعم الى أين يمكنُ أن تتجهَ والافعالُ سرُّ بقاءِ الازمان... أن تعرفَك شفاهُ الناسِ وتعشقُ رؤيتك، أن تقى بذركَ بابل ... هذا يعني أن تبقى مثلَ سورِ اوروك أبداً عندَ مرأى العين!!
- أوَ تعرفُ نبنيده كيفَ يكونُ الملكُ ملكاً؟
- بلى سيدِي الحكيم... لو لم أكن أعرفُ ما اخترتُ حلماً بحجمِ بلاهِ الأنهاهِ كلها... حلمي يؤسسهُ ما فرأتُ وما عرفتُ، لقد رأيتُ كلَّ شيءٍ من خلالِ عيني ، رُقمي وقصصِ الأجيالِ البعيدة!!
- أوَ تعتقدُ يا ولدي أنَّ هذا يكفي ؟
- يكملُ التجربة ... يبني صرحاً للاستمرار!!
- بلى... يبني صرحاً للاستمرار ، نبنيده ستكونُ ملكاً لأرضِ هي سيدةُ الدنيا!!
- أوَ هذهِ نبوءةُ كاهنٍ؟
- لا ايها الملكُ بل هي حلمٌ لرفيقٍ طريقٍ!!
- حلمٌ تجللهُ رغبةُ التراجعِ سن ماغرض!!
- التراجعُ أمرٌ باتَ مستحيلاً!
- واذن لا طريقَ سوى ما نسلكُ!!

- قل هذا... لا أظن أن الرؤوس يمكن أن تهجع و تستكين إن تراجعت الأحساد !!

لبرهة رفعت مالونيد رأسها متفرحة الصمت الذي خيم فوق الألسن، ليس ثمّة غير درب يوصل إلى رغبة المستحيل التي سلك، كانت أرواحنا تمثلاً بضجيج السراب وهيامات الليل الذي غشى الأرواح، ثم اسئلة بدأت تجدد حضورها ضاغطةً فوق المساحة الفارغة التي تشكّل أزماناً أحلامنا المتراقبة البعض، ابتعد سن مهموماً لافاً جسدة البعض برداء السواد متجاوزاً كتلاً من الغيوم بدأت تنسحب إليه، كان "سن ماغرّض" يتبع الرحيل الالهي بانكسار ما ليث أن تحول إلى فرح طاغٍ، قالت مالونيد وهي تضغط على مواجه حنجرتها :

ها هو يرحلُ تاركاً أحلامنا تتپسُ!!

- قال سن ما غرض : - لا مالونيد ... لن تتبين بعد !!

ردت بحزن : - لكنه رحل سن ماغرض دون أن ينبع بشيء !!

**قلتُ وأنا أَسْبِبُ وَجْهَهَا إِلَيْ :**

-حتى وإن رحل، مالونيد.. لا حاجة لنا به لقد دلّنا على الدرب  
ومضى، لا يمكن للرب أن يصاحبنا أبداً!!

ومضي، لا يمكن للرب أن يصاحبنا أبداً !!

**قالَ سَنْ ماغرِضْ مؤمناً : - نَعَمْ إِنْ لِلأَرِيَابْ وظائف يُجْبِيْ أنْ**

تُقَامْ !!

قالَتْ وَأَنَا أَطْلُقُ زَفَرَةً ارْتِيَاحٍ: - مَا أَكْثَرُ وَاجِبَاتِ سَنِ ... رَبُّ  
الْأَحْلَامِ الَّتِي بَنَوْرُ الْمِبَاهَاةِ !!

قالَت مالوْنِيد غائِصَةً فِي بَحْرِ أَحَلَّمَهَا : - كُدُثْ أَنْسِى تَلَكَ الْبَلَالِي التِي لَهَا طَعْمُ الْبَرْتَقَالِ ، كَنْتُ أَهِيمُ وَإِيَاهَا فِي بَقِيعِ خَضْرٍ وَصَفَرٍ مِنَ الصَّيَاءَاتِ ، يَحْمَلُنِي وَالآفَ الصَّبَابِيَا فِي حَوْضِ عَرَبِتِهِ الْأَخَادِذَةِ شَامِرًا كُلَّ مَنَا إِلَى جَوْفِ حَلْمِهِ الَّذِي يَرِيدُ... وَلَحْظَةً يَقْرَبُنِي .. كَانَ يَظْلُمُ سَاهِمًا نَاظِرًا إِلَيْيَ بِلَطْفِ رَبِّ عَاشِقٍ ، تَشَدُّنِي إِلَيْهِ تَلَكَ النَّظَرَاتُ الْعَاشِقَةِ الْمُمْلُوَّةِ بِالْتَّنَهَّدَاتِ وَالْتَّوْسِلِ وَالْأَرْتِيَاحِ ، يَقُولُ :  
أَوْ لَيْسَ لَكِ غَيْرُ هَذَا الْحَلْمِ إِيَاهَا الصَّبِيَّةُ مَالُو؟

تَهَنَّرْ جَدَائِلِي فِي رَيْحِ فَوْضَاهُ ، وَأَظْلَلْ أَحَدَقُ إِلَيْهِ مَحاوِلَةً اجْتِيَازَ لَعْبَةِ الْأَنْتَظَارِ ، يَأْخُذُ بِيَدِي إِلَيْهِ فَأَشْعُرُ أَنْ ثَمَةَ شَيْئًا جَمِيلًا يُسْرِي بَيْنَ جَوَانِحِي ... شَيْئًا يُشَبِّهُ طَعْمَ الْأَرْتِمَاءِ بَيْنَ احْضَانِ عَاشِقٍ وَلِهِ ، قَلَّتْ :  
لَيْسَ لَدِيِ إِيَاهَا الرَّبُّ غَيْرُ مَا تَعْرِفُ !!

ابْتَسَمَ الرَّبُّ بِرِضا ، وَشَعَّ وَجْهُهُ بِابْتِسَامَةٍ فَضِيَّةٍ جَعَلَتِي أَشِيرُ إِلَيْهِ بِالْأَقْرَابِ ، لَعْبَةً مَاكِرَةً تَلَكَ الَّتِي كَنْتُ أَقْوَدَهَا ، أَخْذَنِي إِلَى صَدْرِهِ هَاصِرًا جَسْدِي بِلَذَّةِ رَمْتِي بَيْنَ احْضَانِ الْمُسْتَحِيلِ ، سَنْ هَذَا رَبُّ تَنْوِيْجَهُ مَعَارِفُ الْعَاشِقِينَ وَهَمْسَاتُ الَّذِينَ غَمَرْتُهُمْ تَوْسِلَاتِ الْلَّقَاءَتِ الْعَابِرَةِ ... كَانَ يَبْتَسِمُ عَلَى الدَّوَامِ ، يَحْدَقُ فِي فَرَاغَاتِ الْفَضَاءِ عَلَى الدَّوَامِ ، يَتَأْمُلُ رُوحَ الْأَرْتِيَاحِ عَلَى الدَّوَامِ ، قَلَّتْ :  
- أَوْ لَا أَرَى حَلْمِي ؟  
- كَيْفَ مَالُو ... كَيْفَ ؟  
- أَوْ عَاجِزٌ أَنْتَ إِيَاهَا الْواهِبُ لِلْحَبْ ؟

- لا ولكنني لا أريدهُ واحدةً لحلم مثل هذا!!
- لكنه حلمي ايها الربُ الذي أحبُ!!
- نعم حلمكِ... ولكن ثمةَ أحلام يجبُ أن تكون مملوكةً للجميع!!
- ما كنت أعرفُ هذا!!
- وهَا أنت تعرفيَنَ مالو!!
- أو لا نروجُ اليهِ؟
- انظري مالو ... صبيَّة بابل التي أحبُ... هناكَ عندَ بوابةِ معبدِ مردوكَ ما الذي ترينَ؟

حدقت بيصري في فسحة الضوء التي كشفت أمامي اشياءً غريبةً،  
 ثمةً فتى بملابسِ الكهنوت كان يجلس ساهماً وسطَ عتمةِ الليلِ مراقباً  
 بعينين مشرأبتيين استدارةَ سن التي أحاطت المكانَ بضوءِ أخاذٍ  
 شفيفٍ، أهالني مثلُ هذا الفتى مغموماً برذيلةِ الوحدةِ والانتظارِ، قلت  
 مستفهماً:

من يكونُ هذا ايها الربُ العارفُ بالأحوالِ؟  
 قهقهةَ سن بحبٍ هازأَ نثارِ فضتهِ فامتلأت الأرجاءُ بضياءاتٍ تشبهُ  
 البلورَ، قالَ:

- هو نبنيد ايتها الصبيَّة!!
- ومن يكونُ؟
- فتى دفعهُ الكهنوتُ الى حلمٍ يشبهُ ما تحلمين!!
- أو يريدُ هو الآخرُ أن يكونَ جامعاً لأنشلاءِ بابل؟
- بل يريدُ أكثر من هذا يا حلوةَ البابلياتِ!!

- أكثر من هذا... أو ثمة أكثر من هذا ايها الجليل سن؟
- بل مالو... يا حلوتي الباهرة!!
- لا أرى حلماً أكثر جلاً مما أريده!!
- بل لابد أن ترين... حلم يمتد منه اليك... ومنك الى بابل التي تنتظر!
- يا له من حلم طويل ايها الاله!!
- ولا أظنه ينتهي ما دامت روحك تهيم في براري الرغبات!!
- أراه يهمس لنفسه أيها الرب ، ما الذي يقول؟
- اسمعيه... اسمعيه جيداً ، مالو... فلابد أن تكونا معاً ذات يوم!!

أشار سن بفرح الـ صغير، فأقضمتِ الرويا أو أنغمَ نبونيد فجأةً  
بضياء شديد السطوع، أقيث اذني الـ فامتلأت بتراتيلٍ ما لبنت أن  
انطبقت بين طيات قلبي الذي بدأ يخفق بشدة مثل حمامٍ تريد  
الانطلاق

"سن يا معدن الأرباب... وعمر العاشقين... وسيد الآتين من زمن  
البذر

يا واهب الأحداق سوسة النهار  
سن يا لوعة الغرباء... وهمس أزمنة الوقار  
أتوسل المعنى اليك... نملاً محبتنا انتظار"  
كان سن يطش آماله اليه فتعباً الأرواح بفرح الداعاء، قلت:  
- أو يلتقي حلمي أساه؟

- قال ناصراً - ليس أسى ما ترين بل هي أغنية لغريب!!
- أهو غارق في غربته الى هذا الحد؟
  - كما ترين الأحلام تجعل حالميها على سفر دائم... لا وجود لمعنى الاستقرار !
  - فكيف اذا كان الحلم ثقيلاً تنوء به الأعماق؟
  - بلى... هذا ما يتبع الأفندة... نبنيه هذا ، يا ابنة بابل سيكون سياداً لكل شيء حتى الحب !!
  - حتى الحب ايها المضي بالسعادة؟
  - ما أحماله من فتى، وما أجلاه !!
  - معاً ستقطعن الأزمنة، معاً تغضان معنى الارتباك... سيرحمل اسمك وتحملين اسمه...
  - أنا ايها الرب المجد؟
  - نعم... ستكون أحلامك رابطاً لمداه مالونيد !!
  - أو هذا اسمي؟
  - نعم.. يا ابنة الحب والآمال !!
- فترتج مساحة الضوء المنهمرة فوق حضور الفتى، وتغيب رويداً.. رويداً الوردة التي كانت تعقب بشذاها مائة الأرجاء، تعلو قلبي غيمة لهم، ويسير الحالمين ينتج وجعي مطرأ من فيض دموعي، يأخذني سن الى صدره باسماً وهو يهمس لي:
- يا لك من صبية مالونيد... تريدين كل ما هو صعب المناں !!
  - أهو صعب الى هذا الحد؟

- ليس هو يا ابنتي ... ليس هو... بل الطريق الذي سوف تسلكـان... وعمر تملأه الهموم والمخاوف والغرابات ... ارتحال يتبعه ارتحالٌ وغيابٌ يقيمُ وأيُّ غيابٌ ... تلك هي المسافة التي تفصل دربيكما يا ابنةَ سن وعروسة بابل!!
- أو لا تقرب المسافات ايها الربُ الذي ادعى ابوتي؟
- تقتربُ ... بل لابد لها يوماً من الاقتراب ... ولكن الأمر يحتاج الى زمنٍ ليس بقصير!!
- تعذبنا الرؤى يا سيد محبتي!!
- وما فائدةُ الانسان دونما حلمٌ يضيءُ دربَ أيامِ الباقيات.. حتى الأرباب يا ابنةَ سن تحلم بأن تجد لأحلامها مكاناً فوقَ سطحِ حقائقها ... الأحلام وعيُّ الحضور الدائم للحب!!
- يا لك من لذٰيذٰ ايها الأب المبارك!!
- ويا لك من ابنةٍ تسعى الى زمنِ التحديات ... عمرك هو الذي جعلني اجيء اليك... كنت أراك تهربين الى فراسلُ نفسِي ، ما الذي تريدهُ هذه الصبية المعجونة بسمار الطين ... ما الذي تريدهُ غير حلمِ أقرانها ... فارسُ بثيابِ بيضاءِ وصهيلٌ يأخذها الى مدنِ أكثر أماناً وحقيقةً وحياةً، ويوم انعمست في سرّ وجودك عرفت ان لا شيءَ من هذا يسكن رأسك الباهي... كان حلمك صعباً أربعَ نفسِي، وجعلني أنام مرتفعاً ... كيف يمكن لصبيةٍ أن تحلم بكلٍ هذه الأشياء ... بابل.. والاشلاء الموزعة مثل دمامل مزعجةٍ، والعذابات التي تحبط الأرواح ولهمفهُ الناس الى خلاصِ يقيمُ السرور... أو قادرٌ أنتِ

مالونيد ... كنتُ أسأل نفسي... فتردّ بهلعٍ وخوفٍ... كيفَ يتسعني لفتوأةٌ خضبةٌ الاهابِ أن تسيرَ أمامَ قوةِ التحدياتِ. كانَ السؤالُ يسْبِّبني إلى سؤالٍ، والجملةُ إلى جملةٍ والمعنى إلى معنى... أنَّ الرَّبَّ الأكْبَرَ رئيسَ مجمعِ الآلهَةِ رأى سهومي وخوفِي، كانَ يحدِّنِي من لحظةٍ انطفاءِ الضوءِ خوفَ اخْتِراقِ وحوشِ العتمةِ ودروبِ الأربابِ ، قلتُ

- لا أعرفُ كيفَ أبدأً أيها الرَّبُّ الذي يعرِفُ كُلَّ شيءٍ ؟
- ما الذي أصابَ ولدي سنٍ ... أيريدُ اضاعةَ الطرقَاتِ في دنيا الظلمةِ الأزليةِ؟
- محالٌ هذا ... بل في رأسي سؤالٌ واحدٌ !!
- قلَّهُ أيها المباركُ سن!!

اطلقَتُ الآنَ السؤالَ، انفجرَتْ دموعُ عينيهِ ، وارتبتَكتْ سنواتُ ريوبيتهِ الآملةُ، قالَ وهو ينفتحُ الفجرُ بينَ ارجاءِ السكونِ: أرني ما قلتَ سن... ما أعجبُ ما قصصتَ... أو تقدُّرُ حلوةُ مثُلها على تحملِ كُلَّ هذا الذي قلتَ؟

بهدوءٍ اندفعتْ عريتي فاسحةً لضوءِ عالمي لحظةَ الانطلاقِ، كانَ آنُ يرى إليها دافعَةً نفسهاَ في بحارِ منَ الهمومِ التي تلهبُ الأرواحَ بعفنِ الاضطرابِ، انحنتَ مالونيد دافعَةً أحلامَها لسطحِ ذاكرتها ، أطلقَ آنُ صرخَةً استحسانِهِ، وانحنى إلى جبهاها محاولاً الوصولَ من خلالِ ومضِ العينينِ إلى قلبِ الفكرةِ ، كانتَ مالونيد تداعبُ ليلَ بابلَ باسترخاءٍ شديدٍ الحضورِ، كنا نرسمُ لهذا اللعبِ المثيرِ للسؤالِ مساراً

من الحيوانات التي تغذى الأفقار ببابل من الآمال الحاضرة الخطو، قال آن مبتهجاً:

- ما أبدع الرؤيا سن... ما أبدع الرؤيا!
- أو تظل الفتاة هكذا مطوية إلى جسد أحلامها؟
- محالٌ هذا وإلا ما كنت سيد الآلهة وكبير مجتمعها!!
- وما الفعل ايها الرب العظيم؟
- الفعل واضح سن.. وجلٍ.. ليكن لهذه الصبية مالونيد بعض من روحها يكملان معاً مسیر الرؤيا!!
- وأين تراه يكون ... وأننا أجبُ بعربي الملكية أرجاء الكون كل ليلة؟
- سن، أو تعجز قدرة الأرباب على خلق مثل هذا الفتى ؟
- أبداً... إن لي القدرة على خلقه متى شاء سن وأراد !!
- قبل أن تفك بالخلق ايها الضوء المبارك... لنبحث بين ما بين الديين !!

إمتد بصري ماسحاً ستر الأرض التي بدأ فجأة تمور تحت ضغط حضوري بضياءات متفاوتة الحضور ... ثم عتمة سحبت صوب بابل المدينة التي أحب، حاولت إزاحة ثقلها بهدوء ملامحي، لكن سن أشار بعنة إلى حوش المعبد الكبير، كانت الأعمدة الرخامية تتلاألأ بأضوئية خابية ما تلبث أن تنعكس باتجاه الممر الممتد إلى عمق المذبح الذي يستند إليه الرب مردوك ثمة نصب تحقق في فراغ الظلمة لأرباب فارقوا ريوبيتهم منذ أزمنة سحرية، ونصب لكهنة وقواد

يرفلون بقوة التحدي وجبروت المعنى الذي يحملون، كان وجهي يمنح الامتدادات هيبة سن اللاعبة بقلوب ناظريه، تحرك آن خفيفاً مثل ورقة بين وحْطَ عند قدمي فتى كان يحقق في فراغ الامتداد دون الانتباه الى ما يحيط به، وجه يشبه بذر الحنطة، وعينان تلجان الابتسام بحياء انشوي، وشفتان فرمزيتان تهمسان بكلمات صعب الوصول الى ما تقصد، قلت:

- ما الذي يقول هذا الفتى ايها الرب الأكبر؟  
وضع آين كفه فوق الرأس الفائز في مجازات أحلامه، بهدوء جعلني أبصر بحراً من الاضطرابات تسبيح بين اركان هذا الرأس المستباح لعظمة الوهم ، قال الرب :  
- أو ما رأيت؟

قلت: - ما أكثرها من مدن، وما أكثرها من أحلام!  
- أو لم أقل لك ان بابل لا تكفي عن دفع أحلامها الى رؤوس من تحب؟

- نعم ... فتى يرى أكثر مما ترى الآلهة!!  
- هو ذا الفرق سن... الرب يرى بحضور الشيء الذي يقرئ ويريد... أما الانسان فكائن شامل الرؤيا بحضور يجمع بين كل الأشياء!!

- قدر غريب رسم لهذا الكائن الذي لا يشبه سوى نفسه!!  
- والآن سن... أتريد معرفة سر ما يرى؟

- الروايا عيننا التي تملأ جوف الفتاة... حلم أراه يراود الروس  
بوقت حضور واحد !!

- وإن بحثت سن ستجد أن ثمةَ الكثير من هؤلاء ... لا يمكنُ لبيتِ  
الإلهِ وبوابتهِ آمالهِ أن تظل فارغةً من أحلام أولادها... حتى أنا سن ..  
ربُّ الإلهةِ وكبيرُ مجموعها بُشِّرَ لا أحلمُ بغيرِ لمَ تلك الأشلاء التي باتت  
تُورقُ مقامي... منذُ كنتُ صبياً ... كانت معارفي ترى في أرضِ  
السودان امتداداً لأعمارِ الحبِّ والمعرفةِ والسلام...فما الذي يمنعُ الآنَ  
ليعودَ كلَّ شيءٍ إلى ما كان عليه... بينَ كيش واوروك وبابل ثمةَ  
أكثرٍ من عمرٍ فلمَ لا تصيرُ للأعمارِ مسيرةً واحدةً !!

- وهذا ما أفكُرُ فيهِ أيها ربُّ الأقدس !!

- ويفكرُ فيهِ جميعُ الآلهةِ حتى إيرا الذي لا يعيشُ سوى الفوضى  
والخراب !!

- حتى إيرا أيها ربُّ؟

- الحلمُ يمتدُ حتى أعماقِ الشرِ... أعتقدُ سنَّ انَّ الأشرارَ لا يحلمونَ  
بأحلامِ طيبةِ المنبتِ؟

- كنتُ أعتقدُ هذا !!

- أبداً سن... أبداً كلُّ أولئك الذين دنسْتَ أرواحهم ذلةَ الدم... تمتلأُ  
أرواحهم برجاءاتِ الخلاصِ وبأحلامِ تشيزُ صوبَ سلاماتِ أبديةٍ...  
كلما رأيتُ أحدهم تمنيَّتْ لو أطلقتُ إلى روحِهِ سهامَ محبتِي وسلامي،  
ولكنَّ الأقدارُ رسمتَ والقيامتُ لا بدَّ تقامُ !!

- ما أعظمُ قلبَ الربِّ آنَّ وما أجلَّهُ !!

- الانسان سن حضورنا الاذلي لولا وجوده... من ذا يعرف سن ويغزل ببهاء عينيه، من يرى في عشتار بهوا للخصب والجمال سوى الانسان، ولا بد من حرصٍ شديدٍ على هذا الكائن المرتبط الى ما لا نهاية بوجود الأرباب !!

- هذا ما كنت أفكّر به ايها الرب !!

- بلى ... والآن سن.. ما عليك الا أن تكون رياً عارفاً بأن القلوب التي ترىحقيقة تكوينها لا بد ان لها أهدافاً واحدةً.. وأنت ما عليك سوى أن تجمع أصحاب هذه القلوب !!

انقضت هيبة آن، وقبل أن أفوه بشيء كان ظلة السرمدي يتلاشى بين طيات الظلام الذي حاول ركوب عريته، كنت أبصر الفتى وهو يهمس بروح سعادته، لم أشأ اثارة فزعه فانسحب محاولاً الامساك بفكرة البدء، زفرت مالونيد واهتزت جوانح سن ماغرض بفرح جعل الكاهن يمتلأ بحبور صبياني، كان الرب يتفحص امتدادات الصحراء التي خلت من روح الاستمرار، ثمّة صمتٌ يرش بريقة فوق هامة الرمل الذي بدأ يلصف مانحاً الأقدام المرتكنة اليه برودة آسرةً، لأنّ المرأة بجسد الكاهن، واندفع الكاهن صوب دفء احساسها بعمق اللحظة التي تعيش، عامٌ تؤطره عجالات البحث عن منفذ للخلاص، سن ماغرض اتكاً الى جسد الرمل محاولاً اجتياز غبار المحنّة واللوچ الى عالم أشد بريقاً وأكثر رغبةً باليقين، ما الذي تفعله الأسئلة... كان يملأ عينيه بتراطيل الصحو والانتظار الأرواح العجلة وأنّت بغيوبية البحث، رحيل باتجاه مدنٍ ما ولجتها الأقدام من

قبلُ، كانت مالونيد تحاولُ كنس تلك الملامح وتضورُ أرجاءَ تواجدها، أو ثمةً مدينةً لها ألقٌ بابلٌ واحضراؤ شوارعها، أم تراها مجردَ أمكنةً مهجورةً تلمُّ بين ارجائها طخماً من الجياعِ والفقراءِ والمسؤولينَ الذين تبحثُ أرواحُهم عنْ يؤكدُ لهم ألقَ الحياةِ ما الذي يمكن ان تكونه هذه المدنُ غيرَ صمتٍ متلاحقٍ وخراباتٍ تذيبُ فرحَ الانسانِ وتجعله مجردَ شبحٍ يدورُ مثلَ نواعيرِ الماءِ، تخطُّت بوجلٍ بواباتٍ كيش التي راودَت أحلامها منذَ تلك الليلةِ التي امتلأَت بضوءِ سنٍ وحضوره الطاغيِ، كانت المدينةُ تتسريلُ بضوءِ شمسِ ، مانحةً جسدها الممتداً بينَ الشطرينِ استرخاءَ الأحبةِ، ثمةً خطواتٍ تتعجلُ البوحُ وآخرى ترى ان ليسَ ثمةَ خلاصٍ من هذا الشتاتِ، عيونٌ نهمةٌ تريدُ الاستحواذَ بأقلِ ما يمكنُ من جلالِ المعنى وهيبةِ الآمالِ، تضيقُ الشوارعُ فجأةً وتهيمُ الأرواحُ بدروبِ تلوكُ الظلمةِ وئيدةً صامتةً، حاولَت مالونيد غسلَ رغباتِها عندَ معبدِ مردوكَ، لكنَ الرَّبَ كانَ غافياً تاركاً كلَ شيءٍ يقرُّ حضورَه بنفسِهِ، قالَ نبونيد وهو يهُزُ أطرافَ أناملها الباردةَ كالوريدِ:

- ما لي أراكِ صامتةً مالونيد؟
- ها... قل لي ايها المحبُ... أوَ أنتَ واثقٌ من اننا لابدَ ان نصل الى ما نريدُ؟
- أوَ لديكِ شكٌ فيما يقررهُ الأربابُ؟
- ليسَ هذا ايها المحبُ... ما يقررهُ الأربابُ لا يجدُ سوى الانسانِ منفذًا لهُ... ما فائدَةٌ مثلَ هذا القرارِ إن قالَ الانسانُ لا؟

- ما أغrieve من سؤال مالونيد... لن يقدر الانسان على مواجهة  
الرب بمثل هذا الرفض !!

- اذن كل شيء قرته الأقدار ... منذ زمن بعيد !!

- ليس مثل هذا ما أعرف ايها القلب الذي أحب... لا دخل للأقدار  
فيما نريد... نحن نسعى إلى ولوج بوابات رضانا... كل منا يعرف أن  
خطواتنا هي التي قررت الاستمرار !!

- أرى انك تتراجع عما أسلفت !!

- ليس تراجعاً حلوتي... بل هي حقيقة تأتي وتتغير... لا أخفي  
زوجتي... ان في أعماقي تعيش تلك الأسئلة وغيرها الكثير... من  
رسم لنا الأقدار... من يجعل السيد سيداً والعبد عبداً... وكيف له  
وضع هذا وبأي الإرادات يقرر... ما الذي جعل بابل توزع أشلاءها  
بصمت ثم تعود فتنـزع الأحلام فوق الروؤس التي لا تعرف لها  
مستقرًا... أو نحن الذين كنا نحلم أم تراها الآلهة هي التي حلمت  
وأوهمنـتنا إلى النـفاد إلى لـب الأحلـام... ولم نـحن دون سوانـنا مالـونـيد...  
أو خلت بـابل من الكـهنة لأـكون أنا... أو خـلت من الصـبايا الحـسانـين  
لـلتـكونـي أـنت... أو تحـوي بـابل بـعمرـها حـكـيـماً وـاحـداً... هو سـنـ  
ماـغـرض... ولمـ هو دونـ سـواـه رـغـمـ ما نـرـاهـ عـلـيـهـ من تـعـبـ طـالـبـهـ  
الـآـلـهـةـ بشـدـ أـزـرـ أحـلـامـنـا... القـلـقـ يـمـلاـ رـأـسيـ مـالـونـيدـ... لـكـنيـ أـعـودـ  
فـأـطـمـأـنـ قـلـبيـ بـجـوـبـ هوـ أـقـرـبـ ماـ يـكـوـنـ إـلـىـ السـؤـالـ... هيـ بـابلـ التـيـ  
تـشـرـيـتـ أـعـماـقـنـا... وـالـحـبـ نـسـبـ وـاـخـتـيـارـتـ إـيـتهاـ المـحـبـةـ !!

- أرى في قولك شعراً وكهانةً... مثل هذه الأسئلة لا يمكن أن تراود رؤوس الملوك!!
- ومن قال اني أريد أن أكون ملكاً... أحلم يا زوجتي بأن ألم الشتات وأبني وأشيد وبعدها أسكن واياك بعيداً عن كل ما يدمّر أحلامنا... لابد لنفسي من هدوء لبعض وقت!!
- ولم لا يكون هذا الهدوء الساعة؟
- صعب على ترك أحلامي عند منتصف الممرات... وحتى وإن فعلت ماذا عنكما وأنتما درب الاستمرار!!
- الاختيار لكلِّ منا مباح!!
- أبداً مالونيد... لا اختيارات لغير جمع وجودنا... هذا الليل أظنه الأخير الذي نلجه بعده مدن النداء... السؤال تعجزُ الإجابة... كيف ستكون البداية... في الرأس أكثر من بداية، وأظن ان عندك وعندي سن ماغرض مثل ما عندي، بدايات تعمق أحلامنا... ولكن كيف ننشر صورة استمرارها... من أين، معبد اوروپوك... أم معابد الآلهة الصغار الشارع الذي يعج بالناسين لأنفسهم، الحانات الموبوءة بالتخاذل والانكسار والضياع، الدروب المظلمة أم تلك التي تملأ روحها بضوء الصباحات، من أين ايتها التي أحن، البداية... أو نتوزع الأركان أم تراها محنة المشاركة ... امرأة عاشقة وكاهن عنيد وحكيم عاش بين مدافن من الأحلام... يا لها من اختيار ويا لها من صعوبة... أحس اننا نعيش ضياعات دائمة ، وأشد ما يقلقني مالونيد أولئك الوشاة الذين يحسدون الأحلام ويتصورونها قتلاً لما يحلمون

... العيون ترقب كل ما يثير الاستغراب، ونحن نثير الغرابة... مَاذَا  
 ان دخلت خطواتنا عالم ن الرجال دونما تحقيق لشيء!!  
 - عندها تكون قد أثروا استلة البدع، وهذا ما نريد... ليس مهمًا  
 نبنيه أن نصل بل المهم أن نبدأ ونلم غرابة الأحلام!!  
 - لا أدرى... لا أدرى مالونيد!!  
 - ما أنت الذي تقول هذا ايها الملك الذي يريد لملمة الشتات!!  
 - ان سن ماغرض، وتململة أوجاع جسده المكتظ بالمخاوف والآلام،  
 كنت أحدق في الوجه الباسم دوماً بتقاطيعه ذات التكوين السومري ثم  
 عينان بارزتان وجبين يرتفع مثل وسادة وفم تسورة دوائر الارتياح ،  
 كان الجسد وحده ينوع باثقال عوالمه المصنوعة باتقان عجيب،  
 المستدار زائماً جسده وسط كومة الرمل فازت صياحات الصبح بفتور  
 مالبئ ان تحول رويداً الى مجيء مباغت، كان الاله شمش يبنغ  
 ببطء من بين ركام الكثبان الصارخة بوعاء يهدم الأرواح، فتح سن  
 ماغرض عينيه، ونهضت مالونيد نافضة لؤلؤ الرمل الذي علق بين  
 طيات الثياب، كانت تشبه نرجسة تسبح في عرض الهممات الباعثة  
 على الراحة، نظرت اليها بامتنان فابتسمت برضاء جعلني أوهم نفسي  
 بأشیاء صعبة المنال، كانت مالونيد بالنسبة لي أقصى ما أقدر  
 ممارسته من حبٍ، كان ملاً روحي بسعادات لا حصر لها، أو صعب  
 علىي أن أجده مثل هذه المرأة، تعمق أحلامي وتسير واياي على هدي  
 مباحثها، صعب أن تجد امرأة تعيش كل هذا الجنون في زمن داحت  
 فيه الأرواح وما تجل احلامها، كنت أرى من خلال عينيها

اللاصقتينِ مثل عيني قطةٍ، عالماً مجنوناً يريد تحطيم كلَّ فجواتِ  
الاعتيادِ، لا شيءٌ يجعلُ ماؤنيد امرأةً اعтиاديةً، لا شيءٌ يجعلُها آمنةً  
سوى تلكِ الومضاتِ المتحديةِ التي تشعُ من أرجاءِ حضورها الطاغي،  
تنهدَ سن ما غرض، وشمَّ بجدٍ عطرَ شمش الشِّذِي فاضَ مالثاً الامتدادَ  
الصحراوي برأحةٍ تشبهُ رائحةَ البرتقالِ، فلَّثُ:

- والآن سن ما غرض... ها هو شمش يجيءُ وقد تكشفَ أمامنا كلُّ  
شيءٍ!!
- أوَ تريدينُ الاختيارَ ايها الكاهنةُ نبونيد؟
- الجهاتُ الأربعُ تطالبنا بالحضورِ فالى أينَ تسيرُ بنا الخطواتُ؟
- أوَ لم تقرَّ بعدُ ايها الملكُ؟
- ما تعودتُ سماحَ صوتي فقط... انْ لنا جميعاً حقَّ القولِ والرضا!!
- بلى... بلى نبونيد... وهذا ما يجبُ أن يكونَ ابداً في بلادِ بابل!!
- أقسمُ اني سأبقيهِ ما بقيتُ لي حيَاةً!!
- أعرفُ هذا نبونيد... أعرفُهُ جيداً... ولكنِ أخافُ مجهولَ ما  
يجيءُ بعدَ أن نرحلَ صوبَ نرجال!!
- لا أظنُ انَّ بابلَ ترضى بغيرِ هذا!!
- الخوفُ... الخوفُ هو الذي يجعلُ الأنفَسَ تتراجَعُ عن كثيرِ من  
آمالِها!!
- ليسَ أملًا بل حقيقةً ايها الحكيم!!

- حقيقةٌ... لم نرها بعدُ... ربما تغيرت أنفسنا نحن أيضاً... نبونيد ، العروشُ تصدرُ من بين ارجائها عطورٌ غريبةٌ تسهمُ بتغيير ما تلهج به الأرواح !!
- كيفَ هذا ايها الحكيم سن ماغرض؟
- كيفَ هذا ... هذا هو السؤالُ الصعبُ... لن أجيِّب الساعَةَ... لكنني سأتذكّر انكَ تطالبُني بجوابٍ !!
- حسناً، والآن الى أينْ ترانا نتجه ؟
- مدُنْ أربعُ ... وخطواتٌ ناقصةٌ... امتحانٌ صعبٌ هذا الذي وضعنا انفسنا فيهِ... لكلِّ من الشتاتِ حاجةٌ الى صوتٍ ... ولكن الأمر بحاجةٍ الى وجودنا معاً... ليست لدينا القدرةُ على الافتراق !!  
قالَت مالونيد متحجاً بصوٍّ جعلَني انظرُها بحدِّه:  
- ولمِ لا ايها الحكيم؟
- الأمر يتطلّب جمعَ عقولٍ والرأيِ يطالُبنا بالمؤازرةِ والشدِّ... ما فائدةُ صوتٍ واحدٍ في خضمِ هذهِ النداءاتِ الشديدةِ السطوع... مالونيد، هل أنتِ قادرةٌ على القولِ وحدِكِ
- ولمِ لا ايها الكاهنُ... منذُ زمِنِ كنتِ وحدي ... ولا بأس ان أكونَ وحدي الآنَ.

قلتُ و أنا أحُسُّ الاضطرابَ:

- ما الذي تقولينَ مالونيد... ما الذي تقولينَ؟
- ما سمعتَ ايها الملكُ ان لنا غaiياتٍ لابدَ من ملامستها... وأخافُ أن يتبدلَ الزمِنُ من بينِ أصابعِنا !!

- لن أسمح بالافتراق ... معاً بدأنا خطواتنا .. ومعاً تنتهي!!
- قالت بجدل : أو هذا أمر ايها الملك؟
- قال سن ماغرض: سمه ما شئت مالونيد... لكنه قرار صائب...
- معاً تكون البداية أشد عمقاً وأكثر حضوراً!!
- وأين لنا المسير ايها الحكيم؟
- الجنوب... الجنوب أحق بهذا الصوت... كيش ونفر وسومر هي محطاتنا الأولى، ولا أظن ان تلك الأرض التي سبحت طوال هذه الدهور بأحلام من تحدياتِ ترفض حلمنا ، بل هي أراها تشد أزرانا ما أن تشتد ريح النداء!!
- حسناً سن ماغرض ، لتكن سومر أولًا
- لا فرق ايها الملك الكاهن ... المهم ان سومر تسمع ما تجيء به بابل .. او تعرف شيئاً عن تلك الأرض التي نروم الوصول اليها؟
- كيف لا وهي جزء من حلمي ... منذ حظ ذلك الحلم في رأسي وأنا أنبش بين الرقم عن ايما شيء يشدني اليه... سومر تلك حلو أزماننا الممتدة الى عمق الفجر... لا أعتقد أن الأرياب أقاموا مدننا مثل بهاها !!
- نعم ... نعم نبنيده... هي أرض ثمارها معرفة ما في الرؤوس.. ما حلم أهلها بغير الود والأمان ... مدينة كنت أراها تنتهي أمام عيني كل لحظةٍ فتشيع بين جوانحي أماناً أخاذًا وسعادةً لا توصف... لسوف ترى هي طيبة ريح تلك الأرض وعطر مائها ... تملأ الأرواح بوجود العاشقين !!

## الرقيم الثامن - ٩

محزوم - بدأت فيضانات شمش تندفع بشعاعات ذهبية مميلةً  
الفسحة الممتدة بين الكهوف الى لحظة رهبة ما تلبث أن تسقط  
على الأرواح التي تعج باضطرابات الوحدة والانتظار، كان ثمة هاجسٌ  
يملاً الأعماق محركاً للأقدام بخاذلٍ حلها تنوع تحت ثقل التراجعاتِ  
الموجعة، وحدة تلاحقنا اينما حلت بنا الخطى، كان الرقيب ينظر الى  
محاولاً الامساك بزمن الغضب الذي بدا يأكل مواضع جسدِ المنهمكِ،  
قال :

- شوقيا... ألا تريِّد الجلوس؟

ابتسم سن ماغرض وأشار الى الرقيب بالابتعاد، فانسحب هازأً  
كانا يديه بحركاتٍ تملؤها الاحتجاجات، قلتُ:

- أراه يراك بعين أخرى !!

- ليس هذا ولكنَّه يعرف من أكون !!

- قل لي سن ماغرض، لم لا يعرف هؤلاء وجودَهم؟

- تلك محنَّةُ الانسان اينما وجد أو تريِّد للحياة أن تسير كما ترغُب !!

- ليس هذا سيدِي... ولكنني أتعجب لارتمائهم في أحضان من  
يسموُّه عدواً !!

- كل ما في الأعماق مسمى نسبي تحددُ المصالح والرغبات !!

- إلا أن تخونبني جلتكم سن ماغرض !!

- لدى بعضهم هذا أبسط ما يكون !!

- أو لا نجد ان ثمة طریقاً لهادیتهم ایها الحکیم؟  
- ليس الان ایها الرقام... ان أمامنا أھم من هولاء ... و حتى وإن  
قلت ... لابد وأن تزرع في نفسك شوک الخوف، لكل هولاء الرقباء  
مصالحٍ معَ من يقوم بأمرِ الكهوف!!

- ولهذا ترى كل شيء متروضاً كما هو.... حقيقة تُقلل ساعه  
بساعه!!

اكتظتِ الفسحةُ بالأقدامِ المسرعةِ والتي كانت تنتظمُ بصفِ  
طويلٍ، انسحبَ سن ماغرض ببطءٍ فاتبعتهُ محاولاً الامساكَ بلحظةِ  
الانبهارِ التي ألمت بالجمعِ المرتبِكِ النظاراتِ ، همسَ لي أحدهُم وهو  
يجلسُ الى جانبي قد علت سخفةُ كركمةُ الموتِ:

- أعتقدُ انهم سيعذبونَ احداً ما !!

قالَ مداريَ همسَهُ : - لمْ؟

قالَ بوجلِ: - لا أدرِي ولكن يبدو سؤالكَ غريباً... كلُ شيءٍ  
مباحٌ هنا !!

- الا أرواحنا ایها السيد!!  
قالَ مختاراً " قالَ مختاراً "  
نظرني بشيءٍ من الفتورِ ، وقالَ بصوتٍ متزايدٍ تلهثُ بينَ  
طياتِهِ عذاباتِ الاهمايل والنسيان والجنونِ:  
- أرواحنا هي التي أبیحَت أولاً، لا يهمُ الأجسادُ إن هي تعرضت لما  
تعرضت ، تعاودُ نشاطها ما أن تنسى الألمَ ، لكن الروح هي التي  
تبقى ملائكةً بالانهيار... لن تنسى الأرواحُ مواجعها أبداً!!

قبل أن أواصل هسي، دخل الحراس وهم يتناصفون آلة من جنوح الصفاصف، فيما دخل المسؤول يسحب كرشه المتراري أمام قميء، كان يحمل عصا طويلة، ثبت في جسدها نتوءات حديبية بأسنان مدببة، قال المسؤول وهو يلوك فرحة بصوت صاعق كالرعد - من منكم نodus ... ايتها الكلاب القدرة؟

بتراخ غير مبال ، نهض الفتى المريوع القامة، وثم حمائم من التهكمات ترتفع فوق رأسه العليء بأسنانه تبحث عن زمن للخلاص، كان المسؤول يحدق اليه بكراهية جعلتني أهمس للذى يجلس الى جانبى مرتجفاً:

- ما الذى يحدث؟

قال محاولاً إخفاء ارتجاف صورته المعجون برذاذ الانهزام:

- كما ترى حفلة سهر من أجل اذلال الأرواح!!  
قلت : - أو يكون هذا دائمًا؟

- كلما أحسن أهل الرأي إن ثمة ريحًا غريبة تسري بين الأرواح!!

- ريح مثل ماذا؟

- ما يوشر على استمرار الاستقرار والخنوغ!!

- يا له من عقاب غريب!!

- هذا أقصى ما يمكن أن يفعلاه... دائمًا تحس أن الأرواح ملاحقة بعدنابات الأجساد... الوهم سول لهم انهم قادرون على اخضاع محبتنا!!

- محبثا لمن؟

ما الذي جرى ايها الأخ ... أو لست بابلياً؟

- نعم!!

- واذن ... لم أنت هنا .. الغير بابل جئت ... أثمن ما يملأ الرأس غير

الخلاصِ مما يجثم فوق صدورِ الذين نحب؟

رفعت رأسي عند أول هممةٍ أطلقها نodusus الذي كان يتمدّد  
واضعاً قد미ه إلى عمودٍ مرفوع على مسندينٍ تشبهان قوائم كلب، كان  
المسؤول ينهال على قدميه بالضرب فيما كان الفتى يهمهم بكلماتٍ  
بدأت تؤجج النفوس التي أحرقتها نار الصمت، صاح المسؤول وهو  
يلهث وثم عرقٍ يتصبب من عينيه اللتين تشبهان عرق دودة قز:

- أو لا تريدين الاعتراف يا ابن السافل؟

رفع نodusus رأسه بشيءٍ من الارتياح ، لأنَّ ألم الضرب يسري  
محاولاً اختراقَ الجسدِ المركونِ مثل خرقَةٍ باليه ، قال المسؤول:

- عاذنك هذا لا يوصلك لشيء!!

قال الحارس الذي كان يمسك بأحد طرفي الكلب:

- اتركه لي سيدتي وسأجعله يعترف بما نريد

- لا اتركه لي آلة حصتي !! ردَّ المسؤول بطريقَةٍ وقحةٍ جعلت  
الحارس يتراجع وثمةُ أسىٌ كسيفٍ يسيطر عليه لأنَّ موجَّه الكراهيات يتتصاعد رويداً رويداً راغباً باختراق الأرواح التي كظّها  
الصمت فغدت مثل كتلة الطين تنتظر الجفاف ، فقلَّت لصاحبِي:

- والآن أتراءه يستمر؟

قال بصوتٍ أحسستُ فيه بنبرة الانتصار:

- نodusن هذا صعب المراس!!  
قلتُ:- أو تعرفه جيداً؟
- ردَّ بتفاخيرِ: نعم... نحن معاً منذ زمنٍ طويـل... معاً عشنا كلَّ  
ما عاشته بابلُ من موتي!!
- أكنت مقاتلاً؟
- ومن منا لم يعـر تراب الساحاتِ وجهـه... سنواتٌ طـويلـة وأنا  
أخطـو بـحـذـو الـمـلـكـ نـبـونـيـدـ، أحـلـمـ مـثـلـماـ تحـلـمـ اـرـضـ تـمـتـ الـىـ أـبـعـدـ  
من التـيـمـاءـ فـيـ كـلـ شـيـءـ
- لقد كان هـدـفـاـ سـامـيـاـ ايـهاـ السـيـدـ!!
- كان... أيُّ حـزـنـ هذاـ الـذـيـ يـجـعـلـ الـأـحـلـامـ سـاخـيـةـ لاـ عـودـةـ  
لـوـجـوـدـهـاـ... أيُّ حـزـنـ هذاـ الـذـيـ يـجـعـلـ نـلـوـكـ ذـكـرـيـاتـ كـانـ يـجـبـ أنـ  
تـبـقـىـ أـبـداـ!!
- هي مـحـنـةـ الـحـبـ ياـ صـاحـبـيـ!!
- سـمـهاـ ماـ شـئـتـ وـزـوـفـهاـ بـشـتـيـ الـأـلـقـابـ وـالـكـلـمـاتـ لـكـنـهاـ سـتـبـقـىـ  
مـحـنـةـ... سـتـبـقـىـ مـثـلـ عـلـقـ فيـ الـحـلـوقـ... صـعـبـ أنـ تـرـىـ أـيـامـكـ  
تـتـبـدـدـ مـنـ بـيـنـ يـدـيـكـ دـوـنـ أـنـ تـكـوـنـ قـادـراـ عـلـىـ اـيـقـافـ هـذـاـ التـبـدـدـ...  
مـاـ الـذـيـ جـاءـ بـنـاـ يـاـ صـاحـبـيـ غـيـرـ هـذـاـ الـحـبـ... الـحـبـ الـذـيـ مـلـأـ كـلـ  
الـمـدـنـ بـدـمـ الـإـبـاحـةـ... كـمـ تـرـىـ مـنـ الـأـعـمـارـ أـرـيـقـتـ فـوـقـ أـدـيمـ هـذـهـ  
الـتـيـ أـسـمـيـنـاـهـاـ بـابـلـ!!
- هي حقٌّ لابد منه!!

- وقد أضاعَ أنساً لا حقَ لهم هذا الحقَ... ليسَ نحنُ الذين أعادوا بابلَ إلى هذا المصيرِ... لا أدرِي كيفَ كانَ الأمرُ... وكيفَ بدأتَ المسألةُ؟

- بل كنا ندري يا سيد وقد أغمضنا أعيننا عنها... لم يكن "بيل شاحر" ابنًا بارًا لارث نبونيد ... كانَ الحلمُ بالنسبةِ له مجردَ ليلٍ وغناءً وسفالاتٍ لا تنتهي..

- بلى ، لقد دمرَ بلهوهِ كلَّ شيءٍ... هو الذي جعلَ كورش يطمعُ بأرضِ ما كانَ لهُ أن يطالها قط !! يا ويلُ ما نعيشُ وويلُ ما نرى، اننا نضعُ أنفسنا في محنَةٍ ما بعدها شيءٌ !!

تحركَتْ همماتُ في دائرةِ الصَّفِ ، ورويدًا ارتفعَ اللَّغْطُ كانَ "نودعس" منطَّحًا إلى الأرضِ وثمَ انهارَ من الدَّم تسيلُ من بينِ عينيهِ ليسَ ثمةً انكساراتٍ بل مئاتٍ من الاشتغالاتِ تملأُ هاتيك العينينِ المفتوحتينِ على اتساعِهما ، قالَ المسؤولُ آمراً: خذوا كلَّبكم هذا إلى الداخلِ... وحاذروا أن تتفوهوا بشيءٍ لا يفيدُ !! وانسحبَ مبتعدًا فيما حملَ الحراسُ كلَّب التعذيبِ، لزمنٍ أصابَ الخرسُ الأفواهَ وامتلأتَ الأرواحُ بوابلٍ من الاحتجاجاتِ المكتومةِ، حاولَ نودعس النهوضَ ببطءٍ فتلقيَهُ الأكْفُ بهدوءٍ ، قالَ الرَّقيبُ دونَ أن يسمعهُ أحدٌ:

- هذا ما حذرُتُكم منه!!

النفتَ الرجلُ الذي كانَ يحدُثُني إليه ، وهو يهمسُ لي:

- ابنُ الزانيةِ هذا ، يصورُ الأمرَ على أن لا يدَ لهُ فيهِ !!

- قلت متسائلاً : - أو تعتقد انه من موشى به؟
- ليس اعتقداً بل يقيناً يا سيد... أعرف ابن الزانية هذا منذ كان سائقاً لعربةِ تمويل الجندي ، كان يبيع الأسرار بألفه ما يمكن أن تباع ولها تراه هنا ... محض توافقٍ تريده ثبات ذاتها من خلال التقرب لأصحابِ الأمر !!
- أو ما علينا أن نتخذ أمراً ؟
- ما الذي نتخذُ والخوفُ يملأ الأرواح... الكل يكره، الكل يتصور ان لهم علاقةً بهذا الكلِ الذي اسمه المسؤول... الشك بات القاسم الذي يجمع سكان الكهوف !!
- وكيفَ الأمر إلى طرد هذهِ الشكوك؟
- صعب مرادك هذا يا صاحبي... ستضع نفسك في دائرةِ أكبر من الشكوك وأسئللةِ محيزةٍ ... ما الذي يريدُه من هذا الاندفاع... ولم لا يخافُ مثل كلّ هؤلاء... لابد وإن لك علاقةً سريةً غامضةً مع المسؤول، عندها لن تجد نفسك إلا بين أحضانِ الانعزالِ والوحدة!!
- أراكَ تسد أبوابَ الخلاص أمامَ ما نريد !!
- سمي الأمر بما تريده ... لكنها الحقيقة... يوم جيءَ بي، كانت في رأسي أحلامٌ كثيرة... قلتُ لابد وأن أجده أرضاً أزرع فيها أحلامي وما أفكُ... لكنني أحسست بالخيبة ما إن فتحت فمي وأطلقت طائرَ الأفكار... لا شيء هنا غير تناهٍ للقضايا... أناسٌ لا يعرفونَ لم هم هنا... وما هو الذي أصاب بابل وكيف... أولاد

- غَرَّ بِهِمُ الْوَشَاءُ فَارْتَمَوا فِي أَحْضَانِ الرَّغْبَاتِ الْمَاكِرَةِ ... وَرَجَالٌ  
وَجَدُوا أَنفُسَهُم بِحَاجَةٍ إِلَى خَبِيرٍ فَامْتَدَتِ الْيَهُمْ أَيْدِيُ الْمَطَالِبِ !!
- ليسَ الْجَمِيعُ بِهَذَا التَّصْوِيرِ !!
  - مَا فَائِدَةُ مَائِةٍ اِزَاءِ هَذِهِ الْأَلْوَافِ مِنَ الْأَفْوَاهِ الْمُتَوَجِعَةِ !!
  - لِلْوَاحِدِ فَائِدَةٌ أَنْ هُوَ أَحْسَنُ الْأَمَانَ وَقَرَرَ الْعَمَلِ !!
  - أَوْ تَصَدُّقُ إِنَّ الْوَاحِدَ قَادِرٌ عَلَى تَغْيِيرِ هَذَا الْجَمِيعِ الْمُتَلَاطِمِ  
بِالْأَنْهَىِرِ ؟
  - لَا أَرِيدُ تَغْيِيرًا بِلِ مَعْرِفَةٍ وَجْهِ الرَّضَا مِنَ الْحَقَائِقِ !!
  - لَا أَرِيُ مَا الَّذِي أَقُولُهُ لَكَ... وَلَكُنِّي مُوقِنٌ أَنَّكَ سَتَجِدُ الْمَنَاتِ  
مِنَ الْأَبْوَابِ مَسْدُودَةً أَمَامَ مَا تَرِيدُ !!
  - الْأَبْوَابُ الْمَسْدُودَةُ سَهْلٌ فَتْحُ أَفْقَالِهَا، وَلَكُنِّي أَخَافُ الصَّدَّ  
وَالْهَجْرَانِ !!
  - كَلَاهُما وَاحِدٌ ... وَالْأَمْرُ يَحْتَاجُ إِلَى تَدْبِيرٍ وَتَرْوِيَةٍ وَحْذِرٍ !!
  - أَوْ تَحْسُنُ بِالْأَمَانِ الْآنَ ؟
  - بَلِي... لَأَنِّي أَعْرَفُ مَنْ تَكُونُ أَيْهَا الرِّقَامُ شَوْقِيَا !!
  - التَّفَتَ قَلْبِي بِالْتَّيَاعِ إِلَيْهِ، كَنْتُ أَرِي مِنْ خَلَلِ صُوتِهِ الْمُمْلُوءِ  
بِالاضْطِرَابِ، أَنْ ثَمَّةَ نَبِعًا مِنَ الْأَسْنَلَةِ الَّتِي تَحَاوُلُ الْاِنْبَثَاقَ وَوُلُوجُ بَابِ  
الْتَّحْديِ الَّذِي كَانَ نُودِعُسُ يَرُومُ الْوَصْوَلَ إِلَيْهِ ، فَجَاءَهُ اِكْتَظَتِ الْفَسَحةُ  
الرَّابِطَةُ بَيْنَ بَوَابَاتِ الْكَهْوَفِ بِلْعَطِ مَكْتُومٍ مَا لَبِثَ أَنْ تَحُولَ إِلَى صِيَاحٍ  
وَهِيجَانٍ بَدَأَ يَتَعَالَى رَوِيدًا رَوِيدًا، كَانَ سَنْ مَا غَرَضَ مِنْ خَلَالِهِ يَحَاوِلُ

السيطرة على احمد اواه الذي بدأ يشتعل رويداً رويداً، كنت أنظر إليه متسللاً الفتى الذي كان يصحبني باجتياز الجمع ودفعه إلى التخلّي عن وجوده المثير للجدل، علا صوت الاحتجاج فيما كان نodus يقف محمولاً فوق الرقام التي كانت تنظره مشرابة الرقام، صالح سن ماغرض بصوت يشبه الارتفاع:

- ليس هذا ما نريد نodus، كف عنه أرجوك !!

صالح نodus بصوته المتوجع الآخذ بالارتفاع:

- وما الذي نريد ايها الحكيم ... انها بداية حريرتنا !!

ردّ صالح سن ماغرض : - كف نodus ... كف... الذي نريد حرية بابل بأجمعها لا حرية أرواحنا فقط !!

قال صالح نodus : - هذّ هذا الذي تقول حرية انسينا أولاً... لابد وأن نمتلك أرواحنا وإلا ضاع كل شيء !!

- لن نضيع ما دمنا نمتلك أرواحنا ونعرف ما نريد !!

- هذا هذّ لم أصدقه بعد الساعة ... لابد لنا من خلاص !!

- خطأ هذ الذي تقوم به... ولا بد سينتهي إلى خراب !!

- لينتهي إلى ما ينتهي إليه... المهم أن نخرج من هنا !!

- أقسم بسن أن لا أحد يخرج من هنا سالماً... لا تضعوا

رؤوسكم قرب نار الموقد نodus !!

- التخاذل والخوف يملآن جسديك ايها الحكيم... لقد بلغت ما

بلغت من العمر ... ويت تخاف مغادرة الأرض إلى عالم

نرجال الفسيح !!

- لا... نodus... لا... الحكمة أن نبقي هدوعنا، أين ارادتنا  
لنتمكن من الوصول !!
  - وهم ما تردد ايها الحكيم الطيب... الألم رسالة الوجع الذي  
يملا القلوب... ما فائدة الانتظار وكل شيء مأسور فيه؟
  - الثاني ايها الفتى... الثاني طريق الوصول الى المبتغى!!
  - لن تقيم النفس غير قصور الاوهام... سترى ان هذه  
الخطوات هي التي تملأ صباحات بابل بالارتياح !!
  - نعم نodus تملؤها بارتياح كاذب... بضجيج الانفعال لا قوة  
الكتمان والاستمرار !!
- لبرهة صمت نodus وأشار بيده فتقدمت الأفواه لاغطة دافعة  
سن ماغرض الى بوابة الكهف، حاولت الأمساك به لكن ثمة فتى كان  
ينظره بكراهية، تقدم منه فنهض الحكيم محاولا التثبت بفتوته، تراجع  
الفتى قليلاً ويصمت تراجعت خطوات الرجل الى أفل جاثياً على الأرض  
مثل جمل، قال الفتى آمراً - هيا أنهض ايها الخرف !!  
تشبث الشيخ برباع نفسه، ورويداً وجد جسده المتهدم يستقيم  
واقفاً، قال:
- ابتعد يا أنت... ابتعد !!

تراجع الفتى قليلاً وبهدوء حمل الى صدره صخرة مدبلبة ملقيناً  
بها الى صدر الشيخ الذي تراجع ثانيةً مستنداً الى بوابة الكهف، ظلَّ  
الفتى للحظات يحدق في فراغ الفسحة، ويتوجه اندفع الى الشيخ الذي  
حاول التمسك بالجدار معناً فلق عينيه، أمسك الفتى رقبة الرجل

وبارتعاشِ بدأ يضغطُ... يضغطُ... كنتُ أحاذِلَ الوصولَ إليه، أحاذِلَ  
اجتيازَ منطقةَ الخوفِ التي وجدتُ نفسي مرميًّا وسطَها... لكنني  
ووجدتُ سنَ يأخذُ بيدي بعيدًا... بعيدًا فيما كان سنَ ماغرض يغطِّ  
بتراتيلٍ جعلتهِ ألتفتُ إليهِ وأجهشُ في بكاءٍ مرًّا... لكنهُ عقيمٌ يشبهُ  
نهنَّةَ عجوزٍ وجدتُ نفسيها فجأةً وسطَ غابةً من أشجارِ الصفصافِ /  
كيفَ تمضي الريح... والعمُرُ بذاك؟؟!

كيفَ تلتزمُ المنايا... والمسافاتُ اخضارٌ

كيفَ تأتي... ايها الماضي إلى زمنِ الفرارِ؟؟!

كيفَ أيامُ الخطايا .. والمنايا وأوهامُ القرارِ؟؟!

كيفَ ذاكَ البدْرُ يسبحُ في ديجورِ نار؟؟!!

ربما تنهَّمُ الدنيا ويتشتعلُ المدار!!

وتصيرُ أحلامُ صباناً بوتفقةِ انتظارٍ !!

ربما تجلَّنا الخطيئةُ ... تركينا الأوهامُ

تشتعلُ الأرواحُ بالوحدةِ الرعناءِ / وترتحلُ الأعمارُ في سفنِ يضيئُها  
المنار

هي لحظتي الغضبي ... وصبحَ من هذارِ

لا تبتأسُ ... سنَ المجدُ... روحي تكللُها الأنأشيدُ ويرسمُها حلمي

وتحرقُها أوراقُ وردِ الجنارِ / هي لحظتي وسنِي يعذبُها الفراقُ

وتشعلُها المفاتنُ والبوازُ

من يوصلُ الأمانياتُ لبعضِ الوجعِ المسقوحِ فوقَ الدم

في زمنِ تصارُعِهِ الحرائقُ... ويدفعُهُ الحصارُ !!

و ليلٌ يدافعه نهار !!

ترتحل سماوات الكهوف صوب أزمنة اضطرابها، وتمتلأ باشمزازات الرفض ، ثمّة ارتياحات واحساسات بالفرح ، وثم خوف يتمعن في هيجان الوجوه الي ما استقرت على غير الاصناف لكلمات الضعف والبحث عن أمان حقيقى، كان سن ما غرض يموج في بحر من الدماء، وكنت أطرق متعناً في الزمن الذي توقف فجأة، كنت أرى سن يومض باصنافات أشعرتني معها بتدفق غير متوقع لدفع، كان سن ما غرض يعني محنّة الارتماء، بين عيني عالم غريب راح يرقبه مدة طويلة، محاولاً البحث عن آلية الانتقام !!

### مسلة الصمت

أو يكره الظلم منزل الحزن / ويلهث وراء الضياء الشحيح  
تناثي الأمنيات لجلال النغم الزاخر بالشكية، وتكابر الوردة دوداً  
الهلاك / كم نحب الصفاء، والنغم يكرر الخور / والرمال تلف  
العواصف، صخب وانطلاق إلى مذبح الأزمنة / صابر عوز المسافر  
لهنيهة الروعة من البساتين القصية / ولدو تمنح الطرقات خطونا  
للرحيل / ما تطلب الأحلام سوى الظفر، وهدية تداعب مسلة الصمت /  
زوادة تعج بغيار النجوم، وحرارات الرجاء / تزدحم المصائب فوق رغبة  
كهولتنا التي أرهقها الضجر المستباح / عينان من مجاهيل السرمد  
للقلب الذي يمنح الغرية سلاماً للشروع ومحنة للعطاء الذي / كان

يطرد اخضرار الرعب بعنم النداء / ما الذي تفعله أرواحنا في حضن المسارات والdroب يسلكها ريح التراب / وغرس الفصول المريض / عرسنا وجع السماء تراكم حشد تراكمها من مطر الرسوم / بعيد وجهه احرارك والوهج لهب الحرائق ، طيفك فوق المساءات ينسب قصصاً ويقيم للفقار معجزة تفجر المستحيل .

### نشيد التيجان

الوحش منهمك بالولوج الى لعبة الأسوار / يدفع عشرة أوردة الى المحضات / تدور اللعبة في جنة المستباحات من المعارف / كان وهما ترفرف فوق أزمنته الأسئلة / يهدم اليه المبادل فتلت الحسنات صوتها وتعمر طويلاً - ليس ثمة الآن غير موتي سدى ، ولظى يخرجنا في مدى الاخضرار ، تصيد المكائد الأحبة الأهلين بما تخبي ليالي الصدور دفع الثعالب والسنوات التي تكملها حاشية الغربان ، كان يؤكد ان الفخاخ ذهب الضوء ، بين فينة الحرية والمنازل التي تقيمها الأزمنة ، تتفتح الصدور عن وهج المنافذ في غربة الانتظار ، كنث الوجه للرياح فتأخذني العبوات ، وارتمي اليك ، تسيرني الكلالات في رمل الاختناق ،

قال: معالم الارتعاش سور القطر  
قال: أو لا تحب لحظة الاختيار؟

قالَ: قد لا تجيءُ النهارَاتُ... ولا تضمُ الأمسياتُ غيرَ غبارِ  
الأثيريةِ!!

قالَ: أتعدُّ كي لا تحسُّ أزمنتَك بالدوارِ

قالَ: تشريكُ الهزيمةُ يا ابن سيلِ الارتباطِ

قالَ: ما آلهة زمنِ الفراراتِ السحيقِ!!

قالَ: المقلُّ تفرقُها التوسلاتُ فلا ترى غيرَ عابرٍ للطريقِ!!

قالَ: في رحلةِ السنواتِ عودتُ ذاتي على اصدارِ أروقةِ الوداعِ!!

"يا أخوتي... يا زمن الكهوفِ ... الملتقى بالجوعِ

يا زمن المخاوفِ والحرابِ... يا زمن العيونِ المستباحةِ بالأحزانِ

يا زمن الدخانِ... والترابِ... والسؤالِ... والفجرِ

يا زمن ضاعَ بهِ الأملُ... يا زمن الفقلاتِ وصلابةِ التعبِ الغيدِ

يا وردةَ الصديدِ ... يا بردَ أحلامِنا الموبوءةِ من زمنِ اللقاءِ

يا زمن النقاءِ المستباحِ ... على ترابِ يسودُهُ الوطنِ

يا زمن المحنِ... لا يجيءُ الغدو بالعناقِ... والورُّد بالعتاقِ

والقلبُ يحرسُهُ الفراغُ... تحترقُ الفراءاتُ... تحترقُ الأمكانُ...

تحترقُ اللقاءُ

فكيفَ يكونُ يا زمني البقاءُ... وبابلُ لا تعرفُ المعبرَ...

يركبُها حصانُ الحزنِ والزمهيرِ... متى يا زمني تنبري الشفاعةُ...

وتترمي عندَ الكهوفِ الآهِ!!

متى ترتفعُ أرديةُ الغناءِ... وتعزفُ القيثارُ كلَّ صدى الأعماقِ

يا دهر هذا اليوم... أما تجيء قوافل الأيام بالأمل... فبابل مدينة  
 السمر دمّرها الرعاع وعاورها سيدُها القمر !!  
 بابل.. يا بابل... يا أحشاء هذى الأرض وسيدة السماء  
 ودوانةُ الخير والعمل !!

### الرقيم الثالث عشر - ١٠ -

خطواتنا العجلى تأخذنا عبر امتداد المفازة متبعين بعواء الذناب  
 ووحشة الليل الذي خادره سن منذ هنيهة ، كان يلقى علينا بعض  
 رضاه وكنا نرى من خلال وجهه المؤطر بالابتسام أن ثمة أزمنة  
 تلاحق حضورنا الرافع للواعِج القلب والمحترق بسنا غبار الوجع،  
 كانت مالونيد تأخذ على شرودي وسط هيامات الظلمة، وكان سن  
 ما غرض يلاحق أنفاسه بهممات صاخبة تحيل خطوتنا الباحثة عن  
 لحظة استكانة إلى فوران يمتد إلى عمق الوصول، ثم في أعماقنا  
 أسئلة تزيد الاجابة ، ولا مجال لها سوى الوصول إلى حيث تقصد  
 الأرواح، إلى حيث قرر سن ورغب أنليل وأعلن آيا، منذ طفولتي وأنا  
 أحلم بأن ألح هاتيك المدن التي لاكتها السن أمهاتنا، كنت أمتلأ  
 بضوء أيامنا ما أن أحط رأسِي في الحضن المشتعل هدوءاً، كانت أمري  
 تأخذ بجسمي إلى حيث تمتد المسافة بين أريدو وأور... وتتظل واقفة  
 تتأمل بقایا الأطلال التي دمرها الغدر، وأفسدتها رياح الخديعة والمكر،  
 ثمة عينان تتلألأن بدماء يشبه جمر الموقد، كنت أستغرب احتراق  
 عينيها وصمتها الذي ما يلبث يتحول إلى نشيج مر يشبه استداره

وجهها المطحونةِ بينِ الطينِ، من بينَ خوفي وضياعي تهمسُ شفتي  
مستفهمةً - لمِ هذا البكاء؟

تمسُّ شعر رأسي بفتورِ، فأحسُّ ثمةَ ناراً تملأً أوداجي، يتکورُ  
جسدي مثلَ قطةِ جاثيةٍ، وتموئُ روحي بصمتِ رضاها، كانتْ تحدقُ  
في ليل حكاياتها لزمنِ أغمضُ عيني معهُ، وأنقلتُ دائراً في لجةِ  
الإجابةِ، صعبٌ علىَّ أن أراها تبكي ما أن تمرَّ شفاتها فوقَ أديمِ  
الأرضِ التي اسمُها أور، كنتُ أحاذِّ جاهداً الامساكَ بمعنى السرِّ  
المذبحِ عنَّا أوهامتنا، لكنَّها كانتْ دوماً تسافرُ بي حاملةً أوجاعها  
وأوجاعي، بعدَ لحظةِ انهدامِ قلمِ أسلائِ غربتها، وتقولُ:

- صعبٌ عليكَ نبونيد أن تعرفَ ما الذي تفيفهُ أور لي ؟
- ولمِ هي مثلُ كلِّ المدنِ التي تعرفُ؟
- نبونيد... أنتَ لا تعرفُ غيرَ بابلِ ومعبدِها المؤطر بالحكاياتِ !!
- وأنتِ لا تعرفينَ غيرَ الدارِ... وموقدِ الليلِ... وأيامِ لا أدرِي كيفَ  
كانتْ ولمِ تبكينَ من أجلِها؟
- البكاءُ، ولدي لحظةِ احساسٍ بالأمانِ !!
- ليسَ هذا ما يبكي الأمَّ أبداً !!
- ما الذي أقولُ نبونيد... وبينَكَ وبينَ أورِ مدنِ بعيدةٌ؟
- أراها ايها الأمَّ مثلما أراكِ الآنَ !!
- تراها حطاماً وتراياً... أرقَّةٌ فارغَةٌ ونيرانٌ تأكلُ كلَّ شيءٍ... تراها  
خطواتٍ تتعرَّجُ بجثثِ من تحبُّ وهي تهرُبُ باحثةً عن خلاصٍ... تراها  
نبونيد حطامَ مدينةٍ... لا حلمٌ يعيدهُ لها هيبةُ الماضي !!

- المدن لها روح الانسان أيتها الام... تعيش وتشب وما تلبث أن  
تموت !!

- إلا سومر يا ولدي ... إلا سومر ... هذه المدينة ما كتب عليها  
لتموت لولا جزع الانسان ... ما الذي أحذثك عنك ولم أريد إملاء رأسك  
بأنمنة غابرة ... أملك هذه رأت ما لا يمكن لانسان أن يراها ... طفولة  
تضيع بين جدران تهدم ومشاعل تنطفئ ومذايحة تقام ... كنت أرى  
الليل وهو يعج بالنار وصهيل الجياد وتوسلات الأمهات ولغط الجنادل  
الضاحكين، كانت أمي تخفي عريتي تحت وابل من الأغطية  
والأغراض ... ليس ثمة ضوء ... ليس ثمة ضوء ... ليس ثمة غير  
رحيل سريع دونما أب وأخ ... كنا مطاردين بوهم العودة، تمشي  
خطواتنا أمامانا لكننا أبداً نتفتّ صوب الشارع الذي يؤدي اليها كم  
من السنوات مر ... لا أدرى ربما ثمانون أو أكثر، وأنا لا أبصر غير  
تلك اللحظة التي حملتني أمي بها ملفوفة بقطاء الموتى وهي تجر  
أخواتي وأخواتي المولعين بالبكاء ... كنت أرى سومر وهي تعج  
بالآمنيات، وهي تراني وأنا أنهزم ملفوفة بالحزن !!

- أو يحمل قلبك كل هذا الحزن أيتها الام التي أحب؟

- ليس هذا بشيء نبونيد ... ليس هذا بشيء أمام أن ترى نفسك  
ملقى وسط ضباب محاط بخوف وانتظار، كانت أمي تلمذنا مثل زلزيل  
صغريرة فنتطاير ناظرين إلى لهب الاحتراق، كان أخي " كال بندار"  
يصرخ ضاريا الأرض بعصبية لم أعتدّها فيه من قبل محاولاً الأفلات  
من قبضة أمي الممسكة به بتوصيل ... أي فتى تحترق أمام عينيه

ملاعب طفولته... صعب نبونيد أن ترى كل هذا الاحتراق وأنت لا تحرق، تصمت مثل ماء بارد... الليل يجيء وتجيء نهارات أخرى... ولا أمل... يضيع كل شيء.. أبي وأخوتي .. وسومر... تأخذ النار إليها كل أعمارنا ، لكننا نقرر فجأة ممارسة لعبة التيه، إلى أين... يقول " كال بندًا" بصوته الذي يشبه حفق قلب !!

ترد الأم جزعة : إلى أين... لا بد من أرض تأوي خطواتنا  
يقول " كال بندًا" : لنعد... فليس ثمّة نار !!

ترد الأم بحزن: لم يبق سواك أحد... ولا أريد لأختوك ذل الضياع يسكت " كال بندًا" وهو لا يعرف إل أين يمكن لخطواتنا أن تروح، كنت أبصر اليه حاسدة قوته، لم أعد أفهم بقول، كان قلبي يعيش عمر الخوف ويتسرّى لفوة الانتظار، قالت الأم : ما رأيكم أن نروح إلى بابل؟

وما لبّت أن ردت لنفسها بعد أن يئست من جواب يرضي تعasse نفسها

- لكن الطريق طويل !!

ردت بعنف كي تهزم تخاذلها : أعرف إنّه طويل... ولكن بابل آمنة... ويمكن أن نعيش هناك بأمان !!

ما الذي يمكن أن أقول نبونيد، كان الليل يأخذ أرواحنا اليه، ولحظة نستيقظ نجد إن الدرب طويل ... وخطواتنا تهدّها المتاعب، كيف قدرت امرأة مثلها اطعام كل هذه الأفواه وبماذا؟! لم أعد أتذكر نبونيد ... كنا نأكل ايما شيء تقدمه لنا دون أن ننبس ببني شفة،

كان الخوف يملأ جوانحنا بآلاف الأسئلة التي لها طعم الكافور...  
والآن نبنيـ... هل تعرف لم تبصر أحلامي دوماً مدينةً مثل سومر،  
هي لي مثلاً لك في بابل... أيام حلوة... وذكريات لا يمكن للقلب  
نسيـها قـط.

- هوني عليك ايها الأم ذلك زمن مضى!!
- الأزمنة مهما صارت بعيدة لا يمكن أن تغادر القلوب...  
وستتذكر هذا نبنيـ ذات يوم

كانت أمي تحاول لعلمة أحلامها التي كانت تخاف أن تصيبـ  
سديـ، كل شيء كان بالنسبة لها مربوط بالعودة إلى هناك ،  
الحكـيات المعـجونة بالـلـود والـفـرـاغ العـجـيب التي تجـد نفسـها فيه دائمـاً،  
حاـولـت مـرارـاً ولـوـجـ عـالمـها مـعـتقـداً إنـها لـابـدـ أنـ تـشـعـرـ بالـفـخـرـ اـرـائـيـ،  
لـكـهـاـ كـانـتـ تـسـتـيقـظـ عـلـىـ صـوتـ غـرـيبـ يـشـبـهـ انـعـكـاسـاتـ المـوجـ، تـرـفـعـ  
رـأسـهاـ مـسـتـفـهـمـةـ، وـلـحظـةـ تـرـانـيـ ، أـغـمـضـ عـيـنـيـ، تـمـسـدـ رـأـسيـ  
مـسـتـغـرـقـةـ فـيـ نـوـمـ لـذـيـدـ وـهـيـ تـنـتـمـ بـكـلـمـاتـ لـمـ أـعـدـ أـمـيـزـ مـنـهاـ شـيـئـاـ،  
تـهـزـيـ مـالـونـيدـ بـلـاطـفـ لـحظـةـ تـتـعـثـرـ خـطاـيـ وـيـظـلـ سـنـ مـاـغـرـضـ آـخـذاـ  
خـطـواتـ مـتـعـجلـةـ بـسـرـعـةـ تـجـعـلـنيـ أـتـوـسـلـ إـلـيـهـ بـالـتـرـيـثـ وـلـوـ لـبرـهـةـ وـقـتـ،  
تـقـوـلـ مـالـونـيدـ ضـاحـكاـ:

- ما الذي كنت تقول ؟
- لا شيء يا حبة القلب... كنت أرى أمي لا غير !!
- أ أمك حقاً ، سومر أيضاً نبنيـ !!
- هـكـذاـ كـانـتـ تـقـوـلـ ، وهـكـذاـ عـرـفـ !!

صَاحَ سَنْ مَا غَرَضَ مَحْرَضًا :

- كلاماً لابد وإن له جذوراً، أما أنا فجذوري في أريدو كما تعلماني !!
- ألا تجد أن ثمة فرقاً بين سومر وأريدو أيها الحكيم؟
- لا فرق بين أرض هي واحدة ... لكن الانسان بطبيعته يعيش أول بقعة رأى الضوء من خلالها ، ومن خلال هذا العشق يمتد عشقه إلى ما يريده !!
- سومر وأريدو... ونفر... وبابل... حلمي الذي لا أرى أن ثمة فرقاً فيه... أباث وبين عيوني بعضه... وهو أنا أغادر أرضاً لأصل إلى أرض هي مني مثلاً أنا منها !!
- قالت مالونيد : حلم جميل... لكن بابل هي الحبيب الأول... واللقب يهفو دائمًا لأول حب !!
- التفت إليها باسمًا فيما يخطو سن ماغرض وهو يكرر ضاريا الأرض بكلتا قد미ه !!
- لا أدرى ما الذي أراده سن مني حين جعلني أرافقُ مجنونين مثلكما، فتى كاهنٌ وفتاةٌ ترى إن الأحلام زاد معارفها... سن لا أدرى لم يناصبني العداء... وأنا شيخ عمرى يتتجاوز عذابه؟؟!!
- أو نحن مجنونان حقاً يا حكيم بابل وعارفها؟؟!!
- الحق... الحق أقول لكم... يحيّنني أمركم معاً وبين الجنون والحكمة ثمة قيدٌ أتعلمه وشعرة سؤال... وأنتما معاً ترفلان بغير الأسئلة !!

- أو تسمى ما نحن فيه حكمة السؤال... نحن بحاجة إلى جوابٍ  
يؤكد المعنى!!

- ولدَيْ ولابَدَ انكما واصلاهُ!!

كنت دائمًا أحاول اثارة سن ماغرض من أجل ملاحقة سرّ  
جوابِه الذي كان يملأ على جوانحي... رجلٌ مثله ظل طوال سنوات  
وحديه يعيش جلال المعرفة من خلال الولوج في دائرة الجواب الذي  
كان يملأ بابل بالآلاف الأسئلة المحبيرة للعقل، لقد كان سن محقاً حين  
اختاره لرحلة الود والشقاء هذه، قلت :

- أرأيت سومر من قبل ايها الحكيم سن ماغرض؟

توقف لهنيهة متأففًا إلى التفاتة شماتة وشقاء، وما لبث أن  
عاود السير كمن يحاول اللحاق بشيء ما ، تصور وهمي أنه ما  
سمع السؤال فأعدته ثانية بصوت تعمده عميقاً يخرق ظلمة الليل،  
ضحكَ مالونيد وأطلقت ليديها تلویحة اضطرابٍ، قال:

- كلاما لم ير سومر من قبل... كلاما يريد كشف سرّ الرويا قبل  
حلول الأوان... أما أنا فقد خبرت كل شيء  
- أو تعرف دروب أرضها جيداً؟

- نبنيده، طفولتك مملوئة بالحكايات عن تلك المدينة ولا أظنك ناسيًا  
تلك الأيام !!

- لا أصدق إن ثمة شيئاً بين ما كانت تقوله الأم وبين ما أرى...  
أمي ملأت رأسي بخراباتٍ ومواجع ، ولا أظن أن سومر ما أعادت  
بعض هيبتها وحبورها !!

- نبونيد، لن تعيَ المدن حبورها إن هي انكسرت وضاعت خطى أولادِها... سومرٌ تشكو منذ تلك الأيام قدرها!!
- أوَ تظنُ إنها قادرةٌ على استقبالنا؟ "قالَت مالونيد متسائلةً"
- لولا هذا الاعتقاد ما كنتَ جئتُ... إنَّ ما يقرُّهُ سن ايتها المرأة التي ستتصير ملكة قائم لا محالةً... وإلا ما الذي يمكن أن يكون إن رافقت خطواتنا الخيبة واعتراها الخذلان؟!!
- قلتُ وأنا أمسك بيدِ مالونيد هاصراً إياها بقوَّةٍ:  
هذا ما أفكُّ بهِ... ماذا لو وضعنا سن في امتحانِ عسيرةٍ...  
ماذا لو وجدنا أبوابَ سومر موصدةً ازاءَ ما نريدُ؟!!
- قالَ سن ماغرض معترضاً:  
أو يريدُ الملكُ وضعَ خطةً للتراجع والانكفاء؟
- قلتُ صاحكاً: - لا ليسَ هذَا ما أريدهُ، ولكنَّها أسئلةً تبحثُ عن جواباً!!
- ليسَ كُلُّ الأسئلةِ تزيدُ أجوبَةً نبونيد!!
- لكنَّي أجدهَا صادقةً البحثُ عن جواباً!!
- وجودُكَ يضعفُ المسعى ايها الكاهنُ السابعُ في بحرِ التراجعاتِ!!
- سُمِّها ما شئتَ ولكنَّ اسمعني الجواباً!!
- فهو شكٌّ في قدرةِ سن ورادتهِ؟!!
- بل هي معرفَةٌ بخفايا الربِّ ودهاءِ ربوبيتهِ!!
- أوَ تدري نبونيد ما الذي يجعلني أعجبُ بكَ؟
- ماذا أيها الحكيمُ الطيبُ؟

- تلك المواجهة الحادة مع كل شيء... الأسئلة التي تلذ أسئلة، والحيرة التي لا تجد لها قراراً، ستكون ملكاً ليس بعده ملكٌ وسيداً ما مثله سيداً !!

- هي نبوءة ايها الحكيم؟

- بل هي معرفة بخفايا الرب ودهاء ربوبيته!!

ضحك سن ماغرض بصوته المجلجل، وحين يضحك ثم يقين يسري بين حركة قدميه، ابتسمت مالونيد وأخذت بيدي وهي تغدو السير، كانت العتمة تكشف رويداً رويداً وثم خيط من برد بدأ يقرص أجسادنا المكدودة من التعب، تعب لذيد له طعم من يريد النوم ليجد نفسه فجأة وقد أصبح سيداً تتحرك بين يديه مئات الأحلام والرؤى، قلت:

- سن ماغرض، ألا نستريح قليلاً، لا تنس معنا امرأة!!

احتاجت مالونيد بصوت جعلني أتفجر ضاحكاً:

- حاذر أن ترمي تعبك على أكتاف غيرك، أنا لست تعباً... تحدث عن نفسك التعبة، إن أردت ايها السيد الكاهن

- ما الذي تقول ايها الحكيم الطيب؟

- الآآن تهدأ أرواحكمـا... لابد وإن نصل الى مسافة أقرب!!

- لكنني أحس الارتخاء وبجاجة الى بعض النوم !!

- حسناً... ها أنت تعرّف " صاحت مالونيد متاخرة وهي تطرح

" بجسدها الى الأرض "

كنت أراها مغمورةً بسعادةٍ واطمئنانٍ غريبينِ، جلسَ سن ليسَ  
بعيداً عنا لافاً نفسيه برداهـ الكهفوتي الذي يشبهُ غيم السماء لحظة  
صحوها، وما ليث أن أغمض عينيه سارحاً في بحرِ من التأملاتِ  
التي جعلتني آخذَ مالونيد اليَ مقبلاً يدها، كانت مالونيد بالنسبةَ لي  
المرأةُ التي تحركَ عالمَ سريتي وتجعلني أسبحُ في بحورِ من المخاوفِ  
والآلامِ، نظرتني بهدوءٍ واضعهً يدَها الدقيقةَ مثلَ رغيفِ خبزِ حارٍ فوقَ  
صدرِي، وبصمتٍ ضاعَتْ في سواداتِ النوم فجأةً وجدت نفسي تقفُ  
عندَ حافةِ الاختيارِ، وثمةَ اسئلةً تنزفُ دماً، كانَ سن لحظتَنِ بعيداً  
عني ، بعداً مذهلاً تجربةً خيولٌ غرورٌ صوبَ مدنٍ لا ترقُها عيونُ  
الأريابِ فقط، لحظةً يجيءُ سن تكفي الأريابُ إلى مخادعها، ويظلُّ  
هو وحدهُ يملأ السماء بضوءِ جبروتِه وريبيته العظيمةِ الحضورِ،  
كانَ سن بالنسبةَ لي خلاصي الأبدي، فماذا لو وجدت نفسي دونَ  
وجودِه، ماذا لو قررَ مجمعُ الآلهةِ اقناعَه بالتخلي عنِي واعلانِ  
انسحابِه وتركِي وحيداً منتظراً خلاصي الغائبِ في لجبِ الأرواحِ...  
ماذا لو ضاعت روحِي وسطَ انكساراتِ سومرِ وضياعاتِها التي لا تقدمُ  
غيرَ همَ الضياعِ والخوفِ والجري خلفَ أطيافِ لا طائلَ من وراءِها،  
ماذا لو اصطدمت أحلامي بصخرةِ الخوفِ التي تلفُ ليلَ سومرَ  
وتسسيطرُ على كاملِ جسدها الميتِ منذَ زمنٍ طويلاً، ماذا يمكنُ أن  
أقدمَه لسومر أو هي تقدمَه لي، والمدنُ الميتةُ أجسادٌ تتعرَّفُ عندَ  
مقابرِ الانتظارِ، كانَ سن يبتعدُ هارباً وثمةَ دوامتَ ريحٍ تملأُ ليلَ  
الصحراءِ التي بدأت تكتظُ بنداءاتٍ كانت تسيرني صوبَ أطيافِ ما

كانت لتجيء لولا المخاوف التي بدأت تسسيطر علىي، مخاوف وأوهام  
كنت أظنها لن تنتهي أبداً، فجأة رفعت مالونيد رأسها متفرصة  
الأصوات التي جعلتها تصدق إلى كمن تراني لأول مرة، قلت: -  
أنت خائفة؟

تركت عينيها بطرف عباءتها التي تشبه وجهها مظلاً، وقالت  
بصوت يشبه رنين أوتار القيثار:  
- خائفة من ماذا؟  
- خلثك هذا... إن في نظراتك شيئاً أحeler مصدره!!  
- شيئاً... أو تقرأ الأفكار إليها الحكيم نبونيد؟

أخذتها بهدوء إلى، كنت أحس أن ثمة ارتباطاً ألياناً يربطني  
 وهذه الانشى التي كانت تغدو السير وإياي صوب مسارات خلاص لا  
أعرف لدرويها سيراً، خلاصات ظلت تراود وجودي مثل ذئاب تراود  
ذبابة جريحاً، يثيرها مرأى الم فترحفل لائفة في بحر نداءاتها الغربية،  
أصوات تمتزج بين الرغبة والاشتهاء والخوف، اهتز الجسد بين يدي  
اهتزازات خفيفة واستدار متاؤها محاولاً البحث عن لحظة دفء بين  
خفاف الرمال التي بدأت تصيح رويداً رويداً، اهتز الجسد بارتياح  
لحظة امسكت لعبي الصدر، وهمس بفتح آثار فضولي فظللت أدق  
في فضاء العينين الباسمين مثل ورد الجوري: أ أحبك نبونيد!!  
ارتفاعت أورام الروح طائرة في فضاءات أسئلتها التي غدت فجأة  
 مجرد رذاذ يتطاير مالما الأرجاء، تحسست الجسد اللدن مثل كومة  
قطن فتاوة مشمورةً بين ذراعي، ثمة لحظة كان سن يرانا وفي عينيه

ثم ابتسامٍ غريبٍ، ابتسامٍ جعلني أرفع عيني مستفهماً ولكنَّه ما لبثَ  
أن أعادهما عنوةً إلى القلبِ الذي بدأ يخفقُ دافعاً عميقاً حضوره  
صوبَ جسدي الممتدِ باحثاً عن برودةِ الرمل، قالت مالونيد ضاحكةً:

- سيرى سن ما نقوم به ... ماذا تراه يقول؟
- الأريابُ تفرجُهم أفعالُ الإنسانِ ... وبخاصة سن !!
- سن يملأُ القلوبَ بفرحٍ بهيّ ... حينَ أره يهتزُ قلبي بقاءٍ  
وبحبورٍ ... أوَدُّ لو أرتمي بينَ يديه !!

قلتُ ممازحاً رغبتها التي جعلتني أتصنَّعُ الغيظاً:

- ماذا مالونيد... بينَ يدي سن ... أتریدينَ لولدنا أن يكونَ نصفَ  
إلهٍ؟

- بل أريدهُ إنساناً كاملاً يشبهُ نبونيد... ما حلمت يوماً برجلٍ  
سوالك... منذُ تلك اللحظةِ التي جعلتني سن أرى فيها وحدتكَ ... كانَ  
قلبي ينظرُ إليكَ وفي أعماقهِ ثمةُ رغباتٍ كثيرةٍ... ومسيرةٌ تؤسسُ  
لرغباتٍ أخرى !!

- وها نحنُ معًا ايتها المرأةُ التي أحبُ وأعشقُ !!
- وهذا هو نحنُ معًا ... ولا ندرى ما الذي يقيمهُ لنا المجهولُ ...  
الأيامُ تشكلُ حولنا حزاماً من غربةٍ وضياعٍ وانتظارٍ !!
- هذا ما كنتَ أفكُّ به مالونيد... رأسي يتصدعُ ألمًا... وقلبي يخفقُ  
مثلَ طيرٍ جريحٍ ... كلُّ ما أفكُّ به يسحبُني إلى سؤالِ الوهم... كيف..  
ومتى يمكنُ لهذهِ الخلواتِ أن تستقرَ !!
- أراكَ تريدُ الراحةَ قبلَ بدءِ الزمانِ الذي نريدُ نبونيد !!

- ليس هذا ما أفكّر به.. ماذا بعد أن يحقق سن لنا رجاعنا... ماذا عسانا أن نفعل، وكيف نستطيع الاستمرار؟
  - أو يعجز نبنيد من إيجاد فكرة الاستمرار؟
  - ليس عجزاً مالونيد... ففي الرأس ثمة أكثر من قولٍ... وأكثر من فعل !!
  - ول يكن أولها هذا الذي تفكّر فيه !!
  - أحدثكِ بما يجول في الرأس ايتها المرأة التي ملكت على جوارحي؟
  - وما فائدة رفقتنا اذن، ن لم يبح نبنيد لمالونيد ما يجول بخاطره!
  - دوماً أراك حاضرة الاجابة يا من يخفق لها قلبي !!
  - دوماً أراك تلتف على الاجابة التفاف وحش على فريسة !!
  - ايه ... مالونيد... ما أعظم هذا الوصف... وحش وفريسة ... وليل طوبل أخالة حين يبسط سُنَّ بالمجيء إله لن ينتهي أبداً ... ليل تغرس فيه روحي جسدي ، فتبدأ الدماء تخر ومعها تذهب قواي محاولة البحث عن منفذ وسط هذا الظلم الدامس الطويل... ليل أخالة لن ينتهي أبداً ... يأخذني ومدن لن ترها عيوني من قبل... ثم مئات من الأفواه التي تتسلل الجوع وتستتر عريها في خائب الذل والمهانة، تشيزُ اليَّ فيزداد حلمي وضوحاً... وتعلو الألسن بطلبات الاسترحام:
  - انقذنا ايها الكاهن ابن الرب !!
- فيطرق رأسي حياءً، وتموت رغباتي بالاستمرار، ليس أنت من تصم أذنيك تجاه نداء يجيء اليك... ولكن ماذا عساك فاعل، ما فائدة

أحلامٍ تجيء ميتةً، أو مؤجلةً الحضور، ما فائدةُ الأحلامِ لا تلقمُ  
 الأفواهَ خبزاً يسُدُّ رمقَ الحياةِ... ثمَّ وجوهٌ ترقبُ ونداءاتٌ تتعالى  
 وألسنٌ لا تهفو إلى غير الاسترحام: -نبونيد يا ابن المعابدِ انقذنا!!  
 - وكيفَ يكونُ الانقادُ ونبونيد نفسُه بحاجةٍ إلى من ينقذهُ... الكهنةُ  
 هم أحوجُ الناسِ إلى منفذٍ يعيدُ لأرواحهم توازنَها وخبلاءَ استقرارها..  
 هم أقربُ الناسِ إلى معرفةِ الحقيقةِ... ولكنَّ أينَ تراها تكونُ...  
 والمعابدُ زيفٌ وأكاذيبٌ وغرفٌ سريةٌ... أينَ ترى الربُّ ولماذا يعكفُ  
 دائماً في حجرةٍ تهوي أرجاءَها فتاةً بعمرِ الحبِّ، بكاراتٌ... وبكاراتٌ...  
 وجنونٌ هذا هو ليلُ الكهنةِ... فكيفَ هو ليلُ الأربابِ، وكيفَ هو ليلُ  
 أولئكَ الذينَ تمتلأُ أعمارَهم بأجلِ روائحِ الخمورِ وأبهى ساعاتِ  
 المسرةِ، موسيقى تعباً للأرواحَ بالنشوةِ ودماءً تقامُ وسوانٍ باسمِ الحبِّ  
 والامتنانِ إلى الربِّ، أيُّ ربٌّ هذا الذي لا يحبُّ الإنسانَ إلا وهو يضعُ  
 عندَ قدميهِ فتاةً ليسيلَ لعابَ وجودِها، تافهٌ هو الإلهُ الذي لا يعرفُ  
 غيرَ الدمِ الظاهرِ دمهُ... كنتُ أحسُّ نفسي تضييعُ وأنا أسمعُهم  
 يكررونَ النداءَ الغريبِ، استمعُ اليهم يعجنونَ آثامنا بجنونِ  
 اشتياقِهم، من أينَ أبدأ... كانَ هذا السؤالُ يدورُ حولي ببطولِ ما  
 كنتُ أعتقدُ أنها تصمتُ، تدقُّ وتدقُّ حتى تنهَّى مواجهي وتتوقفُ  
 الأرضُ عن الدورانِ !!  
 - أوَّلَ هذا جوابٌ أمَّ استذكارٌ نبونيد؟

- أو يوجد جواب آخر مما يعتمل في القلب... البداية هي أن نجعل هذه الأموات ترضي... أن أنام وبين عيني حلم آخر أكثر مودةً ورحمةً.. لا أريد ملكاً ينام الناس تحت عرش بلاطه وهم جياع!!
- والسؤال يبقى سؤل... ماذا بعد أن يُسَدِ الرمق وتهدأ الأرواح؟
- البناء... البناء مالونيد... أريد الأرض السواد أبنية شاهقة ومعابد تمجد رياً واحداً لا مجموعة أرباب توافه لا حضور لهم غير حضور الأرقام... الرب... الرب إن لم يكن رياً فاعلاً فلا ضرورة له ولا حاجة!!
- ما أعظم ما تفوه به شفتاك نبونيد... خطوةً أسمعها أراها تستحق كلَّ هذا العناء!!
- ما أجملك امرأةً وما أعظمك عقلًا!!
- ما في قلبي.. يشبه حَدَ الخوف ، ما في قلبي ايها السيد الذي أُعشق!!
- كلما مر زمنٌ تزدادين فرياً مني، وأزداد هياماً بك... أنت ايتها الملكة التي لا أعرف كيف أرد لها بعض ما تفضلت به على!!
- ليس ثمة فضلٌ بين القلب والنبع!!
- بلى... بلى يا ستَر أيامي ... ولكنني أحلم أن أقدم لك كلَّ ما تمتلأ به الجمجمة المتوجة بليلِ الجمال !!
- ليس عندي غير حبك وحب بابل والزمن الذي أريد معك... نبونيد لابد لهدفك أن يتحقق، عندها أرجو أن لا تنسى شكل اسمك الآخر.. لا تنسى مالونيد المرأة التي تحب!!

- أو أنا جاحدٌ إلى هذا الحدّ؟
- لا... ولكنني أخافُ الفرقة... في قلبي ثمة هاجسٌ لا أدرِي كيف أكشفُ عنه؟

فجأةً تعلَّت الأصواتُ فألتفَتَ سن ماغرُض متوجساً، كان النعاسُ يملأ عينيهِ وثم ابتسامةً دقيقةً ترسم فوق شفتيهِ، قال متعجبًا جلوستنا وسط هذه الظلمةِ الموحشةِ :

- ما هذهِ؟
- ماذا؟
- أو تسمعوا كلَّ هذهِ النداءاتِ!!
- أصواتُ نثابٍ لا نداءاتٍ ايها الحكيمُ سن ماغرُض!!
- بل هي نداءاتٍ يا هولاء!!
- ما الذي تقولُ... نحن لا نسمعُ غير عواءِ نثابٍ تبحثُ عن جوعِ أفواهِها!!
- أبداً... هو نداء المدنِ التي تقعُ عند حافةِ الصحراءِ... ارفع رأسك ايها الملكُ تجاه السماءِ ، ما الذي ترى؟
- نجومٌ تتلالاً وقطعاً من بياضٍ يلمعُ في كبد السماءِ!!
- انظر هناك... نعم هناك عند دربِ التبانيةِ، هذا هو الطريقُ الذي يقْتُ عند بوابةِ سومر... تهياً ايها الملكُ نبونيد... فيها هي سومرُ أمامنا... أما أنتِ ايتها المرأةُ فأماماكِ دربٌ طویلٌ لكي تصلُ أحلامكِ إلى حقيقةٍ!!

نظرتهُ مالونيد باستغرابٍ وأظنهَا المرة الأولى التي تنظر اليه  
وهي تتفحصُ تقاطيع وجههِ المتغضنةِ، ثمةً ابتسامةً لا يمكنُ نسيانُها  
تملاً وجهَ هذا الشيَخِ المجبول على الواقِرِ، وجهٌ ضخمٌ التقاطيعِ  
وعينانِ بدريةٍ يشوبُهما سوادٌ ضعيفٌ، ثم لمعانٌ يجعلُهما بلونِ  
بروقِ السماءِ، كانت مالونيد ترى فيهِ عارفاً يكتُم معارفَهُ من أجلِ  
الوصولِ إلى حقيقةِ وجودِهِ، كانت تجعلُني أصفي اليهِ اصغاءً ولدِ  
صغرٍ لاستاذِهِ، فثمةً معارفٌ تتسابُ بينَ يديهِ لتملاً وردةَ الروحِ  
باطلتينِ وسعادةِ آخاذتينِ، قالَ سن ما غرضُ وهو يستقيمُ وافقاً:  
- سن يباركُ لكما ما قمتما بهِ... فهو لبابِ مجدٍ... ولأرضِ

السوادِ مباركةً !!

أطربَت مالونيد حياءً ونظرتُ الرجلَ الحكيمَ متعجباً، وثم شُكِّ بدأً يسري  
بينَ أعماقي ربما كانَ الحكيمُ متقططاً، ربما كانَ يرى اندغامَ الجسدِينِ  
الغائرينِ معَ بعضِهما، قالَ وكأنَّهُ يقرأً أعماقي:  
- لا نبونيد ، لا تجعل الشك يملأ عليكَ حضوركَ، الساعونَ لعرشِ  
بابلَ لا يمكنُ أن يصدقوا شكاً، اجعل هذا الشك يقيناً... ماذا ترى  
عندَها؟

- ما كانَ مرادي الشكُ !!  
- أياً كانَ مرادكَ ... إياكَ والاعتقادَ بأنَّ الخلقَ يتجاوزُ الحضورَ...  
أنتما ولدَاهُ ... أحُبُّكما بقدرِ متساوٍ وأرى أنَّ مالونيد أملُ بابلَ كلَّها  
ليسَ أملكَ وحدَكَ !!  
- ما شككتُ ولكنَّهُ سؤالٌ نفرَ قلبي !!

- لا بأس.. لا بأس نيونيد... والآن لنتهيأ... وأسمعنا مني ما أوصاني سن... وليكن أول ملمح لوصولنا لنتجة الى المعبد الكبير... من هناك نبدأ الرحلة... مالونيد تكون مركز وجودنا... تتقارب من مخطيات المعابد وسكان غرفها الخاصة... ولتكن الأزقة من نصيب سن ماغرض... أما بيوتات سومر العريقة فهي ملك لك ايها الكاهن.. اختر ما تراه مستعداً لتقبل القول... مصغياً... واضح المعالم.. جيد المعرفة.. حين تقول يرد على قولك بسؤال لا بقول... سؤال يجب أن لا يكون مطعماً بالحيرة والخوف... من تره خائفاً حاول أن تطرد الخوف من بين أعماقه، فالناس هنا ملاً الخوف قلوبهم ولم ينسوا بعد ما مرّ بهم من أهواى... لكل سؤال لديهم ألف اجابة.. وهذا ما ترون ألف سؤال جديد تتناقل وتتناقل، تذكروا إن أهل سومر أهل علم وحب للحياة وتمجيداً للأرباب... قل أيما شيء غير أن تمس نمط حياتهم، خذ ما شئت سوى محاولتك لمس معالم وجودهم، امنحهم قليلاً من الحب، يهبونك الحب كلّه ورأية الامتنان والعرفان، لا غريب بينهم أبداً... ومهما كنت فأنت منهم حتى لحظة تسييء... سومر مدينة غفاره... ولكنها أبداً لن تنسى إن لها ذاكرة تشبه رقم الكهنة.. تدون كل شيء... ولحظة تجد الضرورة تضعه للحساب.. عندها لن تغفر أبداً... تذكرا أيها الشقين إن كما أمام إمتحان صعب لأصعب قضية!!

قالت مالونيد : - أو هذا كل ما يوصي به سن؟  
قال سن ماغرض: - وهل تعتقد مالونيد إن هذا الأمر بسيط؟

رَدَّتْ مَالُونِيدْ : - لِيَسْ بِسِيطًا بَلْ أَرَى فِيهِ عَمَقًا وَفِيهَا لَأْرَضٌ ظَلَّتْ  
عُمْرِي كُلُّهُ أَحْلَمُ بِالوصولِ إِلَى مَرَابِعِهَا !!

وَهَا أَنْتِ قَابَ خَطُوتَيْنِ مِنْهَا إِيْتَهَا الْمَلْكَةُ الْأَمْ !!

ابْتَسَمَتْ مَالُونِيدْ بِفَخْرٍ صَبِيَانِيِّ، حَاسِهَةً إِنْ ثَمَّةَ لَقْبًا جَدِيدًا  
أَضَيْفَ لِسَيِّدِ الْأَلْقَابِ التِي كَانَ سَنْ مَا غَرَضَ يَطْلُقُهَا مِنْذُ بَدَأَتْ رَحْلَةَ  
اجْتِيَازِنَا لِهَذِهِ الصَّحْرَاءِ التِي تَبَدُّو عَلَى وَشَكِّ الْخَتَامِ، قَلَّتْ وَأَنْظَرَ  
إِلَيْهِ بِسَعَادَةٍ وَاعْتِذَارٍ :

- مَا الَّذِي يَكُونُ وَرَاءَ هَذِهِ الْمَفَازَاتِ؟
- لَا شَيْءَ سَوْيَ شَطِّ الْفَرَاتِ .. وَيَعْدَهَا سُومِرُ التِي نَحْلُمُ !!
- شَطِّ الْفَرَاتِ ... أَهُو يَقْطَعُ الْمَدِينَةَ عَنَا؟
- بَلْ يَقْفُّ عَنَّدَ ضَفَافِهَا، تَحْتَضِنَهُ .. وَسَنْرَى كُمْ هِي بَارِعَةٌ وَخَضْرَاءٌ  
تَنَاكَ الْأَرْضِ التِي قَصَدَتْ !!

- إِنْ بِي شَوْقًا لِرَوْيَةِ كُلَّ شَيْءٍ ... الْأَزْقَةُ التِي مَلَّتْ أُمِّي رَأْسِي  
بِضَجِيجِهَا ... الْمَعَابِدُ التِي رَافَقَتْ خَطْوَاتِ أَهْلِيِّ، وَالْأَرْضُ التِي شَرِبَتْ  
دُمُّ جَدِي الْأَكْبَرِ .. كُلَّ شَيْءٍ أَرَاهُ يَنْتَسِبُ لِي مَثَلَّاً أَنْتَسِبُ لَهُ .. مَدِينَةُ  
بَضْعٌ مِنِّي مَثَلَّاً أَنَا بَضْعٌ مِنْهَا .. كَيْفَ مُمْكِنُ أَنْ تَسْتَقْبَلَنِي ..  
بِالْحَضْنِ رِيمًا .. بِالرَّفِضِ رِيمًا .. بِالْاحْتِجاجِ رِيمًا .. لَكُنِي لَا أَرَاهَا مُثَلَّاً  
الْمَدِينَ الْأَخْرِيَاتِ، لِسُومِرَ هَذِهِ مَثَلَّاً لِبَابِلَ وَأُورُوكَ وَكِيشَ وَنَفَرَ وَقَعَ  
الْحَبُّ فِي قَلْبِ عَاشِقٍ سَعِيدٍ .. لَا يَرَى سَوْيَ وَجْهٍ مَنْ يَحْبُّ، الْبَعْضُ  
يَتَعَجَّبُ مَا الَّذِي يَرَاهُ فِي امْرَأَةٍ مِثْلَ هَذِهِ .. كَيْفَ .. كَيْفَ، مَا دَامَ أَنْ  
ثَمَّةَ فِي كُلِّ امْرَأَةٍ عَاشِقَةٍ شَيْئًا لَا يَرَاهُ سَوْيَ الْعَاشِقِ ذَاتِهِ .. ثَمَّةَ سُرُّ

يربط القلبين ويجعلهما يخفقان بأجمل معاني الوجود، خفقات لا يسمعها أحد سواهما.. وبيني وبين سومر كل هذا العشق وكل هذا الهيام... هي بالنسبة لي رحلة العمر كلّه... ومحطة الآمال كلها وتذكر الأيام التي عبّتها أمي في ذنبي، إن لوقع حروف هذا الأسم سحر تلك التحاويل التي يروجها الكهنة كذباً.. سحر يغوص عميقاً في دروب الروح ولكنه ما يلبث أن يتحول إلى غناءٍ ووجدٍ وهيام، ربما وحدي من يعرف ما لهذه المدينة من جمال دون أن أراها... حتى الخوف الذي يملأ قلبي إنما هو خوفٌ محبٌ يخافُ الصدَّ والهجران، تلك هي سومر أيها الكاهن... وها هو قلبي يتحقق بسعادة اللقاء !!

- يا لك من عاشقٍ أيها الملك !!

- ولا أظنك أقلّ مني أيها الحكيم سن ماغرض !!

- بهذا قلت كل الحق أيها الكاهن... سومر هذه تملأ على حياتي كلها.. منذ غادرت أيامها الماضيات وأنا أحلم بالعودة إليها والاتيان بحلم سعادتها، كان سن يتأملني حزيناً وأتأمله متوسلاً نجاته... كنت لا أدرى كيف وبخاصية وكان عمري يمضي محزوناً تائهاً في بحارِ من الأسئلة، رغم حبي لبابل ما كنت ب قادر على أن أجعلها تسد الفراغ الذي أقامته سومر... كنت أحاول التوحيد بين التوأميين، لكن حياتي كانت تذهب في دروب العبث، إن لسومر وجه بخور المبادر أاما بابل فهي المبادر ذاتها، وجود يكمِّل بعضه، لكنه منفصل أبداً... كان سن الربُّ الذي أحبُّ والذي رافقني مذ كنت صبياً يافعاً، يؤمنني ليلةً بعد ليلةٍ حتى طلبَ مني أن أجلس عند حافةِ الشطِّ، ما كنت أصدقُ إن

الرحلة يمكن أن تبدأ هكذا، رجل عجوز وكاهن تغسله الأحلام وفتاة شابة ترى إن ليس ثم خلاص لروحها بغير الخلاص الذي تريد لمن تحب !!

- عذبُ هذا الحديثُ وشائقٌ أيها الكاهنُ الحكيمُ سن ماغرض !!

- لأشد ما أبغض الكهنة ايتها الفتاة الطيبة.. سر ضياع سومر  
كهنتها.. وسر الرحيل وهذا الشتات مطامح كهنتها الذين لا يعرفون  
لمطامحهم حدوداً... كنت أرى وأنبه... ولكن دون جدوى... كان  
صوتي يشبه ضرب ريح... حتى قالوا عنني جن سن ماغرض .. جن  
ابن القمر الذي يحب... ، كانت أذان الكهنة تضم أذان العوام بأشياء  
تافهة لا تستحق الذكر أبداً ... كان عذابي يشتد يوماً بعد يوم،  
وأيامي تغيب في لجي التعب والانهزم، ما كنت قادراً على الوصول  
وحدي... حتى حدثت المأساة... وأمتلأت الشوارع والأزقة والبيوت  
بنداءات الاستغاثة... كان كل شيء مملوءاً بالدم، بالخوف، بالندم،  
بالانشداد، بالجنون بالعذاب، بالخيبة، بالانكسار، بالضجيج، بالبكاء،  
بالصمت، بالاحترق، بالانت... ظار !! لا أدرى كيف انتهت حقيقة  
وجودي ولم أنقذني سن الطيب ... كنت أعرف أن لي وجوداً فادماً..  
ولكن متى... وكيف هذا ما كان يجعل قلبي يتسوق لرؤيه سن كل  
ليلة.

- **وَهَا أَنْتَ تَعُودُ بِمَا يَعِدُ لِسُومَرَ بِهَاءَ حَضُورَهَا !!**

- بلى.. بلى.. ايها الملك.. وبين وجودي وجودك ثم أكثر من معنى.. أقسم إن تحقق حلمنا لأجعلن من سومر أماً لكل مدن أرض

السوداد.. لأجعلنَّ معابدَها أَجَلَّ المعابدِ التي تمجدُ سن.. ولا أحداً سواه.. لأجعلنَّ أولادَها يتعلمونَ أحسنَ العلومِ وأكثُرُها فائدةً لبني الانسان.. لأجعلنَّها محطَّ أنظارِ الأرضِ كلّها!!

- أقسمُ بسن إنْ كُلَّ ما تحلمُ به لأجعلنَّه حقيقةً أمامَ عينيك ... لك سومر أفعل بها ما شئتَ من الأحلام... فلتجعلنَّها سيدةً بملابسِ عرسٍ دائمٍ، ولتكن الأفراحُ غذاءً أولادِها وصباياها، والحكمةُ غذاءً رجالها والحبُّ غذاءً نسوتها

- الأحلامُ وردُ الأرواح... لولاهَا لماتَ الانسانُ كمداً.. والآن يا أنتما، ليكنْ سن ربياً دائماً لأرضِ السوادِ كلّها... المجدُ بينَ الأربابِ كلّها كانَ سن ماغرض رغماً تهدج صوتِه وامتلأه بالحزن يحاوُل الخطُوطَ سريعاً، فشمةُ نداءٍ خفي يتَعالى محاولاً القفرَ بينَ أرواحنا التي كانتْ تهفو إلى لحظةِ الانطلاقِ، كنا نحاوُل اللحاقَ بهِ والولوحِ وإيابهِ في عالمِ الفرحِ الذي غمرنا فيهِ فجأةً، لكنَّه كانَ يبتعدُ عنَا محاولاً افساحَ المجالَ لوجودِنا بالاطمئنانِ، كنُثُ أرى مالونيد وهي تحاوُل اللحاقَ بي، فأبطأهُ السيرُ ولحظةً تقفُ لاهثةً إلى جانبي أهمسُ لها مشككاً :

- هل تعبَت المرأةُ العجوزُ؟

تنتفضُ مثلَ ريشِ طائرٍ منقوعٍ بالماءِ، ولحظةً تمُّد بصرَها صوبَ المغازةِ التي بدأَت تصيبِقُ يختبطُ رأسُها بسيلٍ من الأحلامِ فتدفعُ أمامي مسرعةً، ما الذي يجعلُ المرأةَ المجنونةَ هذهَ تحملُ كُلَّ هذا الحبَّ لسومرِ التي لم ترَ، حاولتْ مرَّةً استدراجهِ ذاكرتها لكنَّها ابسمت

بطفولةٍ صبي وجدَ نفسه بعنةً أمام خطٍ شديدٍ فحاولَ الالفات،  
 أمسكَ بيديها وقلَّ:

- ما لي أراكِ مسرعةً... ما الذي عندكِ هناك؟  
توقفَ هنيهةً وسحبَ يدها ببعضِ عصبيةٍ، فأخذتها ثانيةً إلى  
صدرِي، قالتَ:

- أو لا تدري ما الذي عندي أيها الكاهنُ الذي أحبُه؟
- لا... لا أعتقدُ أنَّ لكِ أهلاً وأقارب!!
- إنَّ لي حلمي... مثلاً لكَ ولسن ماغرض حلمه... وإنْ كانتْ  
أحلامُنا تلتقي مع بعضِها... لكنَّها أيها الكاهنُ تسلُّك دروباً مختلفةً!!
- كيف... أو لديكِ ما يؤكدُ حضوراً غير حضورنا مجتمعاً؟
- ولمَ لا مثلاً تفكُّر ويفكرُ سن ماغرض بالعملِ والحبّ... إنَّ لي  
بناتٌ جنسٌ هنَّ أحوجُ ما يكنَ لي!!
- ماذا مالونيد... ما هذا القولُ الذي أسمعُ؟
- مثلاً أقولُ لك... عندي ما يسدُ فراغَ وجعِ الأمهاتِ... وحزنَ  
الزوجاتِ على أزواجهنَّ... والبناتِ على ما ضاعَ من أعمارهنِ  
باتنتظارِ المجهولِ من الأيام، أحلمُ بنبونيد بأنَّ أشيادَ معبداً خاصاً لبناتِ  
سومرٍ وبابلٍ وأرضِ السوادِ... معبدٌ يلمُ وجعهنَ يقلَّ ما يشئُ وهنَ  
مطمئناتٌ آمناتٌ... لابدَ لي ولكَ ولسن ماغرض من إزالةِ وجعِ الأيامِ  
عن كواهلِ بناتِ أرضِ السوادِ بأجمعها!!
- يا لهُ من حِلٍ ذيذٍ أيتها المرأةُ... لمَ أخفيتِي كلَّ هذا عنِي يا حبةِ  
القلبِ؟

- لأنك ما سألتَ وما قلتَ!!
- أسألُ وأقولُ... أو هكذا تنشأُ الأحلام بينَ الأحبةِ... أو تضعينَ  
أسيجةَ القولِ والسؤالِ أمامَ حياتنا منْدَ الآن!!
- ليس أنا بل هو واقعُ حالي الذي كان!!
- والآتي أيتها المرأة؟؟
- إن شئتَ حدثكَ كلَّ حينٍ عما أريدُ وأحلمُ وأتصوّرُ !!
- أقسمُ إنَّ هذا كلُّ الذي أطمِحُ اليه!!
- ما دامت رغبةُ الملكِ هذه فلتكن حقيقةً واجبةً!!
- ما أجملُ صفاءَ عينيكِ مالونيد... أحشُ حينَ أحدقُ فيها بآنكِ  
أرضُ ممطرةً تلهجُ بالثناءِ لخالقها.. أرضُ خصبةٌ تتدادي الزراعَ لينبت  
نماءُ البقاءِ... في عينيكِ اعتقادٌ راسخٌ بالحبِّ والثقةِ والأمان!!
- وفي عينيكِ ثمةُ أحمرارٌ لذى لم يره أحدٌ سواي... حمرةٌ هي بينَ  
الغضبِ والتعبِ والاشتاءِ... حمرةٌ تجعلني أحدقُ في مساحةِ الارتفاعِ  
الذي نعيشُ... ما أجملُ وأجلُ روحكِ نبوني!!
- غريبٌ... غريبٌ هذا الذي يقرئهُ سن.. كلانا يعيشُ لحمهِ..  
وكلانا يجدُ نفسهَ فجأةً قد أحبطَ بأحلامِ الآخرينَ، يا لها من لذةٌ تلكِ  
التي جعلتني أهفو اليك!!
- نبوني؟
- نعم، أيتها الجميلةُ مالونيد!!
- كيفَ كانتْ حياتكَ ستكونُ بدوني؟
- ما كنتُ أظُنُّها سوى صحراءٍ قاحلةً!!!

- أو كنت تذكر بامرأة مثل؟
- كذب إن قلت نعم... ما كان في رأسي ظل لشيء اسمه امرأة...
- وما عرفت في حياتي سوى امرأة واحدة!!
- واحدة فقط... ومن تكون سعيدة الحظ تلك؟
- أمي أيتها الأعز بين الناس... أمي هي الوحيدة التي أرى النساء من خلالها... امرأة تمتلا بالألام والحكايات، وكنت أعتقد أن النسوة عوالم أحلام وحكايات ليس إلا!!
- وماذا تظنهن غير ذلك؟
- أشياء غالية لا تقدر أقيامهن بشمن !!
- أو هذه مجاملة أم تراها حقيقة وجدتها صدفة؟
- بل هي حقيقة منذ أن عرفت أن ثمة وجه آخر لتلك الحقيقة التي أسموها انليل امرأة... مخلوقٌ وديعٌ يلهب ليل سن بحكايات موجعة، ويملا النهارات بضجيجٍ وضحكٍ وصخبٍ وفرحٍ ممزوجٍ بحزنٍ ، وحزنٍ ممزوجٍ بالآلام ، والآلام ممزوجة بنوحٍ ومواجعٍ، ومواجعٍ ممزوجة بالانتظارات !!
- أو هذه هي المرأة بالنسبة لك؟
- وماذا غير هذا ايتها الجميلة الرائعة؟
- مزيجٌ غريبٌ هذا الذي ترى المرأة من خلاله يا ابن سن !!
- بل خلقٌ عامر بوجود الانسان... دلني إن استطعت بانسان لا يحمل كل تلك الممزوجات ، من من يعيش للفرح وحده أو للكراهية وحدها من من لا يرى الى جانبِ ومض الخير بروق شرور والى

جانب الحق كراديس أباطيل، لا أعتقد مالونيد إن الإنسان خلق  
هكذا... بل هو الذي جمع كل المتناقضات ودستها في عبه ليخرجها  
أنى يشاء !!

- بل أرث الأرباب دسته في مجاهيل الروح الإنسانية !!  
- لا أعتقد إن للأرباب قدرة على إيجاد كل هذه الممنوعات في جسد  
واحدٍ ما فائدة أن يخلق ربُّ الحب بكل بهائه وهياماته التي تشرد  
الألباب إلى جانب الرذيلة التي تدبُّس الروح، كيف تطاوُع مثل هذا  
الرب يداه ليقوم بمثل هذا العمل الشائن؟

فجأة صاح سن ماغرض وهو يلتقط أنفاسه لاهثاً وهو يقف  
عند حافة الصحراء التي بدأت تتكشف عن لأنّه تشبه إنعكاسِ  
السراب :

- انظرا ايها المتعاركين مثل الزرازير !!  
قلت وأنا أرفع رأسي متبعا خط يده التي أشارت إلى روح لأنّه:

- ماذا ايها الحكيم؟

- ماذا ألا ترى يا سيد بابل؟

قلت محاولاً إثارة بعض غضبه:

- لم أر شيئاً ... لا شيء سوى سراب الرحيل !!  
طوقَ كفة وظلَ يبصر لزمنٍ كان يتنفس معه بصوتٍ متتصاعدٍ  
رويداً رويداً

- رمل... هذا رمل نبونيد... إنها ضفة نهر الفرات !!  
صاحت مالونيد بفرح طاغٍ:

- مَاذَا تقولُ ايَّهَا الرَّبُّ الرَّاعِي ؟
- مَثُلَّاً تسمِّينَ يَا ابْنِتِي هُوَ الْفَرَاتُ لَا مَحَالَةٌ !!
- قُلْتُ مُحْتَاجًا بارْتِيَاحٍ :
- أَيْنَهُ لَمْ أَرَ غَيْرَ سَرَابٍ !!
- قالَ سَنْ مَا غَرَضُ وَهُوَ يَنْفَجِرُ ضَاحِكًا :
- رِيمًا يَكُونَ سَنْ قَدْ أَعْمَى عَيْنِيَكَ أَيْهَا الْكَاهِنُ الْمَبْجُولُ !!
- أَعْمَى عَيْنِي ... بَتْمًا تَرِيَانَ السَّرَابَ مَاءً أَوْ هَذَكُمَا التَّعبُ !!
- رِيمًا ... وَلَكُنْنَا سَنْصَلُ بَعْدَ حَيْنٍ وَسَتْرِي !!
- هِيَا أَذْنَ ... دَعْنَا نَنْدَفِعُ إِلَى الْأَمَامِ وَلَيْكَنْ سَنْ الْمَبَارِكُ شَاهِدًا عَلَى إِنَّهُ مَاءُ النَّهَرِ الْمَقْدَسِ !!

اندفعت خطواته مسرعةً، كنت أعرف أن النهر المقدس قد ظهر سرابه فجأة أمام أعيننا، كان يراقبنا مثل ظلٍ يبتعد أحياناً آخذاً امتداده إلى عمق بعيدٍ، مفترضاً حيناً حتى تظنه يحاول اخراق الصحراء، متکاً على جرف سومر التي يحاول اجتيازها باتجاه بحر بصرى أنا العظيم، ثمَّة وراء البحر مدن دلمون وبلاط الفرعون وأراض طولية الامتداد، كان رأسى يسيّح محاولاً الوصول إلى كنه تلك الوجودات التي تبدو غريبةً، لكنى ما ألبث أن أعاود الرجوع صوب المدن التي أعرف، كانت بابل تملأ ليل حضوري، وتخطف في نهاراتي أزقةً وحواري، كانت تمنعني الأمان والاستقرار، أقرأ الوجوه التي تطالعني، وتتطلع في مستفهمة استغرابي، صعب أن ترى ثمة كاهناً يلبس مسوح الكهنة وهو يجوب الشوارع دونما هدى، كانت ثمة

وشانِجٍ ترطبُني وتلَكَ الأرضُ التي أحسُّها ترفلُ بالأمانِ وأنا أستقرُ فوقها، أخذت مالونيد بيدي وقادَتني مثلَ رجلٍ أعمى، قلتْ هامساً:

- ها هو الحلم يقتربُ مالو!!

قالَتْ وهي تقبلُ يدي: نعم... الحلم الذي يباركُه سن ويرعاه مجمعُ الآلهة!!

قلَتْ وأنا أقبلُ يَدَها بحنوٍ جعلَها تتوقفُ قليلاً، مبصرةً التماع عيني اللتينِ اشتغلتا فجأةً بلهبِ آثارِ لواعِجَّ أعمامي:  
- أوَ أنتِ خائفةً مالونيد؟

قالَتْ بثقةٍ وهي تسحبُ يَدَها إلى صدرِها محدقةً بخطواتِ سن ماغرض الذي أبتعدَ قليلاً:  
- خائفةً من ماذا؟

قلَتْ وأنا أمسكُ طرفِ ردائها وأجدبُها اليَّ: من لحظةِ المواجهة!!  
أفلتت نفسَها مني وانفلَّت راكضةً محاولةً اللحاقَ بسن ماغرض الذي كان يغدو السيرَ مثلَ حمامَةٍ وهي تصيحُ:  
- المواجهةُ قدْرُ وجودِنا أيُّها الملك!!

التفتَ سن ماغرض متفحصاً صياحِها ولحظةً وقوفها إلى جانبِه سمعتهُ يقولُ لها ضاحكاً:  
- أوَ ما زالتِ أفكارُكما تتعارك؟

قالَتْ بصوتٍ تعمَّدَتْهُ عاليَاً: ما فائدَةُ افكارٍ لا تتعاركُ... كيفَ تريُ للدنيا أن تستمرَ دونَ افكارٍ تتصارعُ فيما بينَها؟

قالَتْ: العِرَاقُ حَالَةٌ مَغْرِمَةٌ شَامِلَةٌ تُحِيطُ بِكُلِّ وَجُودِنَا!!  
قَالَتْ مَالُونِيد: الْمَعْرِفَةُ هِيَ الَّتِي تُثِيرُ جَدَلَ الْعِرَاقِ!!  
قَالَ سَنْ مَا غَرَضُ: كَلَّا كَمَا يَقُولُ الْحَقِيقَةُ إِيَّاهَا الْوَلَدَانِ... الْحَيَاةُ  
قَطْبًا مَعْرِفَةٌ لَا يَمْكُنُ لَهَا أَنْ تَسْتَمِرَ دُونَ وَجُودِ الْقَطْبِ الْآخِرِ!!  
قَالَتْ مَالُونِيد: وَلَابِدَ لِهِذَيْنِ الْقَطْبَيْنِ مِنْ اخْتِلَافٍ!!  
قَالَ سَنْ مَا غَرَضُ مُؤَكِّدًا: بَلْ قَوْلِي مَالُونِيدِ إِنَّ الْاخْتِلَافَ سَنَةٌ  
وَجُودُهَا عَلَى طَرْفَيِ الْحَالِ!!  
قَالَتْ: أَوْلَأَ يَمْكُنُ الْانْحِيَازُ إِلَى قَطْبٍ دُونَ آخِرِ!!  
قَالَتْ مَالُونِيد: كَيْفَ؟  
قَالَ سَنْ مَا غَرَضُ: دُونَ مَعْرِفَةِ الْقَطْبِ الْآخِرِ لَا يَمْكُنُ لِلْعُقْلِ أَنْ  
يَنْحَازَ... كَيْفَ تَعْرِفُ الْحَبَّ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُ مَا الْكَراْهِيَّةِ؟  
قَالَتْ: لَا ضَرُورَةَ لِمَعْرِفَتِهَا!!  
قَالَتْ مَالُونِيد: مَا الَّذِي تَقُولُ إِيَّاهَا الْمَلَكُ ... لَا ضَرُورَةَ لِمَعْرِفَةِ  
الشَّيْءِ تُضِيِّعُ هِيَّاَةَ الشَّيْءِ نَفْسِهِ... كَيْفَ يَمْكُنُ أَنْ تَعْرِفَ إِنَّ هَذَا  
صَدْقٌ إِنْ لَمْ تَرِ الْكَذْبَ أَوْ تَسْمِعَ بِهِ.. كَيْفَ يَمْكُنُ لِنَجْمِ الْحَقِّ أَنْ يَبْزَعَ  
دُونَ أَنْ تَرَى الْأَبَاطِيلَ... حَتَّى الْأَحَلَامُ!!  
قَالَتْ مَحاوِلًا اغْاظَتَهُمَا مَعًا: الْأَحَلَامُ لَا... الْأَحَلَامُ نَتَاجُ عَقُولِ  
فَرْدِيَّةٍ!!  
قَالَ سَنْ مَا غَرَضُ: مَنْ قَالَ هَذَا نَبُونِيدِ... أَوْ تَتَصَوَّرُ إِنَّ أَحْلَامَكَ  
نَتَاجُ عَقْلَكَ الْواحِدِ فَقَطْ!!  
قَالَتْ مُؤْمِنًا كَلَامَهُ : هَذَا مَا أَعْرِفُهُ!!

قالَ : وأنا قلتَ لكَ إنَّ فِي كلامِكَ الْكثِيرَ مِنَ الْخَطَا !!  
قلَّتْ : كَيْفَ أُلْيَاها الْحَكِيمُ ... وَأَنَا أَعْرُفُ أَنَّ حَمْيَ نَتَاجٌ وَهُدْتِي  
وَعَزَّلْتِي وَأَسَايَ ؟

قَالَتْ مَالُونِيدٍ : لَكِنَّهُ حَلْمٌ يَرْتَبِطُ بِوْجُودِكَ بَيْنَ النَّاسِ !!  
قالَ سَنْ ماغُرُضٌ : وَهُوَ نَتَاجٌ وَجُودَهُمْ مَعَكَ ... أَوْ تَعْتَقِدُ أَنَّكَ أَوْلُ  
مَنْ اكْتَشَفَ قَاعَ الْأَحْلَامِ ... لَوْلَا أَمْكَنَ وَحْكَيَايَاتِهَا مَا عَرَفَتَ عَوْزَ بَابِلَ  
إِلَى أَشْلَائِهَا وَمَا عَرَفَتَ أَنَّ ثَمَةَ مَدْنَاً أُخْرَى تَنْتَظِرُ الْجَمْعَ ... لَوْلَا هَا مَا  
عَرَفَتَ لِلْحَلْمِ طَرِيقًا !!  
قلَّتْ وَأَنَا أَعْرُفُ إِنَّ مَا يَقُولَانِهُ مَعًا يَجُدُ صَدِي طَبِيَّاً فِي أَعْمَاقِي :  
رِبَّما هِيَ حَرَثَتِ الدَّرَبَ فَقَطَ !!

قالَ : حَرَثْتَ ... أَيِّ إِنْهَا أَوْلُ مَنْ نَبَهَتْ إِلَى وَجُودِ الْحَلْمِ ؟  
قَالَتْ مَالُونِيدٍ : الْأَحْلَامُ قَطْ حَرَثْ الأَيَّامِ بِكُلِّ مَا تَحْمُلُ مِنْ مَسَرَّاتِ  
وَآثَامِ وَحْقَائِقِ !!

قالَ سَنْ ماغُرُضٌ : نَعَمْ ابْنِتِي ... وَلَكَنَّهَا أَيْضًا حَطْبُ الأَيَّامِ  
وَمَؤْسَسَةُ وَجُودِهَا !!

قلَّتْ وَأَنَا أَصْفَقُ مَحْيِيًّا وَجُودَهَا مَعِيٌّ : أَحْسَنْتِ الْحَدِيثَ !!  
رَفَعَتْ مَالُونِيدٍ رَأْسَهَا مُسْتَفْهَمَةً لِعَبْتِي وَظَلَّ سَنْ ماغُرُضٌ صَامِتًا  
لِزَمْنِ طَوِيلٍ ، وَلِحظَةٍ رَفَعَ رَأْسَهُ ثَانِيَةً صَاحَ مَلَأَ حَلْقَهُ فَرَحًا : انْظُرْ إِنْهَا  
سُومِرٌ !!

وَدُونَمَا تَرَدَّدَ بَدَأَ يَغْنِي

" سن تذكر سن "

والقلب سعيدٌ ويغنى... سن خلق الأيام

وسن يغنى... وسومر أرض تمشي فوق الأرض  
مثل المدن الأزلية... سومر ورقة الرب المنسيّة  
سن يغنى ... وأنا أبحث عن سومر بين الأرجاء

عن مدن منسية... قلبي يتدرج فرحاً

والقلب دليل العاشق... سن ... تذكر سن //

كان صوته شجياً وديعاً صافياً هادئاً ، لحظة صمت بـأنا نحن  
الاثنان نكرر مقاطع الأغنية وما لبّ بهدوء أن اندمج وإيانا منفتلاً  
مثل من وجد نفسه فجأة في دوامة ريح... وهو يضحك ... ويضحك  
... ويضحك... حتى سقطنا على الأرض... ورحننا في افغاء لذذة،  
كان سن يحرستنا من خاللها بعينين يقطتين تمطران فضة شفيفة

## الرقيم - مخروم الترقييم -- ١١ --

عشروا عليه ميتاً- أو مات حقاً سن ماغرض - اذن لتهب أرباب  
الفردوس، وليرحل انليل مانحاً شياطين الوجود تاج الوهيته !! ---

"ثم وجود خرم بأربعة أسطر... لا ضرورة لتوضيحة"

زمن يجيء سن مستقرأ فوق ظلمة الكهوف، ترتحل الأرواح  
مبصرة الحضور البهي المحاط بهالات الضوء الضاجة بلمعان  
الفضة، يتحول ليلى الكهوف إلى محلة مستباحة تستميل البوابات إلى

أكوايم من المواقِدِ الوارةِ باشتعالاتِ صفرٍ ودخانٍ ما يلبث أن يملأ المكانَ دافعاً الحناجرَ إلى سعالٍ جافٍ مستمرٍ، كانَ سن المبهور الأنفاسِ يتکأُ إلى عربتهِ الملكيةِ غيرِ مكتிரٍ باندفاعاتِ الأرواحِ صوبَ أمنياتِ تولدُ ميتةً، ما كانَ أحدٌ منا يعرفُ كيفَ تجيءُ ولمْ تأخذْ كلَّ هذهِ الأزمانِ، أمنياتٌ تحاولُ جاهدةً اجتيازَ البواباتِ والجدرانِ، واختراقَ التحصينِ الذي أقامهُ الجنُّ من أجلِ عزلِ عالمَنا عن عوالمِ السعاداتِ الفائضةِ بالولدِ والاطمئنانِ، أبصرُ اليهِ محاولاً استكشافَ سرَّ زعلِهِ الغريبِ وعدمِ التفاتتهِلينا، كنتُ كثيراً ما احدهُ فيردُ علىَ الجوابِ بأسئلةٍ تجعلني أبصرهُ، مثلُ فتىٍ يبعدُ فتاةً يحبُّ، كانَ يشمرُ إلىَ ما بينَ يديِ ما تحملُهُ عريتهِ من حكاياتِ شاهِدٍ وقصصِ نسخِ الإنسانِ وجودَها بحضورِهِ، فأظلُّ مبهوراً متتابعَ الأنفاسِ، ويدايِ تخطانِ بالإزميلِ روحَ تلكِ الحكاياتِ وسوادَ وجودِها فتمتلأُ سماواتي بفرحِ طفوليِ جميلٍ مثلَ وردِ الشفلحِ، أنظرُ إلىَ هالةِ فيضانِهِ الريانيِ فياخذُ بيديِ محاولاً استعجالَ روحيِ التي طمرها الارتباكُ والخوفُ، كنتُ أفوضُ روحي فتحترقُ بفرضِ سيداتِ اللعبَةِ التي أعيشُ، لعبَةِ وسخَّةِ قوامهاِ الخيانَةُ والحزنُ، التراجعُ والبُوْحُ الشاذُ المحاولُ قضمُ أروقةِ الروحِ التي تأجَّلتُ بالاندفاعِ تمتلاً الكهوفُ بما يملأُ السماواتِ بمتناقضِ الانتظارِ، ثمَّ من يتوهمُ الإرادةَ ويبحثُ بينَ أنقاضِ الانهزامِ عن بعضِ توكيدها، يحاولُ ولوچَ أقيبةَ الأكاديمِبِ متعلقاً بأذیالِ الكهنةِ ولحى أوهامِهم الباحثةِ عن منفذِ لاجتيازِ بواباتِ الأربابِ الملعونينِ بخرافاتِ القصِّ، ليالٌ تحرقُ بلواعِجِ الحكاياتِ، وسرَّ الغياباتِ التي لا

معنى لها، أوهام مجنونةٌ ترحبُ الانسانَ بِإذلالِ وجودِه وجعله مجردةً  
أداةً للوصول إلى ذاتِ الخرابِ، صورٌ تلوكُ الوهم وتتسجّهُ عطوراً  
تعطلُ الإراداتِ الفاصلةَ بينَ الحزنِ والاستمرارِ، كنتُ أراهم وهم  
يدورونَ مثلَ أكواخِ ذبابٍ باحثةً عن لحظةٍ استقرارٍ، لحظةٍ تجيءُ عن  
أسئلةِ الامتحانِ وتعززُ قيمِ الكهنةِ التي أحرقتْ ليلَ بابلَ، وخدرتَهُ،  
كنتُ أحَاوَلُ الوصولَ إلى سرِّ اللعبَةِ ومدياتِ ارتباطِها بأولئكَ الذين  
ربطوا وجودَهم بوجودِ الآخرِ المشلولِ فوقَ بركِ من الدمِ والرذايْلِ،  
عالِمٌ جميلٌ يؤسِّسُ لبقاءِ ايقاعاتِ الفتنةِ والارتجالِ، ثمَّ من لا يرى  
غيرَ خلاصٍ يُؤطِّرُ حضورَهُ المتربَّطَ بالموتِ، ليسَ ثمةَ اقترابٍ من  
الربِّ سوى إذلالِ النفسِ وقطعِ شوطِ الحضورِ لاهتاً باتجاهِ المدافنِ  
العامرةِ بآرواحٍ تبشرُ بطرقِ اليسِّرِ، ليسَ ثمةَ غيرَ الموتِ يعششُ  
بينَ تلافيفِ الانتظارِ، انتظارٌ يقتلُ الرغبةَ بالانتصارِ على وجودِ  
الحياةِ، ويحاوِلُ اطفاءِ مباهجِ اختياراتِها كمبعثِ انسانيٍ ما لم تمتُ  
نهاراً في الكهوفِ طويلاً، مأخوذهُ بينَ التذكرةِ المرّ والاستعدادِ لاستمرارِ  
وجودِيِّ، تجتمعُ الأفواهُ إلى موائدِ الخسَّةِ فتهُمُّ حكاياتِ الماجنةِ  
دونَ لحظةٍ استنكارٍ لنهراراتِ بابلِ التي كانتَ معهورةً بالولدِ والوحيدِ  
والبوجِ البهبيِّ، اليهم كانتَ المدنُ تسافرُ لكنها أبداً تظلُّ مجردَ أوهامٍ  
تحاصرُ الإثباتَ، عالِمٌ مكتظٌ بالوجودِ، لكنه أبداً يظلُّ وحيداً محاصراً،  
مقتولاً بينَ يديِ الفودِ الوسختينِ بدماءِ الخيانةِ والجبنِ والشمامةِ، كانَ  
بعضُ لا يرى غيرَ الوجودِ القلقِ متصدِّياً حكاياتِ الخلاصِ، من بينَ  
أيادِ الذينَ خلقو المحنَّةَ، يرمي البعضُ روحَهُ بينَ يديِ الشيطانِ

فيزوقُ له وجوده و يجعله كائناً بهيأة قادراً على تأكيد إِنَّهُ انسانٌ لَهُ  
هيبيتٍ مؤثرةً بينَ آلَافِ الْهَيَّاتِ التي تبصره بشيءٍ من الحسدِ والوجلِ  
والامتنانِ، كانوا يحاولون ملاً أَفواهُهُم بنيعيقِ الطواويسِ متناسينَ أنِ  
ليَسْ ثمةَ خلاصٍ دونما خلاصٍ بابلَ، ثمَ ارتباطٌ لا يمكنُ لعراءِ أَنْ  
تنفصَ بينَ حياةِ الكهوفِ وبابلِ المجبولةِ على الانتظارِ، كنتُ أبصُرُ  
الحياةَ وهي تضيقُ بعبارةِ الاستمرارِ، حقاً لقد ماتَ سنَ ما غرضُ،  
وتوقفَ زمانُ القصصِ عنَّا هذا الحدُّ، ولكنَّ كيفَ لِي الاستمرارُ الذي  
لابدَ منهُ، استمرارٌ أجهزَ على باقيِ ليلي فجعلَ سعاداتي خراباتٍ  
مؤجلةً، وعمرِي مشنوقةً فوقَ حبلِ الرغبةِ في التدوينِ، ما الذي يمكنُ  
أن تدونَهُ الذاكرةُ، لحظةً يجذُّ نفسيَّةً محاطاً بكلَّ هاتيكِ الانثنالاتِ  
البانيةِ لعالمِ الكهوفِ المليءِ بالمتناقضاتِ، تتحركُ الأقطابُ باتجاهاتِ  
متنافرةٍ متناسيةً إنَّ وجودها الأساسَ إنما هو معنى وجودِ بابلِ الآثيرِ،  
كانَ العالمُ يتهدِّمُ بيَنَ يديِ دونَ مَنْ يجدُ لنفسِهِ القدرةَ على إعادةِ  
تعميرِهِ أو ترميمِ بعضِ ما يمكنُ الارتكانُ إليهِ، عالمٌ يمشي برغباتِ  
الأفرادِ المعبأينَ بالآلامِ والجنونِ والكراهياتِ التي لا صحةَ لوجودها  
غيرَ صحةِ البوحِ بال مجرمِ، تتقسمُ النهاراتُ إلى آثامٍ وجرائمٍ، وتتقسمُ  
الآلامُ إلى شرعيةٍ يباركُها الكهنةُ بلحاظِ المدجنةِ بالرغباتِ والشذوذِ  
وتلكَ التي تستترُ تحتَ وايلٍ من القصصِ التي لابدَ لها أن تثبتَ  
وجودها من خلالِ الكهنةِ ذاتِهم، ثمَّ مَنْ يبررُ أفعالَ الشذوذِ ويمنحُها  
قدرةً على الاستمرارِ وتوجيرِ نيرانِ البعضِ، الكراهياتِ، لا ترى غيرَ  
عالِمٍ عفِّ معجونٍ بتراتيلِ الكهنةِ المرغبةِ بأنَّ الآلهةِ هي التي منحتُ

الانسان منحأً للشذوذِ ولابدَ لهُ من اشغالِ أشكالها ليرضي تلك العروشِ التي لا يمكنُ لها أن تعيشَ دونَ أن تشمَّ عطورَ الانكسارِ والحزنِ والتأوهاتِ وراءَ الأماكنِ التي امتلأَت بروائحِ البولِ والفضلاتِ، انحناءاتٌ حولَت الأربابَ إلى قوادينَ من الطرازِ الأولِ، وحوَّلت الانسانَ إلى عابِدٍ لا حضورَ لهُ إلا برضَا الرذيلةِ والامتهانِ، ثمَ تبريرِ لكلِّ شيءٍ، وانحطاطٌ يقيِّمُ أودَ كلَّ شيءٍ، واضطرابٌ يمنجُّ الأشياءَ رضاً وفرحاً وبهاءً، ثمَ عالمٌ يبني وجودَهُ بينَ هاتيكِ الوساخاتِ محاولاً الحفاظَ على ألقِ الحقيقةِ، عالمٌ يريِّدُ للمعبادِ أنْ تُسيرةً دروبَ الحضورِ وتصيرَ معابراً للخلاصِ من الظلمِ والجورِ، تريِّدُ لبابِ اجتيازِ لعبةِ الاختيارِ وبناءَ عالمٍ تؤطِّرهُ الامنياتِ والحبُّ والسلامُ، كنتُ أبصُرُ إلى هؤلاءِ الفتيةِ يقودُهم "تودعس" وهم يقيمونَ هياكتَ احتجاجَهم تحتَ ضغطِ الكراهياتِ والاحساساتِ بالتفوقِ المجبولِ على الكثرةِ، كانَ ليُلهمَ يمتلأً بالتأملِ والاحساسِ بالأمانِ، ونهاراً لهم تسيخُ في فسحِ المناظراتِ والعلومِ، فسخَ تكشفُ ستَّرَ الضياعِ الذي وجدَتْ بابلُ نفسهاَ تغضُّ فيهِ، أستمعُ اليهم فتتأجُّجُ سئلةُ الفرحِ، وتغمُرُني سعادةُ الارتماءِ، فأعودُ إلى رقبي وثمَ سؤالٌ يراودُ مهرجانَ ججمتيِّ، إلى أينَ تراها تصلَ خطواتُ هؤلاءِ؟؟

وما الذي يحدثُ أنْ توقفَ آلةُ الضخِ التي كانتْ تمنجُ وجودَهم بعلاماتِ القياسِ والتبصيرِ؟؟

ثمَ حكاياتٌ عن رجلٍ بلحيةِ سوداءِ، لها طعمُ الليلِ وأكفُّ موشومةً بلفظِ الواحدِ، وصمتُ مدوٌّ لهُ وقعُ فرقعةِ عجلةِ الالهِ سن، رجلٌ قادرٌ

على تجاوز محنَّةِ الارتخاءِ واعطاءِ الانسانَ المهزومَ منْذُ أولِ تأسيسِ لمعابِدِ الآلهةِ، معنىً قادراً على توكيـدِ الذاتِ أولاً، والانتماءِ الى حقيقةِ معبـدِ بابـلي خارجِ عن توصيفاتِ المعابـدِ العاملةِ بحرائقِ الأرضيـ البعـيدةِ، كانَ الرـجلُ البـضُّ الوجهِ يعلـنُ رفضـه لكلـّ ما يسيـءُ الى وجـودِ الـبابـليـ الانـسـانـيـ أـمـلاًـ أنـ تـسـكـنـ بـاـبـلـ أـرـوـقـةـ القـلـوبـ دونـ سـواـهـاـ، بـاـبـلـ المـانـحـةـ لـلـقـلـوبـ خـلـاصـةـ تـوـارـيـخـ قـادـرـةـ عـلـى دـفـعـ عـجلـاتـ الـكـوـنـ إـلـىـ مـدـيـاتـ أـبـعـدـ مـاـ هـيـ الـآنـ، كانـ "تـوـدـعـسـ" يـحدـثـيـ عـنـهـ بـحـضـورـ مـنـتـصـرـ، مـحاـوـلـاـ جـمـعـ شـتـاتـ عـوـالـمـ الـمـكـتـظـةـ بـرـغـبـاتـ فـرـديـةـ تـوـصـلـهـ أـحـيـاناـ إـلـىـ حـدـ الـبـكـاءـ وـالـرـغـبـةـ بـالـخـلـوـةـ إـلـىـ النـفـسـ، كـنـتـ أـسـيـخـ إـلـيـاهـ فـيـ أـفـيـاءـ بـاـبـلـ المـانـحـةـ وـجـوـدـنـاـ الـبـاعـثـ عـلـىـ الـحـزـنـ شـيـئـاـ مـنـ الـمـوـدـةـ وـتـأـطـيرـ الـقـيمـ الـتـيـ تـمـنـحـ الـرـوـحـ لـيـونـةـ وـتـجـعـلـهـ تـسـتـمـدـ حـضـورـهـاـ الـرـاغـبـ بـجـعـلـ بـاـبـلـ حـقـيـقـةـ الـمـبـاهـاـةـ، مـاـ كـانـتـ بـاـبـلـ تـسـقـطـ مـنـ بـيـنـ الـشـفـاهـ، تـظـلـ لـصـيقـةـ أـحـلـامـنـاـ وـأـمـانـيـنـاـ الـخـالـقـةـ لـأـفـكـارـ الصـدـ، سـيـلـ مـنـ الـإـرـتـكـازـاتـ الـتـيـ لـابـدـ لـنـاـ مـنـ الـاستـنـادـ إـلـيـهـاـ، اـرـتـكـازـاتـ قـوـامـهـاـ الـفـكـرـ وـالـاحـسـاسـ بـأـنـ الـإـنـسـانـ وـجـوـدـ مـؤـثـرـ بـغـيـابـهـ تـنـطـفـيـ الـإـسـتـمـرـارـاتـ وـتـغـدوـ الـحـيـاةـ كـتـلـاـ منـ رـمـادـ لـاـ يـخـفـيـ تـحـتـهـ غـيـرـ وـمـضـ لـاـ يـمـكـنـ لـهـ الـاشـتـعالـ مـهـماـ حـاـولـ الـمـجـهـوـلـ تـغـذـيـتـهـ وـجـعـلـهـ وـهـجـاـ يـوـجـعـ قـدـرـ الـفـرـاغـ، لـيـسـ ثـمـهـ غـيـرـ الـحـقـيـقـةـ الـتـيـ لـابـدـ لـنـاـ مـنـ تـرـسـيـخـ انـضـامـهـاـ إـلـىـ أـرـضـ بـاـبـلـ الـمـحـاطـةـ بـهـالـاتـ خـرـسـاءـ مـنـ الـإـنـتـظـارـ كـانـ الرـجـلـ الـذـيـ مـلـأـتـ حـكـاـيـاتـهـ وـجـوـدـ الـكـهـوـفـ وـغـدـتـ تـسـدـ رـمـقـ الـرـغـبـةـ يـعلـنـ لـيـلـ نـهـارـ...ـ آـنـ بـاـبـلـ أـوـلـاـ..ـ وـإـنـ الـأـوـلـ لـابـدـ وـأـنـ يـبـقـىـ أـوـلـاـ وـلـاـ يـجـوـزـ لـهـ التـرـاجـعـ وـلـاـ يـجـوـزـ

لأنباء بابل الانهاء تحت ضغطِ القدر والاسباب، تفوهُ الألسنُ بياضَ  
كلامهِ فتتوهُج السماواتُ بأنهارِ من الغيرةِ ومحاولةً اجتثاثِ المفاسدِ  
والآثامِ، كانت بابل تحضنَ رغمِ الخراباتِ التي تحيطُها نورُ مقولتهِ  
بأمومةِ وحنينٍ يبعثان على الاعجابِ، وكنتُ أوهمُ نفسي بأسئلةِ  
غزيرةٍ، كيفَ تصلُ تلكُ الأفكارُ إلى صباحاتِ الكهوفِ مخترقةً كلَّ تلكَ  
الحواجزِ !!

ومنْ لَهُ القدرةُ على الانتماءِ إلى تلكَ الصباحاتِ دونَ إعلانِ  
حقيقةِ وجودِهِ؟

كان عالمُنا يمتلأً بالاكاذيبِ والأقوایلِ والاحتجاجاتِ، يمتلأً  
بالفوضى والامتنانِ، بالكراهياتِ والانسدادِ إلى عالمِ البعدِ، يحاولُ  
اختراقَ حواجزِهِ راسماً بألوانِ الذكرةِ أماكنَ لا يمكنُ لها أن توجدَ بمثلِ  
ما توصفُهُ، ثمَ حبيباتِ يحيىُ ليلُ الوحدةِ بأرديةِ من قلقٍ وزخرفٍ من  
الفضيلةِ والانتظارِ، وأمهاتِ يسترنَ أودُّ أنفاسِهنَ باستذكاراتِ عنِ  
أبناءِ تلفُّ أيامِهم قتامةً ووحشةً، وزوجاتِ ملهوفاتِ لهمسِ البوحِ  
الفاصلِ لأعماقِ الروحِ الخالقةِ لأوجهِ سورتها استعارَ الابتعادَ، زمنٌ  
ماهولٌ بمدنٍ وأرقةٍ وشوارعٍ وأزمنةٍ محالٌ أن تجدَها بغيرِ تلكَ الرواوسِ  
الضاجةِ بالتعبِ والسؤالِ، كان عالمُنا يدجنُ طيورَ الوهمِ، فتحولَهُ  
الطيورُ إلى فضاءاتِ حزينةٍ خاليةٍ من أيما مبررٍ للوجودِ، خاليةٌ منِ  
محيطِ الضوءِ القادرِ على البهاءِ، زمنٌ يظلُّ يدورُ بقلقٍ مثلَ طائرِ  
الفاقيِ لحظةً حاضرَةُ النسورِ، ترى ما الذي يجعلُ أيامَنا رهنَ ورمِ  
الكلماتِ الباوعةِ على الغثيانِ غيرَ الوحدةِ !!

عالم تؤسسه الفوضى والحزن المقين، محاصر برغبات قاتلة متوعدة لكنها أبداً تنتظران تحين الفرصة التي تعلن انبثاقها موزعة نواح الرغبات الأكثر شروراً والأكثر تفاحراً بالانهزم، قال "تودعس" ملوماً بالحزن:

- والآن كيف يكون الاستمرار؟

قلت بحيرة لا أجد ما يبرر حضورها لحظتي : - لا أدرى !!  
كان رأسي يتورم بالأسئلة، يفيض بشطوط من الرغبات التي تحاصرها سود اللادري، أحاذل فرنزنة الجواب فتكتاثر الاردييات وتنطمس الأعمق بليل طويل من البحث، تجوسُ روحي دروب أيامها كاشفة عن خلاصاتِ موقته ، من أين نبدأ؟!!

وكيف تكون البداية والطرق تسداها جمامِ الخوف؟!!

كان الزمن الذي وجدت نفسي محاطاً بهول كوارثه عاجزاً كسيحاً مملوءاً برغبات التسلط والتسلق من خلال شفوق لا يمكن لها أن تصل إلى غير عذاباتِ مجده، عذاباتٌ تبدأ بلذة جرح منكوهٍ تضغط عليه يد انتى بلاطف، فيحسنُ الجسد بوجع الروح بلذة الاسترخاء، زمنٌ مبهوزٌ بالأكاذيب رافضٌ لكل رياح الصدق والإيمان بأشياء لا يلائمُ حضوراتِ الكهنة ومن يتبع خطاهم المتعثرة فوق أجساد عفنها، حاولت اجتياز محنَّة اللادرى تلك لكنها رمتني إلى وسط بحر من الاختيارات الصعبة ، كنتُ أبصرُ اسمراز الرقام الفارغة المركونة إزاء الشمس، فيحسنُ جسدي بالموت وتحاولُ روحي الفرار إلى خيالات صعبةِ التحقيق، كيف يمكن للزمان أن يظل مبتوراً مادام سن

ما غرض" قد خادرنا دون معرفةٍ ممارات المسير، هل يمكن لمخياتي افتراضٌ ما حدث... وكيف يكونُ جوابُ بابلَ إن هي أطلغت على مثل هذا الافتراضِ ووجدهُ مخالفًا لحقيقةٍ ما أقيمتُ؟ ظلَّ "نودعس" ينظرُ باتجاهِ بواباتِ الكهوفِ التي خلت فجأةً من لفظِ الأفواهِ، وغدت تشبهُ مقابرَ فارغةً مفتوحةً أمامَ حظائرٍ من وحوشِ الغابِ، قالَ "نودعس" وهو يضغطُ على كتفي:

- ما تعودتُ لشوقيا مثلَ هذا الجواب!!
- الحيرةُ نodusس... الحيرةُ تجعلني مرتبكاً أمامَ كلَّ ما يحيطُ بي... كيفَ يمكنُ لنا اجتيازُ فكرةَ الزمنِ الآخر... ما الذي بدقةِ الوجود... لا يحقُّ لنا افتراضَ أشياءٍ تنقلُ بابلَ بقصصِ الشقاقِ والاختيارِ غيرِ المحقق... ما عادَت بابلَ تتحملُ غيرَ وجودِ الراغبِ بالانبعاثِ فكيفَ نريدُ لها أوهاماً تؤججُ نارَ شقاقيها، إنَّ رأسِي يرفضُ فكرةَ ولوْجِ عوالمِ السرِّ الفارغِ من الودّ!!
- مثلما تفكُّرُ شوقيا... أفكُّ... تركَ سنَ ما غرضٌ فراغاً لا يمكنُ للذاكرةِ أن تسدَّه!!
- نعم.. نodusس... نعم!!....
- إنَّ لدينا ما يجعلنا نصلُّ بما نريدُ إلى مبتغاه!!
- أوَ جاذِّ أنتَ نodusس بما تقولُ؟
- أوَ وجدتَني بغيرِ ما أنا فيه؟
- حسناً.. قُل... أوَ ثمةُ طريقٌ أيُّها الصديقُ الذي أحبُّ؟

- ما كنت أعرف أن موت سن ماغرض... يسُدُّ عليكَ كلَّ دروبِ الآمال!!
- الفراغ... الفراغ هذا ما أشعر به!!
- ولسوفَ يسُدُّ نodus عَسَ آلامَ هذا الفراغ!!
- ما أحسنَكَ أخَاً وأجلَّكَ صديقاً!!
- أوَ عرفتَ ذلكَ الرجلَ الذي حدثتكَ عنه؟
- نعم... أعرفُ عنهُ الكثير... وأنا حقيقةً أسجلُ لَهُ الامتنان!!
- ما دامَ الأمرُ هكذا... فما رأي شوقياً إن سَدَ ذاكَ الرجلُ فراغَ الذي مرَّ؟
- أوَ تقولُ حقاً نodus عَسَ؟
- بلى..
- وكيفَ الطريقُ اليه... وأنتَ ترى إن نهاراتِ الكهوفِ موحشةٌ وليلها حزينٌ وقاتلٌ؟!!
- الطرقُ سالكةٌ... وستجدُ الإجابةَ عما تريده... لحظةٌ تطلقُ السؤال!!
- كيفَ... كيفَ نodus عَسَ والدربُ شائكٌ وصعبُ الاختراق؟
- هكذا نتوهمُ... إن لدينا من يقدرُ على الإجابة... أو يعتقدُ شوقياً أن كُلَّ الحراسِ محملونَ بالآثام؟
- هذا ما أنظرُ اليه... حرسٌ ونريلٌ... لا يمكنُ لفكارِهما أن تتفقَ!!
- هذا ما هو في ظاهرِ الأمرِ... أما باطنُها فليسَت كذلكَ أبداً!!
- حسناً... وكيفَ يمكنُ للسؤالِ أن يصلَ؟

- من أين تريد البدع؟
- منذ تلك اللحظة التي دخلَ نبونيد وسن ماغرض ومالونيد سومر !!
- اذن ليكن صباحنا القادم حافلاً بالجواب !!
- ما أحسن قولك نودعس... لقد أثلجت قلبي وملاة عظمي بالسرور !!
- والآن بدأ شمش يغادر الأزمنة... وهو هو سن يملأ الفضاء بفضة وجوده... فهل ثمة ما نقول؟
- بلى... بلى نودعس... أودُّ لو أرقُ شيئاً عن سن ماغرض !!
- مثل ماذا؟
- تلك الأيام التي ملأ حضورها بحضوره... أيام الكهوف التي ما أظنها تنتهي قط !!
- أو تؤمنُ شوقيا إن النهاياتِ أمرٌ محالٌ !!
- هكذا يحدثني رأسي مراراً !!
- ليس دائماً شوقيا... ليس دائماً ما يحدث به الرأس حقيقةً !!
- أو تدري نودعس... وجه سن ما عرض يضغط على عيني ليل نهار أبداً ما فارقت هيأته مخيلتي، دوماً أجده وجوداً إزاء وجودي، تلك الرقم تحذثني عنه ليل نهار، وأطيافي صارت ترکض وراءه مثل جياد لاهثة أتعبعها التكرار والجري خلفَ موت لا طائل وراءه، موت جعل سن ماغرض يسكن عالماً لا عودة دون أن يتم رحلة البوح !!
- هكذا هو الفعل شوقيا، لا يمكن للذاكرة أن تنسى الأفعال مهما كانت، الزمن يدون كل شيء... ونحن الذين نذر ريح الاختيار... أبداً

شوقياً... لا يمكن للأشياء أن تقف موقعاً واحداً... لكلٍّ شيءٌ مكانه.. وجودُه الذي تجده عنده... أبداً لا يمكن لأفعالِ المجدِ أن تتساوى وأفعالِ الخيانات... ثم فرقٌ بين وجودٍ وجود!!

- وهذا ما أبحث عنه أيها الطيب نodusus.. هذا ما يجعل حلمي يحترقُ بنيرانِ الأسئلة... كيف يمكن لي توكيُّد الوجه دونَ بيانِ الضفةِ الأخرى... وهل يصدقُ أحدٌ إنَّ دربَ نبوبيَّد وربعيَّه كانَ ساكناً... لا شرورَ ولا كراهياتِ، لا خوفَ ولا قلقاً لا حزنَ ولا دماً يراقُ.. أوَّلَمْ الأمرُ ببساطةِ انسانٍ يحلمُ فوجَدَ نفسهُ يعيشُ حقيقةَ حلمِه.. أبداً.. لابدَّ لكلَّ قولٍ من تضادٍ... وهذا ما أريدُ معرفته!!

- ما أكثرُ الأسئلةِ التي تملأُ الرأس.. ولكنَ السؤال.. طويلاً وطويلاً!!

- قُلْ لي نodusus، ما الذي ترى وسطَ هذا الليل؟

- سؤالٌ مباغٌ.. أهي رغبةُ الكاتبِ أم رغبةُ الصديقِ؟

- كلاماً أيها الصديقُ العارفُ!!

- حسناً.. ما الذي يمكنُ أن أقولَ... ومنَ ذا الذي يصدقُ إنَّ فتىً مثلَّى يرى وسطَ كلَّ هذهِ الظلمةِ أشياءً لم يرها إلا غيره، يمورُ قلبي لبابِ ومنْ خلالِ هذا الودِّ أبصرُ الأيامِ القادماتِ.. لا يمكنُ للليلِ موشومٍ بالدمِ أن يستمرَ طويلاً.. مهما تصورَ الانسانُ أزلَّه لابدَ وأنَّ يضيعَ يوماً في لحجِ النسيانِ... الدمُ هو الذي يجعلُ قلبَ نodusus يخفقُ بشدةً!!

- والخياناتُ أيها الفتى؟

- هذا منظر أشدّ وطأةً على القلب من أيما منظر آخر... وجع قاتل يملأ صباحاتي بالصمت... كيف يمكن للإنسان أن يودع ضميرة دائرة الاحتراق ما دام قادرًا على تجاوز محنَّةِ الأزر؟
- سؤال صعبٌ لا جابةٍ!!
- هكذا نعتقدُ شوقياً... ولكن تأمل في صباحات الكهوف وانظر ما الذي يؤطر وجهَ الخونَةِ واولئك الذين يمدون أيديهم إلى أيادي سجانِيهِم، ما الذي ترى غيرَ الخوفِ والترقبِ وهالاتِ السُّهادِ.. كلُّ شيءٍ معروفٌ ومقررٌ.. ولم يبقَ سوى إعلانِ لحظةِ الخلاص!!
- أوَ تبقى أرواحُنا معطلةً هكذا... نخوضُ في بركِ آسنةٍ من الانتظار؟
- ومن قالَ هذا شوقياً.. ندونُ وسنكونُ يوماً شهودُ قضيةٍ!!
- ما فائدَةُ الندوينِ إنْ قامَ الفعلُ بالمهمة؟
- لا فعلَ دونَ بقاءٍ... ولا بقاءً دونَما رقمٌ تدونُ!!
- دورٌ متأخرٌ لقضيةٍ مهمَّةٍ!!
- أبداً شوقياً... لا تقلُّ من قيمةِ ما نفعلُ.. ستُرى لحظةُ الخلاص.. كم لأفعالِكِ من قيمةٍ.. كلُّ ما ندوئُه هو تاريخُ قضيةٍ!!
- أحسُّ نodusس إنِّي لم أُفِّ بابلَ حقَّ حضورها!!
- احساسٌ طيبٌ أمامَ قولٍ عظيمٍ مثلِ بابل.. لا بأسَ أنْ نسعى باتجاهِ بابل.. ولتكن هي مركزُ أحلامِنا وقضيةُ وجودِنا الدائم!!
- ومنْتى كانَ غيرَ ذلك؟
- طيبٌ أنتَ شوقياً.. والآن... ما الذي يمكنُ أنْ نقولُه لسن؟

فجأةً، وجدت رأسي وبهدوء يرتفع إلى علوٍ.. كان سن يصدق في فراغِ رأسي بعينين ضبابيتين، لكنهما مؤاتقان، عينان تشعانِ ودأ وامتناناً، كنت أرى إليه محاولاً إزالةِ استارِ الصمتِ التي لفتَ نفسَه بها، منذ كم من الأيام وأنا أجدهُ بعيداً عنِي، هالاتٌ سابحةٌ في بحرِ من الانتظارِ، كيف يمكنُ لربِّ مثلِ سن أن ينطرِ وما الذي ينتظرُه؟ سن العارفُ بكلِّ صباحاتِ بابلِ ومساءاتها، ابنُ الربِّ أنتلِيل، الدائز مثلَ فراشةٍ بينَ أركانِ نخرساج، أوَ تراهُ لا يعرفُ غيرَ حقيقةِ وجودِه وحدهِ، أوَ لم يطلع على ما قررَه مجمعُ الآلهةِ وأربابُ الشأنِ؟ كان سن صافاً في وجهِ مخيلتي، وكُنْ نodusus يدقُ بهِ مستغرياً، وكنتُ أرى فيهِ ثمَّ معاني كثيرةً، معاني تشعلُ فرحَ عمري وتجعلني أنسى وجودَ الكهوفِ الكئيبِ، قلتُ كمن أخاطبُ نفسي:

- ما الذي يقولهُ الربُّ يا ترى؟

قالَ نodusus بصوتٍ خاشعٍ لهُ وقعُ صوتِ طفلٍ يصلي:

- لم تراه صامتاً كلَّ هذهِ الأيامِ؟

قلتُ وأنا أنتهُ بجزنِ:

- لكم يجعلني هذا الوجهُ البهُيُّ فخوراً بتراطيلِ أحلاميِّ!!

قالَ نodusus خافضاً صوتهُ إلى حدِّ غريبٍ:

- إن لي مع سن الطيبِ ألفةٌ غريبةٌ... كنت لا أحسن وجوداً لوجودي بغيرِ وجودِه تملأني طلعتهُ بنشوةِ الأملِ... فتغردُ بلا بلُ روحي بانشيدٍ ما تلبثُ أن تتحولَ إلى توسلاطٍ قاتمةٍ.. ما أجملُهُ رياً.. يركبني وإياهُ ويأخذني إلى حيثُ أريدُ!!

قلت مازحاً: والى أين كنت تريد نodusus؟

قال وهو يبتسُم باخوةٍ جعلتني آخذَه الى صدري رابتاً عل كتفه:  
- المسافات التي قطعناها معاً طويلةً وأسرةً.. كنت أعتقدُها  
محالةً... لكنه كان يذلل عقباتِ الاستمرار، إن لسن مقدرةً  
على اختراقِ كلَّ ما يريدُ.. حتى القلوب !!

صمت نodusus قليلاً فتحركَ سن مخترقاً قلبَ الظلمةِ التي حاولتْ  
لملةً أطرافِه، كنتُ أحدقُ اليهِ محاولاً اشعالَ الواقعِ نفسيِ التي خبَتْ  
تحتَ ضغطِ الانتظارِ، قال نodusus بصوتٍ جعلني أحبسُ أنفاسي  
وأهيمُ وإياهُ في دنيا التجوالِ التي اختارها لنفسِهِ:

- كان قلبي يهفو لتلكِ الصبيةِ التي أحبُ.. لكن المسافاتِ كانتْ  
تنسُع بقدرِ لحظاتِ الانكفاءِ الى نفسي.. فجأةً وجدتْ نفسي أقفُ  
 أمامَها .. امرأةً بشذى وردِ الرمان، قامةً مفتولةً مثلَ مغزلٍ، وعينانِ  
 بازغتانِ مثلَ شمسِ، وثمَ فراشةً باسمةً ترفرفُ فوقَ الشفتينِ، ظلتْ  
 أنفاسي حائرةً تحاولُ تجاوزَ زمنِ الصمتِ الذي رانَ طويلاً، لكنها  
دارت في عالمِ من الأوهامِ والأكاذيبِ ، حاولتُ الفرارَ فأشارَ اليَ سِنِ  
بالثباتِ، وتحركَ مثلَ ربِّ منتصرٍ تاركاً إيايَ في حيرةٍ شديدةِ الوطءِ،  
قالتِ البنتُ التي أحبُ: ما ذلكَ صامت؟

تمتمَ قلبي بصوتٍ حزينٍ: لا أدرِي ما الذي أقولُ؟  
قالَت بصوتٍ يشبهُ عطرَ الحناءِ: أويعدَ كلَّ هذا لا تعرفُ ما الذي  
تقولَ؟

قلتُ مرتبكاً: الحيرةُ تلفُ وجودي !!

قالت ضاحكةً: ما أغرّك حبيباً؟  
 قلت متوسلاً صمت بالرحبيل: أحقاً؟  
 - لم تلف نفسك بالارتباك نودعس؟  
 - صعب إن قلت أدرى .. ننورنا!!  
 - وما الذي تريده نودعس.. منذ زمن طويل وانت تحدق بي  
 اينما اتجهت... كنت أعرف إن سراً ثقيلاً تخفي بين جوانحك... وكنت  
 أناشد سن ليل نهار بأن يجعلك تبوح به الى اذني... توسلت الآلهة  
 كلها.. وقربت ماء الورد للرب انتل من أجل مساعدتي!!  
 - وهذا هو الحلم يتحقق !!  
 - لم يكن حلماً.. ما كنت أحلماً... بل كنت أعرف أن السر لابد وأن  
 ينهر بين يدي... ولكنني كنت أتعجل الوقت خوف ضياع الآمال في  
 بحر اللاشيء !!  
 - ننورنا.. كم أنت رائعة؟  
 توقفت أنفاسها للحظات وأشرق الوجه الباسم دوماً بضوء  
 لاصف جعلني أنظر اليها مثل ولد ينظر الى وجه أمّه باحساس من  
 الضياع، كان قلبي يخفق بشدة مشدوهاً ضائعاً في مسافاتٍ من  
 الأيام، كيف استطاع سن معرفة ما مخبوع بأعمقى، سرّ ظلّل  
 لسنواتٍ أغلبه داخل نفسي أبوخ لمعبد ذاتي فيرتل كهنة أعمقى  
 أناشيد الرضا والاسترخاء، فجأةً أجذني أسبح في شطآن الوجد  
 والهيامات، تقرأ روحي أناشيد السعادة فتسري بين أوصالي ببرودة  
 اللذة والامتنان!

"أَحْبُّكِ نُورُنَا .. لَأَنَّكِ الرَّجَاءُ

"أَحْبُّكِ يَا زَهْرَةَ الْمَسَاءِ"

تَقُولُ نُورُنَا بِصُوْتِهَا الْعَذْبِ مِثْلَ مَاءِ الْفَرَاتِ:

- أَوْ رَحْلَتَ ثَانِيَّةً؟

فَلَثُ مُنْشَدًا تَرَاتِيلَ أَعْمَاقِي:

- نُورُنَا أَحْبُّكِ يَا زَهْرَةَ الْأَرْجَاءِ !!

تَضْحِكُ نُورُنَا فَيَسَاقِطُ زَهْرُ التَّفَاحِ وَتَمْتَلِأُ الْأَرْجَاءُ بِنَشِيدِ الْأَمْلِ

الَّذِي أَمْسَكَتُ فَجَاءَ ، تَقُولُ نُورُنَا بِهِيَامِ جَمِيلٍ:

- مَا أَطِيبُ كَلْمَاتِ نُودُعُسِ الْقَدِيمَةِ !!

أَرْدُ بِعْنَفِ شَفِيفِ:

- وَأَنَا كَمَا كُنْتُ.. عَاشَقًا أَتَعْبَهُ الْمَسِيرُ !!

- أَوْ يَتَعَبُ الانتِظَارُ لِبَ القَلْبِ؟

- لَا أَدْرِي نُورُنَا وَلَكِنِي أَحْسُنَ إِنْ كَلْمَاتِ قَلْبِي لَمْ تَعْدْ ذَا فَائِدَةٍ

أَمَامَ مَا أَعْيَشُ !!

- احْسَاسُكَ يَتَوَجَّهُ الْوَهْمُ !!

- العَجْزُ يَلْجُمُ ذَاكِرَتِي نُورُنَا.. لَمْ تَعْدْ لِتَلَكَ الْكَلْمَاتِ الْفَارِغَةِ

الَّتِي لَا كَتَهَا الْأَلْسُنُ طَوِيلًا مِنْ مَعْنَى.. كُلُّ شَيْءٍ تَبِيسَ وَأَرِيدُ

مَاءً يَجْدُدُ عَطْرَ الْكَلْمَاتِ.. أَرِيدُ لِلْقُولِ حَيَاةً أَشَدُ بَرِيقًا أَكْثَرَ

تَأْثِيرًا !!

- أَوْ أَنْتَ شَاعِرٌ نُودُعُسْ؟

- نورنا ليس الشعراً وحدهم من يعشقون القول.. القلوب المعلوّة بالحب أكثر التصاقاً بالكلماتِ من شاعرٍ أوقفه الزمن عند محنٍ واحدة!!
- ما كنت أصدقُ أنَّ لكَ مثلَ هذا الفيض!!
- أخجلُ إن عجزَ لساني من اجتيازِ محنَة الاعتياض!!
- لكنني أودُّ سماعَ ما تمورُ بهِ أعماليك!!
- أشياءٌ وأشياءٌ.. تبدأ بـنورنا أحبابك... ولا تنتهي أبداً... فليكن صباحُ بابلَ عروسَ أحلامك ول يكن ليُلها غطاءُ مساراتك .. أبداً.. أبداً يظلُ قلبي رهينةً لديك.. وأظلُّ حبيسَ وجودكِ المانح وجودي حياة!!
- ما أعزُّ قولَ نودعْس؟!!
- لا أدرى نورنا.. متى كم من السنواتِ وأنا أرسمُ هذهِ الحظة.. وضعثها في اطرِ عدّة... ومنتها ألقاً وبهاءً.. لكنني كنتُ أرفضُ بقاءها طويلاً فأعاودُ الرسم... وأعاودُ الاختيار... أرى وجهكِ فأحرقُ بشوقِ الامنياتِ، مخترقاً أزمنتي صوبَ أزمنةِ أجيٍ وأبقي.. كانت نورنا تملأ مساعاتِ بابلَ بالغناء.. وكانت أعطِر مساعاتِ بابلَ بالبكاءِ والصمتِ والوجل.. كانت نورنا تعطرُ صباحاتِ بابلَ بزهرِ الابتسام، وكانت اعطِرها بتهداياتِ الحزنِ والرفض... كانت نورنا تملأ عريّةَ سن بأحلامِ الاشتياقِ، وكانت أملاً عريّةَ سن بأحلامِ الآلامِ، والوجعِ والتrepid، وكانت نورنا تقصُّ معبداً بابلَ متسللةً لحظةَ اللقاءِ، وكانت أحرقُ دمي عندَ المذبحِ المقدسِ خوفَ هذهِ اللحظة.. كنتُ أسألُ الربَّ بخوفي..

أيُّ كلامٍ يمكنُ أن يُقالَ مادام العجزُ يلفُ أوصالَ الحبِّ، وكيفَ يمكنُ  
لكلماتِ أن تقيِّم لها هيكلًا أمام رياحِ الترددِ !!  
كانَ البوحُ يورقُني، ولحظةً أضعُ رأسِي فوقَ وسادةِ خدي،  
تلتهبُ مفاصلِي بآلافِ الأحزانِ، كيفَ يمكنُ لنودعِنَس فقيرِ بابلِ اجتيازَ  
كلَّ تلكَ الحواجزِ والوصولِ إلى قلبِ من يحبُّ، كانَ ليلى حذراً، ومن  
خلالِ الحذرِ كنتُ أرى الوجهَ الفائضَ بالانتظارِ، مراراً حاولتْ نورنا  
كسرَ ضفةِ الصمتِ، لكنَّ ترديِ غلبَ حضوري فرجمَ طائرِ حزيناً  
مكسورَ الجناحِ، ما كنتُ لأنامَ لو لا محاولي الامساكِ بخيوطِ الأحلامِ  
التي أحبُّ، أغمضُ عيني فتنهرُ الأطیافُ بعصفِ طویلٍ .. تبدأ  
العينانِ بالظهورِ وتقفُ القامةُ مثلَ نخلةِ بستانِ، ورويداً.. تظهرُ  
نورنا، أحawlُ الامساكِ بأذیالِ مجئها، لكنَّها تخفي فجأةً لظهورَ بعدِ  
حينِ مئاتِ النورناتِ بأشكالٍ توقدُّني بمحنةِ الاختيارِ أصرخُ ملاً  
فمي، ملاً وجهي:

- نور نا نا نا !!

فتردُ الأطیافُ الواقفةُ مثلَ أشجارِ البرتقالِ: ما الذي تريدهُ  
نودعِنَس ؟

أحنى قامتي وبهياجِ ولدِ يحلُّمُ، بغضِّبٍ فتَّ حيرةُ الانتظارِ، بصبرٍ  
مجنوٍّ وجَّدَ نفسهَ مطروحاً وسطَ بركةٍ من الدِّم، بخوفِ امرأةٍ رأتَ  
الشيطانَ يقفُ أمامَها باسمَاً، قلتُ: أريدُ نورنا !!  
ردَّت الأصواتُ بصدِّى متكرِّرٍ .. هاهي.. ذي.. هاهي.. ذي..  
هاهي.. ذي

يغيبُ غضبي وأغضُّ من طرفِ العذابِ، وفجأةً أجدُ نفسي تلاحقُ  
ظلَّها، كانت نورنا تسبحُ وحيدةً في نهرِ رائقٍ شفيفِ الضوءِ، أشارت  
إليَّ فتقدَّمت خطواتي بوجلٍ... قالت بصوتكِ الذي أسمعُ الآنَ:

- ما الذي تريدينَ نودعُس... أنا هي نورنا؟

قلتُ بارتباكِ: أو لا تعرفي ما الذي أريدُ؟

- حتى وإن كنتُ أعرفُ... لابدَ من جوابِ.. ما الذي تريدينَ  
نودعُس؟

قلتُ محاولاً اطلاقَ طائرَ هلي: أ أنا... أ أنا؟  
ضحتَ نورنا الحلم... وفجأةً وجدتُ نفسي وحيداً. محاصراً بنداءِ  
الاستغرابِ، كانَ حلقِي يصرخُ... يصرخُ... يصرخُ:  
- أ أحبُكِ... أ أحبُكِ... نو.. نورنا!!

يرُكِّ سن عربةُ انتظارِه، فيرفعُ نودعُس بصره المملوء بالارتفاعِ،  
كانَ سن يرانا مبهوريَن بأحلامِنا التي غدت فجأةً ركاماً من الأحزانِ،  
أخذتْ كفَّ نودعُس إلى صدري محاولاً اختراقَ لحظةِ الوجهِ الذي  
يعيشُ، عالمٌ تسوَّره المباهجُ وتدفعُه مدافنُ الكهوفِ محاولاً طمسَ  
آثامِه، قلتُ وأنا أحَاوُلُ الوصولَ إلى سرِّ معنى ما نعيشُ:

- نورنا.. يا لهُ من اسمٍ طيبٍ!!

نظرني دونَ أن يفوَّه بشيءٍ.. وفجأةً... فجأةً بدأ يرتلُ أقاويلَ  
أزمنتهِ، دفقٌ من الكلماتِ الحيةِ المقاممةِ فوقَ ضريحِ الهيامِ  
التعثرُ خطايِ بكَابَةِ الاحساسِ/ تنمو مواجهي فألمَ ظمآنَ روحي/  
لكي لا تفرقنا الطرقَ/ وتعدو بجيادِ عذاباتنا الأسئلةَ/ نصلُ مدنَ

القول، ننورنا فتهداً أروقةُ المعنى / دون جوابٍ تمرُ الرغبات / عربياً  
بحزنِ الوردِ التي التي ما تنشقُ شذى أيامها نسيمُ الغروب / ننورنا  
تفرقُ الطرقاتِ بخطوِ مأساتنا؟ / تشحذُ المدنُ أنفاسنا سبلاً للعابرين  
بروعِ النساءِ / افتحْ فوادكَ، تقولُ الجميلةُ التي أهيمُ بأيامها، بهدوءٍ  
لتمسحَ الشياطينُ أورامَ الحبِّ / كاهنٌ ملكيٌّ يعرضُ الجنونَ بمعاولِ  
الخوفِ/يرشُ رذاذَ الصمتِ فيعلو طنينُ التأوهِ، سيدةٌ تمارسُ عريَّ  
احتجاجها الصاخبِ بالتمنيِّ / إلى ماذا..؟ تسيرُ بنا المخاوفُ والتراطيلُ  
قيامةً لفظِ النوارسِ / ننورنا هياجُ المكنونِ بعرى الملمسةِ تبيعُ  
الضجيجَ بصمتِ الانتظارِ.. إلى...؟ أشتري كفني البابلي بقططارِ  
معرفةٍ فاسدةٍ / تتوجُّ أنسابنا معارفُ المارقين تحتَ وهجِ العروشِ/ تحطُّ  
الكاهاناتُ أعباءَ الأربابِ بينَ الوسائلِ وأصابعِ اللمسِ الرقيقةِ، فتسكبُ  
رائحةُ التأوهاتِ مطراً من هوسِ ماجنِ وبكاءِ / تمتلأُ الغرفُ السريةُ  
بالآتنيِّ / وتخلوُ المرماتُ من عبيدِ النداءاتِ/ ينامُ آيا عارياً يحضرُ  
زوجتهُ بامتنانِ الملوكِ / ثمَّ دفعَ ننورنا ترممةُ الآلهةِ وتنثرُه رماداً  
يسدُّ النوافذَ ويمنعُ نداءِ البلايل عنَّ مجيءِ القمرِ / كانَ سنَّ ملكاً تلفَّهُ  
أرديةُ العشقِ، رويداً أضاعَ التاجَ فكانَ إليها يطاردُ أحلامَ المجانينَ  
والصبايا / وتملأُ العيونَ بكرى التوسلِ / متى تستقيمُ المرابعُ.. ويعودُ  
الفرقُ يباركُ دورتنا الآملةَ بالانتماءِ؟!!

من خلالِ الشباكِ استمعَ صوتَ الحراسِ يمحو ذاكريِّ / ليسَ ثمةَ  
مسافةً، بل احتجاجٍ ورغبةٍ بالانهماءِ، هو شديدُ الارتجافِ باردٌ مثلَ  
ماءِ الفراتِ / وهو شديدُ الدفعِ يلفُ أغطيتهِ بالكلماتِ ويكونُها بينَ

الخذينِ، مثلَ ممثِلٍ عبقيِّ، ترتجُ رائحةُ الكهنةِ ... ويهرولُ انزيلُ  
غاصباً / ثمَّ من يعلنُ الانتهاءَ ويعلنُ ربُّ النماءِ السخيِّ / يوقفُ  
فيضانَ الحبِّ، فترقدُ الارتياحاتُ، ننورنا شقُّ الفوادِ لعبةُ آففةٌ / خذِي  
نبوءةُ بريحِ الوجودِ / هي بابُ المسافةِ بينَ الشغاعِ واستعالِ  
الاغانيِّ / بينَ الفناءِ والانتهاءِ / بينَ الامنيةِ الراغبةِ بالانبعاثِ ونبعِ  
التصورِ / بابُ المعبدِ المتهورِ بالأحلامِ، يشقُّ الصدرَ ويخرجُ الأوردةَ،  
يغسلُ القلبَ بتمرِ الشطوطِ، والدمُ بعسلِ الامنياتِ والرئةُ بالصمتِ /  
ويلفُ الصدرَ ببعضِ ماءِ الفراتِ / تلاحقُ الساعةُ أعمارنا بالخرابِ؟  
والنجومُ بالبكاءِ / وسن يلاعبُ أعمارنا مازحاً ملقياً أسللةَ الردِّ / أوَ  
تريدُ العشقَ عشقاً؟!!

يصمتُ الفتى وتتطوحُ الفتاةُ بعذريةِ صمتها / وتلقى خطابَ التتويجِ /  
يصيرُ الفتى حلماً، والفتاةُ نورسَةٌ تائهَةٌ بينَ فيءِ الشطوطِ .. يحزنُ  
الماءُ فترتجُ أفنَدَةُ الامهاتِ، ويجيءُ الحوتُ قاصداً حافَةَ العربيةِ / الالهُ  
يخافُ / سن يخافُ فيختلُّ وراءَ النجومِ، والخيولُ تقرُّ بخلاصها أبداً،  
تدقُّ الامهاتُ صوانِي الوجلِ / إن ماتَ سن متنا... فاطلقي الوجعَ  
للفوادِ // تعودُ الرؤوسُ مشرابةً ، وتدورُ العيونُ في محاجرِ المساراتِ /  
ياحاته... // تسقطُ الامنياتُ وتهتزُ نخلةُ الآلهةِ / تصيرُ المعابدُ رماداً،  
والرمادُ سوستَةً، والسوستَةُ نورسَةً، والنورسَةُ عروسَاً تقولُ لسن: -  
هلا تجيئنا بالمرتجمِي أملاً؟!!

يطشُّ سن اليها الجوابَ / تعودُ النوارسُ للانطلاقِ فوقَ كبدِ  
الشطوطِ، وملاءِ الصبيَّةِ، وليلِ الخماراتِ البابليَّةِ، بابلُ خالقةُ

الكؤوسِ مانحةُ النسوةِ البائقةِ لعقلِ السؤالِ، انتشارِ المحبةِ لصوتِ  
النائمينَ فوقَ عرشِ المحبةِ، بابلُ صوتِ المحبةِ لاحضارِ الطرقاتِ/  
يظلُّ الربُّ "أتوشمش" يبحثُ عن ميزانِ عدالتهِ، فتموّثُ الأوجاعَ  
وينهمُ صوتُ أنيلِيل، تطريهُ الاغنياتِ رويداً.. رويداً، تدقُّ الطبولُ ،  
وترنُ القيثارَةَ بعدِ النغمِ:

"يا ليلٌ... يا وحشةُ العاشقينَ

يا ليلٌ... يا سؤالَ حزينَ

يا جامعَ الآفلينَ

يا ليلُ الأحلامِ في دنيا المحروميينَ

يا وحشةُ أيامِي... يا ليلٌ.. الخوفِ.. يا ليلُ المظلومينَ

يا ليلُ الحبِّ .. والقلبِ ... وسؤالِ المنسيينَ

متى ترحلُ يا ليلٌ.. ليجيءُ الصبحُ بريحِ الآمال.. وريحِ المأمولينَ"  
تموّثُ الزهرةُ القاتمةُ / وتزهُرُ الذكرياتُ / تتنشلُ في ثقلِ المأساةِ/  
مالِ الواحدِ مستذكراً أساهُ وسودادِ المعاني / تثبتُ الزهرةُ ثبوتُ أوراقها/  
تمحو ميسّم الريحِ / تستقيمُ القادمةُ بقوامِ الفكرةِ / عطّرنا تجرّهُ الأسئلةُ/  
وتتحوّلُ الإجاباتُ / الكهنةُ تملأُهم الفجواتِ بسُوادِ الموتِ / تعبّاهم  
تراتيلُ الاستغفارِ / الإلهُ المتكمُ إليها يرمي أطرافَ أصابعِهِ ناحيةَ طينِ  
الجسدِ المحفورِ بطنِ السرمديةِ / ترتجفُ الرياحُ ناعقةً بمكرِ الشهوةِ  
المستباحةِ / يجلسُ الربُّ راغباً باغماسِ عينيهِ حتى تمرُّ الغماماتِ/  
تحلمُ أنفاسهُ بقوسِ الضياعِ / تبهُرُهُ أسللةُ الآتینِ من الالرجوعِ / طرقُ  
متربةً / خطواتُ واطنةً بالانتظارِ / نقوشُ غرابةً منقوشةً فوقَ دروبِ

المعنى / لعبه آسرة / يضغط الفتى أوجاعه فتشرابُ فوقَ جمامِ بـأوهامِ  
الل Miz / يرتكبُ السؤال مجرةُ الحلم / وتحطُّ الأقوالُ في سفرِ الانتهاءِ /  
ألم ترَ السؤال مجردَ كيدِ وظيورِ / ترمي المعنى بعزمٍ منشورٍ فوقَ  
رحيلِ الحرّ / ليس ثمةً اطعاماً / والقرار قرارُ البسم / لم أَرَ غيرَ صدقِ  
المعارفِ / والحدث على ثبورِ الانتظارِ / تمتلاً الأواني بالعطايا / وتحرُّ  
العدواناتِ على موائدِ الانكسارِ / للشيءِ وجةً مستقرّ الآمالِ / والآخرُ  
تسربِهُ وجوداتُ الرؤيا / محنَّةً تجُّرُ الممراتِ إلى ليلِ مبارخها / تَبَّ  
الفتى الذي يطشُّ الاحتجاجَ / ويلعُقُ قدمَ الزوجةِ الامرةِ بالجحودِ / ألم  
ترَ انهمارَ الفجواتِ مغلوفةً بالشرورِ / وارتسامِ الأوهامِ؟!!  
محنةً أن ترى اليه يعودُ نفسهُ الاستفادةً من عرشِ يجهلُ أحلامهُ /  
تأمرةُ الحلوةُ الوجناتِ بالانبهارِ / فترتدُ الوصايا مبتعدةً / يلفُ الفتى  
فتوتهُ بالنداءِ الغريبِ / هو واحدٌ يسيئُ الأزمنةَ، فكيفَ يهمسُ  
بالمسيرِ؟!!

تراجمُهُ البواباتُ بواطنٍ من الفوضى فيرتكنُ الانهمارُ إلى شظاياِ  
الرمادِ / وتلنجُ المحامدُ عمرَ الخطيئةِ / تحلمُ بمدافنِ الأعمارِ / تقولُ -  
النهوضُ فتصمثُ الأقوالُ / لعبهُ باذئنةً يارثُ المعاني / تقيمُ المدياتُ  
جواباً / والسودُ رغائبُ الأعمارِ / ودررُ الارتكاسِ الجديدِ / تصعدُ  
السلالمَ خطواتنا تلصقُ همَّها باطاشي الحزينةِ / ما الذي يقيِّمُ القوافلَ  
ويوجِّحُ دربَ البعادِ؟!!

لماذا تؤسسُ المعابدُ مذابحَ للعزاءِ .. فتلهجُ الذكرياتُ يشطآنِ  
الذكرِ؟!!

تتذكر البسم / تبتسم الداخل بالسؤال / تترسم الاجابات بغير  
الورد / علام تنهمر الفوضى فوق رؤوس الاحتجاج / ويمحو الدروب  
دخان المعابد بصنديق الاسرار / تعرف اللعبة بالجناء وتطلب بخوفِ  
افراحها نوارس حزنٍ تبيضُ سواد المساءات بومض العيون / تقييم  
الاواراث احترافها فتصبُ زيت الاسفار / تحلم بسفرِ الأزمنة / وامتداد  
البيوت بعالمِ آمالها / كاهن تجلسه البلوى الى الانتظار / يجلسه  
الانتظار الى الكآبة / تجلسه الكآبة الى الاحتجاج / يجلسه الاحتجاج  
الى الجنون / يجلسه الجنون الى الرغبة / تجلسه الرغبة الى القول /  
فيركنه القول الى الفراغ والفراغ الى المسافات التي تجرح ظلَّ  
المخاوف / وتملأ الفضاء بدم التراتيل / يقول الذي تملأه المعرفة :

- كيفَ السبيلُ الى خلاصاتنا؟

- كيفَ السبيلُ الى وجعِ بحجمِ البحار؟

- كيفَ السبيلُ الى طرقِ تحرقِ انوثةِ المغزى؟

وتنهض موتى المقاصد / يقول الذي كان يعلن الانتماء /

- ما الذي يريدُه الموتُ غيرَ حسنِ الترددِ بين القلوبِ وسلبِ  
الكلماتِ؟!

تصمت الألسنُ القائمةُ بالذكر // وتدورُ باحثةً... باحثةً... باحثةً

تصمت الألسنُ يؤججُها الخلاصُ //

يصمث نودعس، لحظةً تجفُ التراتيل، وتدمجُ عينا سن، فيتساقطُ  
رطبُ الفضةِ فوقَ الجبهة التي بللها عطرُ التوحد، كانت المسافةُ بينَ  
الفسحةِ المستطيلةِ وبواباتِ الكهوفِ العشرينَ مملوءةً بالترقبِ ثمَّ من

يلهُج بذكر الأعماِر وضياعها بين صخور الوحشة وعذاباتِ  
الارتِجافِ، عالمٌ عفنٌ رطبٌ مثل دم المزابلِ، تملأهُ الدسائِس وأساليبُ  
الخيانتِ المتوجدة، اتكاً سن إلى عريتهِ متَّماً حضورنا الذي غدا  
بحجمِ الصمتِ، وفجأةً توارى خلفَ اسودادِ ضيمِ الحزنِ، واعتمرت  
الفسحةُ باللونِ من الظلماتِ، وغدت الكهوفُ معابداً مهجورةً، كان  
صوتُ تراتيلِ المساءِ يأتي متقطعاً... تحيطهُ علاماتِ الاستغرابِ والمُ  
بعادِ، تراتيلٌ تجعلُ سن يحسُ بالانهزامِ فيلوذُ بأذنياً ريبويتهِ الآيلةِ  
للتلاشيِ، صعبٌ أن يرى ربُّ مثل سن إلهٌ عاجزٌ عن إنقاذِ هذهِ  
الأرواحِ الراعفةِ آلامِها مثل نزيفِ دمِ، أوجاعٌ لا يمكنُ الامساكُ ببدايةِ  
حضورِها، ومحالٌ ايقافُ جريانِ بواعثِها التي لا تقفُ عندَ حدٍ، قالَ  
نودعُس :

- ما أغربُ سن... ما أن يحسُ الانفجارَ حتى يضيع!!  
قلتُ محاولاً الامساكَ بانهمارِ مشاعرهِ :  
ليس هروباً نودعُس... بل هو لحظةٌ تأملٌ لحزنِ !!
- أو بحاجةٍ إلى هذا التأملِ وهو العارفُ؟
- محالٌ من لا يتأملُ مثلَ سن... هذا إلهٌ وجودُهُ فيضٌ من مشاعرِ !!  
ولهذا ترانا نحبُهُ شوقياً !!
- من ذا الذي لا يحبُ رفيقَ أزلِيهِ... سن ربُّ يمنحُ الإنسانَ صفاءً  
وحديتهِ... دوماً تراهُ يبصرُ ويعرفُ لكنهُ أبداً يظلُ محاطاً بالصمتِ..  
ولحظةٌ يتكلُّمُ يتغيرُ مسارُ الأشياءِ... ربُّ عاشقٌ بأزلِيهِ ليس لديهِ  
وجودٌ دونماً أحبةٌ يتأملونَهُ... وحناجِرِ تملأُ فضاءَهُ ببقاءٍ عنِّيهِ لهُ

ليونه العشقِ نفسي... رب تهزه مشاعر الغزل فتسع مسافات  
حضوره، وتكبرُ أمالُ وجوده، يحسُ ان الانتماء الى الأرض  
وأنسانها أكثر فائدةً وأهم من وجوده بين الأرباب تعطُّلهم أوهام  
صراعاتٍ تافهةٍ... دوماً تراه يقفُ عند حافةِ التأمل... تحديقٌ في  
فرح الأزمنة وخوفِ أن يفقدَ الإنسان ألقَ محبيه، صعبٌ على سن  
أن يرى إنساناً دونما قلبٍ ينبضُ، وعينٍ تدمعُ من أجلِ كلمةٍ ودّ...  
يرى وهج الكلماتِ فيشتغل بالترقب... تسخره مبادرُ الحبّ...  
ويتمنى لو أنه أعطى أبنيَ الإنسان كلَّ فضَّةِ انتظاره.. سعيدٌ هو  
سن بحضورِ الإنسان، وسعيدٌ الإنسان بحضورِ ضياءاتِ سن  
وبهرِ الأغاني المشتعلةِ بالأعمالِ، تفيضُ الأرواحُ بفرحِ البوحِ فتطرُبُ  
الأجسادُ مهتزةً بجذلٍ يعطُّرُ عفونةَ الكهوفِ التي غادرت خيوطَ  
الشمسِ منذَ أزمنةً بعيدةً، نظرت اليه متوجهًا، ونظرَ اليَّ مبصرًا  
عمقَ مخاوفي، كان نodusus يحركُ أصابعه بارتباكٍ حائرًا، تلفَّ  
فضاءاتِ الترقبِ والحدُّرِ، قال:

تنتبئي مسافاتُ الخطوطِ التي لا أعرفُ أين تنتهي!!

- ومن ذا الذي لا يتبعه جهلُ الانتظار... قلقُ هو الذي لا يعرفُ أين  
يحطُّ به طائرُ معارفه... ومتعبُ هو الذي لا يدرِي ما سرُّ وجوده..  
وتافيةُ هو الذي لا قدرةُ له على اجابةِ الأسئلةِ التي تلفُّ  
الجمجمةَ... ما فائدةُ انسان لا يعرفُ معناه يعيشُ مبهماً... لا  
تتعجبُ سوى كسرةِ خبزٍ... لاهثاً يسري، ولاهثاً يتأملُ جوعه... ملقياً  
بجمعِ لومِه تجاهَ الأربابِ الذين يشتمونَ منهُ ويقهقرونَ متفاخرينَ

بغائيه، كم يكره الأرباب نيران أسئلة العقول التي تبحث عن طرق للخلاص، يصرخون باحتجاج لحظة يقولون فم بمادا؟ وتهتز قواعد عروشهم إن هم استمعوا إلى زين الكيف... وتموت آمالهم مثل شجرة شوك زمن تجمع الأفواه على سؤال المتن؟ تظل أصواتهم معطلة، وفجأة يقررون بغضب إن لا فائدة من أولئك العارفين بسر الوجود، فترتج الإجابات وتضيق دائرة الاتساع ويجد الإنسان نفسه محاصراً بشورٍ لا عد لها ولا حصر، محنّة تتلوها محنّة، والأرباب يتهمون بأرذل الشتائم من أجل وجع المخلوق الأكملي بين المخلوقات... !!

- يا لها محنّة شوقيا أن تظل محاصراً بالجهل !!

- هذا ما يتبع أ ملي... لزمنٍ وأنا أسأل نفسي... ما فائدَة قولِ مركونٍ عند حيطةن الظلام... ما الذي يمكن أن تؤسسهآلاف المعرف المكتوبة فوق هاتيك الرُّقم إن هي لم تجد انساناً يتطلع إليها بعشقٍ... أخافُ أن تضيع أيامنا في دائرة الهباء... وتمضي بنا الأيام إلى حيث "كن نوجي" دون أمل بأثرٍ... لابد لأحفادنا من معرفة تسهل عليهم الاستمرار... صعب أن تجد نفسك وحدها دون مستند تقفُ إليه، تحاول الاستقرار فوق علو معارفه !!

- لا شيء يبدأ من فراغٍ شوقيا !!

- ماذا لو وجد أحفادنا فراغاً شاسعاً... ماذا لو ارتطمت عيونهم بلعنة اللاشيء.. ها هي بابل تحرقُ ومعها يحرقُ كل شيء... أو تعتقد نodusus إن الشر يمكن أن يترك الفضيلة ساكنة... تكره الرماح

- وهج الكلماتِ لها تراها دوماً تحاولُ طمسَ معالمَ انسانيتها...  
 الرمحُ ليسَ صديقاً طيباً للكلمة... كلاهما لن يلتفتُ الآخر !!
- الكلمُ معنى... والرمحُ فعلٌ شوقياً !!
- فعلٌ منقوعٌ بالدم... يأخذُ من الإنسانِ حتى وإن كانَ عدواً أبهى ما لديه... الحياة... نصالُ الرماح تكرهُ شعلةَ الحياة لذا تراها دوماً تسهمُ في اطفاءِ حضورها اللاهب !!
- لكنَ الكلماتِ لا تقيِّم أساساً لفعل !!
- من قالَ هذا نودعس... الكلماتُ أفعالٌ مقدسةٌ تغسلُ قلوبَ الأئم... وتملاً الأرواحَ بنورِ المعرفة... عندما تقومُ الكلمةُ مقامَ الرمح... القوةُ فعلٌ جائزٌ... جائزٌ نودعس... ويجبُ علينا نحنُ أهلُ بابلَ أن لا نمجدهُ أبداً..
- وكيفَ الوصولُ الى الذي كانَ؟
- الطرقُ كثيرةً !!
- بابلُ تحرقُ وتداشرُ معابدها تحتَ سبابِ الخيولِ... ونهارُتها صارتُ نواحاً مستمراً وجوعاً أبداً... فهل تكفي الكلماتُ لرفعِ غلَّ الأئم... هل تكفي لارجاعِ ما فاتَ الى وراءِ وجوده؟
- تلكَ هي حيرتي وقلقُ عذابي !!
- لا حيرةً ولا قلقَ شوقياً... الفعلُ لابدَ أن يبدأً بمعنى !!
- والمعانى كثائر... والاختيارُ صعبٌ...
- لنبدأً أولاً بـ لماذا... عندها تكونُ الاجاباتُ مسارُ اختيارٍ !!
- دوماً أراكَ تمهدُ لي الطريقَ أيها الأخ الذي أحبُ !!

- دريئنا معاً... وهو لي قبل أن يكون لك... والآن شوقياً... أو  
اطمأنَت روحك لدليل الاختيار؟

- كلُّ الاطمئنانِ ايها الأخ نodus... على رغم من إنَّ في القلبِ  
وجعاً ما بعده وجمع... وحزناً يضيّب سماواتِ بابل... كيف... يمكنُ  
للاستمرارِ أن يستمر... كيف وبابلِ محاطةٌ بدمٍ وصهيلٍ خيولٍ!!

## الرقيم الخامسُ - ١٢ -

مطرَت علينا سن فضةَ انبعاثها، لحظةَ رأت العيونُ سورَ تيمين  
وهو يسُورُ سومرَ بحزامٍ من الألفةِ والأمومةِ، كانت البوابةُ التي تقابلُ  
الامتدادِ الصحراويِّ، تستندُ إلى صفةِ الشطِّ التي بدأت لحظتها تتلالاً  
محتضنةً استدارةَ القلبِ الذي سكنَ لبَّ الماءِ، أشارَ سن فتهدمَ السورُ  
المهجوزُ رويداً، ثمَّ أكواهُ من الأجرِ وقتلَ من الطينِ تتناثرُ بمسافاتٍ  
تبعدُ مثلَ خرائبِ، وثمَّ نعيَّبُ ونواحٍ يتسللُ من بينَ الأرجاءِ، تتهمرُ  
الوحشةُ فوقَ أغطيةِ الرؤوسِ فتحسُّ ارتياحاً غريباً لم تألفهُ من قبلُ،  
فجأةً أرادَ سن ماغرضَ فتاً خوفَ العيونِ التي ظلت تنتظرُ تلك اللحظةِ  
منذُ زمنٍ طويلٍ، فحولَ كفيهِ إلى حمامَةٍ بلونِ الوردِ وأطلقَها مردداً  
بحبورِ صبيٍ ينتظِرُ حبيبَهِ:

- مباركةُ خطواتُ سومرِ الآتيةُ

فردَت شفاهُ نبونيدِ وماليو: مباركةُ أيامها الآتياُ بالمسرةِ!!

قالَ سن ما غرض: مباركةٌ أفعالُها التي تلم شملَ البعضِ إلى البعضِ !!

رددَتْ شفاهُ نبونيد ومالو: سومر خطو أعمارنا الطيبة... سومر وجودُها الذي لا وجودَ سواه !!

قالَ سن ما غرض: فرح... سعيد... متفانٍ هو العلوُ الذي نسعى إليه !!

رددَتْ الشفاهُ باطمئنان: مباركٌ في رضا سن... عظيمٌ بأفعالِ أهلِها وجودُ سومر الأزلي !!

كان العالمُ الذي نبحثُ عنه يسكنُ جوانحنا منذً زمن طويلٍ، وهذا نحنُ نراه يقفُ بين أيدينا، عالمٌ له طعمُ الانتظارِ ورائحةُ الأملِ الذي ابتعدَ عن دروبِ مستحيلةٍ، كنتُ أرى إن ثمةً ما يربطُ بين الأرواحِ المغمورةِ بالسرورِ والأرضِ التي ظلتَ حتى تلك اللحظةِ لا تعرفُ عن حضورِهم شيئاً، قالَ نبونيد: إلى أين ترانا نتجه؟

قالَ سن ما غرض: المعبد... المعبد؟

قالَتْ مالونيد: أيٌ معبدٌ تقصدُ... فما أكثرَ معابدَ سومر!

قالَ سن ما غرض: معبدُ أي نن - ماخ مقز الإله نnar وزوجته ننكار !!

قالَتْ مالونيد وهي تتحققُ في فضاءِ عينيه اللتين اتسعتا فجأةً فغدت تشبعانِ نهراً متلاطمَ الأمواجِ :

- ننكار... الريّة الراعيةُ لنسوة سومر... أتراءها قائمةُ الآن؟

- الأربابُ وأزواجُهم لا يغادرونَ المدنَ حرث وإن دمرت !!

- قولٌ لن أصدقهُ سن ماغرض!! قالَ نبونيد متحجاً  
لِمَ أَبْهَا الْكَاهْنُ الطَّيِّبُ؟
  - دواماً أحسُ إنَ هزائمَ تسكنُ دواخلَ تلكَ الْأَلَهَةِ ما تلبثُ أن  
تتحولَ إلَى فعلٍ لحظةً الاحساسِ بالموتِ والدمارِ يقتربُ !!
  - ثمَ الْفَةٌ بَيْنَ اِيرَا وَأَرِيابِ سومر!!
  - كاذبةٌ تلكَ الْأَلْفَةُ وممزقةٌ الأشلاءُ... اِيرَا لا يعرُفُ بغيرِ  
الخرابِ صديقاً ورفيقاً درِبِ
  - قالتَ مالونيد وهي تشعرُ بالحزنِ يملأُ قلبَها الذي بدأ يخفقُ مثلَ  
طائرٍ يحاولُ الانفلاتَ:
  - ما أتعسُه ربَ اِيرَا هذا... مجنونٌ لا تهدأُ أعماقهُ إلا وهو يرى  
الانسانَ محاطاً بالمرضِ والفوضى والخراب... ربَ  
متوحشٌ... لا يعرُفُ غيرَ الدمارِ طريقاً
  - ها هي ذي سومرِ أمامنا... والمعبُدُ الكبيرُ هناكَ إنَّ لي  
صديقاً كاهناً يمكنُ اللجوءُ إليه!!
- قالَ نبونيد: دونَ البوحِ بشيءٍ عما يعتمرُ في أعماقنا!!
- قالَ سن ماغرض: ليسَ الآنَ وقتُ مكاشفةٍ... لابدَ لنا من معرفةٍ  
سبلِ اللقاءِ !!
- خطّت الخطواتُ متزاوجةً سورَ تيمين الذي بدأ لحظتهِ مثلَ قلبِ  
مجروعٍ، مرمي عندَ قارعةِ الطريقِ دونما اهتمامٍ، كانتْ ثمةُ بقايا  
لأشياءٍ غريبةٍ، ملابسٌ عتيقةٌ ورماحٌ مكسورةٌ وأشجارٌ نصفُ واقفةٌ  
بشعفاتها متاثرةٌ مثلَ شعرِ نساءٍ مثكولاتٍ، أوامٌ من الأزيالِ التي لا

سبيل لتجاوزها بغير الانغماس بروائح عفنها التي تزكم الأنوف، تجاوزت الخطوات متأففةً، كان نغم الشط يتهادى بارتياحٍ ما لبث أن أشاع بعض الهدوء بين الأجساد المشدودة الخطو، أقدام محبوبة بالهم ورؤوس عامرة بأشياء لا يمكن أن تكون بغير السقوط وسط دائرة الصبر والانتظار، تنهَّى نبونيد وهو يضع قدمه عند بدء الطريق الذي بدا يلمع تحت وهج سن الذي بدأ يحضر نفسه للرحيل، ثم طريق مرصوف يالاجر ومعلم بعلامات لا يمكن حصرها، ثم اشاراتٍ تتتجه إلى كل صوبٍ، ورسومٍ توضح بقايا مدينةٍ كانت ذات يوم عامةً بما لا يمكن لأحدٍ أن يت肯ّن به، قال نبونيد:

- ها هي ذي المدينة التي ظلت كلَّ هذا العمر أحلم بالوصول إليها!!

قال سن ماغرض : المدن تتضايق ..... !!

**قالَتْ مَالُونِيَّدَ مُعْتَرِضَةً: كَيْفَ وَأَنْتَ تَرَاهَا لَا تَشْبَهُ إِلَّا نَفْسَهَا**

قالَ سُنْ ماغرِضٌ: هَذَا مَا يَبْدُو خَارِجَ الْحَقِيقَةِ... لَحْظَةٌ تَكْتَشِفُ  
الْدَّاخِلَ لَسْوَفَ تَجِدُ أَنَّ هَذِهِ الْأَرْضَ لَا يَمْكُنُ أَنْ تَشَبَّهَ أَرْضًا أُخْرَى،  
إِنَّ لِأَرْضِ سُومِرِ رائِحَةً الزَّعْفَرَانِ وَلِمَائِهَا طَعْمُ الزَّعْتَرِ!!

**قالَ نبُونِيد مُبْهُوراً: أَوْ حَقٌّ مَا تَقُولُ إِيَّاهَا الْحَكِيمُ؟**

قالَ سَنْ ماغرِضْ مؤكداً: لسُوفَ ترى... إنَّ كُلَّ مَا يَقُولُهُ سَنْ ماغرِضْ حَقِيقَةً مثَلَ وَجْهِ شَمْشَ!

زفر نبوينيد باريماح، وتبعته الخطوات التي شعرت بألفة الانتماء،  
سومر وجدت نفسها فجأة ترى الى وجه شمش وهو يجيء مصرياً

بأقدامٍ تخطو ببعضِ التعبِ، وثمَ اندفاعٌ يؤجُّح حضورها، تقدمتْ الخطواتُ رويداً... ليسَ ثمةُ غيرِ الصمتِ الذي بدأ يغسلُ وجهَ الربِّ الآتي بالضوءِ، كانَ شمسُ يعلو رويداً قمةَ الحضورِ... فجأةً بدأَتْ المدينةُ تنفضُّ أغطيةَ نفسها، مانحةً صباحاتها برودةً أخذاءً، انهرَ الضوءُ وتثاءرتْ حمامُ الأحلامِ متطايرَةً في الأجواءِ، ليسَ ثمةُ مدينةٌ تحلمُ... أكثرُ مما تحلم سومر... انهازٌ تسيلُ بيايقاعٍ متواتِرٍ يغسلُ صباحاتِ العيون بفرحِ اللحظةِ التي تجيءُ، كانتُ الخطواتُ تبحثُ عن بدايةٍ تقييمُ حضورِ النهاياتِ، نظرَ سن ما غرضَ متفحصاً امتدادَ الاجرِ الذي توقفَ خطواتُ البوح عندَه منْ زمِنٍ بعيدٍ، كانَ الاجرُ يحسُّ بوقعِ الخطواتِ التي بدَتْ غريبةً، تبحثُ عنَّيْنَ يؤكدُ وجودَها الامرُ يشيِّعُ لم تألِفُه سومرُ منْ قبلٍ، كانَ معبدُ أيِّ نن - ماخ يظهرُ رويداً بارتفاعِ المهيِّبِ، وثمَ أكثرُ منْ مصبٍ ينهمِّ بينَ يديهِ، تعلَّتْ صيحاتُ الباعةِ ونداءاتُ العارضينَ لبضائعِ الفجرِ، فأحسَتْ المدينةُ بالانشـاءِ ونشرتْ خمولَ مساءاتها المجبولةَ على الحزنِ، الصباحُ يمنحُ حيَاةً سومرَ بعضَ الرضا مثلاً يمنحُها الليلُ بعضَ القلقِ والانتظارِ، كانتْ تدري في سرّ وجودها إنها لن تبقى طويلاً أسيرةً رغباتِ "اینسا"

هاجرَ عن قولِ ما يعمُرُ بداخِلِه... رويداً ارتفعتْ تراتيلُ الفجرِ... وعلَّتْ أصواتُ الكهنةِ مرتبةً عظمةَ الروح... ليسَ ثمةُ أكثرَ بهاءً منْ أنْ تسمعَ تراتيلَ الأرواحِ وهي تحاولُ إرضاءَ الأربابِ الكسالى العاجزينَ عن فعلِ شيءٍ يرضي الانسانَ، دوماً ترى إنَّ ثمةَ منْ

يحاول اقناع الآلهة بأنَّ الإنسانَ حضورٌ لا بدَّ منهُ، ودوماً تجدُ الآلهة وهي تصدُّ مثلَ هذا القولِ، رافضةً هيمنةَ الإنسانِ الذي خلقتَ على امتدادِ الأرضِ، ثمَّ صرَّاعٌ لا ينتهي أبداً مهما استمعَ الإنسانُ إلى تلك التراتيلِ وأسهمَ في تلاوتها، كانت سومر تعرفُ إنَّ أربابها مجردةً موتى غير قادرِينَ على فعل أيِّ شيءٍ، ولكنَّها أبداً تظلُّ ترثِّلُ وتؤدي طقوسَ الاستمرارِ، أبداً كانت صباحاتِ سومر عامرةً بحنينِ إلى شيءٍ تجهلُ ما هيَّةَ وجودِهِ، لكنَّها تظلُّ مشدودةً إليهِ انداداً صبَا ياهَا إلى سنِّ الذي يجيءُ كلَّ يومٍ، وانشداد نسوتها إلى غيباتِ طالتْ أمادُها زمناً طويلاً، وفقتَ الخطواتُ بشعورِ الحزنِ عندَ البوابةِ المرصوفةِ بالعقيقِ واللَّازوردِ، ثمَّ لونِ أزرقِ شفيفٍ يملأُ فجواتِ البقعِ وصوتِ بهدوءِ انسياطِ ماءِ الفراتِ يجيءُ من عمقِ الممراتِ التي أضيفتْ بخيوطِ الفجرِ الذي بدأ يتكشفُ رويداً، تتمتَّ الشفاهُ وهي تحدقُ برصا إلى فراغِ البوابةِ التي اتسعتَ مثلَ فمِ أدرِّ... مغمورةً بصوتِ التراتيلِ المطعمةِ بنرجسِ الحبِّ والتسلٍ والامتنانِ / قالَ نبونيدَ :

- ما أعظمُها لحظةَ سنِّ ما غرض؟
- الفجرُ أجملُ ما في سومر... وهو نحنُ نكتشفُهُ منذُ أولَ لحظةٍ !!  
تنهدَت مالونيدَ ومسحتَ بقايا مطرِ حركَ غيومَ ماقيها... قالَ نبونيدَ :
- ما أكثرَ ما سمعتُ عن هذهِ الصباحاتِ... كانتْ أمي تملأُ رأسي بتوصيفِ بهايهَا... لحظاتٍ كانتْ تجعلني أرسمُ لشمشِ حضوراً أبداً... ولكنَّي كنتُ أحسُّ بالانهزامِ أمامَ أولِ قولٍ كانتْ تتقولُهُ

أمي... وها أنذا أشعر بالانهزم ثانيةً، ليس ثمة أبهى من هذا... صباح مليء بالتأمل... ونداءات توقد مساحاتِ الروح، وقناعةً بأنَّ اليوم الذي يحطُّ حضوره لابد وأن يكون مختلفاً - تلك هي سومر نبنيده... تراتيلٌ... وجودٌ... وهياماتٌ لسوف تتسع بين يديك... لابد وأن ترى في سومر ما لم تره في سواها!!

قالت مالونيد مؤكدةً: ما أقرب هذه الريح إلى ريح بابل... وكأنني أشم رائحة ترابها

- مالونيد... مالونيد ما الذي تقولين... امتدادٌ واحدٌ وعطر زمنٍ واحدٍ... ولهذا سعت خطواتنا بنا إلى هنا... ليس ثمة ما هو غريب ولكن ثمة ما هو خاصٌ، هي أرض السواد يحسُّها بعيدُ مدنَا لا تتشابه، لكنها أبداً تظلُّ أسيرة بعضاها، لايمكن لها أن تستمر دون الآخريات، نفرٌ هي أوروك مثلما سومر هي بابل ومثلاً لكش هي سومر... دائرة عمرها أرض منسراحةٌ من نخلٍ وزرعٍ وماءٍ وغناءً!! - ما أجمل وصف سن ماغرض... دوماً تلُج بواباتِ الكلام بعطر حضورها!!

قال نبنييد ضاحكاً وهو يأخذ أصابع زوجته اليه:

- هو الحبُّ مالونيد... هو الحبُّ الذي يحرك قول الأفندة!! هُنَّ سن ماغرض رأسه مؤيداً، وانغمست مالونيد بضياءٍ شفيفٍ أطلقه شمش فجأةً، كانت أصوات المرتلتين ما تفتَّ أن تتعالى معلنة سعاداتِ الاستمرارِ، فجأةً وجدت سومر نفسها ترتلُ والأقواء التي

وقفت عند بوابةِ اللازوردِ أغاني تشيعُ في الأعمقِ إن الأيام الاتية  
لابدَ أن تقدمَ المستحيلَ، همسَ سن ماغرض بجذلِ امرأةٍ عاشقةٍ:  
" سأتيكم... وأدقُّ بوابةَ اللازوردِ  
أقبلُ عتبةَ الحبِّ الذي أريدهُ... وأسمعُ صوتَ محبيِّ ينادي أيامِ  
صباي

سومر لابدَ وأن تنهضَ... بعدَ الاستفقاءِ... وترمي يمينَ الحبِّ  
وتبقى أحلامنا موصولةً بدروبِ شواهدِها تعرفُ الخطواتِ  
لابدَ للمواكبِ أن تتنظمَ، وللحزنِ المخزونِ أن ينطلقَ...  
لابدَ أن تستطعَ خضرَةُ الأشجارِ... وتنهرُ الأرواحُ بسائرِ الطرقِ  
هي سومرٌ وهجُ زهورِ النرجسِ، وأسرارُ الأغصانِ  
يا سومر يا فيضِ الفجرِ... ومجيءُ الأزمانِ...  
يا موعدَ أحلى أيامِ العمرِ النافعِ بفوارِ الأحساءِ  
سومر يا أحلى مدنِ الأحبابِ... يا وطنيِ المجروحِ الأجزاءِ "

رويداً تتلاشى الأصواتُ مندغمةً بزفرقةِ العصافيرِ التي ملأتُ  
فضاءَ المعبدِ مرفرفةً بأجنحةٍ من اضطرابٍ، كانتَ البوابةُ اللازورديةُ  
المطعمَةُ بعقيقٍ أخضرٍ تلمعُ تحتَ ضبابِ شمش الذي تسيّدَ كبدَ  
السماءِ، تلاشتَ الأصواتُ، وبصمتِ انداحتَ الأقدامِ التي كانتَ تقفُ  
قبلَ هنيهةٍ بينَ يديِ الربِّ، تحاولُ سومرُ من خلالِ هذهِ التراتيلِ تلفُ  
حولَ محنتها التي ما وجدتَ لها مستقرًا، كانتَ مثلَ امرأةٍ تعبَّةٍ تبحثُ  
عن ملاذٍ يأوي إليها ويجدُ آمالِ النسيانِ التي دبتَ بينَ أوصالِها،  
عالمٌ مفتونٌ بالانتظارِ هو العالمُ الذي تشيدُهُ سومرُ حولَ وجودِها

الباعث على الاستغراب، ثمَّة فرقٌ تراه واضحًا بينَ بواهِي معبد الربِّ الأكْبَرِ وتلك البوابات التي لا تفهي إلى شيءٍ، كانت تزدُّخ بالخطواتِ الراصِيَّةِ وهي تحاول ولوَّج حضور صباها الْأَسْرِ، فجأًةً ارتفع صوتُ سن ماغرِض الغاطسِ باللُّوَّدِ منادياً:

- أيها الكاهن أين... أيها الكاهن أين!!

التفت الرجلُ الملتحيُّ بجلال البياضِ بعينيهِ الكلتينِ ووجهِهِ النحيفِ الذي يشبهُ وجهَ صبي مريضٍ، ولحظةً اصطدمت عيناهُ بعيني سن ماغرِض الواسعتينِ بضوءِ الفرحِ صرخَ بصوتٍ مبحوحٍ فيهِ من الشكِّ أكثرُ مما فيهِ من الارتيابِ:

- من... من أنت؟

ردَّ سن ماغرِض ضاحكاً: أوَ ما عرفتني أيها الكاهن المبجلُ؟!!

- أعرفُكَ... كيفَ لي معرفتكَ وأنا لم أرْ سوى ظلَّ يراودُ ضوءَ عيني؟!!

- ظلُّ يراودُ العين... ماذا عن الصوتِ أيها الكاهن أين؟!!

- الصوتُ هو بلوتي وعزائي... إنَّ اذني تشبعَت بهذا المهديلِ الرطب... لكنِّي لا أذكرُ أينَ ومتى؟!!

- ما أتعسُ ذاكرةً أين... أوَ تنسي أعزَ الأصدقاءِ وأكثرَهم التصادقاً بأيامِكَ؟

- ذاكرتي أيها الصوت المبجلُ لم تعد تحوي غيرَ الفراغ... ها أنت ترى السنواتِ التي نعيشُ... البلوى تمحو كلَّ ما يمكنُهُ ترتيبَ الذاكِرَة... محنَّةٌ تلوَ محنَّةٍ... وفراقٌ تلوَ فراقٍ... فما الذي تريدهُ أن

أتذكره... الموتى من الأصدقاء الذين غادروا إلى دار الراحلة  
فجأة... الأحبة الذين غيّبهم الأيام الناس الذين ملأوا صباحاتنا  
وأمسينا بالتوسلات... كيف يحق التذكرة والنسيان دواءً لابد منه...  
منذ لحظة سقطت بوابات تيمين وأنا لا أرى غير الخراب ولا أسمع  
غير طنين الكذب والنفاق وتراتيل الانهزام، بث أكراه أيها الصوت  
المجل الذي يدعى معرفي كل ما يمكن أن يذكرني بفرح الماضي،  
الحزن... الحزن هو مرادي دوماً وغاياتي أينما خطوت !!

- اين... اين أيها المجل... الذي يقول حقيقةً ولكنه تجبر نفسك  
على أن لا ترى غيرها !!
- إنك توظُّ في نفسي أسئلةً دفنتها منذ أزمنة بعيدة !!
- وهذا سبب مجئي إليك !!
- ومن أكون... ومن تكون لتجيء إلى... ولماذا... اهي حيلة  
أخرى من حيل أتباع يهودا؟
- لماذا يتحدث الشيخ الأجل؟
- عن حيل خرابات سومر... عن أتباع يهودا الذين لا وجود لهم  
بغير وجود الخراب !!

التفت سن ماغرض فجأة إلى نبونيد الذي كان يتأمل الكاهن  
الغريب الحضور بشيء من اللهفة، ثم بهجة خاصةٌ تنطش لحظة  
يتوقف فمه بالكلمات، وقال :

- هذا أولُ الخيطِ أيها الملك نبونيد !!

أطرقَ نبونيد لزمنِ طويلٍ، وظلَّ الشَّيخُ يتفحصُ الأشباحَ التي ظلتْ  
واقفةً لا ترومُ على شيءٍ، فجأةً قالَ الكاهنُ أينَ وهو يمْدُ يدهُ متفحصاً  
الفراغَ الذي ظنَّهُ شبيهاً:

- أنتم من الأغراب؟

ارتجلَتْ يداً نبونيَّ، وحوَّلتْ مالونيَّ جسدهَا إلى ثقلٍ قدمَها  
اليسرى، فيما تقدمَ سنٌّ ماغرَضَ قليلاً محاولاً تبيَّنَ ملامحِهِ للرَّجلِ  
الذِّي ظلَّ مأسوراً بظلالِ الفراغِ السابِعِ بظلمةٍ شفيفَةٍ تبعثُ في أعماقهِ  
الارتياحَ والأمانَ، أخذَ سنٌّ ماغرَضَ بيدهُ الشَّيخَ وحبَّها بطريقَةٍ جعلَتهُ  
يتراجعُ رويداً رافعاً رأسَهُ إلى علوٍ كمن يتفحصُ أسرابَ الزَّرازيرِ التي  
كانتْ تهومُ بمجاميعٍ متباشرةٍ، لزمنِ رانِ الصمتِ، ولزمنِ ظلَّ نبونيَّ  
يتأملُ فيه ارتجاجَةَ الشفاهِ واحتراقَ أعماقِ الأجسادِ، ثمَّ ابتعدَ يحاوِلُ  
تجاوزَ محنَّةِ اللحظةِ لكنهُ يسجلُ خوفاً وفشلًا، ليسَ أصعبُ من هذا  
الشيءِ، أن تجدَ نفسَكَ محاصراً بالخوفِ، محاصراً بالارتباكِ العاجزِ  
عن كشفِ هويةِ الصدقِ، حومَتِ الزَّرازيرُ بكتلٍ جعلَتْ مالونيَّ تطلقُ  
زفيرًا لفتَّ أنظارِ الجمعِ، فجَسَ الحكيمُ يدهُ الشَّيخَ وامتداَتْ يدُ نبونيَّ  
بهدوءٍ لتتضغطَ على أطرافِ الأصابعِ اللدنَّةِ مثلَ ثمرةِ تمرٍ، ابتسَمتْ  
الزوجةُ الملكةُ وهمسَتْ من بينِ شفاهِها التي تقطَّرُ عسلاً:

- أحبابُ نبونيَّ

طارَ الرأسُ متجاوزاً حضورهِ باتجاهِ مدنِ الفرحِ واكتظَتِ السماواتُ  
بنداءاتِ الاستحسانِ، قالَ الشَّيخُ مؤكداً سؤالَهُ:

- أنتم من خارجِ سومر؟

تحنحَ سِنْ ماغرُضْ كَمَنْ يُؤكِّدُ السُّوَالَ، وفجأةً احتضَنَ الشَّيخَ  
مَقْبلاً وجنتِيهِ بحرارةٍ جعلَتِ الْآخَرَ يصطفُ مبهوراً، قالَ:

- ما أقربُ هذِهِ الرائحةِ إِلَى جسدي .. !؟

قالَ سِنْ ماغرُضْ وهو يقبلُ الكفَّ التي انبسطَتْ باتجاهِ الفراغِ:

- أو حقاً أتعبتَ الأيامَ حتى أنسنكَ صديقَكَ سِنْ ماغرُضْ؟!؟

احترقَتِ الأرضُ ورويداً تصاعدَ لغطُ الزرازيرِ وامتلأَتْ فجواتُ المعبِّدِ  
بضوءِ أصفرٍ يشبهُ لونَ البخورِ، كانَ يتمتمُ بكلماتٍ لا يمكنُ للحلقِ  
أن يظهرَها واضحةً، وبصوتٍ مشبعٍ بالحنينِ مشبعٍ بالبكاءِ، مشبعٍ  
بالرضا والحبِّ، قالَ:

- ما الذي تقولُ يا هذا؟

- ما سمعتَ أيها الصديقُ... أنا سِنْ ماغرُضْ... ابنُ سومرِ الذي  
تعرفُ... صديقُ طفولتكِ وصباكِ... ابنُ ((أي نن - ماخ )) ومعلمُ  
صبيةِ الأربابِ!!

- يا لهُ من زمانٌ... من بعثكَ لتعبثَ بذاكري أيها الظلُّ البعيدُ... من  
ذا منحَكَ هذا الاسمَ المجلِّ الذي غيبتهُ الأيامُ منذَ كم من السنواتِ  
وأنا أحارُ الاهتداءِ اليهِ، ليئنْ ما تركَ سومرَ وليتني أطعثُ رجاءَهُ  
فذهبتُ ذِياباً... كانَ يتوصَّلُ أن نهجرَ سومرَ إلى حينٍ... لكنَ قلبي  
كانَ يسبحُ في يأسِ الاستمرارِ... ما فائدةُ الذهابِ مثلاً ما فائدةُ  
البقاء... في زمنِ أيها الظلُّ الذي يدعى إنهُ صاحبِي تتساوى الرغباتُ  
وتكونُ الأشياءُ بلونِ واحدٍ... لا فرقَ بينَ ثمةَ ضوءٍ وظلمةَ بينَ  
توسلٍ وانتظارٍ بينَ خطٍّ باحِثٍ عن كنهِ الشيءِ... فجأةً وجدُّ نفسي

وحيداً أمام الربِّ انليل، كانَ صاحبي يحدثي دوماً عن حلمٍ يراودُ  
مخيلتهِ فهلا عرفتُهُ يا هذا الذي تدعى إنكَ هو؟  
تنهدَ سن ماغرض ودمعت عيناهُ، وبصمتٍ تفحصَ امتدادَ الممراتِ  
التي خلتَ من تلك الخطواتِ التي كانتَ تسكتُها قبلَ لحظاتٍ، كانَ مثلُ  
طائرٍ مهياً نفسَهُ للطيرانِ البعيدِ، يفردُ جناحِيهِ ويحركهما بحركاتِ  
متناسبةٍ وما يلبثُ أن يملأُ الريحَ بضجيجٍ يرتفعُ إلى علوٍ، قالَ سن  
ما غرض بصوتٍ حزينٍ يملأُ الأسى:

- ومن أجلِ ذلك الحلمِ جئتُ !!

- لا تحاولُ الفرارَ يا ابنَ يهوذا !!

- بل أنا سن ماغرض أيها السيدُ أين !!

قالَ الشيخُ بصوتٍ باكٍ مملوءٍ بالارتجافِ:

- سن ماغرض... سن ماغرض... ما أكثرُ هؤلاءِ الذينَ يحملونَ  
مثلَ هذا الاسم... لكنَّهُ أبداً لا يشبهُ أحلامَنا... كانَ صاحبِي  
يحلمُ بشيءٍ لا يمكنُ لرأسِ سواهُ أن يحلمُ به... حلمٌ جليلٌ كانَ  
يبهرُني بحضورِه... نجلسُ عندَ ضفةِ الفراتِ فتقضي الأيامُ حكايا  
السنواتِ... ولحظةً غادرني... قلَّتْ لهُ وحلَّتْ سن ماغرض...  
وحلَّتْ ماذا عنهُ؟

قالَ.. آه... سن ماغرض، لكم اتعبني ذاك القولُ... زمنٌ ورأسي  
لا يحملُ غيرهُ ، كلما أبصرتُ طريقاً كانتَ تلك الخطواتُ السائرةُ باتجاهِ  
المجهول... ترى إلى أينَ أوصلَهُ زمانُهُ... وماذا عن الحلمِ الذي  
ماتَ... ما أتعسُ صاحبِي وما أغربُ رحيلَهُ !!

صمتَ الرجلُ الكاهنُ وأمطرت عيناً سن ماغرض درراً من الألم،  
وانسحبَ نيونيد متأملاً امتدادَ الطرقَاتِ التي ظهرت أمام عينيه صدفةً،  
ثم طريقٍ ينسحبُ إليه خطو كاهنٍ بثيابٍ سودٍ يحملُ على كتفه صرةً  
صغيرةً متعرّضاً في حلمِأساه، قالَ سن ماغرض وهو يتعمّد العومَ في  
ذاكرةِ الرجلِ التي اتقدّت فجأةً:

- اين، قد لا أجدُ من يحققَ حلمي هنا... ولا بدَ من مكانٍ  
آخر... وأمامي أمكنةٌ عدّة... أرضُ السوادِ كلها حلمي لا  
سومرَ وحدها... مدينةٌ تنھضُ إن نھضت مدُن الأرضِ...  
هناكَ اين بابل... ونفر... وكيش... واوروپ... ولکش...  
هناكَ أرضُ الاخضرارِ، فهل تصدقُ إن حلماً كهذا يموتُ  
لحظةَ دُبُّ الخرابِ سومر... لا بدَ وأن أعودَ يوماً... عندها  
ستجذبني أمامَكَ بكمالِ أحلامي...

صاحَ الكاهنُ اين وهو يتراجعُ مثلَ رجلِ جريحٍ:  
- من علمكَ هذا القولَ أيها الظلُّ الذي لا أرى؟  
- حلمي هو الذي علمني أيها الصديقُ القديم... حلمي الذي  
جئتُ الآن لأضعهُ بينَ يديكَ !!  
- حلمٌ ماذا أيها الرجلُ الذي يحفظُ أسرارَ غيره؟  
- حلمُ أرضٍ تتوحدُ... ومدنٌ تقامُ فوقَ ركامِ الخرابِ... ونهايةً  
لآثامِ الجوعِ والتشريدِ والشرّ... حلمُ الاحساسِ بأنَّ الرّبُّ هو  
الانسانُ نفسهُ، قدرُه المرسومُ داخلَ أعماقهِ... حلمُ أنَّ لا  
فباءَ دونَما عملٍ خالدٍ... والآنَ أيها الكاهنُ الذي دفنَ نفسهُ

كلَّ هذِهِ السُّنُوَاتِ بَيْنَ حِيطَانِ مَعْبُدٍ "أَيْ نَنْ مَاخٌ" هَلَا عُرِفَتْ صَاحِبُكَ الْقُّـ إِنَّهُ هُوَ وَشَكِي يَبْعَدُنِي بَعِيداً... لَكِنَّهَا الْكَلْمَاتُ هِيَ الَّتِي أَوْقَدَتْ كَوَانِينَ الرُّوحِ، وَهَا هِيَ النَّيْرَانُ تَشْتَعِلُ رَوِيداً... رَوِيداً... أَرِى سَنَ مَاغْرُضٍ يَبْرُزُ مِثْلَ فَجْرٍ... يَا لَهَا مِنْ مَلَابِسٍ سُودَ، تَرِى كَمْ مِنَ السُّنُوَاتِ مَرَّتْ وَانْتَ لَمْ تَخْلُعْ مَسْوَحَ الْاِحْتِجاجِ تَلَكَ... وَلَمْ السُّوَادُ... لَمْ هَذَا الْحَزْنُ... وَسُومُرْ لَايْدَنْ نَاهَضَةً؟

متى... متى أيها الكاهن الذي عذب زمني؟

متى... سؤالٌ صعبٌ... لكنني أرأه قريباً... سومر عاشت  
محناً ما عاشتها مدنٍ أخرى... ألغت النار وصهيل الخيولِ  
ورنين المعاوِلِ مثلاً ألغت الصراخ والجوع وبكاءاتِ  
الصبايا... سومر هذه قمطَت روحها بمئات النداءاتِ الباعثةِ  
على الحزن والصمت... أيُّ مدينةٍ هي... ولم تصر على  
تحمل تلك الانهيارات... ولم اختارها الأرباب دون سواها داراً

للاحتجاج ومحجاً للغضب

ما زال قوله كما هو ايها الصديق !

وَانْ كُنْتَ حَقًا سَنْ ماغرِضْ ما زلتَ كما أنتَ حلمًا لِيْسَ إِلَّا !!

أو لم أقل لك أن الأحلام حقيقة مؤجلة؟

والآن ايها الافتراضُ الذي ذكرني بأشياءٍ بعيدةٍ !!

الآن معك ما يجعل حلمك حقيقةً..!!

معك... ماذا؟

- رفاقُ درِبٍ وَمَا زَرْ مَحْنَةً !!

-

أَحَلَامٌ أُخْرَى تَتَحدُّ مَعَ بَعْضِهَا !!

-

بَلْ اخْتِيَارٍ جَاءَ بَعْدَ تَرْدِدٍ !!

-

وَمَنْ تَكُونُ تَلْكَ الظَّلَالُ يَا أَنْتَ الْمُفْتَرِضُ؟

-

الْمَلَكُ نَبُونِيدُ وَزَوْجُهُ مَالُونِيدُ !!

كَمْنَ ضُرِبَ عَلَى قَفَاهُ تِرَاجُعَ الْكَاهِنَ إِلَى الْخَلْفِ مُسْتَنِدًا إِلَى الْجَدَارِ  
اللَّازِرُودِيِّ الْبَازُغِ تَحْتَ وَهْجِ الشَّمْسِ، وَلِبِرْهَةِ رَانِ الصَّمْتِ عَمِيقًا، كَانَ  
سَنُّ مَاغْرُضِ خَلَالَهَا يَتَفَحَّصُ وَجْهَ نَبُونِيدِ الَّذِي أَحْمَرَ لَامِعًا مَثْلَ خَيْطِ  
الشَّمْسِ، كَانَ يَحَاوِلُ اجْتِيَازَ تَلْكَ الْلَّهَظَاتِ الْحَرَجَةِ بِسُرْعَةٍ تَمْكُنَةٍ وَلَوْجِ  
بَوَابَةِ الْمَعْدِ الَّتِي ظَلَّتْ حَتَّى لَحْظَتِنِ مَسْحُورَةً بَهِبَةِ الْلَّقَاءِ، اسْتَنَدَ  
مَالُونِيدُ إِلَى كَتْفِ زَوْجِهَا، وَأَطْلَقَ سَنُّ مَاغْرُضِ لَنْفَسِهِ، كَانَ مَحْدَقًا فِي  
انْهَمَارَاتِ الزَّرَازِيرِ الَّتِي رَاحَتْ تَدُورُ رَاسِمَةً فِي السَّمَاءِ الْمَوْشُومَةِ  
بِزَرْقَةِ شَفِيفَةٍ، كَانَ زَمْنِهِ يَجْرِي بَيْنَ يَدِيهِ، زَمْنٌ يَحْسُنُ بِاللَّوْعَةِ وَالْحَزْنِ  
وَالْخُوفِ، انشَغَلَتِ الأَيَّامُ بَيْنَ يَدِيهِ مَطَارِدَةً حَلْمِهِ الَّذِي صَارَ فَجَاءَ مَثْلَ  
مَشْعِلٍ مَشْتَعِلٍ، كَرَرَ الْكَاهِنُ الْأَسْمَى بِصَوْتٍ مَجْبُولٍ عَلَى، وَبَعْدَ أَنْ  
رَسَخَتِ الصُّورَةُ فِي وَهْجِ أَعْمَاقِهِ، قَالَ :

- أَوْ حَقًا مَا تَقُولُ سَنُّ مَاغْرُض؟

ابْتَسَمَ الْحَكِيمُ آخِذًا بِيَدِ الْكَاهِنِ الَّتِي اخْتَرَقَتْ ظَلْمَةَ الْفَرَاغِ، وَهُوَ  
يَقُولُ :

- نَعَمْ... مَثْلَمَا سَمِعْتَ !!

تنهدَ الشِّيخُ باريَّاْحٍ... ودونَ أَن يُنِيبَ بشيءٍ تراجعتْ خطواتُه  
فاسحةً الطِّرِيقَ لِلمرورِ، كائِنَتْ بِوَابَةِ الْمَعْبُودِ تَتَسْعُ لِأَمْلِ الْأَرواحِ  
فَلَصَقَتْ بِفَرَحِ خَطِيِّ الْأَقْدَامِ مَتَابِعَةً وَقَعَتْ خَطَوَاتُهُ كَائِنَتْ تَضَرِّبُ  
الْأَرْضَ الْمَرْصُوفَةَ بِالْأَجْرِ بِصُوتِهِ وَقَعَتْ خَطَوَاتُ الْمُلُوكِ، ثُمَّ امْتَدَادِ  
مَحْفُوفٍ بِالنَّخْلِ... يَشْبِهُ غَابَةً مَوْحِشَةً... كَانَ الدَّرْبُ يَفْضِي إِلَى  
بَوَابَاتٍ تُؤَشِّرُ صُوبَ صَوَامِعِ كَهْوَفٍ وَمَبَانِ مَهْجُورَةٍ، عَذَّ مَنْتَصِفِ  
الْدَّرْبِ ثُمَّ زَقُورَةً تَتَكَأَ إِلَى طَبَقَاتِ ثَلَاثٍ تَتَوَسَّطُهَا بَوَابَةُ حَضَرَاءٍ  
وَتَصَمَّمُهَا أَشْجَارٌ غَرِيبَةُ التَّكَوِينِ، اتَسْعَتْ خَطَوَاتُ لَحْظَةِ أَحْسَتْ  
بِعَطْرِ الْمَكَانِ، وَبِهَدْوَعِ وَلْجَثِ بَوَابَةً صَغِيرَةً، ثُمَّ دَرَبُ آخَرُ أَضِيقُ  
مَرْصُوفٌ بِآجِرِ أَصْفَرِهِ وَهُجُونُ الْذَّهَبِ وَلُونُ الْحَنَاءِ، انْحَنَتْ مَالُونِيدِ  
مَبْهُورَةُ الْأَنْفَاسِ، وَلَوْقَتْ كَانَ نَبُونِيدِ يَتَافِتُ غَيْرُ عَارِفٍ بِمَا يَمْكُنُ أَنْ  
يَكُونَ الْطِرِيقُ، ثَمَّةَ سَحْرٌ بَدَأَ يَسِيطرُ عَلَى الْوَجْهِ الَّتِي أَتَعَبَهَا السَّفَرُ  
الْطَّوِيلُ، فَجَاءَهُ أَحْسَنَ الْأَجْسَادِ بِالْأَرْتِيَّاْحِ وَانْزِيَّاْحِ الْهَمُومِ، مَا الَّذِي  
يَمْكُنُ أَنْ يَكُونَهُ بَيْتُ الْأَرْيَابِ... غَيْرُ هَذَا الْمَزْوَدِ بِرُوحِ الْإِنْسَانِ وَوَدِ  
إِنْتَمَائِهِ، تَسَافِرُ الْمَسَافَاتُ بَعِيدًا فَلَا تَجِدُ غَيْرَ غَرْفٍ تَتَكَأَ إِلَى بَعْضِهَا،  
وَعَيْنُ مَمْسُوَّحَةً بِالسَّوَادِ تَتَأْمِلُ خَطَوَاتُ الشِّيخِ الَّذِي افْتَ حَضُورِهِ  
عَلَى طُولِ الْأَيَّامِ، أَبْصَرَ نَبُونِيدَ زَمْنَهُ يَحْطُّ فَجَاءَهُ مُثْلَ طَائِرِ نُورِسٍ بَيْنَ  
يَدِيهِ، زَمْنٌ أَبِيضٌ زَاهِي الْأَلْوَانِ يَحَاوِلُ الْانْبَثَاقُ إِلَى حِيَّتِ يَرِيدُ، وَلَجَ  
الْكَاهِنُ بِوَابَةً بِحَجْمِ فَوْهَةِ الشَّبَابِيَّكِ، فَتَكَشَّفَتْ غَابَةً مِنْ أَشْجَارِ النَّخْلِ  
الْمَحَاطِةِ بِقَامَاتِ الْأَسِّ وَالصَّفَصَافِ كَانَ الْمَكَانُ يَعْجُ بِالْأَلْوَانِ مِنْ  
الْزَّقْرِفَاتِ الْمَانِحةِ الْأَرْوَاحِ رَضَى وَارِتِيَّاْحًا، قَالَ الْكَاهِنُ بِفَرَحٍ: هَا نَحْنُ  
نَصْلُ!!

ودخلَ صومعةً بسيطةً التكوينِ، ثمَ جدرانَ من الأجرِ المرصوفِ  
باتنتظامٍ يبهرُ الأبصارَ، بوابةً ظلتْ مفتوحةً طوالَ زمانِ الحضورِ، كانت  
الصومعةُ مفروشةً بسجاجيدَ موشومةً بنقوشِ غريبةٍ، ثمَ حمائمٌ  
جائمةٌ فوقَ جسدِ أنشى مفروشةً باتجاهاتٍ عدّةٍ، وعينانِ تحدقانِ في  
فراغاتِ التوسلِ، أشارَ الكاهنُ بصمتٍ فارتقتُ الأجسادُ إلى الأرضِ،  
وبهدوءٍ... بهدوءٍ... بهدوءِ أغمضَتْ أجفانَها وراحتَ في سباتٍ  
عميقٍ، ظلَّ الكاهنُ يترقبُ الأجسادَ الميتةَ محاولاً الدخولَ إلى عمقِ  
أحلامِهم التي فاضتْ فجأةً لتملاً المعبدَ الذي رانَ على أرجائهِ صمتٌ  
غريبٌ، أغمضَ نبونيدَ عينيهِ، ماداً يدهُ إلى ما تحتِ رأسِهِ، ثمةً شعورٍ  
بالأمانِ بدأ يسريُّ جسدَ الشاعرَ بالانهدامِ، كانتْ روحُهُ تركبُ مراكبَ  
الحزنِ وتغدو في مساحاتِ الرؤى، ثمَ طرقٍ كانتْ تحاصرُهُ بوجودِها  
الآثمِ، وجودُ جعلَهُ يفركُ يديهِ ارتباكاً، ويحدقُ مبهوراً بالظلالِ التي  
بدأتْ تتجمعُ فوقَ هامتهِ مثلَ غيومٍ، ثمَ لهاثٍ يتقاسمُ اللحظاتِ فتغدو  
موشومةً بالحنينِ، كانَ نبونيدَ الآخرُ بوجهٍ تكلُّهُ الآمالُ يخطو باتجاهِ  
شمسِ الذي ظلَّ معظماً حضورهِ بتمتماتٍ ما لبّثَ أنْ تحولَتْ إلى نداءٍ  
ملاً أرجاءَ المكانِ الذي بدا مشرقاً بضوءِ لهُ عطرُ الورديِّ.

- اي بني نبونيد... ايها الآتي من شيءِ الى اللاشيءَ...

مباركةً أيامكَ وسعيدةً خطاكَ

اي ولدي نبونيد... يا سيدَ أرجاءِ الأرضِ الأربعِ... مباركةً

بابُ بحضورِ أحلامكَ

واوروك ترفل بعْزِ أَمْجَادِكَ... وَلَكُشْ تَعْطُرْ مَمَاشِيْ أَمَانِيكَ... أَمَا  
نَفْرَ فَلَهَا الْعَزْ بَعْزِكَ

أَيْ وَلَدِيْ نَبُونِيدِ... لَكَ مَجْدُ الشَّطَانِ التِّي تَجْيِئُ مِنْ مَنَابِعِ  
الْأَرْبَابِ لَتَسْكُنَ أَرْضَ الْأَخْضَارِ... ثَمَرْهَا يَانِعْ بَيْنَ يَدِيكَ... وَمَوَافِهَا  
عَذْبَ مِثْلَ أَنْفَاسِ الْحَبَيْبِاتِ... وَتَمَرْهَا نَاضِجَ لَهُ طَعْمُ الْعَسْلِ الْمُلْكِيِّ...  
أَيْ أَيْهَا الْمَلْكُ الْأَمْجَدُ بَيْنَ الْمَلُوكِ تَعَالَ... لَأَقْدَسَ بِضَوْءِ جَدَائِلِيِّ  
هَامَةَ فَهِمَكَ وَنَضْوَجَ رُوحِكَ الْأَبْدِيَّةَ

تَقْدِمَ خَطِيْ نَبُونِيدِ مَرْتَبَكَةَ الْوَقْعِ، وَثُمَّ تَرَاتِيلِ جَهِيرَةَ تَعْزِزُ حَضُورِهِ  
بَيْنَ يَدِيْ الرَّبِّ الَّذِي كَانَ يَطْشُ مَجَدَهُ مَصْحُوبَةً بِوَقْعِ طَبُولِ تَائِيْ مِنْ  
مَكَانِ بَعِيدِ، وَضَعَ إِلَاهَ أَكْفَهَ فَوْقَ لَمَّةِ الرَّأْسِ، فَتَنَاثَرَتْ مَنَاثِ  
الْحَمَامَاتِ الْبَيْضِ وَسَادَ سَكُونٌ مِثْلُ هِيَاجِ الْأَنَاثِ مَصْبُوغَاتِ بِأَلْوَانِ  
غَرِيبَةِ دَاكِنَةِ، قَالَ نَبُونِيدِ مَتَوَسِّلاً: مَا الَّذِي أَرَى؟  
رَدَّ شَمْشُ بِصُوتِهِ الَّذِي لَهُ رَنِينُ الذَّهَبِ: هُوَ بَيْتُ الرَّبِّ وَلَدِيْ فَنَقْدِمُ  
لَنْتَرِي!!

رَدَّ نَبُونِيدِ وَأَنْفَاسُهُ تَتَلَاحَقُ بِرَعِيبٍ: لَكَنَّهُ لَا يُشْبِهُ بَيْتًا رَأَيْتُ!!  
قَالَ شَمْشُ مَتَفَاخِرًا: هُوَ مَا سَوْفَ يَقُومُ بَيْنَ يَدِيكَ مَعْبُدُ "دُبَلَالَ -  
ماخ" -  
- دُبَلَالَ - ماخ... بَيْتُ لِلأَرْواحِ إِذْن؟  
- وَهَا أَنْتَ تَرَاهَا تَرِتَّلُ بِمَجْدِكَ!!  
- وَكَيْفَ لِي مَعْرِفَةُ أَسْرَارِ هَذَا الْمَعْبُدِ الْمَقْدِسِ اِيْهَا الرَّبُّ شَمْشُ؟

- هذا ما سوف ترى وتحفظ... بيت يعظم أرض السواد ويتم وحدتها التي تقوم!
- أو يتحقق حلمي أيها الرب؟
- ليس حلمك وحده بل هو حلم الأرباب أيضاً... تلك الأرض تمجد وجودها... وبوجودها تقدس الأرباب ليس مثلها أرضاً... وليس مثل مائتها ماء... تفوح بالسلام والود... وتغنى شفاه أهلها بأعذب لحنٍ شمش يعزف على قيثار !!
- اي شمش العظيم... إنك تملأ قلبي غبطه وسروراً
- لست أنا بل هو حلمك الذي يجدد روحك و يجعلها عنده شانقة
- وماذا عساي أقدم إليها الرب؟
- ترى وتحفظ حتى تقوم الساعة... ويحيي الوعد !!
- أهو بعيد اي شمش؟
- لا تتتعجل ولدي... فانت أنت... سيد لأرض السواد كلها لا لباب فقط !!
- لا أريد غير جمع تلك الأشلاء التي أتعبها الانتظار وجعلها الوجع تتواء تحت وابل من الأكاذيب !!
- هو لك حلم وحقيقة... هيا تقدم ضوء شمش لترى ما الذي يمكن أن تقوم به !!

تقدمت الخطوات الملكية طافية فوق سطح من ضياء مغمور بلون أخضر مزرق، كان شمش يرى الخطوات بفرح، ثم بواية

موشومة بنقوشٍ متناسقةٍ، ما لبّثت أن انفتحت على ربوة واطئة، تستند إلى زقورة كانت مسؤولةً بظهور طيبة... اتسعت البوابة باتجاه حيطانٍ مكشوفةٍ على مجموعةٍ حجراتٍ ومبنيٍ صغيرٍ مربعٍ ذي خمس حجراتٍ تؤديها الأبوابُ بأجمعها إلى الحجرة الرئيسية التي تقابل الجدار الخلفي، وثم قاعدةٍ ينتصب فوقها تمثال الإله سن وهو يرمي بضياء عينيه سومر كلها، عند جهة اليمنى تقف أربعة أبوابٍ تستند اثنان منها إلى الجدار الخلفي... فيما تقف الآخريات عند الأطرافِ القصبة. اندفع شمشٌ عند البوابة فتبعد نبونيد مرتبكاً مرتفعاً مثلَ من وجد نفسه فجأةً وسط نيرانٍ تشتعلُ، كانَ الربُ يلْجُ حجراتٍ تمتدُ إلى العمق الخلفي المستند إلى حجرينِ داخليتينِ تكونانِ زوجينِ متلذتين تماماً، دفعَ الربُ البابَ بهدوءٍ فظهرت فسحةُ الحجرة منقسمةً إلى قسمينِ بستارةٍ مزهوةٍ بوشم الوردِ، كانَ في القسم الأبعدِ مذبحٌ من طابوقٍ وكانت أمامةً منضدةً من الآجرِ، ابتسَم شمش وأدار وجهه متربقاً، فيما توقفَ نبونيد وسط الحجرة مأخوذاً، وثم عطِّر غريبٍ يملأ خياليه، قالَ شمش متفاخراً:

- هذا مقام نانار وزوجه ننكار !!

ردَّ نبونيد بصوتٍ مرتجفٍ: لكنه في سومر يقيم !!

- نبونيد... الأربابُ لا تفرقُ بينَ مقامٍ ومقام !!

- وماذا هناك أيها الرب؟

- هناك أين؟

- خلف تلك الحجرات الموصدة بالآبواب؟
  - إنها حرم الآلهة، لكل إله وإلهة حرم خاص كما ترى... لا تنسى نبونيد بيوث الأرياف
- وامتدّ بضيائه دافعاً الجسد المشدود إلى الاندهاش أمامه، ثم رصيف مبلط بالآخر يمتد إلى عمق الضوء، نصف وجوده محاط بجناحين بارزين، وينتصب أمام الباب مذبح مستطيل مملوء بالقربين، وثمة مخرج يؤدي إلى الفناء الذي ينحدر إلى مستوى أوطي ويستمر إلى الجدار الذي بفصل الطريق موصلاً إلى المنطقة المقدسة كانت الباحة الخارجية مشتولة بأزهار النرجس والحناء تحيطها طرقٌ صغيرة مبلطة عند مركز البوابة الثانية، ثمة قاعدة ينتصب عندها تمثال الإله انليل مواجهًا متاهةً من الحجرات العريضة... كان قلبُ نبونيد يمتلأ بالسعادة فيحسن نفسه طائراً في لحج من الآمال الكبار، وأشار الربُّ المضيء أولاً فتكشفَ الطرقَ عن بابٍ مفتوح يفضي إلى حرمِ معتم، قال شمش مبتهجاً:
- اي... نن - ماخ... ما اعظم وجودك !!
- فتسبّمت الوحيدة وانشقَّ الاعتنام عن ضوء سرمدي لربِّ كان يجللُ البياض بهالاتٍ ما لبثَ أن ضمخت المكان بعطرِ له شذى طلع الرمان، كان الإله "إيا" يقفُ مأخذًا بزهوه، لحظةً رأى الرجل الغريب والربَّ الساطعَ بحبورٍ، وقال بصوتٍ مضمورٍ بالامتنان:
- اي شمش ها أنت تجيء ثانيةً لتبدأ عتمتي !!

لزم شمشُ وللحظاتِ صمتاً وقوراً، كانَ ضوءُ حضورِه يخترقُ  
العتمةَ ويمنحُ نبونيد شعوراً أبداً بالمهابةِ والامتنانِ، توقفَ الزمنُ  
أمامَ عينيِّ إيا وارتسست على شفتيهِ ابتسامةً رضا، كانَ الربُّ العاشقُ  
للخلوةِ يرى هذا الحضورَ المباغتَ غريباً، فتجولُ في خاطرهِ أنها من  
الاحتجاجاتِ، تنفسَ شمشُ فرحةً واندفعَ محتضناً الربَّ السعيدَ وهو  
يقولُ:

- اي إايا إنما جئتُك بنبونيد !!

تلتفَت إيا نحوَ الملكِ الذي أصابَ قدميهِ الارتجافُ، ووَجَدَ نفَسَهُ  
فجأةً تجري خلفَ أسئلةٍ من ضبابٍ، كانَ يحاولُ اصفاءً ابتسامةً  
ضارعةً فوقَ شفتيهِ، لكنَّهُ ما يلبثُ أن يتراجعَ مرتعشاً، قالَ إايا وهو  
يقطُبُ حاجبيهِ ويرشقُ شمشَ بنظراتٍ ثابتةٍ فيها من الحبِّ والامتنانِ  
الكثيرُ، ثمَّ قالَ بصوتٍ رقيقٍ لهُ حُقُّ ريحٍ عذْبٍ:

- شمشَ ومن يكونُ هذا الإنسانُ الذي تصحبُ؟

انتفختَ أوداجُ شمشَ فيما أطرقَ نبونيد الذي ظنَّ نفَسَهُ قريباً  
من الإلهِ حياءً، فشَّأْتُ أسئلةً تحسُّ في أعماقهِ الامتعاضَ  
والاستكاراتِ، احرزتَ وجنتاهُ احمراراً شديداً ووَدَّ لو انشقتَ بهِ جدرانُ  
المعبدِ وألقتَ بهِ بعيداً، رفعَ شمشُ ضفائرَ هيبتهِ باتجاهِ السماءِ،  
فومضتَ ببروقِ ساطعةٍ جعلَت إيا يغمضُ عينيهِ لبرهةٍ، قالَ شمشُ:

- هو سيدُ أرضِ السوادِ... إايا المقدسُ !!

- سيدُ أرضِ السوادِ... أو توحدَت هاتيكَ الأشلاءِ شمش؟

- وهَا هو سيدُها ي يريدُ تقديمَ قرابينَ الأقداسِ اليكَ

ركع نبونيد عند قدمي الربِّ، الذي انحنى محاولاً الامساك  
بشغفِ الرأسِ التي أحسَت بزهوِ الأصابعِ فحاولَت الاستطالةَ ممسكةً  
بنفحِ التقديسِ الذي أضافَ عطراً جديداً لعطورِ المكانِ، كانَ إياي  
تمامٌ بشفتينِ ناعمتينِ تتمانِ عن فرحِ خفيِّ، قالَ بصوتِ هاديٍ وقوِّيٍّ  
تسكُنُهُ أحاسيسٌ من البهجةِ والحبِّ:

- اي ولدي نبونيد... مبارك كلُّ ما تبني وتشيدُ أيها المالكُ  
حتى لحظةِ الانتهاءِ!!  
اهتزَّ أركانُ شمش طرياً ولحظةٌ صمتَ إيا قالَ:  
- أ هو الأبدُ أيها الربُّ الأقدسُ!!  
قالَ إيا متهدأً: نعم... إلى الأبد يظلُّ نبونيد ملكاً... إلى أبدٍ  
بابلَ... وآخوتها!!

ارتجمَ القلبُ الإنسانيُّ وما لبثَ أنْ خفقَ بشدةٍ جعلتهُ يحاولُ  
لمسَ الاجرِ الذي غدا فجأةً بارداً له رائحةُ الخوفِ، قالَ شمش محاولاً  
الوصولَ إلى كنهِ الأجبيةِ:

- وغيرَ هذا أيها الربُّ الذي تحبهُ أوروكُ وتقدسهُ أريدو؟  
قالَ إيا وهو يلْجُ الظلمةَ التي بدأَت تلفُّ بهدوءٍ:  
- ليسَ غيرُ هذا شمش... فلهُ ما للإنسانِ من مجِّدٍ وخلودٍ...  
ولأرضِهِ ما لأرضِ الأقدسِ من أيادٍ!!

تحركَت الشفاهُ امتناناً، وفجأةً تكشفَت الروايا عن ضوءِ ياهرِ،  
كانَ نبونيد يقفُ وحيداً وسطَ صحراءٍ تمتدُ طويلاً، وثمَ فراغاتٍ تدومُ  
بأصواتِ جائرةٍ متولدةٍ، حاولَ الامساكَ بخيوطِ شمش الآفلةِ، لكنهُ

أمسك بخيوط الظلم، بارتياح راحت عيناه تخترقان الظلمة راغباً  
 مجيء مالونيد وسن ماغرض، ولحظة رآهما يبتعدان صرخ متسللاً:  
 - الى أين... الى أين تراكموا ذاهبان؟

لم يلتفت اليه أحد، ظلَّ ينوح بحزنٍ وظللت الأصوات تتتابع  
 نداءاته الفارغة من معنى، كانت المحنَّة تملأ جوانحه وتحيله الى  
 كتلَّة من الاحتجاج... اقتعد الأرض حاساً إن مساحاتِ جسده بدأت  
 تمتلئ بذراتِ الرملِ الحارة... أغمض عينيه ويحزن توسلَ سن وحدته  
 توسلَ أساه، لكنه ظلَّ وحيداً... وحيداً حتى تلك اللحظة التي فتح  
 عينيه فيها، فاصطدمت بسقفِ الحجرةِ الموشومِ بتراتيلِ غريبةٍ، راحت  
 شفتاه تتهامسان بها محاولةً طرد بقايا النعاس الذي تسربَلَ الجسد،  
 تلفت العيونُ الوجلةُ فاصطدمت بالكافنِ اين وهو يقتعدُ الظلَّ محاولاً  
 الامساك بسنواتِ الغاربةِ، أحسَ الملكُ بالارتياح فنهض نافضاً  
 كسلَّه... كانت مالونيد تنام بهدوء غير بعيد عنَّه، وثمَّ ابتسامةٌ صبيةٌ  
 ترسمُ فوقَ الشفتينِ المضمومتينِ الى بعضِهما، بتوسلِ محمومِ أراد  
 لمسَ الجسدَ الباردَ، لكنه ما لبثَ أن تراجعَ شاعراً بقدسيَّةِ المكانِ  
 وهيبةِ الكافنِ الذي قالَ فجأةً:

- كيف أصبحت الآن أيها الملك؟

- بخيرِ أيها الكافنُ الطيب!!

- وما دمتَ بخير... هل تريدين السماع؟

- سماعُ ماذا أيها الأقدس؟

- ما أنت سائز اليه... لم أشلاء الحزن وإن جسداً للود  
والسلام والفرح!!
- أو لديك ما تقول في هذا أيها الكاهن؟
- ومن في سومر لا يحلم بهذا... كلنا ومنذ صارت سومر دخاناً ورماداً ودماءً... منذ تلك اللحظة التي ما فارقت حلم أحدٍ قط، والأرواح تحاول لملمة أحاسيسها، كانت ثمّة بشارّة لابد وأن تجيء، وثمة دليل لابد أن ينكشف ليعرف الناس إن القائم هو الأمل لا افتراء أبناء يهودا!!
- أو ما زال في قلبك بعض الخوف مني؟
- لن أخاف أحداً، ولكنني أخافُ ضياعِ الحلم في لجِ الأكاذيب... لقد تعبَ الجسدُ المترقبُ وما عاد يتحملُ المزيد... الدليلُ نريدُ... فإن كان معك فقلْه... وإلا فما عليك إلا أن تغادرَ معبدِ اي نن - ماخ!!
- أطرقَ نبونيـد لبعضِ الوقتِ، وجالت عيناه في مساحاتِ الخوفِ والحزنِ، فما الذي يمكنُ أن يقدمه لهذا الكاهنِ الذي يعرفُ دروبَ سومر وتعرفُه جيداً ليكونَ طريقاً يلْجُ من خلائه ببواباتِ الحضورِ، كيفَ له الامساكُ بأشياءٍ لا يمكنُ لها أن تؤسسَ دليلاً لها القاطع، كانَ الشـيخُ يتمتنـمُ محاولاً الامساكَ بشبحِ العتمـة التي جلسـت أمامةً خائفةً قالـ:
- أراكَ صامتاً نبونيـد!!
- لا أدرـي من أين أبدأ!!

- كيـ... وانتـ ابنـ سنـ... وصاحبـ مقامـ؟
  - صعبـ علىـ معرفـة ايـ دليلـ تريـدـ... الأريـابـ زحمـوا رأسـيـ  
بـوعـودـ وأـقاـوـيلـ وـحـكـاـيـاتـ كـثـيرـاـ!!
  - أوـ قالـ لكـ أحـدـهـمـ شـيـئـاـ ذـاـ أـهـمـيـةـ؟
  - نـعـمـ قـبـلـ هـنـيـهـ قـالـ شـمـشـ شـيـئـاـ ماـ زـالـ يـصـدـحـ فـيـ الـفـوـادـ!!
  - صـرـخـ اـينـ الـذـيـ اـسـتـقـامـ وـاقـفـاـ:
  - قـلـهـ لـيـ بـسـرـعـةـ اـيـهاـ الرـجـلـ الـبـابـلـيـ؟
- رانـ الصـمـتـ للـحـظـاتـ، وجـاسـتـ ذـاـكـرـةـ نـبـونـيـدـ فـيـ بـحـورـ أـحـلامـهـ،  
وـبـصـمـتـ بـدـأـ رـأـسـهـ يـتـلـوـ تـلـكـ الـكلـمـاتـ الرـائـعـةـ مـثـلـ مـاءـ الـفـرـاتـ
- "ـ مـبـارـكـ كـلـ ماـ تـبـنـيـ وـتـشـيـدـ أـيـهـاـ الـمـلـكـ حـتـىـ لـحـظـةـ الـاـنـتـهـاءـ"
- قـالـ الـكـاهـنـ مـرـتـجـفـاـ وـهـوـ يـشـعـرـ أـنـ رـوـحـهـ بـدـأـ تـغـادـرـ جـسـدـهـ:
- وـغـيـرـ هـذـاـ أـيـهـاـ الـمـلـكـ...?"

تـلاـحـقـتـ أـصـوـاتـ الصـمـتـ، وـظـلـتـ رـوـحـ نـبـونـيـدـ لـزـمـنـ طـافـيـةـ فـوقـ  
برـكـ منـ القـلـقـ وـالـأـرـيـابـ، وـبـحـزـنـ حـاـولـ الـامـسـاكـ بـوـجـعـ روـيـاهـ، لـكـنـ  
الـأـزـمـانـ التـيـ كـانـتـ حـاضـرـةـ بـيـنـ يـديـهـ ماـ لـبـثـتـ أـنـ تـلـاشـتـ فـاسـحةـ  
الـمـجـالـ لـصـوـتـ لـهـ رـبـيـنـ الـذـهـبـ وـصـفـاءـ الـضـوءـ يـسـيـطـرـ عـلـىـ لـبـ فـوـادـهـ"  
نعمـ إـلـىـ الـأـبـدـ يـظـلـ نـبـونـيـدـ مـلـكـاـ... إـلـىـ أـبـدـ بـابـلـ وـأـخـواتـهـ"

تـوقـفـ فـيـضـ الـحزـنـ، وـتـلـاشـتـ موـاجـعـ القـلـبـ الـذـيـ عـلـتـ زـغـارـيدـ  
فـرـحـهـ، كـانـ الـكـاهـنـ اـيـنـ يـسـبـحـ فـيـ بـحـرـ مـنـ الـاـبـتهاـجـ وـالـسـعـادـةـ، اـهـتـزـتـ  
مـلـامـحـ جـسـدـهـ، وـفـجـأـهـ خـدـا الـظـلـامـ الـذـيـ يـسـرـيـلـ عـيـنـيهـ ضـوءـاـ أـبـدـيـاـ  
كـاـشـفـاـ عنـ مـلـامـحـ نـبـونـيـدـ الـمـصـفـوـفـ مـثـلـ جـذـعـ شـجـرـةـ يـاـبـسـةـ، كـانـ يـرىـ

الشيخ مثل ولدٍ يتعرض لامتحانٍ عسيرٍ، قالَ اين بصوتٍ طروبٍ لهُ  
حيويةُ الشبّابِ وعنفوانِ حضورها:

- اي نبونيد... إنها البشارةُ حقاً... والآن قل لي... أو رأيتَ  
بيّن يدي شمش كلّ شيء؟
- نعم أيها الكاهن لقد فادني الربُّ الى حيثُ معبدِ دوبلال  
ماخ... كانت الأرواح تحفُّ بي بطربي وحبوبي، وعنَ المذبحِ  
كان إيا يقفُ وهو لقَنْ لسانِي بما سمعت!!
- عظيمٌ هو ربُّ أريدو واوروك... عظيمٌ عطاوه!!
- كان ربياً طيبَ الروح... باركَ حضوري بعدَ تردد!!
- اي نبونيد ولدي... أرواحُ الأرباب لا تستقرُ على مباركةٍ إلا  
بعدَ سبرِ غورِ معرفةٍ حقيقةٍ!!
- وهذا ما كنتُ أقولُه لنفسي... لابدَ وأنَ الربَّ إيا خبرَ سريراتي  
وعرفَ معدنَ رجائي!!
- نعم... هو هكذا... والآن أيها الملك... من أين ترانا نبدأ؟
- من هنا... معبدِ اي نن ماخ... محطةُ وجودنا وصوتُ الربُّ  
سن... لابدَ للدعوةِ أن تبدأ من هنا!!
- حسناً ما تقولُ... وسترى كم هي سريعةُ أحلامِ الحبِّ  
والسلام... مباركُ هو الرأسُ الذي يحلمُ بالدعةِ والطمأنينةِ...  
مباركُ من يرمي شرورةً بعيداً... بعيداً عن تلك الأرضِ التي  
يملاً سن فضاءُها بضوءِ آمالِهِ
- وأنتَ أيها الكاهنُ اين؟

- أنا... لقد عدت كما كنت... حلم يراود رأس شيخ... وشيخ يسعى ببطء خطواته باتجاه اعادة الود... أنا ما فارقت انتظاري وما فارقني قط... أي رأسٍ هذا الذي يحلم بغير أحبته... كنت مأخوذاً بسومر مثلاً مأخوذاً ببابل كلامها كانا بالنسبة لي معنى واحداً... وحقيقة واحدة... لم يعد رأسي يفرق بين أزقة وأزقة ومعبد ومعبد... أو ترى أن ثمة فرقاً بين شجرة النخل التي هنا والتي هناك... أو أن ثمة فرقاً بين الوجوه التي تسعى بأحلامها هنا والوجوه التي تسعى بأحلامها هناك، كل شيءٍ نبنيه... مأخوذ من منبعٍ واحدٍ... ومجوبي على حقيقة واحدة... لكنها أحلام الشر حاولت قطع مفاتنِ الجسد الذي نحب... فقدت سومر ترطناً بما لا ترطنه به بابل... صارت الحقيقة شيئاً مرعاً... غريبٌ له طعم الصرخات... حاولت صم الأذان والتسلل إلى الأرباب بأن يعلنوا الكفاف، لكن الأصوات المتوجعة كانت تملاً الطرق، صعب أن يرى رجلٌ مثلِي أهل محبته وهم يأكلون سماواتِ أكاذيبِهم، لقد ملأت الشروق سومر مثلاً ملأ بابل... وغدا الغشُ والخداعُ والخوفُ أولاً لا يمكن الفكاك منه... صعب أن ترى أهل محبتك وهم يرفلون بأوهام الانتظار وثم سؤالٍ واحدٍ يرفرف فوق الشفاه مثل طائر الموت..

- متى... وما فائدة ما نقوم به؟

كانت سومر تكتسي بعزاء محتتها، أشياءٌ تباع وأخرى تمجد الرذيلة والانهزام، أفواه تحاول إيجاد بديل لا ينفع بغير الشر، لن يقدر أحد على إيجادِ الدرب غير العارفين بحقيقةِ الدرب... أكاذيب...

- نبونيد... تلك التي تطأقها أفواه أبناء يهودا... أكاذيبٌ محزنةٌ لكنها تجذُّب من يسمع... وبهذا نبونيد... بهذا توقفَ أمل سومر وضاعت في مجاهيل اليأس والحزن والارتماء بين أحضان الانهزام
- لن ندع الأمر يدوم طويلاً!!
  - لهذا ما كنتُ أبصرُ الطرقاتِ بل أهيء لمحيء... كانَ الحلم يأكلُ أيامِي فأقوم بمسحِ الترابِ الذي يعتلي وجهي
  - كيفَ ايها ربَّ إين؟
  - كيفَ هذه... ستراها بعدَ حينِ... في قلبِ سومر ثمة شريانٌ كانَ يتحركُ دوماً يعُد العدة للانقضاضِ على ما نرغبه... كنا نريدُ الليل سومر حضوراً ما بعدهُ حضور!!
  - أوَ حقاً هذا ايها الملكُ إين؟
  - حقاً... حقاً ايها الملك... الخطوة تلتحقُ الخطوة... والصوت يركضُ خلفَ صدى الصوت... والمعنى يعززُ وجودَ المعنى... تلك هي البدايةُ التي كانتَ منذً زمنٍ طويلٍ... كنا نؤسسُ لحقيقةً جاءت بعدَ حلمٍ واحدٍ... وها أنتَ تجيءُ محملاً برسالةٍ سن ومبركةً إيا... ها هو الدربُ يتضخ... والمعنى يصبحُ حضوراً... فلم ترِدُ لسومر أن تختلفَ عن الحضور؟
  - وكيفَ تكونُ البدايةُ بعدُ؟
  - المواجهةُ معَ الشرِّ لا بدَ قائمةً... حتى وإنْ أردنا الحبَّ... الشروطُ لا يمكنُ أن تنهزمَ بغيرِ حدٍ سيفٍ ولمعانِ رمحٍ وارادةٍ حقٍ... تلك هي الحقيقةُ... المواجهةُ لا بدَ بادئهً!!

توقفَ نبونيد مذهولاً، مدققاً بالضوءِ الذي سريلَ الشيُوخ بانتباهِ،  
كانَ أين يحاولُ الامساكَ بلحظاتِ سعادتهِ راكضاً باندفاعٍ وقد أشرقَ  
 وجههُ وبدا عليهِ أن يحاولَ الولوجَ إلى عالمٍ كانَ يرسمُهُ بمخيلتهِ  
أياماً طوالاً، كانَ ثمةً احساسٌ بالأمانِ يحاولُ الامساكَ بلحظاتِ  
الصمتِ، لكنَ الشيُوخ ما لبثَ أن دمدمَ باضطرابٍ، كانَ وجههُ يبصرُ  
بواباتِ الحزمِ وعيناهُ تصلانِ إلى مدياتِ بعيدةٍ من الأفكارِ

- نبونيد... هلا رسمتَ لي بيتَ الأرواحِ الذي رأيتَ؟

- نعم... إن شئتَ الآن!!

قالَ الشيُوخ بصوتٍ تغمُّرُ المسراتُ:

- نعم... الآن ولم لا... مadam الوقت لم يحن بعد لقاءِ من  
نريد!!

اتكأَ نبونيد إلى الجدارِ الذي أحسَّ بارداً... ولحظةً بدأت الروايا  
تراودُ شفتِيهِ كانتَ مالونيد تحركُ شفتِيها محاولةً الامساكَ برداءِ إياها  
الذِي كانَ يضعُ أناملَهُ الرطبةَ فوقَ شعرها السابِح بظلمةِ الليلِ، كانتَ  
ترکعُ عندَ قدميِ الربِّ الفضيتيِنِ، ملفوفةً بأرديةٍ بيضِ تعيقُ برائحةِ  
المسكِ والزعفرانِ، فجأةً ظارتَ مالونيد مخترقَةً الفضاءَ ممسكةً بتهاليلِ  
سماويةٍ محفوفةٍ بامنياتِ من الامتنانِ، ثمَّ من يجلسُ متربعاً فوقَ  
عرشِ من ضوءٍ شفيفٍ تلألقُهُ دخاناتٍ ملونةٍ، كانَ الوجهُ المكتنزُ  
بالتبrikِ، وبالباسمُ بهدوءٍ جعلَ مالونيد تطرقُ حياءً وتتأملُ اخضرارَ  
الآجرِ اللامِعِ الذي كانَ يرتُجُ باهتزازاتٍ عامرةً بتراتيلَ غارقةً في غناءِ  
متوحدٍ، تحركَ العرشُ فحفَّتْ بهِ نداءاتُ التكبيرِ، وما لبثَ أن استقامَ

واقفاً واضعاً كتل ضوئه فوق الهمامة التي سريلها ضوء لا يشبه شيئاً  
ضوء تحول رويداً الى انغمار في هالات من الارتياح والألفة والأمان،  
قال الذي انعمَ بضوء ريوبيته، بصوت مملوء بالجمال وبرنة امتنانٍ  
تبعد على الارتكان اليه

- ايه... بنיתי مالونيد... أيتها المرأة التي باركتها سماواتُ  
التوحد... مالي أراكِ صامتةً تترقبين؟
- لا أعرفُ ما أقولُ... أحسُّ أن لسانِي من حلقي يتجلجج!!
- لا بأس بنיתי مالونيد... لا بأس... لم جئتِ إذن؟
- انما جئتُ لأراكَ... في قلبي بوح لا أدرِي كيفَ أخرج  
صفاءه!!
- تقدمي مالونيد... تقدمي!!

خطت مالونيد بتؤدة محاولة الامساك بأركانِ الرؤيا التي أتعبها  
الجري خلفَ أوهامِ وجنونِ كشفت مساراتِ التوحد، وضعَ الربِّ الباسُمُ  
الوجناتِ كفيهِ الضوئيتين فوقِ الشعرِ الباشِ سواداً والذي يستندُ فوقَ  
الأكتافِ المهززة باختلالاتِ خجلةٍ، كانت أنفاسُ مالونيد تتلاحقُ  
مظهراً حزناً وجودها وثُمَّ سيّح من الارتباكاتِ تسربيلُ أغوازها، ثمَّ  
عائمٌ يمورُ بالاضطرابِ والترقبِ جعلَ المرأة ترفعُ رأسها بهدوءٍ محاولةً  
الامساكَ بقدحِ العيونِ المتأملةِ رجاء الانقادِ، قالَ السابُ بشفيفِ  
الضوءِ:

- اي مالونيد... ابنةُ البرقِ والماشية دربِ الثريا... افتحي  
أبوابَ الفوادِ لترى ما الذي يمكن أن يقال!!

- الخوف... الخوف هو الذي يلف كل الامنيات بأردية الترقب...!!
- محنَّةُ الْاِنْسَانِ خَوْفُهُ... إِذَا مَا امْتَلَأَ الْجَسْدُ بِالْخَوْفِ تَعَطَّلَتِ الْحَوَاسُ الْأُخْرَى.. مَاتَتِ لَوَاعِجُ التَّرْقُبِ وَالْمَحْبَبِ... وَغَدَا الْجَسْدُ مُجْرِدَ جَسِيدٍ حَيَوَانِي... الْخَوْفُ أَفْهَمُ الصَّمْتِ وَمَرُورِ الشَّرُورِ كُلُّهَا... أَعْرَفُ أَنَّمَا الْاِنْسَانُ وَجُودُ دُنْيَوِيٍّ لَا أَدْرِي لِمَ يَتَمَسَّكُ بِهِ وَجُودٌ لَا يَمْكُنُ أَنْ يَسْتَمِرَ طَوِيلًا... اِنْظُرِي مَا لَوْنِيدِ... اِنْظُرِي مَا الَّذِي تَرِينَ؟
- تَلْفَقَتِ مَا لَوْنِيدِ مُحاوِلَةً لِمَلْمَةِ الرُّؤْيَا الَّتِي بَدَأَتِ تَتَسَعُ، كَانَتِ ثَمَّةُ خَطُوطٍ بَيْضٍ تَرْتِبِطُ بِالْعَرْشِ وَهَالَاتٍ تَسْبِحُ فِي نُورٍ وَجُوهٍ تَلْهَجُ بِذَكْرِ فَاتِنِ، عَطَّرَ جَلَّ مَا لَوْنِيدِ تَرْكُ أَطْرَافُهَا اسْتِهْسَانًا، تَتَقَدَّمُ الْخُطُواتُ بِبَطْءٍ فَتَتَرَاجَعُ الْأَنْوَارُ وَتَنْكَشِفُ أَسْتَارُ الْبَحْثِ عَنْ أَرْوَاحٍ تَدُورُ مَعْزَزَةً لَفَّهَا، قَالَ المُضِيءُ بِسَعَادَاتِ أَطْيَافِهِ:
- اي مَا لَوْنِيدِ... بَإِلٍ تَضْحِكُ بَيْنَ طَيَّاتِهَا وَسُوفَ تَأْوِي أَحْلَامَكِ وَتَجْعَلُهَا وَجُودًا وَارِفَ الشَّمَارِ... فِي ظُلْمٍ يَسْتَظُلُ بِهِ الْمَشَاهُ اِينَما أَرَادَتِ بَهُمُ الْخَطْرِي وَالدَّرُوبِ !!
- اخْتَلَجَتِ شَفَاهُ الْمَرْأَةِ، وَامْتَلَأَ وجْهُهَا حَبُورًا، وَعَلَتِ وَجْنَتِيهَا حَمْرَةُ الرَّمَانِ، كَانَ ثَمَّةُ هَاجِسٍ يَلُوْثُ آمَادَ أَزْمِنَتِهَا، هَاجِسٌ يَنْزَفُ خَوْفًا وَضِياعًا، حَاوَلَتِ الْاِمْسَاكَ بِهِ، حَاوَلَتِ طَيِّ صَفَحَاتِ وَجُودِهِ، لَكِنَّهُ

كان ينبع مثل سمكة مخوقة، قالت متسائلة وهي تحس إن ثمة شيء ما بدأ يجلِّي أعمافها:

- وخطواتي أيها المبارك بالضوء؟

أطرق الضوء الشاعر الباعث على الاطمئنان ضحكةً رقيقةً حركت ما يحيطه باهتزازٍ جعل مالونيد تبصره طويلاً، ولحظة اتجهت ملامحه تراجعت مالونيد إلى الوراء رويداً، قال:

- اي مالونيد... اي يا ابنة بابل... خطوك جمع الخطوات... وجودك بوجود الجمع، بينما ثم لقاءٍ وثم بعادٍ... بينما ألفة تتقابلُ وخصمُ أليفٌ، بينما وجودكما مسار دم، لا أحد يدري إلى أين يصل لها!!

- حتى... أنت أيها المضيء؟

- ليس كل ما يعرفه الأرباب يمكن قوله... المعارف موزعة بين الإنسان والأرباب، أخذَ يهبُ وهبَتْ تؤخذ... أو تدري ابنتي مالونيد... إن كثيراً مما لا أعرفُ أقرأه في لحظة النظر إلى عيون الإنسان، مهمما كانت خاليةً وتعبةً

- لكنني أريد معرفة مصيره!!!

- من... ذا الذي تزيد مالونيد حلوة بابل وسحر أزمانها معرفة مصيره؟

- الملك نبونيد... الزوج الذي أرفق وأحب؟

- يا لها معرفة... يا لها معرفة مالونيد... ها هي المرأة تعلو سطح عقلك... المرأة التي تريده معرفة كل شيء عن الرجل الذي تحب... سرّ هي حياة نبونيد... سرّ مخفى بين طيات سجلات سن ولا أحد يعرف ما تكون عليه أيامه!!

أحسست مالونيد بالخيبة وانجستت ماقيها عن فيض من الدموع التي ما لبثت أن ساحت مغطية المكان، فجأة احترق كل شيء، فجأة علا الدخان وتثار الضوء الشفيف، فجأة وجدت مالونيد نفسها تبكي وهي تفتح عينيها الناشجتين لتصدما سقف الحجرة السابعة بخطاء من الألوان ودخان الصندل الذي كان يعيق دائراً في أرجاء المكان، تلقت بهدوء محاولة تذكر زمن وجودها، ولحظة شعرت بالأمان تلاقت العيون باصطدام غريب، كان نبونيد يربو إليها متوجباً استيقاظها الباعث على الترق والخوف، قبل أن يمدا يده وينهض انتاه، قال أين بصوت له طعم البرتقال:

- اي مالونيد... السؤال دونما جوابٍ ظلَّ

أجلسست مالونيد جسدها التعب الحاس بالانهدام ببطء، وببطء لاذت بأذيال نبونيد الذي أمسك بكلتا يديها محاولاً اشاعة الدفء والهدوء، كانت الملامح السمر تتكلّم والتعب المسعور يتحول رويداً إلى غوص في أعماق صمتٍ مخيفٍ، صمتٌ جعل نبونيد يضغط على أطراف الأصابع برصا وامتنان، قال الكاهن وهو يضع رأسه فوق مساحة الشعر اللابس أردية الليل"

- مالِبَنَةِ سن لا تروم جواباً؟  
قالَتْ مالونيد بأنفاسٍ متقطعةٍ: لا أدرِي ما أقولُ أيها الكاهن  
الطيبُ!!

قالَ الكاهنُ أين مؤكداً: السؤال... السؤالُ الذي كان يملأُ الحلم  
قبلْ هنيهةٍ؟!!

حاولَتْ مالونيد... حاولَتْ الامساك بخيوطِ الرؤيا، لكنَّها وجدَتْ  
نفسَها تفُورُ في رحمِ النسيانِ، لاشيءَ سوي ضبابٍ ومساحاتٍ من  
بياضٍ يتلوُّن رويداً، كانت الألوانُ تخترقُ ذاكرتها راسمةً خيالاتٍ  
غريبةٍ التكوينِ، ثمةً امرأةٍ عاريةٍ تركضُ وسطَ صحراءٍ وخطواتٍ  
تحاصرُ لهاهَا، ثمَّ نبونيد يقفُ خائفاً محاولاً كسو طوقِ عزليَّهِ، ثمةً  
بكاءً، أنينً، حزنً، توسلً، انكسارً، صرخٌ محمومٌ، جنونٌ، احتجاجاتٍ  
ضياعٍ وسطَ مفازاتٍ ليس لها أفقٌ، خطواتٍ تتطرَّشُ باتجاهاتٍ عدَّةٍ،  
قالَ أين قاطعاً حبلَ استرسالها المتواتِرِ المشدودِ للأطرافِ:

- ما أغريْهُ سؤالُ ربِّ يا ابنةَ بابلَ؟
- سؤالٌ... لا أدرِي إن كنتْ سألتَ الربَّ سؤالاً!!
- نبونيد... الربُّ الذي رافقَ وأحبَّ؟!!
- غريبٌ هذا الذي تقولُ... ما الذي جعلَني أسألُ مثلَ هذا  
السؤالِ... ما الذي كنتُ أريدُ معرفتهُ... ولماذا يسعى عقلي  
إلى معرفةِ المجهولِ ما دامتِ الحقيقةُ أكثرَ حضوراً وأجلَّ؟

- السؤال ينجُب أسئلة... والجواب بين طياتِ القلبِ مالونيد...  
حاولي البحث... لم تركتي كل أيامك وربطت حياتك بانسانٍ  
لا يعرف متى تقوم به الحياة... انسان تعثرت خطواته  
مراراً... وكثيراً ما وجد نفسه وحيداً... ولم أنت دون سواك  
من كان قدّرها تبعاً الى هذا الحد... لم لا تن Sheldon الراحة...  
لم ترغبين بملحقة وجوده بعد أن كانت الأيام أن تضيع له  
كل وجود!!

- الحلم الذي يسكن الرأس... والحب الذي يملأ الفؤاد...  
السؤال الذي لا تشفيه سوى اجابة المسير!!

- رائعة أنت مالونيد... وابنه سن حقاً... افترقي مني ليكون خطوكما خطوا واحداً... أرض السواد تبارك أخضرارِ أعمارِ كما وتتجدد هدوء الأرواح... أما أنت فلك الغفران متى ما حللت أرضَ ننكار!!

تلتَّ نبونيد فاصطدمت عذابات روحه، بعذابات روحها التي انهمرت دون أن تقدر السيطرة عليها، كانت العيون تحاول الانغماس في عشق الانفاس، تحاول دخول بوابات الاطمئنان، وبلحظة...  
لحظة مررت سريعاً... أحست مالونيد أن ثمة شيئاً ما يتحرك بين أحشائهما، ولحظة أمسكت بطنها... كان نبونيد ينظرها بفرح لم يألفه من قبل أبداً...

بالرغم من الاحساس بالتعب والضياع بين فوهات الكهوف والحياة التي بدأت قاسية تمور بالغرابة والاستهجان، إلا إن شوقيا لحظة أبصر الرقم الطينية وهي تمتد متأنة إلى الجدار الصخري بالارتياح، كان صوت سن ما غرض ما زال يطالبه ليل نهار بمواصلة البحث عن الحقائق التي يعرف، والتي لا بد من فتح نوافذ لا يصالها إلى روح الأبد، لكن شوقيا يستنزل محتنمه منزل الرضا، فييس ثمّة زمن يضيع، وليس ثمّة حكايات تظلّ أسيرة الذاكرة التي ما تلبث أن تنطفئ، كان لا بد من تسلیط بقع الشمس فوق هاتيك الأيام التي ربطت بابل بمدن انتمائها، أيام مبؤة بالانفعال، صعدت بخطوات واثقة باتجاه روح سن المجاز لعتبة السماء

قال نodusus بصوت خافت: ها نحن نصل إلى أول البدء!!  
أطرق شوقيا للحظات، ولحظة أمسك بحقيقة القول، ركز نظراته على عيني نودوس السوداويين، ثم اضطراب كان يملأ فسحة الكهوف، وعدم أحساس بالأمان والثقة، يقف فوق الهامات ليل نهار، عاد نودوس يتفحص الرقم المشوية بعطر الشمس، وعاد شوقيا يشغل يديه بحركات غريبة، ليس ثمّة أصعب من أن تجد الحيرة تلف رأس الرقم الذي بات يعرف معنى أن يظلّ الإنسان أسير عجزه، ومنعى أن يتحول الرأس المحسو بالأسئلة إلى دعاء مثقوب لا يمكنه الاحتفاظ بشيء، بهدوء وبلدة غامرة رأى الرقم إن الأزمنة إنما هي

وجودٌ عابٍ تشربُ منهُ الأرواحُ وما تلبثُ أن تردهُ عطشى باحثةً عن  
ارواهٍ آخرٍ، أزمنةً تنظرُها العيونُ باعجابٍ، لكنَّها تحاولُ ولوَّحَ ضجرها  
المخجل... بهدوءٍ صعدَ شوقيا سلمِ الجدرانِ مجازاً بذاكِرتهِ حالَةً  
الترددِ الذي يعيشُ، ثمةً وحدَةً قاتلةً وكراهياتٍ تتضادُ بينَ الاكتافِ  
مثَّلَ دخانٍ، وأفكارٍ تصعدُ لِمَمْ الروسِ باحثةً عن فراغٍ لتصنَعُ منهُ  
مقبرةً ما تلبثُ أن تمتلأً بالترانيلِ والأدعيةِ الراغبةِ بوهمِ الأربابِ،  
تتكوُرُ الحياةُ بينَ أحضانِ الكهوفِ ويغدو لأعوانِ الكهنةِ صوتٌ ممِيزٌ  
يحاولُ الامساكَ بقيادِ الأمورِ، ووضعِ التبريرَ لكلَّ ما يحدثُ، ولحظةً  
يجيءُ السؤالُ عن حرقِ القلبِ واشتعالِ أزمنةِ بابلِ بالدمارِ تفوَّهُ  
الشفاهُ بأطعنِ الإجاباتِ وأكثرُها اقتراباً من الذُّلِّ والشمامةِ، تلوُّكِ  
الألسنُ توسلاتِ الآخرِ، فثمَّ من يهُبُ الاستمرارَ ما دامتُ أرواحُ بابلَ  
بعيدةً عن المقصادِ، كلُّ شيءٍ لابدُ وأنْ يظلَّ كما هو... مرتبطاً بالبعيدِ  
ومشعلاً لنيرانِ الخرابِ، أمسكَ شوقيا برأسيِ الرقمِ محاولاً إغماضَ  
عينيهِ والتحديقَ في فراغِ السوادِ، وثمةً نزوةً في اللعبِ بينَ امتداداتِ  
الطينِ وعسلِ الحكايا، وثمةً ما يمكنُ أن يبقي الفعلَ ساخناً لأزماتِ  
بعيدةٍ، كانت النيرانُ تأكلُ الرأسَ المثقوبَ، وتشعرُهُ بالرعبِ، ففتحَ شوقيا  
عينيهِ ببراءةٍ كما لو إنَّهُ استيقظَ من إغفاءةٍ عميقَةٍ، ما تفتَّا إلى وجهِ  
نودعسِ المخترقَةِ لحوصلَةِ الذي راح يتأملُ حدودَ عريَّةِ شمشُ  
المخترقَةِ لحوصلَةِ السماءِ، قالَ شوقيا:  
- أو رأيتَ بابلَ تبحثُ عما كنا نبحثُ؟

انحنى نodusس قليلاً وهو يشعر إنّه فريسة عاطفة، جعلته يحدق في مساحات الطين التي ملئت فجأةً بالآف الكلمات ذات الواقع الحزين، قال:

- هذا هو قدرنا جميعاً!!

قال شوقيا مبتسمًا:

- نعم... قدر كلّ ما يمكن للحب أن يغمره... أحس نodusس إن الخطوات بدأت ترى تطابقها، كان نبونيد محقاً... بالسؤال!!

- سؤال ماذا شوقيا؟

قال شوقيا بصوتٍ خفيضٍ:

- أيمكن لمدينةٍ تحرق أن تنهض... أنتهض المدن إن هي عرّت أجسادها للغرباء؟

تابع نodusس ارتجاف أطرافِ شوقيا بحزن، كان كلاهما يشعران إن ليس ثمة أمانٌ بين هاتيك الجدران المربوطة بمساحاتٍ ثقيلةٍ من الصخور والجدران، وثم اختلافٌ بين ذاك الذي كان، ولحظة وجودهم المثيرة للأعصاب، كان سن وانليل ومردوك يباركون خطوة الذين نقلاهم خطواتهم عبر مساراتِ الغم، فهل تراها اليوم قادرةً على المشي بذلكِ الدرب؟

ارسمت مساحات التعب فوق الوجوه، وغدت الفسحة بحراً من الفراغات المخيفة، فراغاتٌ جعلت نodusس يرى في كم الرقم أوهما تلاحق الذكرة المملوءة بأمواج من السير والأقوال المتلاطمَة محاولةً البحث عن لحظةٍ انفلاتٍ، كانت نهارات الكهوف كئيبةً خاويةً لا تمنع

الأرواح غير يباسِ وقلقي وترقبِ مريضٍ، عالم مدجنٌ عفن الأركانِ،  
يسعى حثيثاً من أجلِ ولوج مساحاتِ النفوسِ قاتلاً في أعماقها جذوة  
التحدي والاستقرارِ، عالمٌ تتدفقُ بين أركانِه المأكولةِ بالمنيَّاتِ مئاتِ  
الأحلامِ التي ما تلبث أن تتلاشى مثل دخانِ، أحلامٌ تدورُ مدويةً بينِ  
أزقةِ بابلِ وشوارعِها التي غدت خاويةً ترفل بوحشةِ الانتظارِ، وتحطُّ  
بأقدامِ تعبَّةٍ عندَ أبوابِ البيوتِ المكنوسةِ بالفرقَ، دوماً ثمَّة نسوةٌ  
ينتظرنَ ملفوفاتٍ بهالاتٍ من الخوفِ والامنيَّاتِ ولفح الشفاهِ المرتلةِ  
تعاويذَ الأربابِ الحافظينِ لعذاباتِ الأرواحِ، أحلامٌ تعدُّو مثلَ جيادِ  
عرجاءِ لاهثةٍ تريدُ الوصولَ إلى مبتغى القلبِ لكنَّها تطيرُ في فضاءاتِ  
التلاشيِّ، لا شيءَ سوى دخانِ، لا شيءَ سوى سواداتِ تلونُ حافاتِ  
الوجودِ، لا شيءَ يملأُ فراغاتِ ليلِ الكهوفِ ونهاراتها سوى الانتظارِ،  
أجلسَ شوقياً جسدةً إلى الجدارِ محاولاً الامساكَ ببعضِ فراراتِ روحِهِ  
الباحثةِ عن نقطةِ ضوءٍ تؤجُّ في أعماقِهِ خلاصاً... خلاصٌ يؤكدُ  
حضورهِ الأزليِّ ويجعلُ من الأسئلةِ التي تعمُّرُ رأسَهُ ملذاً آمناً قادرًا  
على اقتساعِ الأعماقِ التي بدأتْ تمورُ بصورٍ لا يمكنُ الركونُ إليها،  
كانَ شوقياً يحاولُ دوماً تجاوزَ جدرانِ مختنهِ والوصولَ إلى عالمِ  
اراداتِ البعيدةِ، عالمٌ كانَ يجدُ نفسهَ مطروحاً وسطَ أوهامِهِ، حاساً إنَّ  
ثمةَ شيئاً لهُ طعمُ العسلِ يملأُ رئتيهِ، غاسلاً جسدهُ بريحِ الفرحِ  
والمسراتِ، ثمةَ من يطرقُ البابَ بهدوءٍ من يعودُ تعباً بعدَ يومِ عملٍ  
شاقِ، وثمَّ من يفتحُ البابَ بهدوءٍ من ينتظرُ أوبيةَ شيءٍ نفيسٍ، يفتحُ  
البابَ ببطءٍ، ومن خلالِ فتحتهِ تتبَقُّ عينانِ سوداوانِ تحيطُهما هالةٌ

من قماشِ أبيضٍ، تُغثر الشفاهُ محبةً ويندفعُ الجسدُ المكتظُ  
بالقصصِ محاولاً اجتياز دائرَةِ العطرِ التي ملأَتْ أنفاسَهُ وغدتْ السير  
بعيداً إلى أعمقِ وجودِه المنتظر، كانَ يرى العينين السوداويين وهما  
تفيضانِ جداً، عينانِ تمتلآنِ بالسعادةِ والحبورِ، وتمسكنِ بقوَّةِ  
خفاقتها بلحظاتِ الحبِّ الطافحةِ فوقَ احمرارِ المحيَا الذي اصطبَّ  
بلونِ الخجلِ فجأةً، نظرها شوقياً بترددٍ ولحظةٍ خطا داخلاً أخذَ بيدها  
إلى جانبهِ، قالت العيونُ السودُ دونَ أن تفوَّهَ بشيءٍ:  
- أحُبُكَ شوقياً... أحُبُكَ يا من ملأتْ حياتي بأشياءٍ لم أكنْ  
أعرفُها من قبلٍ!!

اقتعدَ الجسدُ المغمورُ بخطابِ الروحِ الأرضِ وسطَ دائرةِ من  
الأبسطةِ الموسَّاةِ برسومِ لأشكالِ الأيتامِ والأسماكِ والحيتانِ، وظلَّ  
لبرهةٍ يحسبُ الأسئلةَ التي يمكنُ أن تجيءَ لو إنَّهُ عرفَ كنهَ تلكَ  
الرسومِ الغارقةِ في بحارِ البعدِ والاشتياقِ، قالَ ماذا لو كانَ قادرًا على  
استنطاقِ مثلَ تلكَ الحيواناتِ، ماذا لو منحَهُ انتلِيلُ قدرةِ معرفةِ  
الأعماقِ، هل تراها تكشفُ عما تعرَّفُ... أم تراها مجردَ فراغاتٍ يتوهَّمُ  
الإنسانُ بوجودِها مثلَ مئاتِ الأشياءِ التي تحيطُ به... فراغاتٌ تملأُ  
أعماقهُ باحساسِ تفيفٍ اضطراباً وهلعاً، ثمةُ لحظاتٍ يجُدُّ فيها نفسهُ  
مركونةً إلى وحدتهِ، فيجوسُ في دهاليزِ من الأسئلةِ الغاسلةِ لأدرانِ  
الروحِ، دهاليزٌ لا يمكنُ أن تصلَّ واياهُ إلى غيرِ صمتِ قاتلٍ وترقبِ  
محفوَّ بنداءاتِ الوحشةِ والاستكبارِ، كانَ يلْجُّ عوالمٍ لا يمكنُ لأقدامِهِ  
الحساسةِ بالارتماسِ أتَ تطأها، عوالمٌ من شذِّ شفيفٍ، ومدنٌ عابقةٌ

بأبخرة لازورديةٍ تتلاحقُ رويداً مندحمةٍ وفضاءاتِ الأخضرارِ، يحاولُ رأسه تفسير ظواهر وجوده وال حاجه لاختراق مثل هذه الأحلام لكنَ الخليفة تحفُ به، فيعودُ خانياً ذواياً مثل بدرِ جالسِ الى وحده بحزنٍ شديدٍ، تقول العيونُ السودُ وهي تراه مغموماً بالترقبِ:

- أو حدث ثمة شيء؟

يرفع رأسه ببطءٍ تاركاً الحيتانَ تطاردُ أيائلَ البسطَ التي ما لبثَ أن تحولت الى مجرد طيفٍ بعيدٍ، لكنهُ غريبٌ، فاصطدمت عيناً ببهيجٍ من الفرحِ والاطمئنانِ، قالَ وهو يزفرُ بارتياحٍ:

- لا شيء... مثلما هو حالُ ائلاميد... بابلُ مشويةُ فوقَ نارِ مخاوفها، ولا أحداً يسمعُ صرخاتِ التوسلِ "بيل شاحر" تخدّرهُ الآلامُ وممردوك لا يرى غيرِ دمِ الاناثِ المسفوحِ عندَ قاعِ ريوبيته... بابلُ تريدهُ أشياءً، والملكُ يبحثُ عن دروبِ الملاذاتِ، وكهنةُ بابلُ تدجّنُهم لمعاناتِ الذهبِ والفضةِ، باتَ بيتُ مردوك، الربُ الذي تحبهُ بابلُ مجرد دارٍ لهُ وعيثٍ فجورٍ، لا أحدٍ يسمعُ نداءَ ائلاميد... أحسُ إن صوتي مبحوحٌ... وحزني يغورُ عميقاً في ليالي بابلِ المنبوحةِ في وهم التراتيلِ ، ما الذي يمكنُ أن تصلَ اليهُ الخطواتُ وكلُّ شيءٍ مصبوغٌ بلونِ الدمِ، تشرقُ بها عاتُ شمش فتلتلوُن السماءُ بالدمِ وتكتسحُ أزقةَ بابلَ وشوارعها رجفةً انهزاماً، كلُّ شيءٍ يعرفُ إنَ الخرابَ آتٍ، ائلاميد!

- ومالكَ أنتَ ايها الرقمُ المتشائمُ دوماً... لم تريدهُ زرعَ حزنكَ في محبتنا؟

- أيها الحب... أيها الانسان الحب... مالي أراك لا ترى غير نفسي... العجز يصيب الروح لحظة لا تجد غير وجودها... نحن أيها الحب أبناء سهل أرض هي منا منبت الفؤاد من القصيدة... كيف تريدين أيها الحب أن أبقى محباً وأنا أحاذن التخلی عن حب أشمل وأتم... لكما فقط يخفق الفؤاد وتهتر أوجاعه... لا فرق ائلmid بين مدينة لها عطر امرأة... أو امرأة لها عطر مدينة... كل ما أراه هنا يملأ قلبي بالحب هناك... وكل ما أحسه وأنا في أحضان هناك أراه يتتفق طيباً وفرحاً وأنا بين طيات ورد المحبة... ائلmid ... كنت أظنك تعرفي لم يملأ قلبك الحزن... تعرفي لم يموت الانسان في لحظة حب..؟

- ما أعدت لسانك أيها العاشق الابدي... ما أعدت قلباً يقول في صدق المحبة.. ما لمت قلبي يوماً لأنّه أحب شوقيا الذي يقسم قلبه الى نصفين من محبة وسلام !!

- أبداً... أبداً ائلmid... ما كان قلبي قلباً... ولا فرحي فرحاً إن انقسم وانشطر.. أبداً أنتما واحد... حبيبة وقلب، قلب وحبيبة، الوجه لك ولبابل... والمعنى واحد... في أعماقى ثمة طوفانات من الامال لكنها أبداً تظل خائفة!!

- قد يكون لخوتك هذا ما يبرره!!

- قد... قد ائلmid... لكن كيف يكون السؤال إن قلب إن اليقين يحف ملامسي، اقرأ في فراغات الشوارع وصمت الأزقة ووحشة الجريمة التي لا يمكن أن يستكين لها قلب!!

- وما العمل... أيها المستكين من العذاب؟

- هذا ما يتبع منامي... ويوقف مصاحب حلمي... ائلاميد... لزمن طويل وأنا أرى نفسي وحيداً... تحاصرها نيران ونداءات غريبة، أجذبني أسبح في أنهارِ من الدم... كل شيء أحمر... دم وحرائق... دم وحرائق... ونداءات استغاثة، أحاول فعل شيء... ما الذي يفعله بائع كلام مثلِي... رقم لا يعي غير الكلمات وهو يرى الحب يقتل والنيران تلتهم كلَّ ما يؤسس له... ما الذي أفعله ائلاميد... وأنا أبرك مثل جمل بقوائم مقطوعة وسط أزيز وسمواتٍ تمطر دخاناً... الموت يرفرف فوق هامات الجميع... الموت يلاحق كلَّ ما يمكن أن تطاله يد... أفتعد الأرض وأبكي... البكاء هو سلوتي لحل أزمة النفس... محنَّة أن ترى كاتباً يحلم بالحب... يجلس مثل امرأة خاسرة ويجهش ببكاء له طعم العلقم... محنَّة أن أرى نفسي تهجر حلم الكلمات، مكتشفة إن الحقيقة سُم قاتل... الحقيقة نزيفٌ غريبٌ... دوماً لا يمكن للأحلام أن تصمد أمام الدم... دوماً لا يمكن لأيما شيء جميل وبهيء أن يظل بهياً وجميلاً إن هو لف بأغطية من دخان وبكاء... دوماً ائلاميد... ثم من يخسر حلمه... دوماً ثم من يقتل هذه الأحلام لكي يملأ قلبَه بحبور القتلة... أو تدرين ائلاميد... ثمة نشوة غريبة تعم النفوس اللائفة بالدم... نشوة الاحساس إن النهاية إنما كانت بقرار منه!!

- كلما سألت... رحت بي إلى عوالم لا أفقه ولا أعي!!

- ما أنتِ هكذا... بل هي محاولةُ الحبِّ في تخفيفِ وطأِ عذابِ  
روحِ المحبِّ.. أعرفُ إنَّ زمننا معاً جعلَكِ جزءاً من أسئلةِ وجودي...  
أعرفُ إنَّ لوسادتكِ أسئلةٌ غيرُ أسئلتي لكنها أبداً تلتقي عندَ القلبِ!!

- عذبٌ مثلُ ماءِ الفراتِ حديثٌ فوادِكَ... وشائقٌ عسلُ شفتينِ!!

- الحبُّ هو الذي يتحدثُ الساعَة... الحبُّ الذي غمزني باللوعِ...  
يحاولُ تخفيفَ الضغطِ... ما فائدةُ هذا الان... وقد نجدُ أنفسنا غداً  
في أزمنةٍ لا يمكنُ للحبِّ أن يكونَ فيها شجرةٌ خضراءٌ... أخافُ أن  
يموتَ الفراتُ وتعيشَ بابلَ شتاتاً... ربما انلاميد لن تلتقي أبداً... ربما  
تفرقنا الأزمنةُ... لكنَّ أيثها القلبُ... دوماً تظلينَ معِي... دوماً أرى  
هذهِ الاشراقةَ البهيةَ فأرى من خلالها محياً بابلَ وهدوءَ طباعها...  
عذراً انلاميد... عذراً إنْ أتعبَ لساني قلبِكِ... وأتعبَ قلبي لسانِكِ...  
عذراً إنْ حاولتُ تلوينَ شفاهِكِ بزرقةِ محبتِي... عذراً انلاميد إنْ  
تجاوزَ قدرِي حدَّه!!

بصمتٍ سقطَ مآقِي المرأةِ السودَ... مطرَّاً... بصمتٍ فاضَتِ  
أرجاءُ المكانِ، فسبحَتُ الحيتانُ مبتعدَةً، وحاولَتِ الأيائلُ الركونَ إلى  
ضفةِ البياسِ، وظلَّ السمُّ الملونُ بشعاراتِ الصوفِ يتقدَّمُ مانحاً  
الحزنَ أرديةً من فرحٍ، بصمتٍ أحضنَ شوقياً الجسدَ الحاسَ  
بالانكسارِ، فارتَجفَ وتطاوَعَ مثلَ الطينِ، وفوقَ القصبةِ طبعَ الرقامُ  
قبلَتهُ الأولى وعندَ مفترقِ العينينِ رمى بالثانيةِ ووضعَ الثالثَةَ بهدوءٍ  
ويبطئِ وبانتشاءِ، ويمكرِ ويُحساسِ بالأمانِ فوقَ الشفتينِ اللتينِ  
ماجتا بورِدِ الارتيابِ، تلمستَ الأكفُ العنقَ المشدودَ وانسدَلَ الشعرُ

المضفور بقصيبةٍ طويلةٍ فوق الكتفِ محاولاً اختصار عمر الأرضِ، كانت الأمطارُ التي سقطت قبل هنيهةٍ تروج ملاطمةً، وكان الجسد يعبر جسورَ آلامه باتجاهِ بساتين السعادة، تلمست الأكفُ الرطبة انحناءَ الثديين ضاغطةً بفتورٍ، وانسحبَت متأنلةً انحدار الأنهر إلى عمق الملمسِ، تأوهَ الحزنُ وأخذ حلمةُ الثدي إلى الفم، وزمنٌ قبل سمارِ الحلمةِ، تأوهَت الشفاهُ وظفرت بانحناءَ الظهرِ متحسسةً كتلَ الشكلِ، كان العالم يسقط لحظته في أعماقِ هوةٍ سحريةٍ من الانتظاراتِ، تلمست الأكفُ وبصبرٍ انطبقت على بعضها وبثقلِ الارتياحِ أحسَت الأجسادُ بالفتورِ والخمودِ، ما ليث شوقياً أن أغمض عينيهِ محاولاً الركون إلى لذةِ أحلامهِ، فتح عينيهِ بفتحةٍ، وبعنتهِ اصطدمت عيناهُ بجدارِ الكهوفِ الصخريةِ، فأمطرت غباراً من سواداتِ، كان عالمٌ يتقوضُ... وكان يحسُ أن لا خلاصَ أبداً... تحركَ نodus بضمِّهِ ووضعَ كفَهُ الربطُ فوقَ الكفِ التي كانت قبل لحظاتٍ تسبحُ في نيرانِ الاسترخاءِ، فرفعت العيونُ أهدابَها واطمأنَت إلى إن ثمةً أماناً يسري داخلَ أوردةِ الروحِ... قال نodus موسياً:

- ما الذي كان يروحُ اليك؟

- زفر شوقيا بحزنٍ وفركَ عينيهِ كمن يحاولُ طردِ نعاسهِ، قال:
- أملٌ بعيدٌ نodus... ما أظنُه يجيءُ أبداً
  - أو هذا أنت الذي يتحدثُ... أيُّ أملٌ بعيدٌ تقولُ والأمالُ رهنِ حقيقةٍ... إن وجودِهم... أرقامٌ جيءُ بها صدفةً وستظلُ أرقاماً حتى تحيطُ الساعَةُ... أنت الذي يتحدثُ عن الآمالِ بعدَ أن زرعتَ دروبَنا

بكلماتِ أشعلت ليلَ بابل بالترقبِ والانتظارِ... كانت الرقْمَ التي تدونُ  
 تملأً عقولنا بالأسئلةِ... فلمَ ترَك دائمَ السؤالِ... أو ثمةُ فرقٌ بينَكَ  
 وبينَ أيِّ من هؤلاءِ... إن ضاعتِ آمالُكَ صرتَ مثلَهم... ضائعٌ لا  
 يرضي بغيرِ الحفاظِ على جسدهِ والانتظارِ حتى تحينُ ساعةَ  
 الخلاصِ... أو كنتَ تملأً سماواتِ بابلَ وفضاءَ لياليها بالأكاذيبِ..؟  
 - ليس من هذا شيءٍ نodusس... لكنَّها المحنَةُ توجعُ فوادي !!  
 - عذبةٌ هي المحنَةُ التي توجعُ فوادَ الكاتبِ... قل لي كيفَ تكونُ  
 محنَةُ الذي لا يعرفُ شيئاً مما هو فيه؟  
 - لا أظنُ أنَّ ذلكَ محنَةً !!  
 - محالٌ... ما من انسانٍ هنا لا يعتمرُ قلبَهُ بأزمَةٍ وجودِهِ... ولكن  
 بينَ هاتيكَ المحنِ ثمَ فروقاتٍ كبيرةٍ  
 - نodusس، إنكَ تحملُ رأسي أشياءً لا أطيقُها !!  
 - لقد حملتُ رأسي مذ كنَتْ صبياً أشياءً كثيرةً... كنَتْ ولدًا يرفُ  
 بالأمانِ... لا شيءٍ يملأُ رأسي غيرَ صورِ فتياتِ بابلَ الوديعاتِ  
 وجريفِ الأنهرِ ولعبِ الصيفِ تحتَ ورقةِ نخيلِ البساتينِ... كانَ  
 الولدُ الذي كنَتْ ذاتَ يومٍ مغموراً باللودِ، مهوساً بلعبِ العرسانِ...  
 فجأةً وجدَ طيناً غريباً مكتوبَاً بأشياءِ ما كانَ يعرفُ ماذا، سائلُ  
 أبي... عماداً في هذا الطينِ الذي لا يشبهُ طينَ الشطوطِ؟  
 لبرهَةٍ ظلَّ صامتاً مستلقياً على ظهرِهِ، ناظراً إلى السقفِ، بيتهِ  
 أجلسَ مخاوِفَهُ وكما لو كانَ في حلمٍ، سقطَت عيناهُ على أولِ حرفٍ  
 مرسومٍ فوقَ فخارِ الطينِ... أو تدرى ما الذي كانَ ذاكَ الحرفَ شوقياً؟

أحنى شوقيا رأسه مدققاً في الأرض، كان يحس إن ثمة خجلاً يستحوذ على أعماقه كان يحس باضطراب لحظاته، وتفصص زمنه أشد هولاً، رفع نodus عينيه وغزّهما في وجهِ شوقيا الذي ارتبكَ مثل حسانِ جامحِ، ثم فكراً واحدة... فكرةً مجنونة بدأَت تستحوذ على لبِ رأسه الذي انفجر، قال نودعس بصوتٍ تعمده طيعاً مثل طينٍ:

- لم صمت... لم لا تجيب... أو جفت أنهاز الإجابات في حلقاتك؟
- لا أدرى بم أجيّب نودعس... صعب أن أتكهن بشيء!!
- بل أمر في غاية السهولة أن تسمع ما تكتب... كان الرقيق الذي بين يدي أبي شعراً كتبته في أول حب... في بابل التي كنت لا ترى غيرها عروسًا في دنيا أحلامك!!
- وما زالت نودعس... وما زالت...!!
- كان كلاماً غريباً... توسلت أبي أن يقوله أمامي لأكثر من مرة... وقع غريب لقول ما كنت أفقه معالم عذوبته... لكنه كان عذباً، رائقاً... بدأت شفاهي تكرر قوله... دوماً كان لساني يردد صداؤه... حتى حفظته البساتين والشطوطُ وغادرته الحمامُ والأطياف... بابل... العز دوماً للمقلِ الدارفةِ

لأنك صوت الزمان... !!

- كفاك نودعس... كفاك أن تؤلمني بهذا!!
- أعلمك... أو تخافُ الألم ولا تخافُ الحقيقة... أو انطفئُ الحبُّ وما تنت الرغبات؟
- أبداً، ما حدث من هذا شيء أبداً

- هذا هو لبُّ السؤال ودينانِ المعرفة... ما الذي نريدُ... وما الذي تريدهِ بابلُ بعدَ محتتها... ماذا عسانا فاعلينَ ونحُنْ هنا مثلُ غربانِ دونماً أجنحةٍ!!
- أوَّ في الرأسِ جوابٌ؟
- ليسَ بعدُ... ليسَ بعدُ نodus... ولكنني أرى في الأفقِ ثمةَ ضوءاً... ولا أريدهُ أن ينطفئَ
- ومن ذا ي يريدُ لضوءِ هادئٍ... الانطفاء؟
- لابدَ لنا من ادامتهِ... ليكونَ أولَ مشاعلِ الهدى!!
- الآن فقط، أيقنتُ إن شوقياً باقٍ ومحبٌ!!

سادَ الصمتُ لزمنٍ، كانَ نodus خلالهُ يستجمعُ من خلالِ التحديقِ في عيني شوقياً السوداينِ المائتينِ إلى الصفرة... بقايا العذابِ الذي يعيشُ، كانَ يعرفُ أنَّ ثمةَ قلقاً يسريلُ القلوبَ، قلقٌ ما يلبثُ أن يصعدَ راطماً لمةَ الرأسِ، ظلَّ شوقياً دونَ حراكٍ مشدوداً إلى بواباتِ الكهوفِ المتقدمةِ لخطِّ الأقدامِ وتسللاتِ الأفواهِ، كانَ الركودُ يحركُ أوجاعَ الأفئدةِ، فتروخُ متأملةً سماواتِ البعِدِ وشمةَ تسلقَ رتيبةٍ لسلامِ الحزنِ، كانتَ عيناً شوقياً تمتلآنِ بظلِّ المرأةِ التي كانتَ تجلسُ إليهِ، جذلةً تسقطُ حتى الوركينِ، وعينانِ واسعتانِ تحاولانِ تغطيةَ الهمومِ، حاولَ تجاوزَ محنَّ الطيفِ، وحاولَ طيلةَ لحظاتِ الصمتِ الوقوفَ عندَ بواباتِ الكهوفِ العاملةِ بأوهامِ الترقِ، أوغلَ نodus عميقاً في أرضِ صمتهِ، كانَ يريدُ الامساكَ بقرارِ رغباتِهِ، قرارٌ راودَ

هواجس فراشِهِ منذ تلك اللحظة التي وجد نفسه مرمياً فيها بين هجراناتِ الكهوفِ، فتح عينيه على استغرابِهما، ولحظة أبصر مئاتِ الخطوات وهي تسحل صمتها بوجلٍ، أطلق صرخ تحررٍ وتحديه:

- أو لا نقدر على الخلاص؟

أبكم السؤال الأفواه، واختفت ابتسامات البعض مثل زلزير، فيما ضم البعض رؤوسهم في طين الخوف، كان عالم الكهوف عالماً م Bowieاً تحركه الضغائن والأحقاد، وتبعده عن هدفه الأول، الأنانيات وحب الذوات ومحاولات الخلاص الفردية ليس ثمة خلاصٌ فردي لمن يجيء إلى نهارات الكهوف، لكن الوهم يرسم صوراً للمخلية ما تلبث أن تصبح واقعاً مفترضاً يؤجج روح النفاق والاختلاف والفتنة، دوماً ثمة من يريد اتخاذ درجة للصعود، دوماً تجد ثمة من يحاول ازاحتك عن طريق يتوهם إنك تقطعه عليه، دوماً تجد من يتحين الفرص ليسقطك في برِّك من الآلام، والعذابات، والادعاءات الكاذبة، تنفس نodusus الصداع، لحظة أبصر شوقياً ينهض واقفاً وثُمَّ ابتسامةً مشرقةً أخذت حزن وجهه، قال نodusus:

- والآن ما الذي يجب أن يكون؟

أخذ شوقيا بيد صاحبه، وبخطواتٍ وئيدة خطياً معاً باتجاه البوابة الرئيسية، قال شوقيا وهو يقف إزاءها متأنلاً:

- أو ما ترى؟

رد نodusus مرتاباً : مازا؟

قال شوقيا بهدوءٍ : هذه البوابة !!

رد نodus بقلقٍ : ماذا تعني ؟

قال شوقيا كمن يصدر أوامراً لجندٍ : أريد معرفة كم من الرؤوس تتواجد هنا ... وماذا وراء هذه البوابة ، والى أين تؤدي الطرقات القريبة منها ؟

- وما فائدة ما تريده شوقيا ؟

- أن تقتل العجز ... لابد من بدايةٍوها أخذ البداية المؤسسة لفعل الكلام !!

- ماذا شوقيا ... ماذا في الرأس بحق سن ؟

- أشياء كثيرة ... كثيرة جداً ... تبدأ عند هذه البوابة ... ولا أظنها تنتهي أبداً !!

- أو تقصد ...

رد شوقيا مقاطعاً : نعم من هنا لابد أن نبدأ ... بابل تنتظر ، ونهارات الكهوف موحشة وسقيمة ، ولا فائدة أن تظل هكذا ... فقط البحث عن أجوبة لما قلت بعدها تكون البداية !!

وحذك تظل مأهولاً بالانتظار ، تحاصرك الصباحات برؤى المساءات الحزينة ، وترميك المساءات الى جوف خوف الأسئلة ، تنظر فرقات أيامك ، وتتلوا عن كثب تراتيل أزمتك الغادية الى عالم الارجعة ، منذ متى وأنت لا ترى غير وحدتك المشحونة بالذل والارتماء عند قدمي الوحشة ، تأمل شمس رغباتك ، ورويداً تري

الامساك بخيوط ملذاتها، تغيّب الوجوه في غياهب الفراغ، تمشي خلف ورد من السراب، ما يلبث أن تلاشيه الريح، فتجلس ذاماً روحك التي تلوب مثل جسد مريض لا تستقر على شيء، ولا يلذ لها الاستقرار وسط هذا الخوف المأفون، تظل تبصر الواحات وتقرأ الانكسار الذي يلم الوجه إلى مأساتها، وجهه تريه الانزلاق من بين يدي الوهم عليها تصل إلى حقيقة القول، حقيقة إنها لابد أن ترى الحياة مضيئة، تلك المسارات التي فارقت احترافاتها، عالم مدفون في مقابر من خرف الكلام، وأحلام موتها عروق الترقب والانتظار، يمتد النهار طويلاً آكلًا تعب الأسنان التي لا تلهج بشيء ذي فائدة، تساوت الأشياء وغدت الحقائق المشعة وسط الظلمة مجرد أكاذيب لا يمكن أن توصل إلى غير الصمت والفراغ المادي أصابعه حتى برودة الأفرشة، تتمدد الأحلام و تستطيل وتقوم واقفةً مثل ظلال أشباح، لحظة تنطفئ الأسرجة أو تخبو الكوانين، تهرول الحكايات لاهثةً محاولة ولوح قمم العذاب الذي بدأ يخفي بين طياته ركامًا من المودات الميتة، تتوضأ الأحلام رؤوس النازفين حزناً وتقضم العتمة توسلات الأسنان بخفاء، بحياة مجنونٍ تداعب الأصابع دفعه الفخذين، ورويداً... رويداً تهفو الأوردة وتنتصب مقامات الود ... تستنكر الشفاعة اختلاجها، ولحظة ينصب الحرُّ فوق الأجساد الفائرة، ترتجف الأعماق حاسةً إن ثمة بردًا قارساً بدأ يغطي المكان، تموت عروق القلب ويتحول النبض إلى وجيف يشبه نداءات الأمهات الموجوعات، وبصمتٍ يتوقف النحيب وتبصر العيون ظلمة الروح ...

تركتضُ الأوردة مشدودةً إلى قوسِ الارتماءِ، ويبطئُ يلعنُ الرأسِ انهمارةً، وتتحجرُ مباحُ الكلماتِ، يذبلُ الشيءُ منكمشاً إلى نفسهِ مثلَ من يحسُ بفارقِ الأحبةِ، تتبسُّ الأزمنةُ وتنطفئُ المساراتُ ويصيرُ اللهاثُ حزناً ما يليثُ أن يرتسِم على الوجوهِ المحرمةِ بخرقِ العتمةِ، تهدأُ الأجسادُ وتخدمُ المساحاتِ، ولحظةً تغفو المآقي منطبقةً على ألمِ الأمسِ، تكبُو جيادُ الفرحِ وتسيخُ الرؤوسُ في دمِ الاستذكارِ، تتهدمُ قبورُ العقلِ وتقامُ قيامةُ الذاكرةِ، فجأةً تباقُ من بينِ الأنفاسِ نسوةٌ مكتسياتٌ بألوانِ الفراغاتِ، وتمطرُ السماءُ ذهباً من آثارِ وتنحمي الأستارُ الخاشعةُ للترقبِ، كلُّ شيءٍ دونَما تهتكِ، دونما ضجرِ، دونما احساسٍ بالندمِ، يصبحُ واضحاً مباشراً يدلُّ على معناهِ، تتهاافتُ الأنوثةُ بينَ يديِ اللهفةِ، وتنكسرُ قواريرُ الخشونةِ راسمةً علاماتِ من توسلاتِ وضحكاتِ ومجونِ، تعلنُ الآثامُ قيامتها، فتجفُ أنهاهُ الاشتهاءِ، وتغدو المسافاتِ المقريةُ لملمسِ الخديعةِ صحارى قاحلةً ومرميَ بعيدةَ المنالِ، صرخةً تتوجهُ الذاكرةُ منقلبةً مثلَ شبوطِ مزهورِ، يصيرُ البطنُ قفا فتالمُ الخديعةُ أغراضها وترحلُ، تبدو المسافةُ غارقةً في بياضِ المحسنِ، يبدو كلُّ شيءٍ سعيداً، أملاً بالاستمرارِ، يرفلُ بمحاسنِ وجودِهِ الباقيِ على الطمأنينةِ والمحبةِ، بفرحٍ تنغمُ المساحاتُ البيضاءُ ببقعِ ملونةٍ، حمرٌ، صفرٌ، خضرٌ، زرقٌ، يبدو العالمُ مزوقاً باغنياتِ تعجنُ مساحاتِ الروحِ بطغيانِ الأمانيِّ، تهدأُ العاصفةُ ويهدأُ أوارِ النارِ، وتحتَ سطحِ الهدوءِ الحذرِ، تشيعُ مساحاتُ الدفعِ الذي لا يرغبُ بمجيءِ شمش قط، كانَ سنُ بالنسبةِ للرؤوسِ التي

تسكن حزن المغارات حلماً لا يمكن الأمساك به، حلم نسته الأرواح، حتى ظن البعض إن سن لم يعد رياً مانحاً لشيء، بل غداً مجرد وهم يطارد رؤوسَ أولئك الذين امتلأت عقولهم بفضفاضِ الكلماتِ، كان سن مجرد إلهٍ بطر، لا يعرف طريقاً سالكاً للماسي والآلام، بل ثم طريقٌ يؤدي دوماً إلى الأقدة الملكومة بالحب اللاحقة باغنيات الفراق والآمال التي لا يمكن أن تطالها الأيدي، كان سن يموث جزعاً، إن هو عرف ما يملأ صباحاتِ الكهوف ويمسح عيونَ مساءاتها، ببطءٍ يجيء شمس مانحاً أغماسة الشفق، تتلوّن العيونُ بلون فضاء البرتقال، وببطءٍ تنہض الأجساد متباقةً متخصصةً محنّة وجودها، متابعةً همس الشفاه التي خرجت تواً من كهوفِ الخرافاتِ، ببطءٍ تحولُ الأحلام إلى حقائقِ، والحقائق إلى حكاياتِ، والحكاياتُ إلى آمالٍ تشغّل بالفراوغ فيروخ تصديقها بكثيرٍ من الصدقِ، بكثيرٍ من الحبورِ، بكثيرٍ من الإحساسِ التي ما تثبت أن تتفجر حزناً لحظةً يجيء الغروبُ، وحذك نظرٌ تقبّل ليلَ محتنكَ مبحراً في لحج من الأسئلةِ محاولاً الكشفَ عن سترِ ما يجعلكَ تصلُ إلى حقيقةِ مبتغاكَ، تصرُّ مخاوفَ عينيكَ وتحاولُ طردَ شبحِ المرأةِ التي هجرت مقابر رأسكَ وانفتقت بعنةً، تهمسُ لصمتِ أفرشتكَ "أئلاميد" فلا يردد صدى، ولا يجيء صوتٌ، يظلُّ الخرسُ مسيطرًا فوقَ مساحاتِ مقابركَ، تصلُ بخطوٍ أحالمكَ حت البوابةِ الجاثمة عند الضفةِ اليسرى، وزمنٌ تريده اختراقها، تتعالى الأصواتُ مخدرةً وتشتعلُ نيرانُ الاستنكار والتسلل والجزع، وعند فرجةِ البابِ تبصرُ عينانِ تتولسانِ هدوءكَ، عينانِ

عذباتِ بلونِ جمرِ الشتاءِ، حلوتانِ بطعمِ خبزِ الأمهاتِ، توشرُ لها بالاتيانِ، فلا تحركُ غيرَ شفاهِ مرتقبةٍ بالانتظارِ، تطرقُ خجلًا وتلفُ بهاءِ الوجهِ بسترَ الظلمةِ ويغدو كُلُّ ما يحيطُ بكَ، وحدثكَ، عذابُ انتظاركَ، ليكَ الذي يقلُّ في أعماقِكَ مخاوفَ الأيامِ التي تجيءُ، فكرةً أنْ تظلَّ مصحوباً فوقَ الواحِ من التشدقِ والمباهاةِ الفارغةِ، رعافُ نفسِكَ المستوحدةِ الموغلةِ في مدنِ الكلماتِ التي لا تجدُ لها هدىً، كُلُّ شيءٍ باتَّ مبقوراً يرنُّ في جوفِهِ صدىِ الحنينِ إلى مجھولٍ، لا يعرفُ أحدٌ كيفَ ولماذا يجيءُ، تبصرُكَ الأسئلةُ حائراً فتستترُ بأرديةٍ التراجعِ، تخبو مثلَ نارِ التنايرِ، وتشلُّ حركتها أنفاسُ التذكرِ، رجلٌ منسيٌ هو أنتَ شوقياً، منسيٌ رغمَ كُلِّ هذا الضجيجِ... رغمَ كُلِّ هذه الأسئلةِ... رغمَ كُلِّ هذه الأحزانِ، منسيٌ تلاحقُكَ حمامُ الغرابةِ وسطَ ركامٍ من الأنقاضِ البشريةِ، كتلٌ لا تعرفُ إلى أينٍ يمكنُ أن تؤدي بها الخطواتُ، عاجزةٌ، تعبَّةٌ، تحسُّ بقربِ الانتهاءِ دونِ الاحساسِ بالألمِ، تحاولُ جاهدةً إبعادَ طينِ السؤالِ الغريبِ لترتكنَ إلى هدوءِ الطبعِ واتقانِ لعبةِ اليومِ الذي يمرُّ، تصفيي بمواقعِ جراحكَ إلى لغوِ الستتهمِ، فلا تستمعُ غيرَ التكرارِ الناسفِ لاطمئنانِ الإنسانِ، تجزُّ خطاكَ متعرضاً صوبَ حكاياتِهم المشربةِ بالخوفِ، فتلومُكَ نفسُكَ وترتمي عندَ مطاهِرِ الندمِ، عالمٌ تسيئةُ رغباتِ الكهنةِ واتباعُ رذيلةِ الارياضِ المحاولينَ انزالَ كلَّ المجدِ الآلهي إلى قارعةِ الطرقاتِ، تكتظُ الطرقاتُ والكهوفُ بسفاراتِ رغباتِهم وقيءُ نسيانِهم المهيمنِ جاعلينَ الرضا البعيدِ ديدنَ المشينِ من الأفعالِ، ثمةً فكرةً تراودُ أدمغتهمِ أبداً لا يمكنُ تجاوزُها ما

دامت الكهوفُ تضغطُ بعطرِ الاباحَةِ، مادامَ الرَّبُّ انليل راضياً... فكلُّ ما تقومُ بهِ يمكنُ أن تجدَ لَهُ طرِيقاً يبرُّ وجودَه... انليل لايمكُنُ أن يردُ بالرفضِ ولا يمكنُ أن يردُ بالإيجابِ، والألوَاحُ التي تركَ بينَ يديِ الكهنةِ قابلةً للتغييرِ والتفسيرِ حسبَ ما تقرُّهُ الرغباتُ... يمكنُ للانسانِ أن يقتلَ تحتَ لوحِ الدفاعِ عن حقيقةِ الوجودِ، ويمكنُ أن يأخذَ ما يشاءُ حتى من بينِ يديِ أشدِ الكائناتِ فقرأً تحتَ ذريعةِ بسِ نواصِ الْحَيَاةِ، يمكنُ سترِ رغباتِ الجنونِ الفاحشةِ ولِيالي الاستهتارِ تحتَ لوحِ إِنَّ الرَّبَّ انليل ي يريدُ ادَمَةَ نسلِ الانسانِ شريطةً أن تكونَ هذهِ الادَمَةُ طيَّعةً وتحتَ مباركةِ الرَّبِّ المانحِ لثقلِ الشهواتِ، عالمٌ يفسِرُ ما يريدُ حسبَ ما يريدُ... ما دامَ الرَّبُّ ظلاً لشيءٍ يشبهُ غيوماً تتشَتَّتُ، دخانٌ يمكنُ رؤيَتُهُ ساعَةً تشاءُ ونسِيَانُهُ ساعَةً تقرُّ، إنَّ العالمَ مجرُّد فراغٍ يسبحُ في عمقِ فراغٍ أشدَّ اتساعاً وأدقَّ تنظيماً، كانَ يرى في أسئلةِ الشفاهِ مجرَّد عفنٍ يريدُ تلويتَ فجرِ بابلَ بألوانِ من الأكاذيبِ والأحزانِ التي لا مبرَّ لها، رويداً كانتَ تراتيلُ انليل ومردوك تتَحولُ إلى توسلاتٍ ودمٍ... رويداً تحولَتَ إلى هوسٍ في حياةٍ لا يمكنُ أن يقرزها ربُّ عاقلٍ قادرٍ على موازنةِ الرضا والسرورِ، كانَ انليل يسكنُ ليلَ الكهوفِ ويرقبُ نهاراتها بأسفٍ لأنَّه لم يجدْ قيدَّاً نملةً ليضعَ قدميهِ عندها، كانَ يطلقُ في سماءِ الكهوفِ محفوفاً بملائكةٍ ماجنةٍ من الأكاذيبِ والأوهامِ، حاولَ تجاوزَ محنَةِ ترقيَّه ولحظةً أعلنتَ احتجاجَكَ أمتنَّاً نهازُ الكهوفِ بالسبابِ واللعناتِ، وأعلنَ جنونَ خرابِهم... إنَّ لابَدَ من تخليصِ جسدِكَ من روحِ الاثمِ، وتطهيرِ

أعماقك من رجم الكلماتِ الموبوءةِ بالمويقاتِ، تراجعت لحظاتٍ  
تأملَك وتحت ضغطِ الترقِ انتفقت عروقُ ذاتِك محاولةً تدجينَ ما  
يمكن تدجيئه من بواحِ الاشتئاز والخديعةِ، كانت روحك تطيرُ بعيداً  
متخصصةً أرجاءَ الأروقةِ التي أفرغت أحشاءها في لحظةِ غيظ، ما  
الذي يمكن أن تبصره وسطَ أزقةِ متهدمةٍ وشوارعِ امتلأت بنباحِ  
الكلابِ وعويلِ الوحشةِ، وبيوتِ مهجورةٍ مسكونةٍ بجنونِ خفي؟!!

تحاولُ اختراقَ حاضرك ، تحاولُ ربطُ أوردةِ الدم، لكن الترفُ  
يشخبُ متعالياً، والدم يملأُ الأرجاءَ، وتغدو المحنَّةُ مجردَ ارتكانٍ بسيطٍ  
ازاءَ ما يملأُ القلبَ من ذلةٍ وخنوعٍ وانتكاسٍ، فتحاولُ الانتماءَ إلى  
قيءِ الكهوفِ، وعبثاً تصدقُ إنَّ ما يحيطُ بكَ عالمٌ لا يمكنُ أن يقومُ  
على شيءٍ من الصدقِ والأمانِ، تحفَّهُ متناقضاتٌ من الدهورِ  
والقصصِ الغريبةِ، كيفَ يمكنُكَ البدءَ ومن أينَ تكونُ البدايةُ، كلُّ  
شيءٍ وشمتَهُ الانتظاراتُ، وحفةُ سقوطٍ مدوٍ، تحتضنُ اللحظةَ  
بالانشاءِ، ولحظةٌ تفكُّرٌ بكيفَ يكونُ الانشاءُ تكبُو خيولُ كلماتِكَ وتبَرُّ  
إلى شمشِ مجنِّتكَ مئاتُ من الأسرارِ التي تحتفلُ بمقامِ الخوفِ،  
تأخذُكَ الأسئلةُ بعيداً... وتظلُّ تجلُّ ظهرَ حقيقتكَ فتتأوهُ الآلامُ وفجأةً  
تبصرُ كُلَّ شيءٍ بربضا، ائلاميد، ليتني أعرفُ من أينْ أجيءُ إليكِ...  
وأيُّ الطريقِ تلكَ التي أسلكُ، هدنى تعبٌ لا أدرِي كيفَ كانَ، رويداً  
تکومت على ظهري أحمالَ من أحجارِ الحزنِ، فكيفَ يكونُ القيامُ  
والعجزُ يكسرُ حتى باعثِ لسانِي، وهمُ هو أنا ائلاميد، وهمُ كُلُّ ما  
يحيطُ بي، وهمُ حتى تلكَ الأيامِ التي كنتُ أحدثُ فيها عن بابلَ، ربما

تكون بابلًّا وهمًا أيضًا، من أدراني إن الوهم هو الذي خلق حبَّ  
الوهم، دائرةً لا أدرى أين تنتهي، صعبٌ ائلاميٌّ أن أصدقَ إن نفسي  
ترى محتنها ترفُّ فوقَ هامٍ محبيٍ فلا تفعلُ شيئاً، ما الذي أفعلُ  
وكيف؟... ذلك سؤالٌ يغوصُ عميقاً مثلَ مرضٍ معدٍ ولا أدرى كيفَ  
يكونَ استئصاله، كيفَ يكونَ استئصالُ حبٍّ هو أقربُ إلى الوهم، بابلٌ  
وهمي الذي أحبُّ، زمني الذي منحني كلَّ تلك الاتجاهاتِ وجعلني  
أتسكعُ في مدنٍ من الأحلامِ، بابلٌ عرفَ ائلاميٌّ صارت وهمًا، صعبٌ  
هو الوهم حينَ يلفُّ مدينةً لها حقيقةٌ وجودٌ بابلٌ، وماذا عن  
مردوك... ماذا عن ايَا... ماذا عن سن وشمش... ماذا عن كيش  
واتوشمش، كلُّ ما أعرفُّ وهمٌ وخرابٌ، بدأ قلبِي يحسُّ إن الفراغَ هو  
الذي يوهمُ أبصارنا بأنَّ ثمةً أشياءً نحبُّ، أشياءً نقيمُ لها وزناً،  
ونؤسسُ لوجودها مباحٍ، ونقيمُ في حواضرها احتفالاً دائمَ المسرة..  
ثمَّ ماذا بعدَ الذي رأيتُ؟

ماذا بعدَ أن احترقتَ بابلًّا... وغدت مجردَ دخانٍ ودمٍ، هل كانتْ  
حقيقةٌ وجودها قائمةً أم تراني تخيلتهاً مثلَي أنا الآن أتخيلُكَ، وهل  
أنتَ حقيقةً مثلَما كانتَ بابلٌ حقيقةً، ائلاميٌّ لستُ أدرى وليسَ ثمةً منْ  
يجيبُ عن سؤالٍ صعبٍ كهذا في ليلِ الكهوفِ، ووحشةٌ انتظارها، مَنْ  
ذا تراهُ قادرًا على الإجابةِ، ووحشُ الكهوفِ يأكلُ الأرواحَ ببطءٍ ولا  
يتركُ غيرَ هيأكلِ تجوسُ بواباتِ الكهوفِ دونَ أن تعرفَ لماذا... حتى  
هذهِ الحقيقةُ التي أرى، ربما كانتَ وهمًا، ربما حتى صارَ ما أفترِّ  
بهِ... وما أقولُهُ وهمًا، أحسُّ نفسي تسبحُ في فراغاتٍ من اللغوِ

النهم، طعام ومسير طويلاً من أجل اتمام أذْر ما يقوم به الإنسان،  
 وانتظار موجع من أجل رغيف خبز وبعض بصل عفن، انتظار تحس  
 معه إنك مجرد كلب لا هم له سوى الحفاظ على بقائه، بقاء لا يسأل  
 لماذا... لكنه يحس إن ثمة ضرورة تدفعه إلى الاستحواذ، يمتد  
 الطابور طويلاً... ومع الانتظار تظهر جيف الأرواح، تبصر العيون  
 بحسب كل ما يمكن أن يجعل قادرًا على الاختيار، تتهامس الشفاه،  
 وتلوك الألسن باستغراب سيراً لا يمكن أن تحدث حتى عند بواباتِ  
 الأرباب، كل شيء ينبع بالحزن، كل شيء تافه، تحس معه إنك مجرد  
 فراغ يقبض على ضوء فراغ، وحين تمسك برغيف الخبز وتشم عفنَ  
 أيامه، تتحرك في أعماقك، رعبه في التقيؤ، رعبه بالبكاء، رعبه  
 بالتحول إلى ذئب يعوی، تتبيّس بين يديك إنسانيتك، ورويداً يصير  
 رغيف الخبز بحجم رائحة الدم، متلونًا بدم يابس، دم ماذا إثلاميد، دم  
 ماذا بعد كل هذا الوجع الذي يملأ القلب، وبعد رغيف العفن أحدق في  
 فضاء بابل الذي يمتد طويلاً، ترى هل يجري كل شيء بهدوء كما  
 كان؟!!

هل أنت مثلكما أنت إثلاميد... هل ما زلت حبيبة طافحة بالبشر،  
 هل مازال ذاك الجسد ينبض بهدوء الحب... هل ما زلت كما أنت  
 تقفين عند الباب بانتظار أوبتي، آه إثلاميد... آه ايتها الوهم الذي  
 أحب... كيف تراها أيامك تمضي بعدي، كيف تمر وأنت جالسة دونما  
 قلب، هل تقدر امرأة مثلك على العيش دونما قلب وحبل... وبابل...  
 وبابل إثلاميد هل ما زالت تملأ أحاسيسها باغنيات الصبايا، وسباب

السكارى، وهديرِ الفراتِ، هل ما زلتِ تعيشينَ تحتَ مهرجانِ الآمالِ، أم  
ماتتْ أفراحُها وجفَ ذلكَ الفرحُ الذي كانَ يغدى الأرواحَ حليباً صافياً،  
كيفَ هي الآن... أهي مجرّدُ انقضاضٍ وجوعٍ ونهمةٍ امهاهاتِ، هي  
انتظارٌ لحبيبٍ وحبيبةٍ، هي مساحاتٌ من خوفٍ وترقبٍ لمجهولٍ لا  
يمكُنُ أن يجيءُ، كيفَ هي بابلُ ائلأميد... كيفَ هي أحلامنا التي  
أرادتْ أن تينعَ تحتَ ظلالِ الحبِّ، كانتْ هي شيءٌ محمولٌ بأعمالِ الودِ،  
فيماذا تراهُ الآنَ محمولاً، وكيفَ هي قلوبُ الناسِ في مدنٍ تحرقُ،  
يمكُنُ للحبِّ أن يثمرَ وسطَ دخانِ الارتباكِ، يمكنُ للقلوبِ أن تخفقَ  
لحظةً ترى الحبيباتِ متشرّفاتٍ بأسماءٍ من دخانٍ وفراغٍ، وماذا عساها  
تقولُ القلوبُ وسطَ كلٍّ هذا الخراب؟!!

أيحقُ لها التغزلُ بالحبِّ... أتحقُ لها الاشارةُ إلى معنى  
الجمالِ، أوَ ما زالَ المعنى ذاتُهُ أمْ غدتْ الكلماتُ معانٍ أخرى، لا أدرى  
ائلأميد... ربما لم أقدرَ بعدَ الآنَ أن أعيشَ وسطَ كلٍّ هذا الهلاكِ،  
ربما يكونُ قدرِي أن أظلَّ مسكوناً بخوفِ الكهوفِ والدورانِ في آثامِها،  
ليتَكِ تعرفيَنَ أيَّ آثامٍ هي... وأيَّ محنَةٍ تعيشُ رؤوسُ الرجالِ الذين  
غدوا مجردَ أشكالٍ فارغةٍ من معانِي الوجودِ، رجالٌ جوفٌ تدخلُ  
الكلماتُ من فراغاتِ حلوقيهم، وتخرجُ عوياً آخرِس، والخرسُ هو الذي  
يحكمُ أزمنةَ الكهوفِ، فماذا عنِي أنا الذي عودتني بابلُ على القولِ،  
قولُ لابدَ منهُ... بـث ملعوناً بالثرثرةِ، ملعوناً بالتحديِ، ملعوناً بمعرفةِ  
أسرارِ رجولِتهمِ الماسحةِ لأيِّ فعلٍ إنسانيِّ، بهائمٌ هم أتباعُ الكهنةِ،  
بهائمٌ هم الراكضونَ خلفَ قناعِهِ إنَّ الرَّبَّ بسفالتِهمِ التي لا يمكُنُ

لَقَبِ نَابِضٍ بِالشَّرْفِ أَنْ يَصْدِقُهَا، لِحَظَةٍ تَمْتَلِأُ مَرَاتِ الْفَسْحَةِ  
بِسُجُودِهِمْ وَنِدَاءِهِمْ الْمُسْتَغْفِرَةِ، أَرَى ثَمَةَ هَالَاتِ مِنَ الْأَكَادِيْبِ تَحَاوُلُ  
دَفَعَ عَرْشَ الْأَرْيَابِ إِلَى عَلَوِ كَيْ لَا يَصْطَدِمُ بِحَثَالَةِ أَقْوَالِهِمْ، كَيْ لَا  
تَتَلَوُّتْ أَقْدَامُ الرَّبِّ بِعَهْرِ أَقْوَالِهِمْ، تَحَاوُلُ مَلَائِكَةُ الْأَرْيَابِ، أَعْوَانُ اَنْلِيلِ  
وَإِيَا وَمَرْدُوكَ، رَفَعَ تَلَكَ الْعَرْوَشَ إِلَى عَلَوِ الْأَمَانِ، يَضْجُعُ الْفَرَاغُ بِمَدَائِحِ  
مِنْ خَرَابِ، فَأَسْمَعَ ضَحْكَاتِ اَنْلِيلِ الشَّامَتَةِ، رَبُّ مَجْنُونٍ هُوَ هَذَا الَّذِي  
يَصْدِقُ نِدَاءَاتِ رِجَالِ الْكَهْوَفِ... لَا شَيْءَ يَضْعُهُمْ عَنْ قَدْمِي الرَّبِّ  
سَوْيَ الرَّذِيلَةِ... الرَّذِيلَةُ مَجْدُ وَجُودِهِمْ وَمَحْبَةُ اسْتِمْرَارِهِمُ الدَّائِمَةُ...  
عَالَمٌ لَا يَمْكُنُ الْاَقْرَارُ بِهِ، وَلَا أَدْرِي اَنْلَامِيدَ إِنْ كَانَتْ بِابْلُ تَصْدِقُ  
ادِعَاءَاتِ هَوْلَاءِ، مَحْنَةً أَشَدُّ مَا نَرَى أَنْ هِيَ اقْنَعَتْ نَفْسَهَا اَنْمَا يَجِيءُ  
الخَلَاصُ مِنْ اِتَّبَاعِ الْخَنْوَعِ وَالرِّيَاءِ وَالْأَكَادِيْبِ، سَدْنَةُ بَيْوَتِ الْكَهْنَةِ  
هَوْلَاءِ مَحْنَةً مَا بَعْدَهَا وَجُودٌ إِنْ تَنْفَسَتْ بِابْلُ صَبَاحَاتِ وَجُودِهِمْ،  
اَنْلَامِيدَ أَحْسَنَ إِنْ قَلْبِي يَخْفُقُ بِحَزْنٍ وَلِسَانِي يَأْكُلُهُ الْفَرَاغُ، وَالْطَّينُ  
الَّذِي أَهْذَرَ إِلَيْهِ، صَارَ مَصْبُوغًا بِأَلْوَانِ مِنَ الْهَذِيَّاتِ، أَوْ تَرَى هَذِهِ  
الْهَمُومُ تَصْلُ إِلَيْكِ، وَلَمْ أَرْدِ لَكَ سَمَاعَهَا، أَيُّ ذَنْبٍ تَحْمِلِينَ لَكِ أَعْاتِبَ  
حَبَّكِ عَلَى سَمَاعِ هَذِرِ مَجْنُونٍ مَثْلِي، لَقَدْ غَيَّرَتْ مَسَاءَتُ الْكَهْوَفِ  
وَتَأْمَلَاتُهَا الْكَثِيرَ مِنْ ذَاكَ الرَّجُلِ الَّذِي تَعْرِفِينَ، كَانَ الْأَوَّلُ طَافَحًا  
بِالْبَشَرِ، طَافَحًا بِالْحَبَّ، مَوْقِنًا إِنَّ الْأَيَّامَ تَرْمِي بَيْنَ يَدِيهِ عَسْلَ  
الْمَسَرَاتِ، أَمَا هَذَا الَّذِي يَجْلِسُ الْآنَ وَوَجْهُهُ إِلَى الْجَدَارِ... فَلَا شَيْءَ  
يَرَى غَيْرَ ظَلَامِ دَامِسِ، وَحَزْنِ دَفِينِ وَأَعْمَاقِ مِنَ الْمَقَابِرِ... مَوْتُ...  
مَوْتُ هُوَ الَّذِي رَأَى هَذَا الَّذِي يَحْدُثُ الطَّينَ الْآنَ... اَنْلَامِيدَ...

ائلاميد... ماذا عن وحديك... ماذا عن فراشك البارد... أو ما زلت  
تنترين شعرك فوق الوسادة، وتقولين... تأمل شوقيا... تأمل هذا  
الفيض من السواد!!

ماذا تركت قولين الآن... أو ما زال السواد سواداً أم إن ثمة  
خططا بيضا بدأ تزحف فوق جامجم السواد... ماذا عساك تقولين  
الآن بعد أن يغادر سن كبد السماء. وتتلألأ النجوم في صيف بابل  
الرطب، ما الذي تقوله شفتاك... أو ما زال ذلك القول يرنو إلى عمق  
فرحك... أحبك شوقيا... أحب جنونك الذي لا يشبه جنون أحد في  
بابل... أحبك لأنني مجنونة مثلك... مجنونة بأحلامي التي هي  
أحلامك... مجنونة منذ كنت صبية صغيرة... وما كنت أصدق أن  
أحب رجلاً لا يعرف ماذا يعني الجنون؟!!

أو رأيتكم أنا دقيق في جنوني، وأين استقرت بي مراكبي، كنت  
أحدثك عن سفر في زرقة البحر حتى " مليونا " هناك كنت أريد  
ل記得ك أن يمتلأ بالعقيق واللازورد، نسبح في بحار الزرقة وشذر  
وحديثنا، ما الذي كناه... ولم نحن الآن اسرى وحدتنا... أحارو  
ائلاميد... أحارو ولوح بوابات وحدتك، ولحظة أراك تمطر سماواتي  
أعصير من غضب، لن أصدق إن المرأة التي أحب تعيش كل هذا  
العذاب، كل هذه الوحدة... كل هذا الحزن، أحارو إلاميد... أحارو  
احتضان بقايا حلمي... ولكن ما فائدة مثل هذا الاحتضان، والليل  
مشحون بالخديعة، والجريمة تطارد غراباتنا، آثم أنا إلاميد لأنني كنت  
 دائم اللعن لمروعك، دائم الاحتجاج، دائم الانغماس في فرح الحياة، آثم

لأنني ما صدقُت إنَّ رِبَّ تافهاً مثلَ مردوكَ يتخلَّى عن بابلَ في لحظةٍ  
محنتهَا القاتلةِ، والآن... الآن ايتها المرأةُ التي أريدُ أنْ أرى... الآن  
ايتها القلبُ الذي ينبعُ في داخلي من أجلكِ، الانَّ يا ابنةَ القِ  
السمواتِ... كيَّفَ يمكنُ أنْ أبداً، كيَّفَ.. ونفسي لم تعد تصدقُ إنَّ  
الكلماتِ قادرَةٌ على زحزحةِ الخرابِ، بطرةٌ هي الكلماتُ التي لا تقدرُ  
على فعلِ ما تفعلهُ العيونُ، بطرةٌ هي الكلماتُ التي لا تقيِّم لأرواحَ  
الأفعالِ السامِيَّةِ وزناً، بطرةٌ هي الكلماتُ التي تجذُّ في السلامِ ملادًا  
للخديعةِ والخرابِ، بطرةٌ هي الكلماتُ التي تمسحُ عروشَ القتلةِ  
والآمرِينَ بأنهارِ من الدِّم، بطرةٌ هي الكلماتُ التي لا تطبعُ فوقَ  
مساحاتِ القلوبِ رضا وجودها، ولا معنىَ لأيِّ شيءٍ ما دامَ الدِّم يسبحُ  
في بركِ من دِمٍ وآثامٍ، أحسنُ نفسي تعبَّةً... تعبَّةَ ائلَامِيد... وأريدُ أنَّ  
أنامَ... فهل عساني قادرٌ... هل تقدُّرُ عينايَ على اغماضِ ارتياحها،  
هذا ما أفكُّ به... ولكنَّ ليس ثمةَ في الرأسِ غيرَ أنتِ... أنتِ وحدكِ  
المُرَأَةُ التي أحبُّ... وبابلُ وحدها المدينةُ التي أحبُّ، وكلاكمَا تحترقانِ  
في ليلِ الانتظارِ، وصياحِ المشقةِ فهل تراني أダメُ نفسِي وانتظرُ... لا  
أصدقُ إنَّ أسئلةَ الرأسِ تطاوعني على شيءٍ مثلَ هذا... ولكنَّها  
تحاولُ البحثَ عن جوابٍ شافٍ ومقطعٍ لخطوِ الروحِ... لحظتها  
ائِلَامِيد... لحظتها... أحسُّ لكِ بكلِّ ما يقدُّرُ قلبي على الهمسِ وداً  
"أَحُبُّكِ... أَحُبُّكِ يا أَبْنَاءَ الْأَرْضِ التي لا يمكنُ أن تكونَ غَيْرَ بَابِ الْرَّبِّ

المجيد

أحبك انلاميد لأنك مني روح أزمنتي... وانتظار مساراتها!!  
أحبك أجمل أوهام الحب... وأعذبها... فتعالي نشيد مدنـاً من

"آمال"

تنهمـر العيون مثلـ انحدارات الفراتـ، لفـظـ من موجـ وكدرـة عـسرـةـ،  
ومحاولةـ الانـشـدـادـ الىـ النـبـعـ، لاـ تـدـريـ الروـحـ كـيفـ تـهـدـأـ، لاـ تـدـريـ كـيفـ  
تقـيمـ اـنـفـسـهاـ سـراـجاـ منـ أـفـئـدةـ، لاـ تـدـريـ كـيفـ تـخـطـوـ بـاتـجـاهـ الـابـتـعـادـ...  
ثـمـةـ حـلـمـ يـتـعلـقـ مـشـنـوقـاـ عـنـدـ الـبـوـاـةـ الـمحـرـوـسـةـ باـكـظـاظـ الـلـفـظـ، وـثـمـةـ  
شـفـاهـ تـحـاـولـ دـوـسـ اـرـثـ الـمـسـيرـ، إـلـىـ أـيـ الـطـرـقـاتـ يـفـيـضـ ضـوءـ  
بعـادـهـ، أـفـتـرـاهـ مـدـنـاـ مـأـهـوـلـةـ مـثـلـماـ كـانـتـ بـالـفـرـحـ وـارـضاـ، أـمـ هـيـ مـجـرـدـ  
انـكـسـارـ وـانـتـهـاءـ فـوـقـ ظـهـورـ الـمـحـنـةـ، ماـذـاـ إـنـ لـمـ تـفـضـيـ الـطـرـقـاتـ إـلـىـ  
غـيـرـ طـرـقـاتـ أـشـدـ وـحـشـةـ مـنـ لـلـيلـ الـكـهـوفـ؟؟!

ماـذـاـ إـنـ تـحـوـلـ الدـرـبـ كـلـهـ... تـحـوـلـتـ المـدـنـ كـلـهـ... أـرـضـ  
الـسـوـادـ كـلـهـ... إـلـىـ كـهـفـ تـسـوـزـ حـرـابـ الـأـغـرـابـ وـتـلـعـنـهـ مـسـرـاثـهـ  
الفـاتـكـةـ بـعـذـرـيـةـ الـفـرـحـ الـبـابـلـيـ؟؟!  
ماـذـاـ إـنـ صـارـتـ بـاـبـلـ نـفـسـهـاـ كـهـفـاـ مـأـهـوـلـاـ بـالـرـذـيلـةـ وـالـسـقـوطـ...  
وـمـبـاعـثـ الـأـثـامـ وـالـتـوـسـلـاتـ؟؟!

ماـذـاـ عـسـاكـ فـاعـلـ عـنـدـهـاـ شـوـقـيـاـ... كـيفـ يـكـونـ خـطـوكـ وـسـطـ هـذـاـ  
الـرـفـضـ... أـتـرـاهـ صـوتـكـ تـلـعـوـهـ الـاحـتجـاجـاتـ، أـمـ تـرـاـكـ تـصـيـرـ مـجـرـدـ رقمـ لاـ  
مـعـنـىـ لـوـجـودـهـ، رقمـ آفـلـ بـرـيقـ حـضـورـهـ، فـقـدـتـ تـرـاتـيـلـ شـفـتـيـهـ مـجـرـدـ أـوـهـاـمـ  
لاـ طـائـلـ مـنـ وـجـودـهـاـ، مـحـنـتـكـ جـدـ عـظـيمـةـ شـوـقـيـاـ... وـعـمـرـكـ تـطـارـدـهـ

المخاوفُ... كيفَ السبيلُ الى انفاذِ ما تبقى... كيفَ السبيلُ الى فعلٍ  
يعظمُ حقيقةَ الكلماتِ... وأنتَ مركونٌ مثلُ خرقَةِ باليةِ... ما فائدةُ  
انسانٍ مثلَكَ في عمقِ هذا الخرابِ المحزنِ؟!!

نشجَتِ الروحُ وحينَ تنسجُ الأرواحُ تتعذبُ الأفداءُ، ورويداً  
تحولُ الى صغارٍ قاحلةٍ، مملوءةٍ بعواءِ الذئابِ الجائعةِ الى اشياءٍ  
آثمةٍ، دمٌ ما تريدهُ فراغاتُ الذئابِ، دمٌ ما تريدهُ لحظاتُ استمرارهم،  
كانتِ الروحُ تنسجُ والقلبُ يسكُن عذابَهُ، والأيامُ تمُرُ... شوقياً  
يضاعُفُ أسئلَةُ الهادرةَ لمعاني عمرِهِ، كانَ لا يرى غيرَ حقيقةَ ما  
يمكُنُ أن يجيءَ بهِ نodusن، الجوابُ الذي ظلَّ يلاحقُ أيامَ كلِّها،  
عندَها فقطُ يمكنُ للجوابِ أن يكونَ جواباً يفتحُ أمامَهُ الأفداءَ  
المتواجعةَ، أسئلةً أخرىَ أشدُّ حضوراً وأعظمُ دقةً، عندهَا تقييمُ  
الارتياحاتُ لنفسِها معبداً، ويغدو للربِّ الذي يحلمُ بهِ شوقياً حضوراً  
يعطيُ بهاً للإنسانِ، ويعززُ من قيمةِ قدرِهِ، حينَ يحييُ الجوابُ يكونُ  
الربُّ قد خادرَ مجمعَ الآلهةِ، وقررَ بصدقٍ أن يكونَ معيناً للمعرفةِ،  
معناً أزيلاً للحقيقةِ، حينَ يحييُ الجوابُ يرى الإنسانُ إنَّ الربَّ نصفُ  
وجودِهِ مسورةً بأحزنةِ الرضا والامتنانِ، وإذا ما حدثَ ذلكَ... لابدَ  
لبابِ أن تنهضَ من كبوتها، ويتحولُ ليُلْحِنُ الحرائقَ وصراخَ الاستغاثاتِ  
الى أناشيدٍ ترتلُها حناجُ صبايا بابلَ ونسوتها بامتنانٍ ودعةً!!  
حركَ شوقياً نفسهُ، فتكشفتِ أمامَ عينيهِ فسحةُ الضوءِ المشوددةُ الى  
فراغِ الساحةِ، ليسَ ثمةَ غيرَ أشباهٍ تومضُ ببروقِ راغبةٍ بالتلالي،

باخته عن منفذٍ يقرُّ وجودها غير المجدِي، فركَ شوقياً خضبَ عينيهِ، فركَهما باستسلامٍ من وجدَ نفسهِ تسبحُ وسطَ لجةٍ من العواطفِ، كانَ يحاولُ اسكاتَ ضجيجٍ وحوشِ الأسئلةِ، يحاولُ الامساكَ ببعضِ حرائفيها، وايقافِ نزيفِ مواجهتها المتقدمةِ صديداً وغباراً من أوهامِهِ، ربتَ على كتفِهِ أساهُ، فتراحتَ صلواثُ الروحِ، وغدتَ الأسئلةُ خيطاً من دخانٍ يسري باتجاهِ فراغاتِ السماءِ التي صارت فجأةً بلونِ الصدأ، وظللتَ المحنَةُ تراودُ رأسَهُ، وظلَّ يراودُ رضاهُ، واحساسَهُ أنَ الدروبَ التي رسمَ خطواتِها بدأَت تتجهُ إليهِ موضحةً مدباتِ عمرِهِ الباعثِ على الانهيارِ، حركَ جسدهُ بعنفِ رجلِ غاضبِ، وطرحَ بسواداتِ رأسِهِ بعيداً، مبصراً البوابةَ التي شكلَتْ هواجسَ الأمسِ وهي تفتحُ بصريِّهِ ضاجِ، ألواخَ من الخشبِ المربوطةِ بأفقانِ من الحديدِ، بواباتٌ لا يمكنُ لانسانٍ مهما كانَ عملاقاً أن يطأْ فضاءها ويصلُّ إلى قربِ انفراجها، تحسنَ دقاتِ قلبهِ التي ارتجفت بشدةً، ومدَّ ضوءَ العينينِ محاولاً جذبَ وحدتهِ إلى عالمِ الكهوفِ الذي بدأً يستيقظُها رويداً... بترددٍ أبصرَ خطواتَ نodusus تلاحقُ عذابهُ، خطواتَ مرسومةً باتفاقِهِ، هادفةً عارفةً بثقلِ وجودها، كانتَ ثمةً ابتسامةً تمسحُ هضابَ شفتيهِ، ابتسامةً حبيبةً رأتَ فتاتها مشتوتاً عند طريقِ الانتظارِ، كيفَ يمكنُ لرجلٍ مثلهِ الابتسامُ هكذا؟!! قالَ شوقياً لنفسِهِ، وما لبثَ أنْ أعادَ التحديقَ إلى الخطواتِ لأنماً نفسيَةً على مثلِ هذا الاستذكارِ، ليسَ ثمةً ابتساماتٍ للأوقاتِ، فلا شيءَ اسمهُ

ابتسامة حزن، وابتسامة حياء، الابتسامة طيف فرح لا يمكن تفسيره بغير هذا التفسير، حتى رأسه مراقباً رمل الأرض، ولحظة رفعه ببطء، وجد نodus يقف بمحاذاته، وثم وجّل حذر يتلبّس تقاطيع وجهه الآيل إلى الخوف، ظلّ لزمنٍ يحدُق في تلك التقاطيع المرتبكة محاولاً سبب غور هذا التغيير المفاجئ، إذ كيف يمكن أن يغير نodus ملامحه بهذه الدقة دون عناء، باستثناء همسة شفاته بتمتماتٍ ظلت بالنسبة لنodus مجرد استقبال لا حرارة فيه، قال نodus دون مقدماتٍ كمن يحاول رمي حجرٍ يحمله فوق قفاه زمناً طويلاً:

- ها هي الأجوبة إليها الكاتب الذي أتعبه السؤال !!

تلفت نodus متفرضاً أرجاء المكان، كان ثم ضجيج بعيدٍ، واحتجاجاتٍ بعيدةٍ، ونداءاتٍ كأنها صادرةٌ من جوف قبورٍ تكشفت أستارها فجأةً، قال متسائلاً: أين؟ أشار نodus وثم ابتسامةٍ غريبةٍ تركب جواد شفتيه إلى جسدهِ الذي بدأ نشطاً مستعداً للانطلاق: أنا...؟

زفر شوقياً بارتياح، وأشارت عيناه بطيق فرح ما لبث أن تحول إلى طائرٍ ملاً الجسد التعب بالأمن، كان القلب ينغمُر رويداً بالسعادة فتلحّق الأطراف، ويهرول الرأس غاضساً في شطوطٍ من الأحساس، قال شوقياً وهو ينcka إلى الجدار:

- مَاذا نodus... مَا الذي عرفته؟

- أشياء لا يمكن أن يصدقها عقل... لقد عرفت كمن كنت موهوماً بقوة هذه الحيطان... كنت أتصورها قوية ومحكمة... لكنها بدت أمامي الآن مثل أكواخ تراب!!
- أوجز بالقولِ نودعس... اوجز بالقول!!
- هو الإيجاز المرسوم بالفرح شوقيا... قلبي يطفح بالبشر لأنني أعرف ما لا يعرفه أحد سوائِي... وألعن نفسي لأنها ما سمعت إلى معرفة الحقائق قبل لحظتها تلك!!
- أو تعرف ما كنت أريد وراء سؤالي؟
- إن لم أعرف أنا ما يدور بعقل شوقيا... ما كنت اقتربت منه... عالمي رسمة عالمك... وكلماتي إنما استمدت حضورها مما اشتغلت في أعماقي من كلماتٍ... قريبٌ أنت من روحي قربَ الجسد منه..
- وما دمت عرفت نودعس... ماذا تقول؟
- الليلة إن شئت... كل شيء يكون غائباً في ظلام هدوئه بعد أن يغادر سن كبد السماء... تظل الأبواب موصدة... ويغادر الحراس إلى مضاجع قريبة... لا أحد ينتظر خلف الأبواب... أما الطرقات شوقيا فهي كثيرة..
- حسناً... أو أنت واثقٌ مما تقول؟
- مثلاً أثق أن الذي يقف أمامي هو معلمي شوقيا!!

- لقد حانَ الوقتُ... ها هو صبَّاحٌ يجيءُ بما لا نعرفُ... حقاً  
بدأتِ الأفعالُ تتضخُّ... قُلْ لِي نوَدُعُسْ، أوَ حدثَتِ أحداً ما  
بما عرفتَ؟
- أبداً... سري عذابُ جسدي... وما عودُتْ نفسي بِأطلاقِ  
أسرارِها !!
- طيبٌ وحريصٌ أنتَ نوَدُعُسْ... والآنَ أُنرِحُ نحنُ الاثنينِ أم  
ثمةَ مَنْ ترِيدُهُ معنا؟
- سؤالُ أظنُّ اجابَتَهُ واضحةً... لا يمكنُ للهربِ أن يتمَّ بغيرِ  
الجمع !!
- لن نقدرَ... لن نقدرَ نوَدُعُسْ... لابدَ إنَّ الضجيجَ سيثيَّرُ  
الكثيرَ... ليكنَ المسيطرُ أزواجاً... وحسبَ ما ترِيدُ... من ثقُّ  
بهم... من ثقُّ بهم نوَدُعُسْ... لأنَّي أخافُ كثيراً أن يتسرَّبَ  
هذا الحلمُ من بينَ أيدينا مثلاً تسرَّبتَ أعمارُنا والكثيرُ من  
الأحلام !!
- ما أنا أقلُّ منكَ حرصاً معلمي... كُلُّ شيءٍ سترةً كما ترِيدُ...  
ولكنَّ لِي عندَكَ حاجةً؟
- عن ماذا نوَدُعُسْ؟
- أينَ ترانا نلتقي بعدَ أن يتمَّ الهدفُ؟
- أينَ... أوَ ترانا نحقُّ ما نريدُ من أجلِ أنفسِنا، أبداً... أبداً  
نوَدُعُسْ، ما فكِّرْتُ بخلاصِ نفسي إنما هي بدايةُ خلاصِ

بابٍ... ولا بدَ لبابٍ أن تسهم في احتضانِ وجوبنا... لتكن  
غرفَ المعبدِ الكبيرِ مكانُ اللقاءِ... ليرتدي الجميعُ مسوحَ  
الكهانِ، وهناكَ سيكونُ أولَ الفعلِ... لا بدَ أن نقومُ بفعلِ أشدُّ  
ما تقولُه الكلماتُ!!

- أعرفُ ما يجعلُ بخاطرِ شوقياً... أعرفُ كم هي أحلامكَ كبيرةً  
قاسيةً...

- حسناً، والآن اشرحْ لي كيفَ يكونُ الطريقُ سالكاً... وهل  
ثمةَ من يقدِّرُ على سرقةِ مفاتيحِ الأفقالِ؟  
ضحكَ نodusus بصوتٍ ملاً فضاءَ الفسحةِ بضياءاتِ ما لبست  
أن تحولتَ إلى حمامٍ بيضٍ، رفقتَ في امتداداتِ السماءِ، وبشيءٍ  
من الجذرِ طارتَ مبتعدةً، ظلَّ شوقياً يبصُرُ أبيضاضَ السماءِ، ولحظةً  
أعادَ رأسهَ إلى الأرضِ كانَ نodusus يرمي أصابعَ يديهِ في فراغِ فرجهِ،  
كانَ مغموراً بفرحِ الكشفِ، محاولاً الامساكَ بقدرِ هذهِ اللحظاتِ التي  
جعلَتْ منهُ ابناً لرجلٍ كثيراً ما تمنى لقاءً، كانَ ثمةَ يقينٍ بتسليلِ  
الجسدِ الملمومِ مثلَ كتلةٍ طينٍ، يقينٍ أنَ النهايةَ قد بدأتْ وإنْ خطوةً  
وصاحبَ معارفِهِ لا بدَ وأنْ تصلِّ بها إلى ما رسمَ من مساراتِ، كانَ  
شوقياً يحسُ بالأمانِ إليهِ، عارفاً صدقَ مقاصدِهِ، فظلَ يمنَحُ الابتهاجَ  
بعضَ الديمومةِ، تبسمَت ملامحُهُ وطفحَ البشرُ فوقَ كلِّ شيءٍ يحيطُ  
بهِ، بشرَ أشاعَ الاطمئنانَ في كنفِ النفسيينِ الحاستينِ بأنَ اللحظةَ

تختلفُ عن كلّ أيامها التي ماتت تحت ضغطِ سياطِ الكهوفِ، قالَ  
نودعس بعدَ أن أحسَ بعذابِ السؤالِ يسوطُ قفا معلمِه:

- بل إنَ المفاتيحَ جاهزةً!!
- كيفَ نودعس... كيفَ جئتَ بها؟
- ما جئتُ بشيءٍ معلمي!!
- ما الذي تقولُ... أوجدتَ لرأسي شيئاً؟
- نعم... أحسَ معلمي إنَ رأسي ممتلأ بالفرح... أو تدري لماذا  
معلمي؟
- وما أدراني وقد تشابكتَ الإجاباتُ والأسئلةُ؟
- بلى... ما كنتُ أظنُ إنَ رأسَ شوقياً يمكنُ أن يحسَ بالارتباكِ  
أمامَ مثلِ هذا الاشتباكِ!!
- قالَ شوقياً محظياً وهو يأخذُ بيدي نودعس إلى باطنِ كفيه:
- أجبني نودعس... أجبني كيفَ حصلتَ على ما قلتَ؟
- الأمرُ بسيطٌ معلمي... بعدَ أن حصلتَ على كاملِ أوصافِها...  
قمتُ بصناعةِ ثلاثةٍ مثلها... لقد مرَ ليلى وأنا أنحتُ الخشبَ  
بصمتٍ ويخفاءِ حسبما أريدُ... أو نسيتَ معلمي من إني  
نحثُ في بيتِ الإلهِ اياً!!
- ما أغربُ ما تقولُ نودعس وما أذكاه... حقاً لقد نسيتُ  
هذا... كانَ عقلي لم يصلْ بعدَ إلى سرٍ مثلَ هذا الجوابِ،

وها أنتَ أراكَ قد رتبتَ كلَّ ما يمكنُ ترتيبهُ ... حسناً فعلتَ ايهَا الطيبُ... ول يكن الليلُ أولَ شروعٍ لنا... لن يكونُ الأمرُ صعباً... لنبدأ نحنُ أولاً... وبعدها تتلاحقُ الأمواجُ، بصمتٍ ودون ضجيجٍ... وزع ما تعرفُ حسبَ ساعاتِ الليلِ واعلمُهم إنَّ المعبدَ الكبيرَ محظتنا القادمة!!

- كلُّ ما تقرئهُ مطاعٌ ومعمولٌ به... والآن معلمي، أوَ لا ترتاح قليلاً فشلةً رحلةً طويلةً أما هذهِ الروحِ السابحةِ في قلق وجودها!!

رفعَ شوقياً رأسَهُ ببطءٍ، فاحسَ أنَّ جسدهُ بدأ يذوبُ داخلَ حوضِ من الدخانِ، كانَ يحاولُ الاتكاءَ إلى نورِ ذاتِهِ التي توهَّجَتْ فجأةً، لكنَّهُ أمسكَ بيدي نودعسِ وخلواتِ حاسةِ بالانتشارِ، خطياً معاً باتجاهِ فتحةِ أولِ كهفٍ... كانَ كهفاً مغموراً تحتَ كتلِ من الصخورِ الناثنةِ، بهدوءٍ تمددَ الجسدُ عندَ أولِ فراشٍ وأغمضَ عينيهِ، ظلَّ نودعسُ للحظاتٍ يراقبُ الجسدَ المغمورَ بالضوءِ والنداعاتِ، وما لبثَ أنَّ انسحبَ... انسحبَ مانحاً نفسهَ فرحاً ما كانَ يعرفُهُ من قبلٍ... تبسمَ شوقياً لارتياحِ جسدهِ شاعراً إنَّ الأنقالَ التي كانَ يحملُ قد غدتْ مجردَ خفقٍ ريحٍ، ريحٍ طيبةً ما لبثَ أنَّ أشاعتَ في أعماقهِ صوراً منَ الخيالاتِ... كانتِ اثلاميدٌ تقفُ عندَ بابِ الدارِ، لابسةً هالاتٍ منَ البياضِ، محفوفةً بأطيافٍ منَ الابتساماتِ، لحظةً رأتهُ، شفَ وجهُها بهدوءٍ وامترجَتْ بعطرٍ وجودها، بدأَتْ الخطواتُ تقتربُ... تقتربُ

رويداً... كان شوقياً يحس باقترابها، وكانت تحس بالابتعاد... يحس إنها تريده احتضانه... تريده الامساك بلحظات وجودهما معاً، لكنه كان دوماً يرى إن ثمة من يجره إلى وراء، كانت خطواتها تتتسارع إليه، وخطواته تتراجع دائرةً إلى الوراء، بقلق، بحزن، بعدم ارتياح، همس لها:

- ها أنذا أجيءُ إللاميد!!

قالت بصوتٍ رطبٍ، فيه مسحةٌ من الحزنِ ممزوجةٌ برضاب الرضا:

- لكنكَ بعيدٌ شوقياً... بعيداً!!

رفع شوقياً جسده في فراغِ الفضاءِ، محاولاً اختراقَ مساحاتِ ابتعادِهما، فجأةً راح كل شيءٍ، يكتب المسافاتِ، وفحلت الأرضُ، وصارت مدنُ الأخضراءِ مجردَ رمادٍ... رمادٌ تناشر في أرجاءِ المكانِ... حاول شوقياً الإفلات من قبضةِ وحدتهِ، ولوحَ أزمنةً محبتِهِ، لكنه وجد نفسه تلهث خلف سرابِ من المواجه، كانت خطواته تغدو السير سريعاً، تمشي بخطوٍ محمومٍ، تمنى لو أعادهُ قدرهُ إلى ليل الكهوفِ، لو عادت بهذهِ دائرةً حضوره إلى زمنِ غيرِ الزمنِ الذي يعيشُ، أحس بكيانهِ مغموراً ببركِ من الخيالِ، ثمة حيواناتٍ غريبةٍ التكوينِ تحاصرُهُ محاولةً الانقضاضَ عليهِ، يبتعدُ، يحاولُ الطيرانِ، يصرخُ، لكنها أبداً تقضمُ بقايا جسدهِ المهتوكِ، يتحسسُ أطرافَ أصابعِهِ، يتأملُ أقدامَهُ وهي تطيرُ مبتعدةً، يشعرُ إن ثمةً أنهاها من الدِّيم بدأَت تغادرُ جروفَ أعماقهِ، ارتمى عندَ صفةِ الخوفِ مغموراً بالاسترخاءِ، استرخاءً

مستسلم ضعيفٌ، أغمضَ عينيه ببطءٍ، أغمضَ عينيه بامتنانٍ،  
يا حساستِ عميق بالذلِّ، فما وجدَ غيرَ حيواناتٍ غريبةٍ تحاصرهُ، أفواهٌ  
سودٌ، تضحكُ بصخبٍ مجنونٍ، وعيونٌ تجحُّ غضباً، تنفسَ الخوفَ،  
تعالَت صرخاتُ التوسلِ من بينِ طياتِ حجرتهِ، ولحظةً دلفَ جوفَ  
الوحشِ، فتحَ عينيهِ، كانتْ ثمةً امرأةٌ تبتسمُ بشدةٍ، جسدٌ عارٌ، بضمٍّ  
مثلُ لبنٍ، مفتولٌ مثلُ جذعِ نخلةٍ، أخذتهُ بهدوءٍ إليها ماسحةٌ عرقٌ  
الخوفِ الذي يصبُّ من كُلِّ ما يمكنُ أن يكونَ مفتوحاً، تلمستَ المرأةُ  
بواطنَ حضورِهِ، فاهترَّ الجسدُ شاعراً إنْ نبضاً من السخوناتِ بدأً يعيدُ  
الهدوءَ إليهِ، تلمستَ المرأةُ تعقداتِ الوجهِ وانحناءاتِ الجسدِ ورعاةَ  
الروحِ، فاطمئنَّ الخوفُ داخلَهُ، وبهدوءٍ ارتفعتْ كفُّ رجولتهِ، حاولَ  
الامساكَ بالجسدِ البضِّ، حاولَ السيادةَ فوقَ اشراقةِ الضوءِ، فما لمسَ  
غيرَ فراغٍ ... فراغٌ ما ليثَ أن تكشفَ عن حقيقةِ الرؤيا، كانتْ المرأةُ  
 مجردَ شبحٍ لوحشٍ تقطرُ أسنانُهُ دمًا، أطبقَتِ الأكفُّ على الرقبةِ  
المتوسلةِ، وبصمتٍ أحسَّ إنَّ الموتَ يستحوذُ على كاملِ وجودِهِ، ففرَّ  
مرعوباً، مراقباً ظلةَ الكهفِ ... قالَ بصوتٍ ما كانَ أحدٌ يسمعُهُ سواهُ:  
- يا لها من محنَّةٌ !!

ثمَ عاودَ الاغماضَ شاعراً بهدوءٍ ... هدوءٌ عجيبٌ لكنَّهُ يسريلُ  
الروحِ بفيضٍ من الثقةِ والأمانِ والاطمئنانِ إلى حقيقةٍ لا يمكنُ أن  
يكونَ بعدَ حينٍ.

## الرقيم التاسع - ١٣ -

"أحبكِ مالونيد... أحبكِ يا زهرةً أزمنتي التي لا أبوخ لسوها،  
أحبكِ أبنةً مهنتي، وفرح خطواتي التي عزّزها سن، وملأتها خطواتُ  
الريح حسداً ولوغةً، كنتُ أنظركِ امرأةً آسرةً، على مدى الرفعة فتقوُم  
أوصالي في مباحثِ الأمتنانِ، وشفتاي ترتلانِ وأنا أبصر خطوكِ إلى  
مردوكِ

مالونيد... مالونيد يا امرأة من نرجسِ عتيق، كان خطوكِ  
يهدهُ تراجعي، ويقاومُ سهدي، وبينَ عيني ثمةً مساحاتٍ من  
الارتياح، كيف كانت خطواتكِ تلمُّ أساي؟!!

ماذا عساكِ فاعلةً أن عرفتني سرُّ التراجعاتِ التي يعيشُها  
نبونيد... عمري محصورٌ بين المحنَّة وبينَ الحلمِ الذي ظلَّ عبرَ  
الأزمنةِ، يلتحفُ منامي ويهدُّ أحلامي بالانقراضِ، صارَ معروفاً بينَ  
نبونيد وبينَ سنِ ما غرض، وأرتالٌ من الناسِ الذين لا أعرفُ، ما الذي  
جعلَ هذا السرَّ يسري سريعاً مثلَ نارٍ في جذعِ شجرةِ برنتقالٍ، وضوءٌ  
باصرٌ بينَ الأصفرِ والحرمةِ، ودفعٌ يشيعُ اللذةَ والاسترخاءَ، كنتُ  
مالونيد أتحركُ بصمتٍ،وها هو ليلٌ معبدٌ اي نن ماخ " تحفةُ أمجادُ  
الربِّ أوتو شمش، عمرٌ من السعاداتِ البعيدةِ تتبيسُ فجأةً بينَ هاتيكِ  
الغرفِ السريةِ التي كانتْ تأكلُ وحشتها، غرفٌ خرسٌ امتلأَتْ فجأةً  
بضجيجِ الاحتجاجِ ولوغةِ الظفرِ، كلُّ شيءٍ كانَ واضحاً، والخطواتُ

كانت تقيس حضورها منتظرة... كيف يمكن للبداية أن تكون بهذا الحجم بعد أن ظلت أسيرة وحديها، كنت أبصر فرح العيون وهي تتحقق في صوت صلواتنا، ثم زمن يقترب وزمن يجيء محملاً بما يعزز نور الأجساد... كان سن ماعرض يجلس غير بعيد عنى مراقباً امتداد أعمدة المعبد التي تقف مثل قامات شامخة، ثم فرح يطفو بين عينيه، فرح جعلني أرى في هدوء أيامه سندأ يقيم لوح الاستمرار، كانت المهمة التي نعيش، ترداد اتساعاً، وتزداد أملأ في التحقيق، ولكنني ما ألبث أن أقرأ بين اتساع هاتيك العينين وأطراقها، ثم فلق وخوف وبقايا ألم دفين، بهدوء العارف أندفع اليه، فيتراءع مثل حيوان جريح يلم وجعه، ويبصرني بحزن، كان المدى يأخذ نظراته على اتساعهما إلى هوة الفراغات المؤلمة، فراغات تسقطه في عمق الارتياع، عمق الحزن، عمق التردد، قلت محاولاً دخول عوالمه التي وجدت نفسي بعيداً عنها:

- ما لك سن ماعرض؟

انطفأ ألق عينيه، وغدا البريق وجعاً، ما لبث أن فاض بين أرجاء المعبد الذي اكتظ لحظتين بأصوات التراتيل، كانت سومر بكل صمتها تستيقظ بعد طول سبات، ما الذي يمكن أن تكونه بعد الآن؟!! كان سؤالاً صعباً، لا إجابة، ما دامت خطواتنا لم تر غير درب سومر الذي تكشف عن هدوء واتفاق، ظل سن ماعرض يتحقق في قيامات الأعمدة، متمتعاً بكلمات لم أعد أعي كيف أحل طlasمهها،

كلماتٌ ملأَتْ تقاطيعَ وجهِهِ المبهِمَةِ المشربَةِ بحمرةِ الامتنانِ، بشيءٍ من الفتورِ، قالَ بعدَ أن استقرَتْ أعماقِهِ:

- اي نبنيد... لا تعرفُ ما الذي تجيءُ بهِ الأزمنة؟
- ما حدثَ سن ماغرض جعلني مغموراً بالأمال... ما كنتُ أصدقُ لو حدثي زمني عن حلم تحققُهُ الأيامُ بهذهِ العجالَةِ!!  
قالَ سن ماغرض بصوتٍ أحسستُ معهُ، بأنهُ كانَ يكلُّ نفسهُ وثمةً شيءٍ بعيدٍ كانَ يحاولُ الوصولَ إلَيْهِ من خلالِ نبراتِ الصوتِ الطافيةِ فوقَ سطحِ من التراجعتِ
- نبنيد... ما كلُّ أحلامِنا تحققتَ... والزمنُ قد يأتي بأشياءٍ لا نتوقعُ... أقرُّ إنَّ سومرَ فتحَ عمرها لأحلامِنا بأسرعِ ما كنا نريدُ... ولكنَّ ترانا نستمرُ دونما فعلٍ أكثرَ تأثيراً!!
- سؤالٌ كنتُ أقولُهُ لنفسي قبلَ هنีهاتِ!!
- وما دامت نفسي تسألُ مثلَ هذهِ الأسئلةِ... أوَ عرفَ ثمةَ اجاباتٍ؟!!
- الاجابةُ هي ما يؤرقُ نفسي... ما يجعلني أحسبُ إنَّ ليسَ كلُّ ما نحلمُ بهِ يمكنُ أن يكونَ حقيقةً... سن ماغرض... أوَ مستعدَةُ سومرٍ لما يملاُ الرأسَ... أوَ قادرةً على تحملِ محنتها إنْ فشلَ حلمُ الآمالِ... وماذا إنْ أبصرتَ عيونَنا حلمَ أرواحِنا البائنةِ يموثُ دونَ أن تقدرَ على فعلِ شيءٍ؟!
- الهمومُ نبنيد... الهمومُ تزدادُ اتساعاً... والبلوى تقتربُ!!
- عن ماذا يتحدثُ سن ماغرض؟

- خطٌ ينمو داخل سومر... خياناتٌ وكرهياتٌ... فلق أراه يشرأب فوق القامات !!
- ماذا ... أرى أن ثمة يقينا فيما تقول سن ماغرض !!
- ومنذ متى كنت أتحدث بغير ما يقين ؟
- صعب سن ماغرض ... صعب أن ترى نفسك محاطة بخيانات لا تجد سبيلاً لاستصالها !!
- بل ثم سبيل نبونيد ... ثم سبيل لكل ما يعرض طريق الأحلام !!
- كيف ... وأنت توهج نار مخاوفي ؟
- أو وجد الملك طريقة آخرأ لما نريد الوصول اليه ... أو تريد الاستمرار مع سومر دون سواها ... أو تريد إليها الكاهن المبارك بفعل سن أن تظل أسير سور تيمين ... أو تجزأ الحلم ... وأطمأنت النفوس إلى ما أرادت ورغبت !!
- محال هذا إليها الصديق ... محال أن أجده نفسي متجرأة ... كيف للهدف أن يتجزأ الحلم ... الحلم حلم حتى وإن كان صعب التحقيق بعيد المنازل ...وها هو حلمي بين يدي ... أبصره يقف مراقباً خطونا الآخر ... الخطو الذي يكمل الآمال !!
- الآن ... الآن نبونيد ... اطمأن القلب وخفقت راية الروح ... الآن بدأ النبض يعلو !!
- وما دمت الآن كما تقول ... هلا حدثتني عن صمت مخاوفك !!
- هنا ... بين أكواخ هذا الركام من المخاوف ثم نار تشتعل أحقادها ... تحاول إيقاف ما نريد !!

- من سن ماغرض... من ذا الذي يكره لأرض السواد وحدتها؟
- سؤال كنت أظن إن اجابته تمور بين شفتاك !!
- حتى لحظتي هذه أصدقك القول أيها الصديق... ما كنت أصدق إن حدثني أحد أن ثم من يقف في طريق وحدة آمالنا !!
- بل كان عليك أن تومن... هل ترى في أبناء يهودا سندًا لوحدة أرض السواد؟
- لماذا... ماذا سن ماغرض أراك تتحدث عن هذهاش النفايات وكأنها ضرورة وجود !!
- بلى... أن لها أيها الطيب وجوداً لابد من استئصاله... هؤلاء كبرت مخاوفهم وباتوا يكرهون لسومر بابل اتحاداً آخرأ... لم تشفَ أحقاد قلوبِهم... من ذا ينسى أيام ما كان السبي... فعل تقوله الأجيال ولا أظنه قادرا على الانحصار ما دامت أرض السواد عامرة بالانسان !!
- الآن... الآن فقط بدأ أدرك مخاوفك !!
- ما دمت قد أدركتها... ماذا يمكن أن تقول؟
- ليس ثمة فرقٍ بين ما سنجدهُ في بابل ونراه هنا... أفكز في أن يبدأ فعل السييف... لابد من أن تحتشد الأكف... لنبدأ الخطوة صوب التطهير... لنبدأ أولاً بتطهير كل تلك الآثام، لنعيد لسومر مبارجتها... وبعد أن يستقر الأمر... تبدأ رحلة الخلاص الكبرى... بابل تنتظر مثثما تنتظر أريدو وكيش ونفر وكل أرض السواد... حلمي لابد أن يتحقق... مadam سن معنا... فلابد من درب نير ومستقر !!

- الفكرة صائبةٌ وما أرى غيرَ ما قلتَ... مباركٌ أنتَ نبونيد... مباركٌ  
خطو سومر بوجودِك

كنتُ أرى إن الأيام تمنحنا بعضَ بعائِها، فأخذتُ يدي سن  
ما غرض إلى عمقِ روحي حاساً إن ثم دفءاً بدأ يسري بينَ  
الأعماقِ... دفعةً أسلهم في تقريبِ ملامح وجودنا، كانت سومرُ  
المحاصرةُ بكتلٍ من الأجرِ المهدوم ونواحِ الخمول تبصرُ الاستعدادَ،  
وأراها تلاحقُ خطواتنا بعبارةٍ أمَّ عارفةٍ نهايةً المطافِ، أنهضتْ سن  
ما غرض، كانَ علينا أن نخطو باتجاهِ بيتِ النسوةِ لترى ما الذي جعلَ  
مالونيد تبطأً في حضورها!!

خطّتْ أقدامُنا بهدوءٍ، كنثُ أرى من خلالِ الباحةِ امتلاءً  
بشعاعاتِ شمس ورفقةِ حمائمِ سومرِ البيضِ، فتطرُبُ داخلُ  
أحساسِي، وتتنشى شفاهُ عمرِي المسكونِ بالانتظارِ، ضغطُ سن  
ما غرض فوقَ كتفي، وهمسَ:

- فالْ حسَنُ أن ترى حمائمَ بيضاً تجوبُ سماءِ بابل!!

- أو هكذا تعتقدُ؟

زفرَ سن ما غرض باريّاح، ومذَ يدَهُ صوبَ الفراغِ، محاولاً  
الامساكَ بشعاعِ شمسِ التي ازدادَتْ حدةً، ثمَ بياضاً بدأ يسريلُ  
الوجودَ، بياضٌ غمرَنا تواً بهدوءٍ عجيبٍ جعلَني أتمنى لو إنَّ الأزمنةَ  
استقرتْ على ما نحنُ عليهِ، قالَ سن ما غرض وهو يمسُك بحمامةٍ  
استقرتْ بفتحةٍ بينَ يديهِ:

- انظرها... انظرها جيداً نبونيد... علَّكَ تراها ذاتَ يومٍ!!

أخذت الحمامَةَ إلى كفي، كانت تحدقُ بعينينِ لؤلؤتينِ فيهما استسلامٌ غريبٌ، رفَّ الجناحُ محركاً الهواءَ بفتورٍ ما لبثَ أن تحولَ إلى حركةٍ صاحبةٍ جعلتَ الملكَ ينفجرُ ضاحكاً ويمسُدُ الرأسَ بحنانٍ، ورويداً يفلُت يديهِ فتطيرُ الحمامَةُ خافقةً الهواءَ بدوايرٍ، ظلَّ سن ما غرضَ يراها بفرحٍ، بهدوءٍ أمسكَ بيدِ الملكِ الذي مسحَ دموعَ عينيهِ ناظراً إلى الأفقِ الذي امتلأَ بضياءاتٍ صفراءً محمرةً، قالَ سن ما غرضَ محاولاً الامساكَ بلحظةِ الهدوءِ التي عمَّت الروحَ:

- يا لها من حمامٌ بيضٌ... فالْ حسنُ نبونيد... فالْ حسنُ !! أطرقَ نبونيد للحظاتٍ متنهداً الحزنَ الذي كانَ يحاولُ التمسكَ بأرضِ وجودِهِ، حزنٌ كانَ يطاردهُ مثلُ ظلهِ منذُ وطئتَ أنفاسُ الأرضِ التي يحبُّ، قالَ بعدَ أن عبَّأَ ريشاً باردةً خفتَ فجأةً:

- أو تدري سن ما غرضَ كم راودتَ أحلامي تلكَ الحمامَةُ... كنتُ أراها متعجبًاً وجودَها، متسائلاً عن معنى وجودِ مثلَ هذا الزخمِ من الحمامِ البيضِ وسطَ ساحاتِ المعبدِ وممراتهِ، كانَ المعبدُ يعومُ فوقَ سطحِ من الأوهامِ حاولتُ الاستدلالَ عليهِ، بحثُّ بينَ أزقةِ بابلَ فما وجدتُ لهُ شبيهاً...وها آنذا أراهُ متجسداً ما أن تحطُّ خطايَ أرضَ سومر... أيُّ معنى لحمٍ يظلُّ حبيسَ أنفاسِكَ وفجأةً تجدُ عمركَ محاصراً بذراتِ حضورِهِ... ولمَ سومر دونَ سواها تلكَ! التي تمتلأُ فضاءاتها بهذهِ الودائعِ الأسرةِ... بياضٌ يتحركُ وسطَ زرقةٍ داكنةٍ... وهديلٌ ممزوجٌ، وتراتيلُ الشفاهِ التي تمجدُ الأريابَ، هدوءٌ وجُلٌّ، وخطواتٌ تبحثُ عن سرِّ وجودِها، تبدو أزقةُ سومرَ وحاراثتها مملوءةً بالانتظارِ، مملوءةً

بالصمتِ المتربِّ، وما أن يحطَّ سنٌ فوقَ خيمةِ مساعاتهِ حتى تنفجرَ  
مثلَ امرأةٍ موجوعةٍ بآلافِ الهممَاتِ والنواحِاتِ، ليلٌ تعباءُ الأحزانُ بعدَ  
أنْ كانَ مويوعاً بالمسراتِ وأغانيِ الحصادِ، انكفتَ الأرواحُ إلى  
صمتها وغداً الهمسُ أنيناً راغباً باجتيازِ محنَةِ الركودِ... كانَ حلماً  
محنوناً... أتراني كنتُ أحلمُ سنَ ماغرِضِ، أمْ هي رعافاتُ الروحِ التي  
كانتَ تجذلُها مستقرّاً بغيرِ أرضِ الأحلامِ... كانَ حلمي يتوسدُ  
الخطواتِ فأظلُّ من خلالهِ أوجُسُ في مدنِ سودٍ تعجُّ بالدخانِ، وممراتِ  
مسكونةٍ بالصرخِ الذي ما يلبثُ أنْ يتحولَ إلى نباحٍ وعويلٍ و 啼يرِ،  
كانَ همسِي المتسللُ يتحوّلُ إلى رجاءٍ، رجاءً بالكافِ عما أعيشُ، لم  
أعدْ أعيَ ثمْ فرقاً بينَ اغماضِ عيني واتساعِ ماقِي الضوءِ، اختلطَتْ  
ممراًتُ الضوءِ بممراتِ العتمةِ، ولمْ يعدَ البعُدُ يساوي شيئاً أمامَ كلِّ تلكَ  
الأنثيالاتِ البايعةَ على رغبةٍ في البكاءِ، ما كنتُ بقدارِ على مكاشفةِ  
أحدٍ ما بأحلاميِّ، حتى تلكَ المرأةِ التي أحبُّ، المرأةُ التي كانتَ تراني  
أهيمُ في بحورِ فلقي، فتنطفأُ مثلَ سراجٍ، تلكَ كانتَ أشدُّ إيلاماً،  
وفتكاً.. كانتَ تداعبُ جدائِ قلقي محاولةً اجتيازَ سطورَ ما تريدهِ  
الأمهاتُ معرفتهِ، محنَةٌ أنْ ترى أمّ ولدَها يغرقُ في بحرِ منِ  
الاضطراباتِ دونَ أنْ تقدِّرُ على إبداعِ ما يمكنُ أنْ يقدمَ لهُ العونَ،  
محنةٌ أنْ ترى ولداً لا يمكنُ أنْ يبوحَ بما يمورُ به لامرأةٍ يحبُّ... كانتَ  
تأخذُ رأسِي إلى حضنِها ممسدةً همومَ مواجيِّي ولحظةً تراني أهدأُ  
وتخرُّ دواخلي ، تهمسُ مثلَ منْ تحدثُ الوهمَ:

- أواه نبونيد...أواه ما تفعله بروحك... أراكَ تموتُ في حضني دونَ  
أن أقدر على فعل شيءٍ... تعبَّ أنت، وأمُكَ لا تعرفُ منبعَ هذا الحزنِ  
وهذه اللوعةِ... ما الذي تريده الوصولَ اليه... قل لي لأدلكَ علىَ  
مبغَاكَ... أوْ يعشقُ قلبُ ولدي... أوْ أصابةُ سهمٍ عشتارَ فادماه...  
قل شيئاً... دلني الى ما تريده، ولوسوفَ تراها بينَ يديكَ ما أن تشرقَ  
ضياءاتِ شمسِها، تراها حتى وإن كانت ابنةُ انليل ربُّ أربابِ الآلهةِ  
نفسُها، فقط ولدي نبونيد افتح لي قلبك لترى الأمَّ التي تحبُّ، ما الذي  
أصابَ ولیدها، العشقُ... العشقُ هو ما يدمُر رؤوسَ الرجالِ، ويحيلُ  
أيامَهُ الى رمادٍ... افتح فوائدَكَ نبونيد اتري الأمَّ ما أصابَ ذاكَ القلبِ  
الذى كان يسبحُ زمردِ من الضحكاَتِ... أوْ ترقبُ شيئاً ما يجيءُ... قل  
لي لأجيئكَ به... أوْ بخلتَ عليكَ أمُكَ بشيءٍ... أوْ سمعتَ منها كلمةً  
لا يوماً... أقطعُ شفتي عندَ منبعِ مرووكَ إن أنا قلتُ لا... أوْ  
بخلتُ... كنتُ أعدُّ نفسي من أجلِ اسعادِكَ فما لكَ تسهمُ في  
تعذيبِي... أقسمكَ بحقِّ ايَا ومردووكَ... بحقِّ من تريده من الآلهةِ أن  
تحدثني بما يخربُ هذا القلب!!

- ما الذي أقولُ ايتها الأم... في القلبِ أشباحُ أشياءٍ لا أدرِي كيفَ  
أضعُها بينَ يديكِ... لكم أرغُبُ بهذا، لكم أرحبُ بأنْ أنفضَ عن هذا  
القلبِ همومَهُ... ولكنِي لا أدرِي إن كان قلبُ الأمَ يتسعُ لآوجَاعِ  
الوليد!!

- أيُّ قلبٍ هذا الذي لا يتسعُ لما تفوهُ به حلوقُ الأحبةِ... كيفَ  
يمكُنُ أن يكونَ الحبُّ حباً... إن لم تتسعَ القلوبُ للواقعِ بعضِها...

أُسْفِي أَنْ أَنْتَ وَضَعَتْ نَفْسَكَ هَذَا الْمَوْضِعَ... كَيْفَ لَا تَدْرِي إِنْمَا يَخْفُقُ  
قَلْبِي مِنْ أَجْلِ وَجْهِكَ فَقْطَ... أَيُّ مَعْنَى لَوْجُودِي دُونَمَا وَجْهِكَ...  
عَاجِزٌ لَا حَاجَةَ لِي بِهِ هُوَ الْقَلْبُ الَّذِي يَخْفُقُ بِغَيْرِ حِبَّكَ... قُلْ وَلَدِي،  
قُلْ فَقْلُوبُ الْأَمْهَاتِ أَكْثَرُ وَضُوحاً مَا تَظَنُّ أَفْطَنُ فِي الْفَهْمِ... قُلْوَاهُنَّ  
تَسْجُلُ كُلَّ نِبْرَاتِ الْأَصْوَاتِ وَبِخَاصَّةٍ تَلَكَ الَّتِي تَطْلُقُهَا حَنَاجِرُ الْأَبْنَاءِ  
الْأَحْبَابِ!!

- يَا لَكَ مِنْ أَمِ رائِعَةٍ... وَيَا لَيْ مِنْ وَلِدٍ مَتَعِبٍ!!  
- أَوْ هَذَا كُلُّ مَا يَمْكُنُ أَنْ تَقُولَهُ نَبُونِيدُ... أَوْ هَذَا هُوَ مَا يَتَعَبُ الْقَلْبَ  
وَيَكْدُرُ صَفَوَ الْمَحْبَةَ... قُلْ نَبُونِيدُ... قُلْ بِحَقِّ أُمِّكَ الَّتِي تُحِبُّ مَا الَّذِي  
يُوَغِّرُ صَدَرَ أَيَامِكَ عَلَيْكَ؟

يَتَحْرُكُ الرَّاسُ وَتَغْمَضُ الْعَيْنُ ارْتِبَاكَهَا... مَا كُنْتُ أَعْرِفُ كَيْفَ  
أَبْدِأُ... وَلِمَ كَانَ عَلَيَّ الْبُوْخُ... حَاوَلْتُ الْاِبْتِعَادَ عَنْ سَرِّ الرَّوْيَا مَعْلَنِا  
إِنْ ثَمَ أَسَى دَفِينَا، أَسَى مَا كُنْتُ قَادِرًا عَلَى اعْلَانِهِ... كَيْفَ يَمْكُنُ  
لَامْرَأَةِ مُثْلِ أُمِّي أَنْ تَفْهَمَ شَيْئًا عَنْ حَلْمِ الْحَمَائِمِ الْبَيْضِ وَالْمَعْدِ  
الْسَّابِعِ بِاللَّازْوِرِدِ، كَيْفَ يَمْكُنُ لَامْرَأَةِ ظَلَّتْ طَوَالَ عَمْرِهَا تَنْتَظِرُ إِلَى درِبِ  
سُومَرَ وَهِي تَنْشَفُ مَدَامَعَهَا بِأَسَى وَارْتِيَاعٍ، وَأَنْ تَعْرَفَ إِنَّمَا هِيَ حَقِيقَةُ  
لَمِّ الْأَشْلَاءِ مَا يَتَعَبُ صَدَرَ اللَّدِ الَّذِي تُحِبُّ، أَوْ أَحَدُهُنَّ عَنْ سُومَرَ  
وَدَمَارَتِهَا، وَهِيَ الْعَارِفَةُ بِأَنَّ الدُّنْيَا لَا تَسَاوِي وَمَضَّةً ضَوِيعَةً أَمَّا تَلَكَ  
اللَّحْظَاتِ الَّتِي عَاشَتْ، كُنْتُ أَرَاهَا أَحْيَانًا تَغْمَضُ عَيْنِيهَا لِزَمْنٍ وَتَرْكُ

مثل ماءٍ في إناءٍ، تتوقفُ الأنفاس وتحبسُ الرؤيا، ويصمتُ تفيفُ  
الآلام وتنهي مطلاً لولوةَ الحزنِ:

"سومر يا حزن الأيام... سومر يا وجع القلب الأبدى

سومر يا كلَّ مسراتِ الدنيا... يا حزن الأزمانِ"

تفيفُ الماقي بالحزنِ، وتمتلأ باحثة الدارِ بغيانٍ لا أعرفُ من  
أين تجيءُ، ما كنتُ سن ماغرض قادرٍ على اعلانِ تلك المخاوفِ  
أمامَ امرأةٍ مثلها، امرأةٌ مثلُ زهرةِ نرجسٍ تفوحُ... وتفوحُ دونَ أن يحسُ  
بوجودِها أحدٌ... مجنةٌ سن ماغرض تلك التي كانت تقييمها لي  
أحلامي... وفجأةً وجدتُ نفسي تقييمُ هنا... هي تلك الحمامُ  
البيضُ... كان خرابُ سومر يساوي بياضَ حمامِها!!

لم يفهُ سن ماغرض بشيءٍ فقد كان يرى ولوچَ أنفاسِه عالمَ  
الصبي الذي يؤهلُ أحلامه، لتكونَ أحلامًا ملكيةً، أحلامَ صبيٍ كانَ  
يعرفُ امتداداتِ الأرضِ ترى في مناماتها مثثما يرى، كانت شيطانَ  
الأنهارِ تتلو ليلَ رواه، وتنجذبُ قاماتِ النخيلِ بواعثَ أزمتهِ، ويجيءُ  
شمسُ نافضاً حمولاتِ عريتهِ فوقَ الرؤوسِ الموهومةِ فتقفي لأحلامِ  
كانت تظنُها ميتةً، ظلَّ سن ماغرض يرى على الأحلامِ مخترقَةً زرقةً  
السماءِ ويرى من خلالِها أن ثمَّ بقعا بدأَت تتلوُنْ بلونِ الدمِ، فأطلقَ  
تأوهَةً حزنٍ ونفضَت عيناهُ دمعتينِ حارتينِ، حرارةً أزمتهِ، فأحسنَ  
جسدُه بالارتفاعِ، ودارَت الحماماتُ عادلةً بصوتٍ واحدٍ جعلَ نبونيدَ  
يبتسمُ بلطفِ ناسيَا خوفَ ماضيهِ، احتضنَ الحكيمَ نفسهَ اليهِ،

ويكى... بكى بنشيج موجع، كانت أعماقه تعرف إن الدرب الذى قررت سومر اجتيازه لابد وإن تعدد الدماء، ثم خيبة أمل يعيش، وثم احساس بالخوف والانكسار، وثم احساس بخيبة الأمل... كان السؤال يتوج حلق رأسه مطالباً بإعلان وجوده المعذب للذات، أو لا يمكن تحقيق الأمر دون دم يراق... إلا يمكن أن تكتمل الأحلام دون تأوهات حزنٍ ونواحٍ نساعٍ... أو لا يقدر سن وهو الذي بنى أفكار الجماجم أن يسهل المهمة ويتوجهها بغير ما خراب، كانت سومر تقف لحظتين بين عيني الكاهن وتبتسم بين عيني الحكيم، كلاهما كان يجوس عذابه دون أن يحاول ايقاف حلم الآخر، ضجَّت الحمامات بفتة، وامتلأت ساحة المعبد بضجيج ما لبث أن تحول إلى هدوء آسر... كانت مالونيد تقفُ غير بعيدٍ عنهمَا وهي تحدق مبهورةً بتلك البياضات التي تحس انتقامتها لساحة المعبد وممراتِها التي بدأت تكتظ بأنفاس الارتياح، رفع نيونيد وجهه، فبشَّ بابتسامةٍ أليفةٍ، ورفع يديه محياً، كانت مالونيد تخطو مثل ملكةٍ تعرف إن ثمة قراراً صعباً ينتظر وجودها، رفعت يدها رادداً التحية فتبسمَ سن ماغرض، وبهدوءٍ أعلن أسف انسحابه، ظلت مالونيد لزمنٍ تراه وهو يخترق عتمة الممرات الرطبة محاولاً الوصول إلى حيث كان آين ينتظر، تبسم نيونيد وأخذ باليدين الرقيقتي التكوين إلى صدره، ثم خيط ازرقاقٍ دقيقٍ يسري من بين مساماتِ الجلد، كانت اليُد المعروفة تحس دفء وجودها بين تلك

الكتل الواجهة مثل موقد نار، قال نبونيد وهو يقبل اليـد بشيء من الرقة محاولاً اشاعة الفرح بين جوانح المرأة التي يحبـ:

- اي مالونيد، ما أعتذر وجودك معـ؟!!

ضـحت المرأة بـفخر ملكـي، وأطـرقـت لـبرهـة وقتـ، مـتأملـة آجرـ البـلاطـ المرصـوفـ بـانتظامـ غـريبـ، رفعـ المـلكـ اليـدـ الثـانـيـةـ وـطـبعـ قـبلـةـ بطـيـئةـ بـحـبـورـ فـوقـ مشـابـكـ الـكـفـ، كـانـتـ المـرـأـةـ تـحـسـ إنـ فيـ أـعـماـقـهاـ ثـمـ شـيـئـاـ يـتـحـرـكـ بـأـمـانـ، وـكـانـ الرـجـلـ يـرىـ فـيـ المـرـأـةـ حـافـزاـ يـؤـكـدـ حـضـورـ الـمـلـكـيـ، تـأـوـهـتـ الـمـلـكـةـ وـحـرـكـتـ أـصـابـعـهاـ بـفـرـحـ وـأـنـشـاءـ، كـانـ ثـمـةـ سـرـ تـحـاـولـ الـبـوـحـ بـهـ، سـرـ يـجـعـلـ فـيـ الـكـاهـنـ الـحـالـمـ دـوـمـاـ بـتـلـاحـمـ مـعـ أـرـضـ السـوـادـ، يـطـيـئـ سـابـحاـ فـيـ أـعـماـقـ آـبـارـ السـعـادـةـ وـالـأـمـانـ، قـالـتـ وـهـيـ تـخـطـوـ وـإـيـاهـ صـوبـ شـرـفةـ الـمـعـبدـ الـمـكـنـظـةـ بـآـلـافـ الـحـمـائـمـ الـبـيـضـ:

- كـيفـ أـنـتـ مـالـونـيدـ؟

قرصـ الـمـلـكـ يـدـ الـمـلـكـةـ بـبـطـءـ، وـدـغـدـغـ بـاطـنـ كـفـهاـ، فـنـظـرـتـهـ مـغـمـورـةـ بـالـأـنـوـثـةـ، قـالـ:

- كـماـ تـرـىـنـ الـأـيـامـ تـمـضـيـ وـنـحـنـ نـقـرـبـ مـنـ النـهـاـيـةـ!!

- نـهـاـيـةـ مـاـذـاـ نـبـونـيدـ... وـسـوـمـرـ لـمـ تـتـحرـرـ بـعـدـ؟!!

- هـذـاـ مـاـ أـسـمـيـهـ نـهـاـيـةـ... لـابـدـ لـسـوـمـرـ أـنـ تـتـحرـرـ... وـلـابـدـ لـهـذـهـ الـلحـظـةـ مـنـ أـصـاحـيـ... لـأـرـيدـ مـالـونـيدـ أـنـ أـزـيـدـ هـمـ الـأـمـهـاتـ هـمـاـ... وـحـزـنـ الـحـبـيـبـاتـ حـزـنـاـ لـأـرـيدـ لـسـوـمـرـ أـنـ توـغـلـ فـيـ خـرـابـ وـجـودـهـاـ... مـاـ جـئـتـ لـأـضـاعـفـ الـخـرـابـ.. هـذـاـ مـاـ يـجـعـلـنـيـ أـرـتـجـفـ اـنـتـظـارـ مـالـونـيدـ!!

- أو تريد السماع مني أيها الملك الذي أحب؟
- ومن لا يريده سماع نفسه... منذ أزمان بعيدة تعودت أن أحذث نفسي وأشاورها... فما للفسي تريد اليوم أن لا أبوح لها بما في أعماق الروح!!
- أطرقَ مالونيد رأسها طويلاً، وطويلاً ظلَّ الملك يتأمل سقوط الليل فوق منسراح الكتفين، كان يحسُّ أماناً وهو يراها تقفُ ازاء وقوفه، ببطءٍ رفعت رأسها وحدقت في انكسار العينين المنتظرتين، كانت ترى إن ثم ما يجعل زوجها يتوجسُ خيفةً من الدم، قالت وهي تريث على الكتفِ المتهالِل التعب:

  - اي نبونيد... هل يمكن للأرباب أن تقبل انساناً دونما أضحيات؟
  - لا يمكن للانسان مالونيد أن يؤكد حضوره دونما قرابين واضحياتٍ وذورٍ!!
  - وسومر، ألا يحق لها أن تطالب أبناءها بمثل هذه الذور؟
  - لكنهم دفعوا من آلامهم الكثير مالونيد... لم تعد قلوب أهل سومر تحمل الوجع كنث أحوال زرع زهور البهجة لأكفان الموت... التردد مالونيد يجعلني أريد الانسحاب من حيث جئت!!
  - وتترك سومر لعذاباتها ولمراره أيامها... تطفئ النار التي أشعلت... تقتل بهجة القلوب التي ترى في أحلامك خلاصاً... تميُّث ألق السنوات بين جوانح الأمهات الحالمات برد الاعتبار إلى تلك الأرواح التي قاومت ظلمات الليل... كم من السنوات مرّت وسومر ترفل تحت وابل الانهزم... كم من الوجوه اندثرت وهي موشومة بقهر

العجز... أتريد سداً الطريقَ التي حفرنا ميسماها بتعبِ الليلالي وقهرِ  
الأيام؟

انحنت رقبة نبونيد، وظلّ يداعب بطرفِ اصبعه فسحةَ الاجرِ  
القاعدةَ أمامةً، كان يهيئُ في خلواتِ أسالتها الباعثةَ على الخوفِ،  
تتعثرُ الخطواتُ في أكواخِ من الجماجم المنخورةِ والأجساد المتعفنةِ،  
يحاولُ النهوضُ والاتكاءَ إلى نفسهِ، لكنه ما يلبثُ أن يعاودُ الاتكاءَ،  
قالَ بعدَ أن وجدَ نفسهَ واقفاً ازاءَها:

- لا أدرى مالونيد... لا أدرى ما الذي يمكنُ أن أقومُه الآن؟
- جوابٌ غريبٌ نبونيد... جوابٌ ما اعتدتُ سماعَه منكَ... كيفَ  
يمكنُ لرجلٍ مثلَكَ استهلاكتهُ مواجهُ الأحلامِ أن يقولَ لا أدرى... اذا ما  
كنتَ تقولُ عن أهمِ حلمِ لديكِ إنكَ لا تدري... فماذا عن باقيِ الأحلامِ،  
ماذا عن صباحاتِ بابلِ واحزانِ لكتش... ماذا عن نفر وكيش... ماذا  
عن ظمآنِ النهرينِ لجسدِ الحبِّ... ما الذي يمكنُ أن تقولهُ لسنِ إن  
 جاءَ وسائلَ... لا أدرى، يا لها من كلمةٍ... ويا له من احتياجٍ  
 ضعيفٍ!!
- لا تلومي ندمي مالونيد.. لا يمكنُ أن أحبَ الموتَ... لحظةٌ يصلُ  
 حلمي عندهُ تتبّيسُ الآمالُ !!
- ما أغربُ قولَ نبونيد... تتبّيسُ الأحلامُ إن هي ترنو بفعلِ يرنو  
إلى أصلِ وجودِها
- الدمُ... الدمُ مالونيد هذا ما يفزعني!!
- ولحظةٌ يفزعُكَ الدمُ تقتلُ حلمَ سومر؟

- محال أن أكون أنا... محال أن ترحل يدي صوب جريمة بهذه...  
بـث أيتها المرأة التي أحب.. لا أفرق بين حلمي والقلب وسومر...  
غدت الأشياء واحدة حتى تلاشت الفروقات..

أطلقت مالونيد فرح أعماقها بضحكه ما لبّثت أن طارت في  
الأرجاء مثل حمائم المعبد... كانت تعرف إن نبونيد إنما يضعها  
راجحة أحلامه، لكنه كان يتقصد في ألم البوح، ظل نبونيد ينظر اليها  
محاولاً الامساك بخيط الفرح الذي أنسدَ بينهما، كان قلبُه يهفو اليها  
اهفاء طفل لأمه، صدر مملوء بالحنان، وعينان تشعلن ألقاً، وارتياح  
يجعله يتمنى لو أجلسها اليه طوال وقته، كانت مساحة المعبد تمور  
مثل جسد مضطرب، وثم نداءاتٍ تأتي ممجدة سن في علياء وجوده،  
كان نبونيد يصغي إلى الصوت مأخوذاً بالاندغام، عالمٌ وجَّد نفسه  
يلبسه هيبة الرضا ويضع بين يديه آمال سنواته الطوال، ثم عقد خفي  
بين أروقة المعبد وحجرة القلب الآمل بالانشداد إلى عالم يريد بناءه،  
عالم محفوف بزهور الأمجاد وفاحر الحب، لا يمكن للإنسنة أن  
توسس لها فيه وجوداً، فجأةً كان يتحقق في مشاخص الدم، وبخاراتٍ  
لا يمكن أن تنتقطع أبداً، بدأت السماء تأخذ لون الاحمرار، واصطبغت  
الأرض بخطوطٍ حمرٍ ما لبّثت أن تبيست فوق هامات الهم والانتظار،  
حاول جاهداً محى رؤأه الساخنة، حاول إزاحة تلك العوالم التي جعلته  
يفوز خائفاً، كان لحظة يغمض عينيه يجد روحه تهيم في مخاوف  
الارتداد، لا معنى له في دون دم!! كان الصوت الغريب يلاحقه، يدير

رأسه ناحية الجدار فينهمز النداء، أو يخافُ الدم أن يسعي إلى وحدة  
أرض السواد؟

ببطء يفتح عينيه، مراقباً انشقاقَ الجدار، كان الصوت الذي  
ملاً أذنيه يخرج من خلالٍ هوةٍ عميقٍ، مدّ رأسه متفحصاً محاولاً  
الوصول إلى مصدرِ القلق، فلم يجد غير فراغٍ يسبحُ في ظلمةِ أزليّة،  
انطبقَ الشرخُ فعاودَ الصوتُ الواقعُ النبراتِ، العذبُ مثلُ ماءِ ندائهِ :

- ما الفائدة، إن أنت حلمت دونما فعلٍ يصنع؟

استدارت الرقبةُ باحثةً عن الصوتِ الذي أحسَّهُ نبونيد يأتِي من  
عمقِ الروحِ، حركَ يديهِ سريعاً فوقَ الصدرِ الموجوعِ والمشتولِ بمزارعِ  
سودِ، كان يريثُ طردَ صدى النداء... فتحَ عينيهِ أغمضَهما، فتحَ  
أجفانَهُ وسلكَ صوتهُ متزنةً بترتيلٍ بابليٍ قديمٍ تذكرهُ فجأةً، كانتْ أمَّهُ  
تقولُ لحظةً يركبُها الهمُ والوجودُ:

- ليكن قلبكَ سليمًا بالغناهِ نبونيد... ليكن قلبكَ أعزَّلَ أمامَ الحبِّ!!

- كيفَ يمكنُ لانسانٍ يغقي وهو حزين؟

- بل إنَّ أجملَ الغناءَ ذاكَ الذي تخرجهُ قلوبُ موجوعةً!!

- لا أصدقُ يا أم، لا أصدقُ إنَّ القلبَ أن تمردَ وخلفَهُ الحزنُ قادرًا  
على ابهاجِ الروح... ما أسمعُهُ عندَ شطوطِ بابلَ ما هو بغناءٍ بل  
لواعجِ نفوسٍ مدفونةٍ وسطَ مقابرِ من الحزن... أحزانٌ توارثتها  
حناجُّنا فبتنا لا نطربُ لسواتها، حتى لحظةٍ ينفقُ الفرح... لا  
تسمعُ غيرَ فرحٍ ممزوجٍ بحزنٍ، تعودَت شفاهنا مغازلةً أيامِنا  
بأصواتِ أربابِ الحزنِ والمحنةِ والسؤالِ المجهولِ... أعرفُ يا

أُمٌ... أعرفُ إنما الغاء دافعُ الروحِ واعلانِ وجودها... فما لِتَالِكَ  
الأرواحُ لا تشربُ مع ماءِ الفراتِ والدجلةِ سوى الحزنِ... أو  
تعرفينَ يا أُمٌ أي معنى لهذا؟؟!!

أو تعرفينَ أيُّ معنى بأنْ تغنى الأمُّ لوليدِها الراضعِ بهجةَ الدنيا  
توً، أغاني عن العداءاتِ الآتية، والاعتذاراتِ التي لا مبرر لها  
والأزمنةِ التي ستقتربُ من بينِ يديهِ دونَ أنْ يحسُ!!

- هو ما سمعتهُ الأمهاتُ عن الأمهاتِ، ورددَهُ الآباءُ عن الآباءِ!!

- آهِ يا أُمٌ... آهِ إنْ تبقى أرضُ السوادِ محزونةً إلى بعيدِ الأزمنةِ!!

- ربما يكونُ هذا قدرها الذي قدرتهُ الأربابُ!!

- مدينةٌ مثلُ بابلَ قدرُها الحزنُ... ماذا عن المدنِ الأخرى... لمْ  
تقرُّ تلكِ الأربابُ قدرًا كهذا... وأيُّ فائدةٍ تجني... لمْ نحنُ دونَ  
سواناً مَنْ يملأُ جوانحنا الحزنُ... لمْ لا ندخلُ أزمنةَ المساراتِ...  
لمْ صارَ كُلُّ ما يحيطُ بنا واجماً مأخوذاً بتراثِيِّ الحزنِ... حتى  
سن ساعَةٍ يجيءُ تبصرهُ حزيناً... أسفًا... تحاولُ الانقِيادَ إلى  
ضياءِ أحلامِهِ فما تلبثُ الأحلامُ أنْ تصيرَ خراباً وتتوغلُ في  
دهاليزِ الارتباكِ!!

- أراكَ ولدي نبونيدِ تريـدُ لأـحلـامـك الشـقاـءـ؟؟!!

- بل أحـلامـي تـريـدُ شـقاـئـي... وتدفـغـني إـلـى صـرـةـ التـهـلـكـةـ...!!

- حاذـرـ ولـديـ نـبـونـيدـ... حـاذـرـ فـرـيـمـاـ تـكـوـنـ الأـحـلـامـ هـلاـكـاـ لـلـنـفـوسـ!!

- هذا ما أـحـسـهـ يـاـ أـمـ وـأـخـافـهـ... أـخـافـ أـنـ تـدـفـغـنيـ أحـلامـيـ إـلـىـ ماـ

- لاـ أـرـيـدـ... إـلـىـ أـمـاكـنـ تـنـطـمـسـ روـحـيـ بـغـرـابـةـ الـأـفـعـالـ!!

- كف عما يؤذى النفس ولدي، ولتستقر روحك عندَ الربِّ مردوك!!  
- ايتها تفعلُ... وليتني أستطيعُ... في الرأسِ أكوامٌ من الأحلام...  
في الرأسِ دروبٌ لا قدرةَ لي على سلوكها، مدنٌ لا أدرى كيفَ  
تجيءُ الى شغافِ القلبِ فجأةً وتضيئُ في دخانِ الأيامِ مثلاً  
جاءت

- ليكنْ مردوكُ عونَ ولدي... ولتكنْ أيامُه حافلاتٍ بالسعادةِ  
والآمالِ !!

تضُعُ الأمُّ وليدَها في حضنِ ارتباكيها، كانتْ تعرفُ انما يمتلأُ  
قلبُ الفتى بما لا قدرةَ له على حملِه، أشياءً كانتْ تراها ببصيرةِ الأمِّ،  
لكنَّها لا تعرفُ لها حضوراً واضحَاً، مسدَّت الرأسُ فأحسنَ بقشعيَّةِ  
تسري بينَ أوصالِه، وما لبثَ الجسدُ أن استرخيَ وهمدَ، كانَ الصوتُ  
الذِّي فاضَ فجأةً بالحبِّ قد اخترقَ أعمقَه وأحالَها الى حمائمٍ  
مهووسَةً بالهديلِ.

"الولدُ يا تاجُ فوقَ الرأسِ... يا فرحةَ الروحِ وعزَّةِ الناسِ  
الولدُ يا رفعَةَ الرأسِ... ورفعَةَ الباسِ... الولدُ يا ناموسُ  
واحساسٌ "

انهمرَت عينا الولدِ الذي كانَ يقفُ متأملاً أسرابَ الحمامِ،  
وتلاشتْ أوجاعُ المرأةِ التي كانتْ تغنى قبلَ هنيهةٍ، أبصرَت مالونيد  
وجع زوجِها ينسكبُ فوقَ بلاطِ المعبدِ، فأخذَته الى صدرِها، وربَّتْ  
فوقَ الكتفِ الذي بدا مثقلًا بالهمومِ، ومن بينِ شفاهِ كانتْ تقطَّرُ  
عسلاً، قالتْ:

- اي نبونيد. ما أصعب ما تحمله وما أثقله!!

همَدَت عيونُ الْمَلِكِ الَّذِي كَانَ صَبِيًّا، وَسَكَنَتْ تَشْنجَاتُ رُوحِهِ  
وَأَبْصَرَ عَيْنِي الْمَرْأَةُ الَّتِي كَانَتْ تَحَاوُلُ إِيجَادَ مِنْفَادًا إِلَيْهِ أَخْدَى يَدِهَا إِلَيْهِ  
وَبِتَوْعِدَةٍ قَبْلَ أَطْرَافِ الأَصَابِعِ قَبْلَهُ مُلْكِيَّهُ، ارْجَفَ لَهَا جَسْدُ الْأَنْثَى  
فَهَمَسَتْ بِأَرْتِيَاحٍ:

- أَحْبُكِ نَبُونِيد... أَحْبُكَ وَالَّذَا فِي بَطْنِي!!

قَامَ نَبُونِيدَ وَاقْفَأَ وَظَلَّ لِزْمَنٍ يَبْصُرُ زَوْجَتَهُ، كَانَ مَأْخُوذًا بِلحَظَةِ  
الْفَرَحِ الَّتِي أَطْلَقَتْهَا الزَّوْجَةُ الَّتِي كَانَ يَرَاها أَمًا، لَيْسَ ثُمَّةَ سَعادَةٍ  
اخْتَرَقَتْ فَوَادَهُ مُثْلَ سَعَادَتِهِ هَذِهِ، أَخْدَى الْمَرْأَةِ إِلَى حَضْنِهِ وَطَبَعَ قَبْلَهُ  
فَوْقَ الْجَبَينِ الَّذِي يَشْبِهُ رَغِيفَ خَبِزٍ مشوَّيًّا بِاتْقَانٍ، ضَحَّكَتِ الْمَرْأَةُ  
بِصَوْتٍ يَكْلُلُهُ الْوَدُّ، وَقَالَ:

- مَا الَّذِي تَقُولُهُ زَوْجِي الْمَلَكُ؟

- مَا سَمِعَ الْمَلَكُ "قَالَ مِنْضَمَّهُ ضَحْكَتِهَا وَهَمَسَتْ بَعْدَ صَمْتٍ

- هَا هُوَ الْحَلْمُ الْآخِرُ يَتَحْقِقُ نَبُونِيدًا!!

- حَلْمٌ مَاذَا زَوْجِي الطَّيِّبَةُ؟

- أَنْ تَنْتَوِيَ مَعًا... فِي أَحْشَائِي بَعْضُ مِنْكَ وَهَذَا مَا يَجْعَلُ  
إِمْرَأَةً مُثْلِي آمِنَةً هَانِئَةً!!

- مُبَارَكَةٌ هِيَ الْآلَهَةُ الَّتِي جَعَلَتِكِ خَصِيبَةً مَعْطَاءً... وَمُبَارَكَةٌ هِيَ  
الْأَرْضُ الَّتِي حَمَلَتِ خَطْوَاتِكِ هَذِهِ!!

- قُلْ لِي نَبُونِيد؟!!

- مَاذَا يَا زَهْرَةَ عُمْرِي وَعَطَرَ أَرْضِ السَّوَادِ كَلَّهَا؟

- بعد الذي سمعت من بشري أو ما زال الخوف يملأ خطوك...  
أو ما زالت مرأى الدم تخيف أعماقك التي عودتها الأحلام  
على الارتخاء؟
- كذب إن قلْت لا مالونيد... وكذب إن قلْت نعم... مثل رجل مضطربٍ وسطَ يمْ هادر هي نفسِي، تموّج بالأسئلة التي تقف محتارةً أمام بواباتِ الأجوبة... ربما مالونيد كانَ حلماً غريباً وما كنتُ أفكّر في مساربِ الدِّم التي لابد منها.. صعبٌ أن يقيِّم حلمٌ مثلُ حلمِنا صرحاً دونما دماءٍ واستغاثاتٍ، ولكنني أيقنتُ إنَّها دماءٌ تبقى ألاً تنير دربَ سومر بضياعاتٍ بهيةٍ لا يمكنُ للشَّر أن يطفئ امتدادِها !!
- هو اليقينُ إذاً زوجي الملكُ الطيبُ؟!!
- اليقينُ... نعم هو اليقينُ أم ولدي، مالونيد!!
- والآن متى تعلُّنها بدايةَ المسير؟
- هذا ما كنتُ أفكّر به، أحدهُم سُن ما غرض به قبلَ لحظاتٍ !!
- حسناً تعلمُ إنَّ أشرَتَ أينَ أيضًا!!
- لن تخطُّ خطواتي لشيءٍ دونَ استشارةٍ ومشاركةٍ منكم أبداً
- لقد هيأت سومر نسوتها لكلِّ طارئٍ قد يحدثُ... أعرفُ إنَّ أبناءَ يهودا يتربصون بنا الشَّر... لذا ترى نسوة سومر مثلُ موقدِ نارٍ !!
- ما كانَ ليكونَ هذا لو لا زوجتي الطيبة!!

- بل هو الاستعداد... كان كل شيء مهيأً لسماع أقوالنا...  
وكان قولنا هو الصُّحُّ والبيْقِيْنُ !!
- يا لها من أيام تلك التي نعيشُ مالونيد... تغمرني نشوةُ  
الأبْوَةِ لحظةً تغمرني نشوةُ الانتصارِ، هاًنِذَا أمسكُ زميِّنِي من  
عنقِ جوايدِ ليرحلَ بي إلى ما أريدُ... لم يخب ظني  
بشيءٍ... وسومرُ أعطَتْ ثقَتها لما أردتُ ولا بدَّ لي من ردّ  
الفضيلِ الجميلِ... من هنا.. من هنا مالونيد سيكونُ  
الانطلاقُ صوبَ الجهاتِ الأربعِ، لمْ أشلِّطِ الجسدِ الذي ظلَّ  
طويلاً ينزفُ دماً... دونَ أن يضمدَ جراحَةً أحدَ... كنَّتْ  
مالونيدُ أغرقُ ذاتي في غربَةِ بابلَ ووحشَةِ شوارعِها، وهاؤنِذَا  
أغرقُ ذاتي في فرحِ سومرِ ومباهجِ بدايَتها الطيبةِ... أي  
فضلٍ هذا الذي سيكونُ لهذهِ الأرضِ التي شَعَّتْ طوالِ  
الأزمانِ بالمعارفِ وسموِ الأخلاقِ... يا لها من أرضٌ ويا لهم  
من أنسَاطِينِ، مثلُ ماءِ الأنهرِ طيبةٌ قلوبُهم، عذبةٌ  
السننُ لقائهم وساحرةٌ دادعاتهم وآمنةٌ خطواتِ الصحابةِ معهم  
مثلُ شجرةٍ تمرٍ عالونَ، مالونيدُ أهلُ سومرِ.
- وها أنتَ تعرِفُ كلَّ شيءٍ عنهم بعدَ إن كنتَ تجهَّلُ كلَّ  
شيءٍ !!
- أبداً ما كانَ هذا ليكونَ لولا فضلِ الشَّيخِ اينِ والحكيمِ سنِ  
ما غرض... إن لهما في عنقي فضلاً لن أنسأهُ أبداً !!

- هم بهجة أرض السواد كلّها... وكلاهما كان يحلم بمعونة  
الحلم... إنَّ اين هذا نهر من الآمال، رغم ما ترى فوقَ  
كاهلهِ من عجزٍ واسترخاء!!

- أعرفُ... أعرفُ ما يضمُّ عمقَ هذا الشيخ الرائع... كنتُ  
استمعُ اليه بشغفٍ ولدٍ يكتشفُ إنَّ الدنيا بينةً، شغفٌ جعلني  
أسيحُ في عمقِ ما قالَ... كان يحدثي عن أرضٍ كأنَّه  
يعرفُها جيداً... ليس ثمة فرقٌ عندهُ بينَ شارعِ يؤدي إلى  
معبدٍ "اي نن ماخ" في سومر، ونفقٌ يؤدي إلى دارِ العلمِ  
في بابل... ليس في حديثهِ ثمَّ انطباعٌ سيئٌ حينَ يتحدثُ  
بحبٍ عن نفر واوروك ولکش وأرضِ السوادِ أينما وجَدَتْ...  
يعرفُ خزائنَ الحبِّ جيداً، فيعرفُ منها بهدوءٍ ويطشُ فوقَ  
رأسِي، بلَى مالونيد... بلَى وحقِّ سن لولاهُ ما كنتُ عرفُ  
لسومر كلَّ هذا البهاءِ وكلَّ هذهِ العظمةِ.

- كانتُ أعماقُها لا ترى غيرَ بابلَ وحواريها!!  
- والآن رأتَ كلَّ شيءٍ وغنتَ بذكرِ بلادي التي هي أرضُ  
السوادِ كلّها!!

- ليكنْ مجمعُ الآلهةِ لكَ راعياً ايها الملكُ الزوجُ!!  
أخذَ نبونيَد الوجهَ إلى شفتِيهِ، وبهدوءٍ رجلٌ أحسنَ بالأمانِ، وجذَ  
نفسَهُ توغلَ في بحورِ السعاداتِ، طبعَ قبلَهُ هانةً فوقَ مفترقِ  
العينينِ، تبسمَت المآقي ولمعتْ، وانفَرجَت الشفاهُ الناضجةُ مثلُ حبِّ  
الرمانِ متمتمةً بكلماتٍ ما لبَثَتْ أن تحولَتْ إلى فعلٍ بدأً يمسَ الصدرَ

الموغر بالحبِّ، التفت النظارات المسترخية العائشة تحت ظلالِ سن،  
 فأرسلَ شمش خيوطَ مباهجهِ، وضفت دوائرُ الحمامِ هادلةً بأصواتِ  
 طيبةٍ مثل ريحِ الوردِ، ظلا لزمنٍ طويلاً يحدقانِ في فراغِ الممراتِ،  
 وصمت اللحظاتِ التي سيطرت على لبِّ وجودها، كانا يحسانِ إن لا  
 ضرورةً لفعل شيءٍ الآنَ غيرِ الصمتِ والتحديقِ بعيداً، ونظر إلى ما  
 وراءِ سورِ تيمين الذي بدأَ آجرهُ يصطفُ لحدوثِ موعدِ الآخرِ، كانَ  
 المعبدُ رغمَ هدوئهِ وولوجهِ دربَ السكينةِ يضطربُ من الأعماقِ  
 اضطراباً سرياً عارفاً بحقيقةِ فعلِ الكتمانِ، عندَ زاويةِ الممرِ المؤدي  
 إلى مذبحِ الصلواتِ كانَ سن ماغرض يقفُ مبهوراً بالمشهدِ الذي  
 يرى، مشهدٌ جعلَهُ هو الآخرُ يأخذُ بيدَ الشيخِ أينَ رابتَا على هدوءِ  
 الأصابعِ المعروقةِ، كلاهما كانَ يبتسمُ لأعماقِهِ راضياً، سعيداً بالمشهدِ  
 الذي يرى، ثمَ وعدَ آخرٌ بداءَ سومرْ تتخضُ عنَهُ، قالَ أينَ وهو يرفعُ  
 رأسَهُ محدقاً في خيوطِ الزرقةِ الممزوجةِ بالبياضِ:

- اي سن ماغرض... ما أغربُ الأيام؟
- دومكَ تقولُ هذا أين... رغمَ إني لا أشعرُ إن ثمةَ غرابةً في شيءٍ !!
- فقط حدق بما في حولك وسترى إن الأيام غريبةٌ مثلما نحن عنها غريباً !!
- أتدرى أيها الصديقُ الكاهنُ أين... منذَ أزمانِ موغلةٍ وأنا  
 أفكُر في مثلِ هذا القول... الغرابة... من من غريبٌ عن  
 الآخر... اليوم أم الإنسان... يجيءُ اليوم سريعاً... وسريراً

يمضي دونَ أن يشعرُ الانسَانُ بشيءٍ، لكنه يأخذُ معهُ بعضَ  
هدوءِ النَّفْسِ ويمنحُ الجَسَدَ بعضَ ضعفِه... لعْبَةٌ لا أَظُنُّها  
تنتهي أبداً... مَنْ يعلَّمُ انتصارَهُ على مَنْ... ولصالحِ ماذا  
يقودُ الأَرْيَابُ مثلَ هَذَا الصِّرَاعِ الغَرِيبِ؟

-

أَوْ تعتقدُ إِنَّ لِلَّاهِ دخالاً فِي مَا يجري؟

-

كَيْفَ لَا وَهِي تَدْبِرُ كُلَّ شَيْءٍ فِي حَيَاةِ الْانسَانِ!!

-

أَيْ لَغُوُّ هَذَا الَّذِي تَقُولُ سَنْ ماغرَضُ... مَا دَخَلُ أَرْيَابٍ لَا هُمْ  
لَهُمْ سُوَى الْأَصْاحَى وَالْتَّرَاتِيلَ بِحَرَكَةٍ مِثْلِ هَذِهِ، لَا أَظُنُّ إِنَّ  
لِمَجْمَعِ الْآلَاهَ دَخَلًا بِشَيْءٍ... الْكَهْنَةُ جَعَلُونَا نُوقَنُ بِقَدْرَاتِهِمْ  
الَّتِي لَمْ أَرَّ مِنْهَا سُوَى الْأَكَادِيْبِ وَدِمَ الْبَوَاكِرِ وَتَرَاتِيلِ تَمَجُّدِ  
الْفَرَاغِ !!

-

أَوْ هَذَا حَقِيقَةُ مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ بَعْدَ هَذَا الْعَمَرِ أَيْنَ؟

-

نَعَمْ... لَمْ يَعْدْ رَأْسِي يَصْدِقُ كُلَّ مَا يَقَالُ... ثُمَّ أَرْيَابٍ لَا ضَرُورَةَ  
لِوُجُودِهِمْ وَآخَرُونَ رَغْمَ رِبُوبِيَّتِهِمْ يَنْاصِبُونَ الْانسَانَ الْعَدَاءَ...  
أَيُّ رَبٌّ هَذَا الَّذِي يَنْاصِبُ مَخْلوقَهُ الْأَضْعَفَ الْعَدَاءَ لِمَجْرِدِ إِنَّهُ  
لَا يَمْلِكُ حَقَّ الْقَرْبَانِ... أَوْ لَأَنَّهُ يَرِيدُ جَوابًا شَافِيًّا عَنْ قُلُقِ  
يَمْلُأُ أَعْمَاقَهُ... أَيُّ رَبٌّ هَذَا سَنْ ماغرَضُ الَّذِي يَنْزَلُ مِنْ  
عَلِيَّاءِ وَجُودِهِ لِيَحْاسِبَ مُومِسٍ لَا يَمْكُنُ أَنْ تَعْيِشَ بِغَيْرِ هَذَا  
الطَّرِيقِ... أَيُّ رَبٌّ تَرِيدُنِي الْإِيقَانَ... وَهُمْ بِأَجْمَعِهِمْ مُجْرِدُ  
أَوْغَادٍ أَشْرَارٍ تَمَتَّلُّ كَرْوَشُ الْكَهْنَةِ وَالْعَبَادِ بِأَحْلِي مَا يَمْكُنُ أَنْ  
يَأْكُلُهُ انسَانٌ لَأَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَيْهِمْ دُونَمَا حَاجَةٌ إِلَى سُؤَالٍ!!

- لكن معاً كنا نعيش في كنفِ هذه الدعوة
- كنت سن ماغرض أبحث عن طريقٍ... وما كان أمامي غير رب المعابد وألواح الكهان... كانت الأسئلة رغم بساطتها تأخذ مني تعب الروح... ولكنني وجدتني أوغل بالأسئلة كلما ازداد تعلقي بقراءة الألواح والرقم، كان العالم يتسع والمعبد لم يعد غير مأوى... كنت أهيم في معارف لم أسمع بها من قبل وأبحر في بحور من الاكتشافات... كانت الآلهة لا تعرف ما الذي سؤال المحنَة أردت مراراً اطلاق سهام أسئلتي باتجاهِ انليل وايا ومردوك، لكن الأبواب كانت توصد بعنادٍ وتسد بأترسِ المغاليل... أربابُ أرضِ السواد هولاء يخافون أسئلةَ الإنسان لهذا تراهم دائمي البحث عن محنَة يرمون بها أناسِهم... عداءً أزلي هذا الذي بين الناس هنا وأربابِهم لم أيها الكاهن أين... وكل شيءٍ أراه يسير حسب ما تقررهِ  
المعابد؟
- لم سن ماغرض... لم... أو تدري ما الذي يمكن أن يؤجج غضبَ الرب؟
- كل خطأ أو خطيئةٌ تطال وجودة !!
- هذا فعل لمعارفِ عامة... ثم شيءٍ غير هذا سن ماغرض... شيءٌ قد تستغرب قوله الآن لكنني موقن منه ايقاني من وجودك الى جانبي!!
- ماذا أيها الكاهن الغريبُ الأطوار؟

- أربابُ أرضِ السوادِ يخافونَ معارفَ الناسِ وانغذاقِ أعماقِهم عن معارفِ علويةٍ تقلصُ وجودَهم في رحمِ هذهِ الأرضِ!!
- ما الذي تقولهُ أين... كيفَ يغازِلُ الربُّ من مخلوقٍ يؤدي إليه؟
- وتلكَ هي الحقيقةُ رغمَ مراتبِها... ولهذا ترى الصراغَ قائماً بينَ الأربابِ أنفسِهم... البعضُ سن ماغرضٍ يريدهُ فناءً وجودنا... يجدُ إنَّ ليسَ ثمةَ ضرورةً لكتابٍ يثيرُ كلَّ هذهِ المشاكلِ... وثُمَّ أربابٌ يخافونَ منَّ إنَّ محي ذاكرةَ الإنسانِ هي محي ذاكرتهم... منَّ ذا يعرفُ التليلَ أنَّ ماتَ الإنسانُ... منَّ يمجُدُ باسمِ عشتارِ وديموزي... منَّ يروي حقيقةَ قصتهما الغريبةِ... منَّ يدونُ ما تمورُ بهِ أعماقُهم من حكاياتٍ وأفعالٍ غيرِ الإنسانِ... إنَّ لهذا الكائنِ الذي نحن منهُ فضلاً علىَ الربِّ، فضلاً يجعلُهُ أقدسَ منهُ وأجل.. فضلُ تعريفِ الشيءِ بعْرافِهِ!!
- ما كنتُ أصدقُ إنَّ في رأسِ أينِ كلُّ هذهِ الأفكارِ الغريبةِ!!
- منذُ خادرتُ سومرَ وأنا أعيشُ دونَ أنْ أنتقي أحداً... كانت وحدي تترقبُ أوبتكَ والوعدَ الذي قطعتهُ لي... وكنتُ كلما بعدَ بيَ الوقتُ أغدو في قلبِ غابةٍ موحشةٍ باردةٍ بوحوشٍ مفترسةٍ منَ الأسئلةِ... كانَ نهاري يأكلُ ليلَ أسئلتي... وليلي يمحو فكرةً انتظارِ شمش... كانت روحي تتعلقُ مثلَ قديلٍ باحثةً عنَّ ظلمةٍ لتبدأَ وجودها، حقاً سن ماغرض،

تبُدو الظُلْمَةُ ضُوئِ الأَسْرِجَةِ التِي تُرِيدُ الارْتِطَامُ وَالوَاجِهَةُ مَعَ  
ظُلْمَةِ الْفَرَاغِ !!

- كلاهما صاحبي يسعى صوب الآخر ... الظُلْمَةُ رُغْمَ خُوفِها  
الأَزْلِي إِلَّا إِنَّهَا أَبْدًا تُرِيدُ وَمَضَةً ضُوئِ ... ضُوئِ مَا أَعْتَقَدُهُ  
كَانَ يَعْرُفُ لَوْلَا وَجُودِ الظُلْمَةِ وَحْدَةً سُوَادِهَا !!
- حسناً سَنْ مَا غَرَضُ ... هَا نَحْنُ نَتَقدِّمُ ... وَأَعْرُفُ جَيْداً إِنْ  
سُوْمَرَ لَابْدَ رَافِلَةً بِالآمَالِ ... فَمَاذَا عَسَكَ فَاعْلَأَ بَعْدَهَا؟
- لَنْ يَكُونَ الْهَدْفُ سُوْمَرَ أَيْهَا الشِّيْخُ الطِّيبُ ... ثُمَّ مَدْنٌ أُخْرَى  
تَنْتَظِرُ ... مَدْنٌ لَهَا حَقٌّ مُثْلَمَا لِسُوْمَرَ حَقٌّ !!
- لَقَدْ توَسَعَتْ أَحَلَامُكَ كَثِيرًا أَيْهَا الْحَكِيمُ
- بَلْ لَقَدْ تَكَشَّفَتْ أَمَامَ عَيْنِي أَسْتَارٌ كَنْتُ أَجْهَلُهَا ... يَوْمَ وَدْعَكَ  
كَانَ السُّؤَالُ وَحْيِدًا لَا يَمْكُنُ أَنْ يَجْتَازَ سُورَ تِيمِينَ الَّذِي تَهَدَّمَ  
أَمَامَ عَيْنِي ... وَحِينَ وَصَلَّتْ بَابَ اِزْدَادَ السُّؤَالِ مَحْنَةً وَازْدَادَ  
الْقَلْبُ وَجْعًا ... لَا فَرْقَ بَيْنَ الْهَنَا وَالْهَنَاكَ ... كُلُّ شَيْءٍ كَانَ  
يَمُوتُ ... كَنْتُ أَيْنَ أَشْمُ رَائِحَةَ سُوْمَرَ بَيْنَ طَيَّاتِ بَابَ مُثْلَمَا
- أَشْمُ الْآنَ بَابَ بَيْنَ طَيَّاتِ سُوْمَرَ ... جَسْدٌ وَاحِدٌ يَشْخُبُ بَدْمَ  
الْفَرْقَةِ، كَنْتُ لَحْظَةً وَضَعْتُ يَدِي عَلَى هَذَا السُّؤَالِ أَنْزَفُ خَوْفًا  
وَأَمْلَأُ يَدِي صوبَ المَدِنِ الْأُخْرَى، مَا الَّذِي تَعِيشُ أُورُوكُ  
وَكِيفَ هِي لَكْشُ وَآشُورُ ... كِيفَ هِي أَمْتَدَادَاتُ الْأَنْهَارِ أَوْ  
وَطَنَّتُهَا حَرَائِقُ الشَّرِّ مُثْلَمَا وَطَنَّتْ رَقْمَ مَعَارِفِنَا ... كَنْتُ أَبْصُرُ  
أَيْنَ أَلْوَاحَ الطِّينِ وَهِي مَرْمِيَّةٌ مُثْلَنَّ نَفَایَاتٍ. لَا أَحَدَ يَقْرِبُهَا لَا

أحدَ يدري لِمْ هي هكذا... ثم عداءِ أزلٍ بينَ المعرفةِ والشَّرِّ،  
رقمٌ لا يمكنُ لغَيرِ عقلٍ عارِفٍ تدوينَ سطوحها، كانتَ تداسُ  
دونما أملٍ بانقادِها!!

- وأنتَ سن ماغرض... وأنتَ ما الذي كنتَ تصنُعُ ازاءَ تلكِ  
ال المعارف؟

- اتعرفني باللواحِ غريبةٍ لم يعد لي ثمةً مكانٌ... كنتُ أجُدُّ  
نفسِي نائمةً وهي واقفةً تتحققُ في مساراتِ الحروفِ  
العجبية... ما أقبحُ ما رأيتُ أين، كلُّ هذا التاريخِ الموغِلِ  
بالقدمِ تراهُ مرميًّا عندَ خاناتِ الخيولِ وأماكنِ حرقِ الأزيالِ  
ومفاحِرِ الاجْرِ... غريبٌ ذاكَ الزمانُ الذي حولَ بابلَ إلى هذا  
المسارِ !!

- هذا ما أردتُكَ أن تقوله... ولم يدركَ وانليلَ وأيّ من هؤلاءِ  
الذينَ نسميهُم أربابًا دخلَ في هذا الذي قلتَ !!  
لا أعتقدُ بأمرٍ كهذا !!

- حسناً وما دمتَ لا تعتقدُ... لم لم يمدوا يدَ العونِ لينقذوا ما  
يمكُنُ انقادُه... لم اتخذتَ عروشمُم موقفَ المراقبِ الفرحِ...  
أما كانَ عليهمُ أن يساعدوا سن ماغرض بانقادِ ما تبقى...  
كيفَ هدأتَ أرواحُهم وهم يرونَ من عليةِ وجودِهم كلَّ هذهِ  
المعارفِ تهانٌ دونَ أن ينبعَ أحدهُم بكلمةٍ لا... أربابنا  
هؤلاءِ جهلةٌ يستأنسونَ دمَ الانسانِ ويرقصونَ طرياً ساعدةً  
يرونَهُ يهانُ وتلهانُ معارفُه !!

- أَيُّ طَرِيقٍ تَرِيدُ سَلَكَهُ أَينَ الطَّيْبُ؟
- أَوْ عَرَفْتَنِي يَوْمًا سَالِكًا لِطَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِ الْحَقِيقَةِ... رَدَنِي  
إِنْ أَسْتَطَعْتَ... رَدَّ قَوْلِي بِقَوْلِي أَوْ نُوهُ عَنْهُ بِفَعْلٍ يَقْتَعُ  
أَعْمَاقِي... سَاعَةً تَمَرَّغَتْ سَوْمَرْ بِدَمِ الْحَرَائِقِ... أَيْنَ كَانَ  
مَرْدُوكُ... وَلَمْ لَمْ يَنْهَضْ اَنْلِيلْ لِيَصُدَّ مَعَ الصَّادِينَ غَزَّةَ  
الشَّرِّ، لَمْ لَمْ يَقُلْ كَلْمَةً وَاحِدَةً... أَوْ أَصَابَ الرَّبَّ الْخَرْسُ  
فَوْقَفَ لَا يَقْدِرُ عَلَى فَعْلِ شَيْءٍ... لَمْ جَعَلْهُمْ يَدْمُرُونَ مَعْبَدَهُ  
وَدَارَ الْعِلُومُ دُونَ أَنْ يَقْدِمَ لِلْأَنْسَانِ الَّذِي قَرَبَ بِاسْمِهِ وَتَرَتَّلَ  
بِأَجْمَلِ التَّرَاتِيلِ مَسَاعِدَةً تَذَكَّرُ... أَوْ كَانَتْ سَوْمَرْ عَدُوًّا لِلْأَنْلِيلِ  
وَآيَا أَمْ تَرَاهَا عَدُوًّا لِجَنُونِ عِيلَام؟
- كُنْتُ أَطْمَئِنُ نَفْسِي إِنَّ أَفْعَالَ الْأَنْسَانِ هِيَ لَهُ وَلَا يَمْكُنُ  
لِلْأَرْبَابِ أَنْ يَتَدَخِّلُوا بِشَيْءٍ!!
- وَمَا فَائِدَةُ الْأَرْبَابِ إِذَا، إِذَا كَانُوا لَا يَقْفَوْنَ مَعَ الْأَمَالِ ضَدَّ  
الْخَوْفِ، مَا فَائِدَةُ الْقَرَابِينَ وَالْأَصْحَاحِيِّ إِنْ لَمْ تَكُنْ رِسَائِلُ  
اسْتِجَابَاتِ، مَا فَائِدَةُ التَّرَاتِيلِ أَنْ لَمْ تَجِدْ رِبًا يَصْغِي  
وَيَسْتَجِيبُ؟؟!!
- إِنَّكَ تَغُورُ فِي عَمَقِ رُوحِي أَيْنَ، تَلَكَ الْأَسْئَلَةُ كَانَتْ تَقْضِي  
عَلَيَّ مُضَاجِعِي حَتَّى مَلَّتِنِي بِالْحَزَنِ وَالتَّرَدِّدِ، كُنْتُ أَحْدُقُ فِي  
سُتُّرِ الْمَذْبِحِ فَلَا أَرَى غَيْرَ الْفَرَاغِ... لَكُنِي إِيْهَا الْكَاهْنُ  
الْمَقْسُّ لَا أَرِيدُ رِبًا يَسْاعِدُ الْأَنْسَانَ فِي أَيَّامِ مَخَاوِفِهِ!!

- ما عادَ الانسَانُ إلَى رَبِّ كهذا سنٍ ماغُرِض... ابحث عن ربِّ لا تسيِّرُ الأَحْقَادُ أَفْعَالَهُ، ربُّ يعرُفُ أَنَّ الْإِنْسَانَ ضرورةً لابد منها، هو لَهُ قدرٌ مثلاً إلَّا إنسانٌ قدْرُهُ!!
- أو ممكُن أن يكون هذا آين؟
- ولم لا... أو تدري سن ماغُرِض ما الذي نحتاجُه لأمرٍ كهذا؟
- ماذا يمكن أن نحتاج؟
- نبدأ مع الناسِ نقْتَعُهم بأنَّ الرَّبَّ الْوَاحِدَ أَكْثَرُ حضورًا في زمنِ إلَّا إنسانٌ من أَرْيَابِ عاجزِينَ، أَرِيدُ اقْنَاعَ نبُونِي بِهَذِهِ الْفَكْرَةِ!!
- أظنُّ إني سمعتُهُ يتحدثُ عن أمرٍ كهذا!!
- متى كانَ هذَا الْحَدِيثُ أَيْهَا الْحَكِيمُ؟
- أيامَ كنا نتقدُّمُ باتجاهِ سُورَةِ أَيْهَا الطَّيِّبُ... كانَ دائِمُ الْحَدِيثِ
- عن فَكْرَةِ الرَّبِّ الْوَاحِدِ الحَامِي لِأَرْضِ السُّوَادِ
- أوَّلَ ما كانَ يتحدثُ عن هذَا الرَّبِّ وكيفَ يكُونُ؟
- أَنَّ نبُونِي يجدُ في سنِ إلَّاهًا صادقًا قادرًا على مؤازِرَةِ إلَّا إنسانٌ
- والاسْهَامُ وإِيَاهُ في أَفْعَالِ الْخَيْرِ وأَعْمَالِ الْأَزْلِ!!
- سن... سن هذا لا يمكنُ أن يكونَ هو البديل!!
- لتبدأَ الْفَكْرَةُ معَ سن ويعَدُها يمكنُ ابْدالُهُ بما نريدُ!!
- ليسَ نحنُ سن ماغُرِضُ الذِّينَ نبدلُ رِيَاً بِرَبِّ... إنَّ فِي
- أَعْمَاقِي فَكْرَةً أَنْضَجَ وأَكْبَرَ حضورًا!!
- قلَّهَا أَيْهَا المَقْدُسُ آين!!

- نعم، الان حان لي أن أعلّنها... أفكُر بربِّ هو الذي ينظم  
وحدة كلَّ هذا الوجود... ربُّ قادرٌ لا تطاله يدٌ ولا تمكُّه  
مخيلة... يفعلُ من أجلِ الانسانِ خيراً، ولا يمجدُ الانسانَ الا  
من أجلِ حضورِه... ربُّ يستجيبُ لـ من أجلِ شيءٍ، كلُّ  
شيءٍ يمجدُه وهو يمجدُ الانساناً!!

- وما أسمُ ربِّكَ هذا آين؟

- أيّاً كانَ أسمُه فهو القادرُ على خلقِ كونٍ بهي جميلٌ مثل  
هذا منظم لوجودِنا الذي لا نعرفُ كيفَ ولماذا نسيّرُ... إلهٌ له  
سماتُ الوضوحِ وفُقُولُ البحثِ عن الحقيقةِ!!

خفقتِ الحمايمُ فجأةً، وبغيرِ ما استقرارِ طارت حائمةً فوقَ  
الفسحةِ بدوارِ ما لبّثت أنْ أيقظَت السباتَ الذي كانَ المكانُ يهيمنُ  
في عظمةِ وجودِه، أبصرَ نبوينِد خفقَ الأجنحةِ فتبسمَ، وأبصرَتِ  
مالونييد حركةَ الحمايمِ الصاخبةَ فاطلقت لروجها ان الضحكِ  
والانتشاءِ، كلامها كانَ يبصُرُ الآخرَ سائراً فوقَ سطحِ جميلِ زاهٍ منِ  
الارتياحاتِ، تقدّمت خطواتِ الكاهنينِ الواهنةِ اليهما، كانوا يعرفانِ أنَّ  
إغمارَ الملكينِ بالسعادةِ إنما هي بدايةً زمنِ سومرِ الذي لابدَ وأنْ بدأَ  
للتو، قالَ نبوينِد صائحاً:

- اي صاحبي أراكما في أكمِلِ سعادةً... أعاودتكم روحُ الشبابِ؟  
لبرهةِ أطرقَ سنِ ماغرض، ولزمنِ تنفسَ آين بحبورِ وحاولَ  
ابصارَ الشبحينِ اللذينِ اتضحا اليهِ لحظةً لامسَ وجودَهما الساحرَ،

قال نبونيد وهو يأخذ يدي الكاهن آين الى يديه، شاعراً بدفع ملامسته:

- كيف أنت أيها الشيخ الأجل؟  
- مثلما يراني الكاهن نبونيد... كهل يحمل فوق كتفيه أحلام السنوات التي انصرمت ومضت!!

- أهي ثقيلة أحلام السنوات تلك التي أثقلت كاهل خطواتك؟  
- لم أز أصعب منها وأشد ثقلًا... كل ما رأيت كان منها واليها يعود... ما كنت أصدق إن رجلاً يمكن أن يعيش دونما أحلام جليلةٌ تثير له درب حضوره!!

- قالت مالونيد وهي تقبل يد الكاهن التي طوحت لدقائق في الهواء، واستقرت بين يديها الشاعرتين بالأمان:

- ما فائدَةُ انسانٍ لا يحلم... ما فائدَةُ انسانٍ لا يسري ودرِّبُ أحلامِه... أو يمكن للرجال أن يكونوا رجالاً دونما أحلامٍ تضيء وجود ما حولهم؟

صاح الكاهن وهو يطلق لنفسه الضعف العنان، كانت تضحك بسروير وترى الظلال وكأنها وجود بعيد:

- اي بنיתי مالونيد... اي وردة سومر التي أحب... الأرباب هم من أقاموا عروش الأحلام، وهم من ملأت عقولهم آلام الإنسان!!  
ضحكَت المرأة بحبر، ونظرت سن ماغرض محاولة الاستنجاد بحكمة صمتها، كان سن ماغرض يستمع دون أن يدرك حقيقة القول

الذى قاله آين، تلك الحقيقةُ التي أقرّها وإياه قبل هنّيَه زمِنٌ.. قال نبونيد محاولاً رجزحة طريق الحديث إلى حيث قرر أن يكون:

- ما دمنا معاً أيها الحكيمان أود استعلامكمَا عن شيء!!

نبَرَ سَنْ ماغرَضُ وَهُوَ يَحْدُقُ فِي وَجْهِ نَبُونِيدِ الَّذِي اكْتَظَ لِحَظَتِهِ بِأَحْمَارِ الْبَدَائِيَّةِ، كَانَ يَحْاولُ الْبَحْثَ عَنْ بَدَائِيَّةِ تَقْنُعِ الرَّجُلِيْنِ بِحَقِيقَةِ مَا يَرِيدُ، ظَلَّ لِزَمْنٍ طَوِيلٍ مِبْرَأً فِي شَطْوَطِ الْكَلَامِ، وَلَحْظَةً رَمَى مَرْسَأَةً وَجُودَهِ، وَجَدَهَا بِانتِظَارِ مَا يَفْوُهُ بِهِ، وَثُمَّ ارْتَيَاخَ بَادِ عَلَى الْوَجْهِ، كَانَتْ مَالُونِيدِ هِيَ الْوَحِيدَةُ الَّتِي تَعْرَفُ مَا يَمْكُنُ أَنْ يَقُولُهُ الْمَلَكُ، كَانَتْ تَحَاوُلُ ابْعَادَهُ عَنْ دَرُوبِ الْقَلْقِ، وَتَعْمَلُ عَلَى تَهْوِينِ أَمْرِ مَخَاوِفِهِ، قَالَ:

- الْأَسْئَلَةُ هِيَ مَا تَرِيدُ الْإِجَابَةَ، إِيَّاهَا الْكَاهِنُ الْمَلَكُ!!

قَالَ نَبُونِيدَ بَعْدَ أَنْ هَدَأَتْ أَعْمَافُهُ، وَأَحْسَنَ أَنْ ثَمَّةَ أَمَانًا يَلْفُ المَعْدَبَ بِأَجْمِعِهِ:

- كَانَتْ فِي أَعْمَاقِ سَنْ ماغرَضٍ... الْأَجْوِيَّةُ لِمَا أَرِيدُ... وَلَا أَظُنْ إِنِي وَاجِدٌ مِثْلَهَا عِنْدَ غَيْرِكُمَا !!

تَبَسَّمَ آين وَتَنْحَنَحَتْ أَوْتَارُ صَوْتِهِ، فِيمَا ظَلَّ سَنْ ماغرَضُ يَتَابُعُ اخْتِلَاجَ شَفْتِيِ الْمَلَكِ الَّذِيْنِ أَحْسَتِنِيْ بِيَبْسَأَ مَفَاجِئًا، قَالَ: السُّؤَالُ هُوَ الْبَدَائِيَّةُ الْمَقْنَعَةُ وَلَدِي نَبُونِيدُ... وَمَا دَمَتْ هَكُذا فَلَابَدَ أَنْ يَكُونَ الْجَوابُ مَقْعَدًا !!

قَالَ نَبُونِيدَ: بَلِي أَبْتَى الْمَقْدَسُ... أَرُوْمُ اجْتِيَازَ لِحَظَةِ الصَّمَتِ...  
لَقَدْ طَالَ بَنَا زَمْنُ الانتِظَارِ، وَلَابَدَ أَنْ تَبْدَأْ بَدَائِيَّةَ تَقْيِيمٍ صَرَحَ مَا نَطَمَحُ !!

قالَ سِنْ ماغُرُضْ: هَذَا مَا كَنَا نَقْرِهُ نِبُونِيْدُ !!

قالَ نِبُونِيْدُ: حَسَنًا أَذَا قُولًا لِي أَوْ يَتَعَبُ الدُّمْ جَسَدُ سُومَرْ... أَوْ  
مَا كَفَاهَا دُمُّ السَّنَوَاتِ حَتَّى نَجِيَّءُ نَحْنُ وَنَقْدُمُ الْأَضَاحِيَّ التِّي تَعَزَّزُ  
الْأَحْزَانَ؟

قالَ آيْنَ بَعْدَ أَنْ طَوَّحَ بِيَدِيهِ مَثَلَّ مَنْ يَرِيدُ الْأَمْسَاكَ بِظُلْمَةِ  
عِينِيهِ:

- عِمَادًا تَتَحَدَّثُ نِبُونِيْدُ... ثُمَّ فَرَقَ بَيْنَ دِمٍ يَرَاقُ ظَلْمًا وَدِمٍ يَرَاقُ  
مِنْ أَجْلِ إِنَارَةِ طَرِيقٍ... ثُمَّ فَرَقَ بَيْنَ رَجُلٍ يَسْقُطُهُ الشَّرُّ عَنْهُ  
وَجْبُوتَاً، وَآخِرٍ يَسْقُطُ مِنْ أَجْلِ دَوْافِعِ الْخَيْرِ وَالسَّلَامِ... فَرَقٌ  
بَيْنَ مَقاوِمَةِ الشَّرِّ وَمَنَاصِرَتِهِ، وَسُومَرْ تَعْيَ هَذَا وَتَعْرِفُهُ  
جِيدًا... بَلْ هِيَ تَرْهُو بِقَرَابِينِ أَيَّامِهَا الْقَادِمَاتِ !!

- أَوْ هَذَا قَوْلُ قَلْبٍ أَمْ قَوْلُ حَكْمَةٍ إِيَّاهَا الْأَبُّ الْفَاضِلُ آيْنَ؟  
تَنْهَدُ آيْنَ بُودُ، وَعَدْلُ مِنْ اِنْحِنَاءِ قَامِتِهِ، وَظَلَّ لِبَرَهَةٍ يَحْدُقُ فِي  
رَفْرَفَةِ الْأَجْنَحَةِ الدَّائِرَةِ بِدَوَائِرِ مَا تَلْبِثُ أَنْ تَتَسَعَ، قَالَ بَعْدَ أَنْ دَاعِبَ كَثِيرًا  
لِحَيَّتِهِ:

- اسْمَعْ مِنِي جِيدًا يَا مَنْ تَرِيدُ لِمَلْمَةِ الْأَشْلَاءِ... الْحَكْمَةُ أَنْ  
نَرِى أَفْعَالَنَا تَشْعُلُ كَوَانِيْنِ الْأَحْلَامِ دُونَ أَنْ تَطْغِي فِينَا جَذْوَةُ  
إِنْسَانِنَا، لَا أَعْتَقُدُ إِنْ ثَمَّةَ فِي سُومَرْ بَلْ فِي أَرْضِ السَّوَادِ  
كُلَّهَا مَنْ يَحْبُّ مَرَأَيَ الدِّمِ أَوْ يَرِيدُ أَخْذَ حَقِّ غَيْرِهِ مَرِيقَاً الدِّمِ،  
وَلَكَنَّهُ قَدْرُ هَذَا إِنْسَانٌ مِنْذُ أَزْلِ الْوَجْوَدِ... قَدْرُ أَنْ يَقْدِمَ

أنهاراً من الدم ليثبت وجوده ولি�صعد مقاصد الشرّ، ما الذي يمكن أن يفعله انسان سومر أمام رجل يريد الاحتواء... ما الذي يمكن لأهل سومر أن يفعلوا إن هم وجدوا سومر تداص بسنابكِ الخيل وببيوتهم تتهدم وتتلوى، ثمَ فرقٌ نبونيد بينَ أن يموت الإنسان من أجل بناء المحبة، وأن يموت وهو يريد تهديم كل دلالات السلام والود، ثمَ فرقٌ بينَ أهل سومر الحاليين بشوارع آمنةٍ وبيوتٍ تعمُر بهدفة السلام، أولئك الآتين من بعيدٍ تغذى وجوداتهم تراطيل الكراهية ، قل لي ما الذي فعله هولاء سومر... بل ما الذي فعله الشر بأرضِ السواد كلّها... خرابٌ ودمٌ... هذا موجزٌ ما يمكن أن أقول... خرابٌ ودمٌ، ثمَ رأيت شيئاً غير هذا... ما مرّ زمانٌ إلا ورأى الرائي ما رأينا... أرضٌ تحترقُ وأحقادٌ تظهر على سطح الأرض... فما لكَ نبونيد تواجهُ السيفَ بوردةٍ.. ما لكَ تواجهُ العوبلَ بغناءٍ عذبٍ... ما لكَ تريدُ لسومر أن تواجهَ النار بهدوءٍ وانتظارٍ لا مبرر له... إن أنت فعلت ذلكَ قتلت في أعماقنا حلمَ أعمارنا كلّه، بل إن فعلت هذا قتلت سومر قبلَ أن تلمَ جراحها!!

- محالٌ ما تقولُ أيها الأبُ آين... ما أنا الذي يريد قتل الأحلام...  
بل هي أسئلةٌ تراودُ الرأس!!

- وليس هذا وقت أسئلةٍ مثلَ هذهِ... تذكر إن تمَّ الأمرُ وقامَ... لا  
ترق دمَّ أهْلَكَ أبداً... قف موقفَ الكارِهِ للدمِ لأنَّهُ دُمَّ أهْلَكَ  
وأحْبَبَكَ... عزز نبونيد روحَ السلامِ في مسراً تلكَ الدماءِ  
وستجدُ أيَّ معنىً طيبٌ تثمرُهُ السنواُت !!

- إنَّ ترجمَةَ روحِي إليها الكاهنُ الأَبُ !!

- بل كُلُّنا يريدهُ ترميمَ سومرَ وأرضَ السوادِ... لا نريدُ لحلمِنا كبوةً بل  
نريدُ انطلاقاً صوبَ أبعَدِ نقطَةَ ضوءٍ... والآنَ نبونيد، قل لنا ما  
الذِي نبدأ منهُ؟

اهتزَّت نواجُّ نبونيد، وفجأةً وجدَ نفَسَهُ تبصرُ صفوافاً من  
الملابسِ البيضِ وهي تتقدُّمُ اليهِ، كانتَ تطلقُ أصواتاً مبهِّمةً ما لبثَ  
صداها أنْ اتضَّحَ، كانتَ الأصواتُ تهَلَّ بترتيلٍ وأغانيٍ ملأتُ  
الأسماعَ هدوءاً ومجدًا، تنفسَ نبونيد الصعداءَ، ورفَرَفَ فوقَ فضاءِ  
روحِهِ طائرُ الامتنانِ، كانَ يعرُّفُ الطريقَ الذي يسلُكُ لابدَ وأنْ تتقَدَّمهِ  
تلكَ الصفوف، ظلَّ يبصُرُ المدى وهو يقتربُ، كانتَ سومرٌ تمرُّ من  
بينِ يديهِ رافعةً هامِها وبدونِ ترددٍ قالَ بصوتٍ جعلَ الكهانَ يرفعونَ  
رؤوسَهُمْ ويحدِقونَ في المدى البعيدِ المصبُوغِ بالبياضِ، قالَ:

- السيفُ... السيفُ هو ما نبدأ منهُ... وتبداً منهُ سومرُ !!

تنهدَت الأرضُ بارتياحٍ، وبغيرِ ما ضجةٍ دارت الحمامُ البيضُ  
هادلَهُ بصوتٍ ما لبثَ أنْ ملأَ الأجواءَ بالانتشارِ، كانتَ سومرُ تفتحُ  
عينيها على أصواتِ غريبةٍ لكنها سعيدةٌ... طيبةٌ على أيةِ حالٍ.

## رقيم الممرات - ١٤ -

كان الفجر قد أنطر، وبدأت سحب العتمة تتوارى خلف حمرة شفيفة ما لبست أن تبرجت بمفاتنِ زرق، حين وقف شوقياً يتأمل البوابة الغارقة بصمت مهين، ثم كتل من الغبار تسير فوق الأعمدة المتراسفة إلى بعضها، قامات جردتها رياح الزمن فجعلتها مجرد خواص منخور، كان نodus يرى بخوف متربقاً لحظة البدء، حاساً أن أعمافه تمور بأجوية الفشل، ليس ثمة أكثر ندماً من أم تجد نفسك تروم الخلاص لكنها تجد عذاباتها صدفةً تنسحب داخل أوعية الفشل، كان جسده يقلي مثل قدر، وعيناه تحدقان في المدى البعيد، ما كان يصدق إن ثمة خطوا خارج هذه الأسوار، لكنه يعرف جيداً إن نهارات بابل لا يمكن أن تمر صامتة وإن ليتها لابد وأن يشتعل بتنانير من الأسئلة، عالم لم تعد المخلية تحدد معالمة، لكنها موقنة بوجوده البادي للعيان مثل خيوط دخان، تحركت قدمها شوقيا ببطء متأن، وتبعثة الخطوات متعرجة، كان الاقتراب من الباب الصامت يعني إن الأعمار لابد وأن تضيع في عمق مواجهة ساخنة، تقدمت اليدي بتوعدة وحركت الملاج فأزَّ مثل حطبِ رطبٍ يشتعل، كان الأزيز يوقف حذر الأجسد ويجعلها تترقب أفعالها بحذر طبع مثل عجین، ارتفعت يد الملاج رويداً، ورويداً بدأ شمشير يروي بحضوره الغريب، خيوط مشعة تتسرب من خلال صمت الجدران وهدوئها، صمت وجُل مدفون تحت ضياءات العيون التي كانت ترقب لحظة البدء وهي مدسوسه تحت

ركام الأخطيةِ الصوفيةِ، عالمٌ وجُلّ مشحونٍ بهموماتِ الأدعيةِ والتراتيلِ، واجٌّ بمشاعلِ الخوفِ والانحدارِ صوبَ هوةِ الفشلِ الدافعِ إلى الموتِ، ارتفعَ المزلقُ مندفعاً إلى الأعلى ولحظةً اندفاعه دفعَ العمودَ المبروءَ إلى الفتحةِ الثانيةِ، فارتفعَ المزلقُ الأمامي مندفعاً إلى أعلى، تنفسَ شوقياً حذرةً بارتياحٍ ووضعَ كلتا يديه على المقبضِ ساحباً البابَ إلى صدرِهِ، بدأتَ عصافيرُ الضوءِ تخترقُ الصمتَ، وبصمتِ عبرتَ شلالاتِ الزرقةِ المطليةُ ببياضِ مخترقةً الباحةِ المسكونةِ بالهدوءِ، فجأةً كان الضوءُ يتقدمُ إلى أمامِ محاولاً دفعَ الرجلينِ إلى خارجِ لولبِ الكهوفِ، خطَّت قدمًا نodususَ أولاً، وما لبثَ شوقياً أن اتبَعَهُ، كانَ العالمُ لحظتَهِ يقفُ ثُـ حائراً إزاءَ لحظةِ الانطلاقِ، عالمٌ فسيحٌ رحبٌ، لكنَ الخطواتِ الخائفةِ الموجلةِ بالحزنِ تخافُ اختراقَ خطَاً ما، مبهوتةً حائرةً، همسَ نodususَ وهو يرى شوقياً يتفحصُ الامتدادَ ويراقبُ كتلَ الضوءِ المنسحبةِ إلى الداخلِ

- ماذا معلمي... أراكَ صامتاًً والوقتُ يمرُ؟

تركَت عيناً شوقياً، وكمنْ يجدُ نفسهَ مرميًّا وسطَ مشاعلِ من النيرانِ، تيقظُ متاؤهاً، كانتَ في أعماقهِ مناثُ الأشياءِ التي تخافُ البوحَ، ثمَ فرقَ بينَ عالمينِ، عالمٌ ميتٌ يتربَّقُ اشتعالَ بذرةِ الحياةِ بحدِّ مشوئِي بالكراهيةِ والانهزامِ، عالمٌ يتربَّقُ انطفاءَ الحرائقِ التي أشعلتها المأساةُ ليعلنَ بهجةً أيامِهِ، كانَ شوقياً يقرأً من خلالِ لحظاتِ ارتباكيِ عوالمِ كانَ قد نسيَ وجودها، ثمَ طرقاتٌ ترتفُّ مثلَ دودِ الأرضِ مخترقةً المدياتِ، مدياتٌ كانَ يحسُّ بالارتفاعِ والانهيارِ مثلَ

مطِّر لحظة يبصُر انسالها الأكلُ من حافةِ الأفقِ، قالَ نodusus  
محاولاً اختراقَ صمتِ معلمِه:

- أو أبهركَ الضوءِ معلمي... الوقتُ يمرُ... والبدايةُ بينِ أيدينا  
تتبَدُّل؟!!

أنهضَت الكلماتُ خفَرَ الذاكرةِ، فاهتزَت مصدرةً تأوهاتٍ متوجعةً،  
رفعَ عينيه بصرٍ من يعرفُ خطورةً لحظةِ الامتحانِ، وبهدوءٍ أخذَ يدَه  
نودسوسَ إلَيْهِ وخطاً متقدماً، كانَ ثمةُ عالمٌ يتلاشى خلفَ صخورِ  
الكهوفِ، عالمٌ أتعبهُ الانتظارُ والتربُّعُ، فأحسَ برضاءِ الانتفاءِ، عالمٌ  
لحظةٌ غابَ في مدى الخطواتِ أطلقَ نودسوسَ تنهيدةً ارتياحَ، وخطا  
محاولاً اللحاقَ بخطوِ المعلمِ الذي راحَ يركضُ مخترقاً ضياءاتِ شمسِ  
التي بدأَت تصعدُ باتجاهِ كبدِ السماءِ، ثمَّ عبرَ المسافةَ التي خطَّتْ  
الأزمنةُ فوقَ عمرِها الأزليِّ كتلاً من التلالِ العاصفةِ بريحٍ مدويةٍ  
وكهوفٍ مستورَةٍ بطالِبٍ بريءٍ، وكتلاً من الرمالِ التي ما تلبثُ أنْ  
تنطشَ ناثرةً الوجهَ بغارٍ حارٍ مثلَ الجمرِ، تنفسَ شوقياً عميقاً  
ارتياحِهِ، وأحسَ إنَّه يمسُكُ بلحظةِ بابل... تلكَ اللحظةُ التي ظلتَ  
ترواءً ليلَهُ منذُ وطنَتْ قدماءَ تلكَ الوحشةِ التي زرعتها في أعماقهِ  
أوهامَ الكهوفِ، قالَ نودسوسَ وهو يمسُكُ بأخرِ خطواتِ لهايَهِ:

- اي معلمِي أراكَ تطيرُ مثلَ فراشةً!!

بوجلِ، بحزنٍ، بصمتِ، ابتسمَتْ أعماقُ شوقياً، وفاضَ وجهُهُ  
بطفحٍ من المباحِ التي تشرَبَ العينينِ السوداويتينِ وسمرةَ الوجهِ  
التي تحركَتْ فاسحةً البوحَ لحمرةِ الانتصارِ، بوجلِ لاحقَ نودسوس

خطو معلمٍ... كان يحاول الامساك بلحظاتِ هياكلِ الممتدة بين البوابَة التي غدت بعيدةً وبابلَ التي لا يعرفُ كم هي قريبةُ الآن، كان الرأس يمتلأ بوهم الاقترابِ، وثم سرّابٌ من مدنٍ يلاحقُ بؤيًّا عنيهِ، من أعمدةٍ سودٍ ونواحاتٍ لا تنتقطعُ، وأحزانٍ تسربُ حتى أجملِ الصباحاتِ وأكثرها ضياءً، كان شوقياً يبصرُ رأسه وهو يوغلُ بالاختيارِ... يوغلُ باطلاقِ الأسئلةِ التي لا يمكن أن يجدَ لها جواباً، ليست ثمة طرقٌ توصلُ إلى ما يريدُ، دوماً يجدُ ثمة ما يقطعُ وردةَ التخييلِ، مدنٌ تتسللُ موتها فتعجُّ بعواءاتِ الاستذكارِ، كان يتلفتُ محاولاً سبرَ كنهِ الرؤيا، محاولاً الاستقرارَ عندَ حقيقةِ معارفهِ، ولكن ثمَّ وقتٍ يتبددُ، وأيامٌ تموتُ واقفةً دونَ أن توشمَ القلبَ بما يمكن أن يبدهُ مخاوفهُ، اهترتُ الخطواتُ تعباً وبدأتُ سياطُ شمش تجلُّ الشفاهَ بدمٍ الحرّ... كانت القلوبُ تحرقُ شوقاً، سحرٌ يجعلها تسيرُ بخطى الثباتِ، أحـسـ نـوـدـعـسـ بـالـارـتـخـاءـ، وـاـرـتـجـفـ قـلـبـهـ بـحـزـنـ، لم تعد خطواتهُ قادرةً على الامساكِ بستِرِ الأحلامِ، فجأةً بدتُ أوجاعهُ نصبَ أحلامهِ، فظلَّ مثلَ عمودٍ أجوفٍ تضرِبُهُ ريحُ فيعوي متوسلاً دونَ أن يدرِي إنَّ ثمةَ حقيقةً فيما يسمعُ، نامت الأشياءُ بينَ عويلِ التعبِ وحزنِ البوحِ، ثمَّ ما يملأُ القلبَ وجعاً ما يشيدُ صروحاً من الآثامِ، اندفعت خطواتهُ إلى أمامِ، لكنَّهُ كان يحسُّ عن زمنِه يتراجُعُ، يحلُّ هولُ المحنَةِ التي يعيشُ، اضطربتْ امتداداتُ الأملِ، ووَجَدَ الجسدُ نفسهُ مرميًّا بينَ شواطِئِ النيرانِ، كانت الأقدارُ تحسُّ الاحتراقَ، وقحفَةُ الرأسِ تنشوئي ببابِ من تراتيلِ شمش الساخنةِ، نهارٌ أتعبَهُ الخطو فاستقرَ يستريح

وسط هذا الامتداد الرملي العاصف بغير ما هوادة، أبصر شوقيا لافح الرمل وكتلة العاصفة المتنقلة فضمأساه الى صدره، وبقته تيقن ان ما يريده شمش اشعار خطواتهم وتعطيل الأحلام التي بدأت تتباس تحت لفح الريح، كان شوقيا يحلم برب لا دخل له بين بابل واناسها، رب يكتفي بالصمت إن هو رأى حقيقة الأفعال، تنهى بحزن وأحس إن ليس ثمّة رب مثل هذا، كان مردوك رغم ما فعلته بابل من أجله قد تخلى عن عروشِ ريوبيته وانهزم منزويًا في معبد لا يدري أحد أين يكون، لحظة أرَت مخاوف بابل، وانداست شوارعها تحت سنابِ الخيل، وارتفاع صخب النوح، وبكت الأحزان وجودها فوق هذه الأرض، كان مردوك يغادر معبد وجوده متخفياً بشوب أنشى عاهره، رب لا قدرة له على تصور عذابات من أوجده، عاجز عن لملمة محن القلق، عاجز حتى على أن يطلق كلمة مواساة، كان شوقيا يراه ربًا ماجناً، لحظة رأى بابل تشتعل خر ميتاً متلاشياً في غيابِ الرذيلة، تنفسَت الروح الراغبة بمواصلة السؤال عطر الارتياح فاندفعت مخترقة لعبه الانكسار، كان يرى نodus بعيده عن هُـ، بعيداً موغلًا بلهاثِ راكض، أبطأ الخطوط مراقباً امتداد المفازات التي بدأت تكشر عن أنيابِ كراهيتها، أي رهانٌ هذا الذي تعيش شوقيا... وكيف يمكن أن تصل بك أيامك الى ما تبغي... وما الذي تريد غير الوصول الى معبد اي نن ماخ... أو تجد هناك ما يعزز آمالك وينعش حضورك الباحث عن وجود يعيد ألق بابل، هل ثم ما يوصل بين الحلم الذي يلهث الان... والحقيقة التي تحرق... رفع رأسه محاولاً اتقاء حر شمش

الساقت بعمودٍ من جمر، فأبصرَ ثمةً ابتسامةً رخيصةً ترُفُ فوقَ شفتِي  
الربِّ المحزونتين، كانَ نodusus يرى مثلَ هذا الحزن، حاساً إنَّ  
شمش انما يريدُ اطلاقَ سهامِ عذابِه صوبَ الأكبادِ المقرورةِ الباحثةِ  
عن سرابِ يضيءُ ظمآنَ قلوبِها، قالَ نodusus محاولاً ارضاءً غرورِ  
انتصارِه:

- اي نورنا... هانذا أجيءُ اليك !!

اهتزَ القلبُ ومعَ اهتزازِه سقطَتْ أغطيةُ سودٌ كانتَ تدثرُ نصبَ  
الأيامِ، كانتَ نورنا تقفُ غيرَ بعيدٍ مؤشرةً اليهِ بأنَ يتقدمَ، خطَّتْ  
أوهامُهُ إلى حضورِها، فخطَّتْ مبتعدةً، كلامها يحاولُ الدخولَ إلى عالمِ  
الارتباكِ، ظلتَ نورنا تهمسُ بودٌ كانتَ تظهرُ شفتاها المختلجانِ،  
فيماً لِلهمَّسِ مساحةً العمراءِ، أحسَ نodusus بوهجِ الابتعادِ، فأمسكَ  
لبَّ فؤادِه وبدأ يضغطُ بتوعدِه يريدُ اسكاتَ الدقَّ الذي بدأ يتعالى  
رويداً، صاحَ القلبُ معناً بالألمِ:

- نورنا يا عينِ محبي... افتربي فالذات تهدئها الأوهامُ !!  
ببطءٍ... ببطءٍ شديدٍ، وبخطواتٍ ثقيلةً آسرةً، بحزنٍ شفيفٍ لهُ لونُ  
ماءِ دجلةٍ، بودٌ أخاذٌ، بألقٍ شديدٍ التوهجِ، وفقتَ ازاءُهُ، كانتَ ثمةُ  
امرأةٌ تشتعلُ بهجةً ترى الامتدادَ الصحراويَّ بعينينِ سوداويينِ تعجانِ  
بفرحٍ طاغٍ، قالتَ نورنا وهي تلوّكُ لعابَ كلامها بصمتِ الشفتينِ:

- اي نودعسْ ها أندَا أجيءُ... فأيُّ وهمٌ تقولُ؟  
تلمسَ الواهمُ حالةَ نورنا الجسدِ، فاريحَ وانثالَتْ أوجاعِهِ، بعمقٍ  
أحسَتْ الأصابعَ المتلمسةَ بالارتجافِ، وجاستَ بوجلٍ صبيٍ يرى ضوءَ

مباصِرِ تنهَّمُ أمامَهُ، كائِنَتْ نُورُنَا تبسمُ بحِياءٍ، وَمِنْ خَلَالِ  
ابتسامَتِهَا تترَبَّطُ رُوحُ الْوَهْمِ، فَيَبْدأُ بِالرَّحِيلِ صوبَ مَدِنِ الْاَشْتَهَاءِ،  
عَالَمٌ ثُرٌّ ترسِمُهُ أَنَامَلُ الْحَبَّ، هَمْسَ نُودِعَسْ بِصَوْتِ فَتَى عَاشِقٍ

سعِيدٍ:

- هَا أَنْتَ مَعِي نُورُنَا؟

أَحْنَتِ الْمَرْأَةُ رَأْسَهَا وَكَعَادَتِهَا دَوْمًا، افْتَرَيْتَ مِنْهُ مَمْسَكًا بِيَدِيهِ،  
تَحْسَسَ الرَّجُلُ النَّابِضُ بِالصَّمْتِ، وَتَحْسَسَتِ الْمَرْأَةُ وَجْوَهَهُ الْمُلِيءِ  
بِالْأَسْرَارِ، مِنْذُ كَمْ مِنِ السَّنَوَاتِ... وَهِيَ تَنْتَظِرُ أَوْبَتَهُ... مِنْذُ كَمْ مِنِ  
السَّنَوَاتِ وَهِيَ تَحْدَقُ فِي فَرَاغِ الْطَّرَفَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَرْدُّدُ صَدِيَّ خَطْوَاتِهِ،  
كَانَ نُودِعَسْ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَرْأَةِ حَلْمًا بَدَدَهُ وَهُمُ الْإِنْتَظَارِ... رَوِيدًا بَدَأَتْ  
مَلَامِحُ الْوَجْهِ تَغِيبُ فِي لَجْجِ النَّسِيَانِ، وَرَوِيدًا مَحَتِ الْذَّاكِرَةُ مَعَالَمَ  
الْجَسَدِ الَّذِي كَانَ يَفْوُرُ بِالْحَبَّ، وَرَوِيدًا غَدَا نُودِعَسْ مَجْرِيَّ كَلْمَاتِ  
كَانَتْ تَسْتَظِهِرُ حَضُورُهَا بِصُعْوَدِهِ بِالْغَةِ، عَالَمٌ كَانَ بِالنِّسْبَةِ لِهَا  
سَعَادَاتٌ وَآمَالًا وَضَحْكَاتٌ آمِلَةٌ بِلَحْظَةِ الْوَجَدِ، وَمَلْمَسًا طَرِيًّا لَهُ طَعْمٌ  
تَمَرِّ الرَّبِيعِ، كَانَتْ لَحْظَةً تَرَاهُ تَغْمُرُ جَسَدَهَا بِعَطْرِ حَضُورِهِ، تَتَلَاقِفُهُ عَنِ  
الْبَابِ مَبَارِكَةً خَطْوَهُ، دَاعِيَةً بِأَجْمَلِ صَوْتٍ يُمْكِنُهَا إِسْتَحْضَارِهِ الْرَبِّ  
مَرِدُوكَ بِأَنْ يَعْزِزَ خَطَاهُ وَيَؤْمِلُهُ مَرَادَهُ، يَبِتَسِمُ بِجَذْلِ رَجُلِ مُنْتَصِرٍ  
وَيَرْمِي يَدِيهِ إِلَى خَلْفِ رَأْسِهَا، وَبِصَمْتٍ يَطْبَعُ قَبْلَهُ لَهَا حَرَاثَةُ رَغِيفٍ  
خَبْزٌ فَوْقَ الشَّفَاهِ الَّتِي كَانَتْ تَمُورُ بِالاضْطَرَابِ، لَحْظَةً يَبِصُرُ فَرَحَ  
الْعَيْنَيْنِ، يَهْمَسُ بِوْدًا:

- أَحْبُّكِ نُورُنَا !!

تطير حمام الهيام، ويمتلأ فضاءً الحوش وحجراته بصدى  
اغنياتٍ تجعلهما معاً، حلم أيام قادماتٍ، حلماً مملوءاً بالهمسِ  
الارتفاع والهاث الباعث على المسرة، قالت نورنا وهي تحاول لمَّ  
بقياً فزعه وباءِ العذابِ المتلهك فوق سلام التعب عن لحظةِ  
السقوط

- نودعس، أو لا تزيد الاتيان الي؟

رفع الرجل عينيه، وثم لعاب يسيل بين الشفتين، كان يحسُّ  
ظماً طافحاً يسري بين جوانحه، ثم يباس وجفافٍ، ثم جسدٌ كان قبلَ  
هنيهةٍ يحاول الاندفاع الى أمامِ، يموت ... يموت ببطءٍ، قال بصوتٍ  
مختلٍ قلق النبرات:

- لكنكِ معنِّي نورنا... معنِّي الان وأبدأ!!

رددت نورنا وهي تحضنه بالفأة أمٍ:

- وهُمكَ ... وهُمكَ نودعس رسم حضوري !!

- وهُم ماذا نورنا... أنتِ هذه فأين تراه يكون الوهم؟

- لن تقدر نودعس ... لن تقدر الوصول الي إن لم تستطع احرقَ  
مخاوفكَ

- آهِ نورنا... آهِ... لتيكِ تعرين أية لحظة حزن أعيش... أحسُّ  
إن الأرباب قد تخلت عنِي وإن حلمي الذي راود ليالي الكهوف قد  
بددته المفازات... خطواتي تعبَّه والمسافةُ التي بين بابل وبين حلمي  
بعيدةً وفاحلةً... ما كان علينا نورنا أن نرمي بأنفسنا الى مثل هذه  
التهلكة... كلُّ شيءٍ يموت أمام عيني، أحسُّ نفسي مثل طينٍ

أجوفِ... يرددُ ما تصفّعهُ بِهِ الريحُ... نورنا... لن أقوى على  
المواصلة!!

- أو هجرت حزن الكهوف وعذابات وجودك من أجل أن ترمي جسداك بين أحضانِ الفراغ... ما كنت تريده لعذاباتِ الكهوف أن تسيطر على أحلامك، فلم تريده اليوم للمفوز أن تسيطر عليك... أيُّ جنونٍ هذا الذي يجعلك مقتولاً بالتراجعات... أو ما فكرت بي وببابل... أو لم تقرر العودة... فما لك تتأخر باتخاذ القرار، أيُّ عطُب أصاب الجسد الذي أحبُّ أو عطل وهج الروح التي كنت أستمدُ منها حضوري، ماذا عن نodusus، ماذا عن المرأة التي ظلت طوال هذه السنوات ترى إلى الأزقة وتستمع إلى حفيظِ الريح عليه يجيء بخبر عنك... ماذا عن نodusus... أو أظلُّ مشنوقةً بحبل الانتظارِ مثلاً أنا الآن... ومن ذا يقول لي أين أنتِ الآن... من يصدقُ ما أرى... من يصدقُ إن نodusus... نodusus ولا أحد غيره أكلتهُ وحوش التخاذلِ وغداً مجرد غبارٍ تطشهُ ريحِ اينما تريده، آه نodusus... آه ايها الرجل الذي ملأني حباً... وهما هو يريده قتلي بتخاذل خطواته وترراجع أحلامِه إلى جفافِ الأزمنة... أو هكذا تواجهُ أولَ محنة اجتياز... أو هذا هدفُ أحلامك دوماً !!

- نورنا... لكن قبلي يحس بالعجز... وقواي تغوز... وزمني لم يعد يمسك بوجودي... زمني يتهدم بين يدي دون أن أقدر على فعل شيء... هأنا نورنا أسط ببطء... أسط دون أن تتلقفني يد

الحب... جفت أيامِي وخدوت مثل جثة هامدة، فلماذا تريدين بعشي  
ثانية؟

- من أجلِي نودعس... من أجلِ انتظاري... من أجلِ العذابِ الذي  
ألفَ أيامِي... ليتك تدري نودعس أيَّ وحشةٍ أعيشُ... أيُّ ألمٍ تعيشُه  
امرأةٌ وحيدةٌ... تنتظرُ رجلاً لا تدري متى يطلُّ عليها... عذابٌ  
يومي... وعذابٌ هو العمرُ الذي أعيشُ... أرهفُ السمعَ لخطو  
الطرقاتِ فلا أجدهُ ثمَّ معنى لأيِّاماً شيءٍ... أعاودُ الاصغاءَ... أعاودُ  
الاحساسَ بالندم... لمَ ربطَ حياتي برجلٍ مثلَ هذا... مجنونٌ بحبِّ  
امرأةٍ أخرى... بحبِّ أجدهُ أعمق وأجلَّ... لم أخفَ مثلاً أنا خائفةً  
الساعةَ... كانَ خوفي يتجددُ لحظةً أراكَ مغموراً بحبِّ بابلَ وأزقتها...  
وفجأةً... فجأةً نودعس فقدتكَ... وبفقدِكَ صارتْ بابلَ بأسرِها ناراً  
ودخاناً ونوسلاطِ نسوةً لا يعرفنَ سوى معاني الانتظارِ، كلُّ ما يحيطُ  
بابلَ ينتظرُ... الأزقةُ موشومةً بالانتظارِ... الطرقاتُ... همسُ  
الشفاهِ... المعابدُ التي لم تعد ترتلي بصدقٍ... أصواتُ الأولادِ الذين  
باتوا لا يعرفونَ سوى لعبِ الحربِ، دوماً نودعس ترى ثمةً فقيرينَ  
يتقاتلا... لم لا أحدَ يعرفُ الجوابِ، كانوا صبيةًّا بابلَ يرتدونَ أناشيدَ  
الحبِّ والودِ والسلامِ، فلمَ تراهم اليومَ لا يعرفونَ سوى أناشيدَ الـ  
موتِ والأحزانِ ودخانِ الحروبِ؟!! من المسؤولُ عن هذا ... محزن  
نودعس بابلَ التي أوكلتْ نفسها لمكرِّ بيل شاحر وسفالاتهِ، أم الأيامِ  
التي ما أحبتَ بابلَ وقررتَ الانتقامَ منها، ولمَ نحنُ... نحنُ دونَ  
سوانا من يجبُ عليهِ أن يتحملَ ثقلَ المأساةِ... لمَ بابلَ التي يجبُ أن

تحترق وهي التي أدت طقوس الأرباب، وقرئت للمذايحة دماً ما كان  
ليكون لولا الحب... لم نودع... تملأنا الفراقات وتعذبنا العادة...!!  
- هو قرئنا... قدر بابل ونورنا... قدر الحلم الذي عشناه معاً...  
ولكنني أحسُّ اليوم عجزاً ما أحسته من قبل، أحلامي تهوي باتجاه  
عمقِ سحيق، وزمني يموت واقفاً، لا شيء يحيطني نورنا سوى لغوي  
وأصوات عواء وحوش شمت رائحة الأجساد فبدأت تقترب... بدأت  
تقترب نورنا وأنا عاجز لا أقوى على فعل شيء... عاجز مدفون  
بندم الخطيئة!!

- ما هذا الذي يقوله الرجل الذي أحب... عن أبي عجز يتحدث...  
مد بصرك ، ما الذي ترى؟!!

تقفُ غير بعيدٍ متقيةً الغبار وسموم الرمل بكلتا يديها، حائرةً ما كانت تراه وهو يفور مستسلماً لرغبة الخوف والحزن والانهزام، قال شوقياً اشاعة الودّ بعد همنة الخوف:

- لا بد إن بابل تنتظر مثل هذه اللحظة، صاحبي... ما أظن مدينة مثلها تنسى مثل هذه الخطوات... أعتقد أن ثمة شبهاً بين هذا الذي نعيشُ وذاك الذي كان!

**بفتوّرِ مبالغٍ فيه رفع نodusus رأسه مستطلاً، وهنيهةً أحسَّ الأمان ووضع رأسه فوق بساطِ الرملِ، رغم شعورِه بالحرِّ الذي ينفعُ الجسدَين بعرقِ لزجِ، قال بصوتِ خربته أوهامُ العطشِ:**

- عن ماذا تتحدثُ شوقياً؟

رفع شوقيا الرأس التعب المتراري، الحاس بالخدية إلى حضنه، وبدأ يمسد الشعر الغارق بكتل لامعة من الرمل، قال وهو ينفع صوته مثل أم رؤفه:

- اي نودعس... اي صاحبي وخلي... ما الذي أصاب ذاكرتك...  
ومالي أراك لا تقدر على تجاوز آلامك... ما كنا نريد هذا... بل ثم  
وراء هذا الخطوط مسافات اخرى لابد من اجتيازها... محننا نودعس...  
محنة ان ترى أحلامك بين طيات هذه الصحراء المترامية الأطراف...  
محنة ان تودع جسدك احشاء وحوش الفلاة وقد نذرته لأهم من  
هذا... او نسيت نودعس أحلامنا... او ماتت بابل بين جوانحك متلما  
ماتت رغبة الاستمرار... أي حزن هذا الذي تبعثه في أعماقي وأنا  
الذى كنت أريد الاتكاء اليك... في أعماقي نودعس وجع ومخاوف...  
فكيف لي أن أبددها وأنت تري هجري وتركي وحيدا... ما الذي يمكن  
أن أقوله هناك إن رأته نورنا... أقول تركته خائر الروح منتظرا  
مجيئ وحوش الفلاة... أو ما كان عليك أن تبقى بين طيات الكهوف  
وارتباكها، لم جعلتني أجازف بحلمي... ما الذي أقوله لبابل غدا...  
خفث الموت فتركث نودعس بواجهه وحده، وماذا... ماذا يكون  
المصير إن بقينا معاً وسط هذا الصراح والعويل والنداءات الغربية،  
ماذا يمكن أن يحل بنا غير الفناء والتلاشي بين طيات هذه الرمال...  
لا شيء يذكر بنا ولا أحد يصدق إننا مجرد ذرات مدفونة تحت قر  
الصيف... قم... قم نودعس فليس ثمة رجاء غير أن تتقدم، أقسم

إني رأيت من يتقدم خطونا... لا عليك... لا عليك يا صاحبي فقط  
ساعد نفسك قليلاً... قليلاً وستجد إن بابل ونورنا بالانتظار !!  
- نورنا... بابل... انظر شوقيا... ها هي ذي نورنا... كيف  
يمكنها الوقوف هكذا... أحس بأوصالي تتقطع، وأعمامي تبحث عن  
لحظة خلاص... كان علينا شوقيا أن نفكر جيداً... جيداً قبل أن نبدأ  
رحلة التيه هذه... لا شيء يخفى لا شيء... كل الامتدادات يمكنها  
أن تقدم لك وهما... سراب بعيد وحقيقة لا يمكن أن تحل أبداً... ما  
فائدة أن نمضي... ما فائدة أن نظل ها هنا... ما فائدة وجودنا وسط  
هذا العالم المضطرب الباعث عن الاشمئاز... لم نحن دون سوانا  
تلاحقت محن الانكسار... أمس كانت حائق بابل وخراباتها وثم ليل  
الكهوف وغياب الآمال والحزن الذي يلف كل ما يمكن أن ينبع  
الضوء...وها نحن الآن شوقيا... ها نحن داخل هذا الآتون  
المشتعل... نار... نار هي هذه الرمال، فأي رب هذا الذي يشعل  
خلاصنا بالهزيمة، ما له شمس يناصبنا العداء... ما أسعده من يرحل  
إلى عالم "كن نوجي" لابد إن هناك أربابا أكثر فائدة وهدوءاً...  
هدوء يجعلني أنتظر أوبه نورنا دون الاحساس بالملل والإكراهيات...  
هناك لابد لي من نسيان الألم ومحو الآثام... ما فائدة أن نعيش  
أزماننا محاطين بالوجع والحزن... ما فائدة أن نحلم بوهن مخاوفنا  
دون مقدرة على تجاوز محن الارتداد، سواد هو ما أعيش، سواد هو  
ما أفكّ به، سواد تلك الأيام الماضيات التي كانت تلوك غباءات  
الاسترسال، كان ليل الكهوف يلوث صبح حضوري فيحيلني إلى

صمتٍ مرتقبٍ، أنهازٌ فوقَ نيرانِ الاستذكارِ، كنتُ أحاولُ بناءً عالمٍ  
يحتضنُ صباحاتِ بابلَ ويمسحُ الحزنَ عن عيني نورنا، لكنني كنتُ  
أرتدُ لائكاً زغبَ روحي، محاولاً الامساكَ بمعنى وجودنا، لمَ كلُّ هذهِ  
الامتحاناتِ؟!!

لمَ كلَّ هذهِ الآثامِ معلمِي؟!!  
لمَ كلَّ هذا الدِمُ الذي لا يتوقفُ نزيفُه منذُ رأتَ عينايَ شعاعاتِ  
شمش؟!!

ولمْ بابلَ دونَ سواها مَنْ ابتلَت بهواجسِ الاضطرابِ... رغمَ إنها  
كانتَ تغنى بحبِ الودِ وتلقمُ فمَ السلامِ ثدياً من محاسنِ ومباهجِ، لمَ  
بابلَ هي التي تدفعُ الثمنَ... رغمَ كلَّ تلكَ القرابينِ المضمخةِ بعطرِ  
الأرواحِ؟!!

آهِ معلمِي... آهِ حينَ تجدُ أرواحنا تتيسُّ... آهِ لحظةَ تحسُّ إنَّ  
قديمِكَ واقفتانِ غير قادرتينِ على رفعِ قامةِ أحلامِكَ... حلمي يبدُّ  
وروحي تتلاشى... وزمني خرابٌ... نورنا لكمْ أحبُّكِ... لكنْ عجزي  
يبعدُ خطوي عن تتبعِ خطواتِكِ... نورنا لعبةُ أفرادي... لمَ أراكِ  
تنبلجنَ... لمَ كلَّ هذا الانتظارِ... ما فائدَه صمتٌ مطبقٌ وعينانِ تهلانِ  
مطراً من دِمِ، دِمٌ دفوفٌ ولهاشَ خلفَ موتٍ لا مبرَّ لهُ... نورنا قلبِي  
يتآلمُ جداً، ولسانِي يهيمُ في مدنٍ من أغنياتِ مالي لا أسمعُ غيرَ  
ثفاء الأحزانِ، سوادُ هو الحزنُ، سوادُ هي الاغنياتُ، غُنِّ نورنا، غُنِّ  
حتى تسمعُ بابلَ صوتَ مباھِكِ فتطلقُ عنانَ مباھِجها، غُنِّ نورنا  
حتى تطربُ أعمارُ الروحِ وتورقُ أزمنةُ الرخاءِ، حسناً نورنا... حسناً

تفعينَ، صوتكِ يتوجّل عميقاً في الجسدِ الذي حنَّ إلى حيَاةٍ، ها هي ذي بابل تصحو على صوتِ تراثيلِ محبتنا، ألمي، ألمي يغورُ عميقاً في الروحِ التي تريدُ شمَّ شذواتِ العبورِ... اليكِ كانَ يسعى حلمي... فما لي أحُسُّ الخوارِ... مالعمرِ يرفضُ الاستقرارَ؟!!

أجويةٌ... أجويةٌ معلمِي... هذا ما أريدُ... وترى بابل... مد بصركَ بعيداً... ما الذي ترى غيرَ طائرِ الموتِ يرفرفُ فوقَ هاماتِ انكسارنا، وصمتُ، لم أعدْ أسمعُ حتى تلكَ العواءاتِ التي كانتْ تورقُ ندمي، لم أعدْ أميّزَ بينَ صحيوي وعذابِ حضوري، أجويةٌ هذا ما نريدُ لكي تحسُّ روحي آلاماً وتقوى على النهوضِ... نعم... نعم معلمِي أريدُ الاستمرارِ... ولكنَّ كيفَ... ولماذا... والى أينَ... الى أينَ تتجهُ بنا أحلامنا ايها الرجلُ الذي ملاً قلبِي بعطرِ الكلماتِ... فرقٌ بينَ أن تقرأَ وتعيشَ... فرقٌ بينَ أن تسمعَ وتقولَ... فرقٌ بينَ أن تتلمسَ حوافَ المحنَّةِ وأن ترمي نفسكَ وسطَ أوارها، الى أينَ... الى أينَ تمضي بنا السنواطِ ننورنا... وبابلِ وهمِ يشيدُونَ وهم... واحتاجُّ يشيدُونَ احتجاجَ... وخوفٌ يشيدُ خوفَ... اختلَّ الجسدُ بارتِجاجِ، وهدمَتْ حواسُ الاضطرابِ، أمسكَ شوقياً بالجسدِ الذي التهَّبَ بنيرانِ الأحزانِ، فأحسَّهُ غارقاً في بحورِ من الاضطراباتِ والتلوّعِ، كانَ يشعرُ إنْ صديقةً لم يُعد قادرًا على الاستمرارِ، ثمَّ مصباتٍ من التراثيلِ تملأُ أعماقَه فتجعلُه هاماً منتظراً الطائرَ الأسودَ الذي بدأَ يرفرفُ بخفقانِ فوقَ الجسدِ، دوَّمتْ الريحُ وعَوَّتْ وارتَجَتْ مساحاتُ الرملِ، كانَ الزمانُ يتحركُ باضطرابِ، والموتُ... الموتُ يسري بدببِ غريبٍ بينَ أوصالِ

الجَسْدُ الَّذِي كَانَ مَتَقَدًا قَبْلَ لَحْظَاتٍ، انسَحَبَتْ عَرْيَةً شَمْشُ وَبِتَوْعِدَةٍ  
أَمْتَلًا الْمَدُ الْبَعِيدُ بِلَوْنٍ أَحْمَرٍ مَصْفَرٍ، كَانَ شَمْشُ يَتَرَكُ خَلْفَهُ خَفْقَانَ  
الْبِرْوَدَةِ الَّتِي مَا تَلَبَّثَ أَنْ هِيَاتِ الْأَجْسَادِ إِلَى ارْتِمَاءِ لَذِيْنِ، نَهَضَ  
شَوْقِيَا بِبَطْءٍ وَأَمْسَكَ بِجَسْدِ صَاحِبِهِ، كَانَ الْوَقْتُ يَمْرُ مُثْلَ حَصَانٍ تَعِ  
وَالْأَرْوَاحُ تَمْطَرُ اسْتَذْكَارًا طَيْبًا، بَقْتُورٌ أَقَامَ نَوْدُعُسْ جَسْدَهُ وَبِشِيءٍ مِنْ  
الْقَلْقِ اندَفَعَتْ خَطْوَاتُهُ إِلَى أَمَاءِ، كَانَ يَبْصُرُ مِنْ بَعْدِ نُورَنَا وَهِيَ تَتَابَعُ  
خَطْوَاتِهِ بِرْضَا تَامٍ، أَبْصَرَهُ شَوْقِيَا بِالْإِرْتِيَاحِ وَانْدَفَعَ يَرِيدُ الْأَمْسَاكَ بِضَوءِ  
سَنِ الَّذِي بَدَأَ يَبْزُغُ مِنْ خَلَلِ الْحَمْرَةِ الدَّاکِنَةِ، كَانَتِ الْأَصْوَاتُ الْقَاتِلَةُ  
لَوْحَشَةُ الْلَّيلِ تَقْرَبُ، وَثُمَّ احْسَاسٌ بِالْأَنْكَماشِ يَدَاعِبُ غَرْيَةَ الْأَرْوَاحِ،  
أَحْسَنَ شَوْقِيَا بِلْفَحةٍ بَرِدٍ فَكُورَ يَدِيهِ إِلَى صَدْرِهِ وَيَدَاتِ خَطْوَاتُهُ تَدُورُ  
أَزِيزُ الرَّمَالِ الَّتِي كَانَتْ تَتَنَاثَرُ مَتَوَهِجَةً بِغَرَامِ الصَّبَاحَاتِ، اندَفَعَتْ  
هُوَاجِسُ الرُّوحِ، وَنَمَتْ فِي سَرِّ الْأَعْمَاقِ اسْتَذْكَارَاتٌ لِيَنَّهُ عَذْبَةٌ مِثْلَ دَمِ  
الْبِرْتَقَالِ، كَانَ! الزَّمْنُ يَكْبُرُ بَيْنَ مَسَاحَةِ الْعَيْنَيْنِ، زَمْنٌ يَرْكُبُ صَهْوَةَ  
جَوَادِ الْمَوَالِيَةِ يَرُومُ الْوَصْولَ إِلَى مَبْتَغِي الْمَبَاهاَةِ، كَانَتْ بِاَبْلُ لَحْظَتِهِ  
تَتَرَقَّبُ اِنْدِفَاعَ الْخَطْوَاتِ الْمَسْحُورَةِ بِهُوَاجِسِ الْأَنْتَمَاءِ، بَغْتَةً فَاضَتْ  
الشَّوَارِعُ الْمَسْكُونَةُ بِغَبارِ الْأَحْزَانِ بِضَوءِ الْمَسْرَةِ، فَامْتَلَأَتْ بِضَجَيجِ  
الْتَّرَاتِيلِ الَّتِي مَا لَبَثَتْ أَنْ تَحُولَتْ إِلَى غَنَاءِ سَعِيدٍ، كَانَتْ بِاَبْلُ تَغْنِي  
وَحْيَنَ تَغْنِي بِاَبْلُ بَوْهِجِ الْعَشَاقِ تَفْيِضُ أَرْضُ السَّوَادِ بِغَنَاءَتِ لَا يَمْكُنُ  
تَفْوِهَهَا سُوَى شَفَاهِ طَرِيَّةٍ تَوَغلُ قَدْمًا فِي مَعْانِي الْإِرْتِيَاحِ، تَرَبَّطَتْ شَفَاهُ  
نَوْدُعُسْ وَأَحْسَنَ إِنَّ سَنِ يَمْسُدُ شَعَرَ الرَّأْسِ الْمَضْفُورِ إِلَى الْكَتْفَيْنِ،

كانت شفاه سن تهمس بطرفِ مجيد، فتوقظ في أعماقِ شوقياً ألقاً  
وسعادةً، قالَ سن وهو يرجلُ عن صهوة جواده:

- اي شوقيا... او ترمي المحنَة في قلبِ الرجاء؟

رفع شوقيا عينيه بزهوٍ وأعتمرت روحهُ بعطر الكلماتِ، كان  
يعرفُ أنَّ للربَّ مقاصدَ تزيدُ اشعالَ حرائقَ المواصلة، فشمةُ فرقٍ بينَ  
أن ترمي كلماتِك إلى قلوبِ وجلةٍ، وبينَ أن تشعلها في موادِ التذكرِ،  
كلماتٌ كانتْ حنجرةً شوقياً تصنعها بصدقٍ تغمُّسُ لفخِ الرملِ بضوءِ  
برودتها الآسرة، قالَ سن وهو يلوحُ بصولجانِ ريوبيتهِ:

- شوقيا... ما الذي يمنحُ القلبَ أملاً؟

- لم يفهُ الكاتبُ بشيءٍ، كانَ الصدرُ يمورُ بالأسئلةِ، كانَ يعرفُ أنَّ  
الربَّ الحاسَ بالاطمئنانِ إنما يريدُ إيقادَ كوانينَ الرغباتِ التي تقيمُ  
حضورَ التسجيلِ، ما الذي تصنعُهُ الخطواتُ، والى أين يمكنُ أن  
تستمرُ إذا ما وجدتَ الانطفاءَ... الى أينَ ما دامَ جمرُ الكلامِ لا  
يكفي لاشعالِ رغبةِ الفعلِ... أن ترى نفسكَ تقيمُ أزمنةَ الأفعالِ  
بعيداً عن بهرجِ الكلماتِ، هذا يعني إن ثمةَ صروحاً للانتصارِ  
تقامُ، عالمٌ لا تحدُهُ أوهامُ اللغوِ، بل تشيدُهُ حقيقةُ الفعلِ... الأرواحُ  
التي أقامتْ نهاراتِ بابلَ السعيدةِ، ما زالتَ تبحثُ عن وهجٍ يعيدهُ  
أفقَ الشفاءِ، اطمأنَتْ مخاوفُ شوقياً، فوجَدَ نفسهُ تقفُّ مثلَ حدّ  
سيفِ أمامِ المرأةِ التي يحبُّ، كانتْ اثلاميدُ تطلقُ خفرَ انتظارها  
وهي تقفُ عندَ البابِ التي ظلتْ مشرعةً دوماً، تقدمُ اليها فهشتْ

- روحها بود ما لبّت أن تحول إلى ابتسام ملأ ورد الخدود وفاض ماسحاً باحثة الدار والممرات المؤدية إلى الغرف البعيدة
- قالت: حسناً فعلت شوقيا... لقد مللت النظر إلى بعيد!!
  - قال: أعرف التلاميد... أعرف ما الذي يفعله الانتظار في عمق قلب يحب!!
  - قالت: يا لها حنية... يا لها كلمات كدت أنسى وجه آمالها!!
  - كيف يمكن للعقل أن ينسى يا حبة القلب؟
  - ما قلت هذا شوقيا... كان فؤادي يسافر بين طيات أحلامك... كنت دوماً أراك ومن خلال الرؤيا أبصر أزقة بابل وفرح سنواتها... كنا معاً شوقيا نسير إلى حيث نريد، فما لأرواحنا تحس الساعة العجز... ما الذي أصاب أعمق النفس ولماذا لا تنفس ذات الريح التي كانت تنفس... أبداً أيها القلب الذي ينبع بين جوانحي ما كنت أنسى هيأة أمجادك يوماً... كانت رقمة تذكرني بك... وحكاياتك تذكرني بليل بابل الرخي، كيف يتسع لي النسيان وكل ما يحيطني هو أنت... أنت مشتول إينما أكون... أغمض عيني هرباً منك فلا أجد في قلب الظلمة سواك... الأمل أنت شوقيا... والأيام التي مررت هي أنت خوف محبتنا ووهج الأغاني التي كانت تملأ ليل بابل... أق تريدين بعد هذا شوقيا أن أنسى... ولم النسيان... لم النسيان ما دام الرأس يريد الارتماء وسط مواقد التذكر!!
  - والآن التلاميد... والآن... أي معنى لخطوي دون خطوك... وأي معنى لخطونا دون خطوط بابل، ها أنذا أجيء ولكن ليس من أجلك

وحكِ... أبداً ليس ثمة فرقٍ بينَكما... كلاكمَا يسكنُ القلبَ وكلاكمَا  
ينيرُ لِي الدربِ!!

- أو تدري شوقيا ما الذي يعنيه هذا الكلام لامرأةٍ غيري... لا امرأةً  
تريدُ منافسةَ الحبِّ سواي، أنا وحدي من ترى أنَّ ثمة طعماً في هذا  
الحبِّ المشطوري بينَ جزئينِ... ثمَّ معنى لوجودنا معاً... ما كانَ قلبي  
يصدُّخ لكَ حباً لولا ذاكَ الحبِّ الذي شممتُه بينَ جوانحَ بابِل، كنتَ  
أشمُّ عطرَ ترابِ أزقتها بينَ طياتِ ثيابِكَ، وأرَى طينَ الرِّزقِ لازقاً فوقَ  
سراويِلِ عملِكَ فأشعرُ أماناً ما كانت ايما امراةً تعرفُه، أماناً كانَ  
يضفي عندَ بوابةِ غاباتِ الألفِ والتفاخرِ فأهيمُ متخصصةً هناجرَ  
المرتلينِ، كانتْ بابلُ تضغطُ فوقَ سماواتِ الأنفاسِ فتبجسُ بغاءً  
حليٍ يجلو صداً الروحِ، وما يلبثُ أنْ يحوّلني إلى حمامَةٍ ترى ضوءَ  
وجودكَ وتكتشفُ المكانَ الذي يأويكَ فتبداً بابلُ تمجدُ وجودنا معاً...  
شوقياً أيها الحبُّ اللذيدُ الذي ملأَ جوانحي لمْ أراكَ صامتاً... مالكَ لا  
تطيقُ النظرَ إلى... ارفع رأسكَ وحدقُ في الملامحِ التي تعرفُ، ماذا  
ترى شوقياً، ماذا ترى؟

أتراني بقايا امراةٍ تنتظرُ أمَّا مجردةً شبحٍ يهيمُ في مغاراتِ الغربةِ  
بحثاً عن مأوى يسدُّ خطى وجودنا... أتراني أئلاميدَ التي تعرفُ أمَّا هي  
الأطلال التي تتحدثُ... يا لها من أزمة شوقياً... يا لها من أزمة تلكِ  
التي وضعتنا أياهُنا داخلَ دوامتها... كيفَ يكونُ الخلاصُ... هذا ما  
لا أعرفُ لذا أريدُكَ أن تكونَ معي، معي لنصلَ إلى ما نريدُ..

فجأةً ارتعَدَ أطرافُ الرملِ، وغدا الشبحُ الذي كانَ يتحدثُ بحرقةٍ مجردَ خفقٍ ريحٍ، ما لبثَ أن تعلَى مندغماً وأصواتِ الذائبِ التي تكاثرَ عواوتها و اشتدَّ، رفعَ شوقيا عينيهِ فلَفَ سُنْ يحدُّ بخطواتِهما التي بدأَت تتناقلُ، كانَ نodusus يجرُ قدميهِ محاولاً الوصولَ إلى حيثُ كانَ شوقيا يراقبُ اندثارَ سُن تحتَ سigh الغيومِ البيضِ، أشارَ شوقيا بارتياحٍ أنَّ ثمةَ بصيصٍ ضوءٍ يلمعُ بعيداً عندَ البعدِ، فارتَفَعَ عيناً نodusus الكليتانِ وراحتا باهتمامٍ تبحثانِ عنِ الأملِ الذي وجدهُ صاحبُهُ فجأةً، كانَ القلبُ الراغبُ بالارتماءِ إلى جسدِ الرملِ، الحاسِ بالتهدمِ والانتهاءِ يشعرُ بأنَّ المحنَةَ بدأَت تتباورُ خطأهُ، فليسَ أصعبُ من أن تجدَ نفسَكَ ملاحقةً بالأوهامِ، اقتعدَ الرجلُ المنهوكُ الشاعرُ بالخذلانِ ببرودةِ الزملِ التي بدأَت تشعرُهُ بالغثيانِ ودونما ترددِ راحَ ينثرُ الذراتِ، مطلاً لنفسِهِ عنانَ ضحكاتِ كانتَ تنبُّرُ لشوقيا الذي ظلَّ واقفاً يتأملُ لحظةً خروجِ سُن من خلفِ الغيومِ، ضحكاتٌ مجنونةٌ تشيرُ الرعبَ والاستغرابَ، امتلأت المساحةُ المركونةُ بأقدامِ الجنونِ بعواءِ صاحبِ ونهنَّهِ تحولَ رويداً إلى بكاءٍ مرّ، قالَ نodusus ضاحكاً... ناشجاً بحزنٍ، متأنِّراً بوحدةِ مخاوفِهِ:

- أيُّ بصيصٍ هذا الذي تتحدثُ عنهُ شوقيا... هل تصدقُ إنَّ هذهِ الصحراء الشاسعةَ المجنونةَ يمكنُها أن توصلنَا إلى شيءٍ... أيُّ حلمٍ غريبٍ يحلُّمهُ عقلكَ المعبأ بالكلماتِ... لا يمكنُ لأرواحنا الغرةِ المسكينةِ مقاتلةً كلَّ هذهِ الرمالِ... خطونا يضيعُ وسطَ لا شيءٍ... فما لكَ تريدُ أيهامي بحقيقةٍ لا وجودَ لها، عن ماذا تتحدثُ شوقيا

وأينه ذاك البصيص الذي رأيت، لم تر غير وهمك وخراب روحك التي  
بدأت تذوي مثل ذبالة سراح، الصمت... الصمت وهذا الdoi الذي لا  
أدرى من أين بجيء هو الذي سيقتلنا... وحيدين نبقى نطارد سعوم  
الصباحات التي لابد وأن تجيء ونحن ندور... وندور ولا منفذ  
للخلاص شوقيا... لا منفذ للخلاص فما لك تريده غشي وخداعي  
بالكلمات بعد أن دمرت عمرى كله بأكاذيب حكاياتك التي ملأتني  
جنوناً وجعلتني أصدق إنَّ الإنسان قادر على اجتياز محنَّة  
المستحيل... أنت شوقيا... أنت لا أحد سواك من جعلنا نتهي وسطَّ  
هذا البحر من الأترية التي لا نهاية لوجودها، أنت من جعلني أنسى  
نفسِي وأسعى وراء عواطف حلم بابلي... ما الذي قدمته بابل لنا  
لتقدمه لها... ما الذي أعطته لأجسادنا غير الإهانة والتجريح وعدم  
احترام أبسط مآربنا الإنسانية، فلم تريدين شوقيا أن أحترم من لا  
يحترم قدرِي... لتذهب بابل وأحلامها إلى أسفل نيران الأرض، ولامت  
أنا مرتاح البال... أحس في جسدي وجعاً شوقيا فأينها بابل لتبريح  
عني هذا الوجع الذي بدأ يسري بين جوانحي، لم تراها صامتة أو  
تشتمُّ بنا أم تراه الخوف عطل أحاسيسها مثثماً عطل أحاسيس  
عيون الكهوف، ما لها بابل ساكتة وهي ترانا نلوب وجعاً، بابل شوقيا  
حرائق لم تعد ذا فائدة... بابل مجرد دم مسفوك فوق رخام الأيام، ولا  
أظن إن لمثل هذا الدم فائدة... كذبت علىَّ كثيراً شوقيا... وها أنت  
تتدبر ثانية... ضوء ماذا هذا الذي تريده الوصول إليه، وأينه ليطمأنَّ  
قلبي، كذب ما تقول، ما هو إلا لمعان عيونِ ذئاب تحدين الانقضاضَ

على آلامنا، أين ترانا الآن شوقيا، ولم تخلت عنا كل أحلامنا... لم  
صارت أيامنا مجرد ذرات رمل مثل هذا، كيف ملأت رأسي وهما...  
ولماذا... لماذا لم تقل سوى أكاذيب... أينها بابل لتنفذ ما تبقى...  
شوقيا ملعون أنت... وملعونه بابل التي أنجبت أكاذيبك وصدقها!!  
انغمي الجسد اللاعبي بين طيات الرمل محاولا الوصول إلى ستر  
انهزامه، كانت روحه تحاول الفرار لكنها كانت تصطدم بتلال من  
الرفض، جثا شوقيا على ركبتيه ببطء، وثم انهمار غريب بدأ يسيطر  
على مدامعه، ثم ألم كان يحسه يدبى بين آنام تلك الكلمات التي  
أطلقها جوف نodus المتألم، أخذ الرأس اليه فانبجست مآقى  
العينين بضوء خافت كليل، كان نodus يحدق مبهوراً بالوجه الذي  
صيرته رياح السموم مثل وجه رجل مجدهم، ثم بقع سود وصفر،  
وكتب من الشعر الأبيض توزع ارتفاع الخدين، سالت مدامع شوقيا  
ببطء فاحسّها نodus تسري مثل دم في أعماقه، فشعر بالارتياح،  
قال شوقيا ي يريد الوصول إلى درب آماله:

- ما لك تهذى نodus... لم تلعن أرضًا تحب... ما هي التي  
أوجعت مصائرنا... ومن هم أساسها الدين آلموا أنفسنا... ما لك  
تحس الانهزام عند أول تجربة؟!!

ما لك نسيت أحالمك الطيبة الريح، وتذكرت كل ما يسيء لنفسك  
الرائعة... اي نodus، أي خراب هذا الذي دفعتك اليه أسئلتك؟!!  
أو تتذكر ما كنا ننشد عن ذاك الحب... أو تتذكر أم ترك  
نسيت نodus... ما الذي كنت تقول عن بابل عروس آمالك، ما لك

قد هجرتَ حتى نورنا... لقد اختلطَ الأمرُ عليكَ فخارتْ قوى محبتكَ،  
قُمْ نودعس... قُمْ واعترف قبلَ أن تبكي سيدةُ الوجودِ ابنها الذي  
تحبُّ!!

- دعني شوقيا... لا تملأ رأسي بالأوهام والأكاذيبِ كفاني ما سمعتُ  
مذ كنتُ ولداً يركضُ في حواري بابلَ وأزقها، لا تملأ روحِي وجعاً فلمْ  
أعدْ أطيقُ سماعَ الأوهامِ، ما عادَتْ روحِي تتحملُ وجودَ كلِّ تلكِ  
الأكاذيبِ بينَ أركانِها، أريدُ حقيقةً... حقيقةً واحدةً... تجعلني أعيُدُ  
ثقتي ربما فقدتُ، حدثي عن حقيقةٍ تؤكِّدُ إنَّ بابلَ وجودٌ لا وهمٌ، وإننا  
أناسٌ لا مجردَ أشباحٍ، حدثي بأطيفِ ما تستطيعُ عن سنِ الذي  
يرافقنا دونَ أن ينبعَ بشيءٍ، دونَ أن يبدي مساعدةً ما، حدثي عن  
عجزِه وعن كراهيةِ شمش وجنوبيِ مردوك وغباءاتِ انتليل التي لا  
تنتهي، حدثي شوقيا عن عهرِ عشتار ولعبةِ ديموزي التي لا خلاصَ  
منها، أو كلُّ هذا حقيقةٍ أم تراها مجردَ أوهامٍ رسّمتها عقولُنا فوقَ رقمِ  
الطينِ، فحفظتها شفاهُ طفولتنا، ما لكلِّ هؤلاءِ الأربابِ عاجزينَ عن  
مددِ يدِ العونِ... وهمكَ شوقيا من رسم لكَ دربَ الحكاياتِ، أما أنا فلا  
أريدُ الآنَ سوى حقيقةٍ واحدةٍ... واحدةٍ لا غير... فهل تركَ قادراً علىِ  
رميها بينَ عذاباتِ جسدي مثلما كنتُ قادرًا علىِ الولوجِ إلىِ مدنِ  
أحلامي... مجنونٌ أنتَ شوقيا لأنَّكَ تصدقُ أكاذيبَ رأسِكَ وتحاولُ  
تعيمِ أفالِكِ دورانها... مجنونٌ أنتَ أيها اللاعبُ بمفاتنِ الكلماتِ...  
وما دمتَ مجنوناً فلا أريدُ لكَ سوى الموتِ... لابدَ وأنْ أقتلُكَ شوقيا...  
لم تعدْ هناكَ حاجةً لبائعي الكلماتِ وصانعي الأخيلةِ، أريدُ حائقَ

توصلي الى حيث أريد... أنا نodus سيد الحقيقة المطلقة... أنا  
نودعس الراubb ببناء مدن الآمال البعيدة عن أكاذيب الكتاب!!  
بعثةً أمسك نودعس برقبة شوقيا وبدأ يضغط، كان الكاتب الذي  
أحس بالمباغة يريد التخلص من القبضة التي بدأت تشدء إلى  
الأسفل، لكنه كان يحس إن ثمة استمراً في لعنة كهذه، أطلق  
لجسده الاسترخاء وأغمض عينيه متماماً، كانت يدا نودعس  
تضغطان ببطء ولحظة أحس ارتخاء الجسد ارتمتا بعيداً دائرتين مثل  
مهوية ريح، وقف نودعس ملدوغاً، ناظراً إلى الجسد الشاعر بثقل  
ارتياحه والحادس بأن لابد من لحظة هدوء، لبرهة وقت ساد الصمت،  
وتعطلت عواءات الذائب، وهبت ريح باردةً كان سن يراقب هذه  
اللحظات بعيونِ وجلةِ راغبةٍ بسبِرِ أغوارِ هذا الوجود الذي لا مبرر  
له، استدار نودعس باحثاً عن منفذ يقيه مخاوفه ولحظة لم يجد، رفع  
رأسه فاصطدمت عيناه بعيني سن الباسمين، أصابَ الجسد الواهن  
ارتعاش، وما لبث أن تساقط ببطء... ببطء شديد إلى جانبِ الجسد  
الشاعر بهدوء الليل، تلمست الأكفُ برودةِ الأصابعِ وانسحبَت  
متسمسةُ الخدين والألف، وهنيهةً شعرت بغرابةِ السكون، صرخت  
الحنجرة:

- ويلكَ نودعس ما الذي فعلت؟

كان الخوفُ يركبُ عريّةَ الأطرافِ فتصدرُ أصواتاً مصلصةً،  
أصواتاً عجّت مائلاً المكانَ باستغاثةٍ مريّة، كان الجسد المطرحُ  
الحادس ببرودةِ الرملِ تسري بينَ أوصالِه يستمعُ إلى الأصواتِ دونَ أن

يُنْمِكَنَّ مِنْ فِرْزِنَتِهَا، كَانَ ثَمَةُ يَاسٍِ وَضِياعِ وَحْرُوبِ نَدِمٍ تُقَامُ فِي لَجْجِ  
الْجَمْجمَةِ الْفَارِغَةِ امْتَهَانًا، كَانَ نُودِعُسْ لَا يَبْصُرُ غَيْرَ أَزْمِنَتِهِ الْفَاتِرَةِ،  
أَزْمِنَةٌ كَانَتْ بِالنَّسْبَةِ لَهُ فَرَارِاتٍ بَعِيدَةٌ، وَأَوْهَاماً تَشَرُّمٌ مُنْتَشِرَةٌ فِي  
مَسَاحَةِ الْأَنْهَارِ، حَاوَلَتْ رُوحَهُ أَنْ تَلْمَسَ مَخَاوِفَ الْآخِرِ وَصَمَتْ  
أَنْفَاسِهِ، لَكِنَّهُ أَحْسَنَ خِيفَةً فَتَرَاجَعَ نَاظِرًا قَمَةَ اللَّيلِ، لَيْسَ ثَمَةُ غَيْرَ  
سَنِ، سَنِ وَحْدَهُ كَانَ يَقْفُ مَثْلُ إِلَهٍ خَائِفٍ، يَتَرَبَّعُ مَعْجَذَةَ الْمَرْوُرِ، كَانَ  
يَشْعُرُ بِاسْتَدَارَةِ ضِيائِهِ تَتَلَاشِي بَيْنَ عَجَاجِ التَّرَاجِعِ، لَيْسَ ثَمَةُ مَعْنَى  
لَضْوَءِ إِلَاهِيٍّ وَسَطَ هَذَا السَّيْحُ مِنَ الرَّمَالِ، لَا مَعْنَى لِأَيِّمَا وَجُودٍ غَيْرَ  
وَجُودِ الدَّازِّ، سَاعَةً تَقْرُرُ الْمَوَاجِهَةَ، تَقْفُ قَامَةَ الْرِّيحِ وَتَهَدُرُ أَمْوَاجُ  
الرَّمَالِ مَتَحِدِيَّةً، وَتَنْطَوِيُّ خَطْوَاتُ الْأَقْدَامِ مَتَعْرِثَةً بِدَوَائِرِ ارْتِبَاكِهَا، كَانَ  
الْعَالَمُ لَحْظَتِهِ يُلْتَمُ تَحْتَ شَوَاظِ النَّيْرَانِ مَطْلَقًا هَفِيفًا مِنْ رِيحِ نَنَتِهِ،  
ظَلَّتِ الْخَطْوَاتُ تَدُورُ بِحِيرَةٍ، وَالْعَيْوَنُ تَدُورُ بِحَزْنٍ، وَالْقَلْبُ يَخْفُقُ مَثْلُ  
طَائِرٍ يَكْتَشِفُ إِنْ ثَمَةَ اتِساعًا أَمَامَ عَيْنِيهِ، بَغْتَةً تَنْفَسُ شَوْقِيَا أَلَمَّ  
نَفْسِهِ، وَفَتَحَ بَوْبِيَّهُ بِفَتُورٍ مَنْ يَشْعُرُ بِالْأَنْهَازِمِ، كَانَتْ أَعْمَاقُهُ تَشَتَّعُ  
بِجَمْرِ الْخَرَابَاتِ وَتَرْطُمُ الْأَسْلَئَةُ شَطَانَ رَأْسِهِ، أَمْوَاجُ مِنْ زِيدِ الْكَلْمَاتِ،  
كَانَ يَشْعُرُ أَنَّهُ يَنْهَرُ مِنْ بَيْنِ شَفَتِيهِ دُونَ أَنْ يَقْرَرُ عَلَى الْأَمْسَاكِ بِهِ،  
هَذِيَانُ مَحْمُومٍ رَاغِبٍ بِالْأَنْفَلَاتِ بِاتِّجَاهِ أَحْلَامٍ كَانَتْ الْأَيَامُ قَدْ أَرَاقَتْ  
دَمَاءَ وَجُودِهَا، فَجَأَةً نَهَضَتِ الْأَيَامُ وَاسْتَقَامَ أَفْقُ وَجُودِهَا، وَتَشَيَّدَتِ مِنْ  
طَيْنِ التَّرْكَاتِ مَدْنَ تَرْهُو بِضِيَاعَاتِ سَنِ، وَمَرَاقِصِ شَعَاعَاتِ شَمْشَ،  
وَثُمَّ آلَهَةٌ تَرْنُو إِلَى مَا يَشِيدُ الْإِنْسَانُ بِمَبَاهَةٍ وَتَفَاخِرٍ، تَتَحرُكُ خَطْوَاتُهُمْ  
فَتَشَعُّ الْأَحَلَامُ مَزْوَقَةً الْأَزْقَةَ وَالْحَوَارِيَ وَمَنَافِذُ الْمَعَابِدِ بِتَرَاتِيلٍ تَمَلَّأُ

القلوب بالأمان والفرح، كانت الأحلام تكبر وتثمر أسئلةً ما تلبث أن تصنع أحلاماً أخرى ومدناً أخرى وتراتيل تملأ القلوب بمحاسن وجودها الإنساني، تطلع سن إلى العينين اللتين يعرف بحزنٍ وبالمَرْبَبِ يتذنبُ، همس باذن شوقيا التي أيقظ سماعها برد الاستذكار:

- شوقيا... يا ابن أتوشمش... مالخطواتك لا تقوى على الاستمرار!!

رنَّ السؤال فوق قحفةِ الرأسِ رنيَنْ فأسِ فوقَ صخرٍ، فارتَفَعَتْ هامةُ الرجلِ الموجوعِ، ونبَرتْ شفتاهُ اليابستانِ بذلةِ الخوفِ:

- اي سن روحي تجفُّ وخطواتي تتعرّض في دربِ المخاوفِ!!

- لم... ما تعودتكَ هكذا؟!!

- ما أعيشُ وأرى، سن، صعبُ أن يتحملهُ رجلٌ مثلي!!

- مثلَكَ شوقيا... مثلَكَ مَنْ يحملُ بينَ كواهلهِ حبَّ الاستمرار!!

- كيفَ لهذا الحبُّ أن ينمو ويبيهُجَّ وكن نوجي يقفُ بينَ يدي؟!!

- أوهامُكَ هي التي تصنعُ مخاوفَكَ... لا شيءَ سوى حلمِكَ... وهو هناكَ فهل تركَ تستمرُ أم تتركُ أثرَ خطواتِكَ يتلاشى بينَ طياتِ الرملِ؟!!

- هذا ما أستشعرُه سن، كلُّ منا صارَ مجردَ ضبابٍ يهيمُ في لبِّ الصحراءِ!

- كيفَ... وأنتَ تؤسسُ خطواتِ بابل... ما الذي كنتَ تكتبُ في رقمِ الطينِ تلكَ وماذا كنتَ تشيُدُّ أو كنتَ تلاعبُ أكاذيبَ نفسِكَ... أو ثمةَ حقيقةٍ فيما كنتَ تقص... من ذا يصدقُ إن شوقيا يدفنُ أحلامَه في

مدافنٍ من رمال العجز... أنت... أنت الذي ملأت أرضَ السوادِ  
 أحلاماً... تحاول اللحظة التخلي عن حلمك... لم تشهر سيفَ  
 الانتقام شوقياً... ولأجل ماذا... من تراه يصدق إنك مجرد لاعبِ  
 ماهر بوهج الكلمات... مجنونٌ رأسُك وحرفُ قرارُك !!

- لكنني لن أقدر على المواصلة... ما عادت نفسي تتتحمل وما عادت  
 لروحِي موجهاً !!

- يا لك من شقيٌّ... يا لك تعنٌ شوقياً... أو حقيقةٌ ما تقولُ...  
 روحُك لم تعد تركبُ مراكبَ وجودك... صعبٌ أن تنهزمَ روحُ انسانٍ  
 مثلك، ويقفُ جسدهُ عاجزاً.. شقيٌّ أنت شوقياً لأنك جسدٌ لا قرار له !!

- نعم... نعم أيها الربُّ المصيءُ منذ أزلِ الوجود... تلك هي  
 محنتي... ولا أظُن أن لي هدفاً يسعى إليه جسدي، خذت روحِي  
 مجردَ كانونٍ منطفئٍ وتتفشى أعمقَ غبارَ الارتجال... من أنا... ولم  
 تحفني كلُّ تلك المحن... من أنا... ولمْ كان قدرِي أن ألْجَ عوالمَ  
 الكلماتِ التعبَ... ما معنى أن تكتب؟!!

ما معنى أن تقضي سنواتِ عمرك تلهث خلفَ سرابِ الحكايات... ما  
 فائدةُ وجودِ الكلماتِ... ولمْ ندونْ عذاباتِ الانسانِ ما دامت تعيشُ  
 وإياه منذ زمنِ الهبوط... ما الفائدةُ أيها الربُّ المصيءُ أن يدونَ  
 الانسانُ أقاويلُ أيامِه وهي تتشابهُ تشابهَ النفسِ إلى الجسد... أيُّ  
 معنى لكلٍّ هذا الوجود؟!! قلقٌ يملأ رأسي سن... قلقٌ يركبُ جسدي،  
 معدنٌ من قلقي أنا، ونصبٌ من تراجعاتِ... أيُّ سرٌّ وراءَ كلٍّ هذا...  
 ما معنى أن تقضي سنواتِ عمرك تلهث خلفَ سرابِ الحكايات... ما

أيُّ سرٍ وراء كلَّ هذا الاحتراقِ البابلي... بابل تحرقُ والأرواح تحرقُ، والانتظاراتُ تتعُّب الأفندة!!

- أوَّلُ هذَا كُلُّ ما تعرَّفَهُ شوقياً... أوَّلُ لهثَّ وراء عمرِ الكلماتِ من أجيالِ أنْ تصلَ إلى عتمَّةِ هذهِ الحقيقةِ... أوَّلُ مَمَّا لم ترْ ثمةَ دقائقِ أخرى تقامَ... ماذا عن أحَلامِ اثْلَامِي... ماذا عن ذاكَ الحلمِ الذي سعى إليه نبواني، ماذا حكمَة سن ماغرض ولم اندفعت تاك الأحلام القائمةُ الوجودَ عندَ أولِ صهيلِ جوادِ... ما الذي أصابَ نفسكَ، وما عطَّبَ الروحُ الذي ألمَ بكَ... بابل ترى في حضورِكَ أملاً فما لكَ تمنعُ عنها هذا الأملَ بعدَ كُلِّ هذا الانتظارِ... قاسٍ قلبِ أوجاعَكَ وشفيفَةَ أحلامكَ التي كنتَ تبنيها في أقطَّةِ الأرواحِ... أوَّلُ آمالاً بالوصولِ إلى كنْ نوجي... وما الذي تبغيهُ هناكَ... ولم لا تكونُ أماماًكَ بابل... بابل التي بنتَ عظمةَ وجودكَ وجعلتَكَ عارفاً بأشدِ الأسرايرِ قاتمةً، هبْ التي أعطتكَ كُلَّ شيءٍ... فما الذي أعطيتها غيرَ الغضبِ والوعودِ التي لا تجدُ لها غيرَ قبولِ العجزِ !!

- بل أعطيتها عمرِي كُلَّهُ... ما كنتُ أحلُّ أيَّها الرَّبُّ المضيءَ بسواها... ملأتُ أحَلامِي أوجاعاً... فملأْتُ رقمَ الطينِ تراتيلَ وقصائدَ حبٌّ!!!

- وما فائدةُ هذا الآن... قل لي شوقياً ما فائدةُ قلبِ خائفٍ لحظةٍ يتوجهُ الحبُّ؟

- لن أعرَفَ سوى إنَّ القلوبَ الخائفةَ لا يمكنُ أن تعرفَ معنى الحبِّ الذي يغورُ عميقاً !!

- وإذاً أيها الصانع للكلمات... كان حلمك مجرد حلم خائفٍ يتبدّل... أنت لا شيءٌ شوقياً... لا شيءٌ مثلاً هي أيامك قبضُ ريح... لا تريد الاستعانة بالمجده... لم كل هذا اليأس؟
- هي النهاية أيها الرُّبُّ المضيء بهالاتِ العشق... أحس إن نهائة كلّ ما يحيط بي بدأت تتضخ ولا أظنّ إني قادرٌ على ايقافِ مثل هذه النهايات!!
- ما أنت الذي يقرّ... ليس ثمة نهائية لشيءٍ... افتراضٌ متخيّل ولعبةٌ ابتدعها الإنسان، ما معنى نهاية... وكيف تكون ولم تعرفها أنت ولا تعرفها سن صاحبٌ مركبة العظمة... وهم هذا الذي تتحدث عنه ومحضُ أكاذيب!!
- لكنني أحس خطواتي قريبة من كن نوجي !!
- أحاسيسٌ موغلٌ بالفتنـة... وهو عجزك الذي يدفعك إلى مثل هذا القرار!!
- ما الذي تريده مني سن؟
- سؤالٌ صعب... والأصعب منه أن يجيب عنه الله... لا شيءٌ أريدُه لنفسي، كلّ ما أريده هو لنفسك أنت!!
- نفسي لم تعد تطبقُ هذا الخلل الذي يعطّل مباحث الأرواح... بث مجرد خطواتٍ تسعى إلى خلاصها الواحد!!
- وماذا في هذا شوقياً... أو ثمة ما يعيّب في أن تخلص ذاتك أولاً؟

- هذا ما أظنُّ أيها الربُّ الذي يضيءُ الأزلَ... لم أعد واحداً منذْ أمسكتُ أزميلَ التدوينِ... ملأتُ أفكري عقولَ الناسِ وأينقتُ أسئلةَ... فكيفَ يكونُ فردياً.. وماذا عنهم إداً؟
- ما تتوهّمُ لكَ يعززُ حضورَ الجمعَ... هل أنتَ واحدٌ شوقياً؟
- ربما نعم... ربما لا أيها الأزلُ المضيءُ أبداً!!
- لم تستطعِ التحديدَ، رأسُكَ ما عادَ يتحملُ أسللةَ الآثامِ!!
- كلِي ما عادَ يتحملُ... كلِي أيها الإلهُ سن!!
- كائنٌ غريبٌ أنتَ... كائنٌ تنقلُ كاهلةَ الأحلامِ وتدمِّرُ المخاوفُ!!
- هي اللحظةُ الختامُ... كلُّ ما كنتُ أقولُه يبدو الآنَ مجردَ فراغٍ... فراغٌ شاسعٌ وأصواتٌ مدويةٌ وألمٌ كانَ طوالَ هذهِ السنينِ دفيناً أحسَهُ الساعةَ ينبعُ فوقَ السطحِ... محنتي إنِّي عشتُ طوالَ سنواتِ العمرِ واهماً وها أنا ذا أرى الحقيقةَ!
- الحقيقةُ... حقيقةُ ماذا أيها الإنسانُ شوقياً؟
- ثمَ فرقٌ شاسعٌ بينَ الحقائقِ التي يراها انسانٌ مثلي... فرقٌ بينَ حقيقةٍ سماويةٍ بطرةٍ متراخيَّةٍ، وأخرى أرضيةٍ مشدودةٍ إلى قاعِ الأزمةِ... كلُّ شيءٍ بعيدٌ المنالِ لا أصلَ لوجودِه إلا من خلالِ هاتينِ العينينِ... ما أن ينطفئَ الضوءُ وتحلُّ العتمةُ حتى يتحوّلُ العالمُ كُلُّهُ إلى أجملِ الأشياءِ وأقبحِها تصييرٌ مجردَ فراغٍ لا حدودَ له... تلكَ هي الأزمةُ وهذا ما كانَ يؤرقُ رأسي، هل ثمَ شيءٌ أزليٌ الوجودُ... من ذا الذي لا تدمِّرُ لعبةُ الأيامِ... وكيفَ يمكنُ أن يبقى مصارعاً كلَّ تلكَ

الإثم والخطايا والجنونات... عالم مضطرب لائغ بالدم، فلم ترِيد التمسك به... ولم تصر الآلهة على وجوده وديمومته، ما الذي تبغي وراء كل هذا الدمار وهذه الغنوات... لم نحن... لم الإنسان هو الذي يتعرض للموت دوماً.. أو ثمة اجابات لكل هذه الأسئلة لدى الرب سن المضيء أولاً؟

- اجابات الأرباب، اجابات لا تهم الإنسان ولا تساعدُه على الوصول !!

- إنك تشفي قلبي أيها الرب المضيء أولاً... تجعلني أحسن بالأمان وأوقن إنني ما أخطأت الاختيار... لكلِّ منا اجابت... وهي تختلف كثيراً ذلك هو السبب، أن تكون كائناً أرضياً يحلم كما يحلم أهل الأرض، وربماً يحلم بأشياءٍ من خيال... تلك هي المسألة... وهذا هو الذي كنت أبحث عنه !!

- لقد أطلت المكوثر شوقياً... وطال صمتك... قم... قم وخذ هذا المنتظر بين يديك !!

- كلانا يشعر بالأسى... كلانا لا يقدر على الاستمرار... وحتى وإن قمتْ كم يمكن لخطواتنا أن تساعدنا والى أين يمكنها أن تصلَّ بنا عبر هذا الضياع الذي لا أحس له نهاية؟!!

- خطوة واحدة وستجد نفسك ازاء حلم آخر !!

- محالٌ هذا... ثمة مئات من الخطوات أضعت فلم أجد غير الفراغ... فلم تكون هذه الخطوة هي الأمل... لن تجدي شيئاً... لم تعد للشيء فائدة!!
- شوقيا إنك تتبع جدلك... ليس ثمة معنى لوجودِ إن لم يكن مصحوباً بخطوٍ!!
- ولقد تعطلَ فعل وجودي!!
- ما أنت الذي يقرّر هذا... الأرباب هم من يقرّرون وجودَ الإنسان... قُمْ شوقيا وخذ هذا الفتى التعمّى الذي دمرت وجوده إلى جانبِك... لابد وأن تصلا... انليل يريده لبابل انتصاراً آخرًا، وانتما حلم ذلك الانتصار!!
- بابل... عدم آخرٍ ورياح لا تحتمي بغير الرياح... ضجيج أزيزٍ مجبولٍ بلطفة المعنى، بابل أيها الربُّ المضيء أزلًا... هي الأخرى لم تعد تعرفُ معنى للحكاية... تشعر بمتاهة الانتظار، أرض تجمع همومها فوق هاماتِ أبنائها، لاشيء هي بابل تلك!!
- ما الذي تقوله شوقيا... كيف استطعت أيها الإنسان الطيب أن تجعل من أشياءِ محبتك وهماً... بابل تلك التي كنت تقني من أجلها أينما حطّت، ما لي أراك الآن تعلن براءتك منها؟!!
- لأنها تخلت عنِّي أيها الربُّ الأمجاد... ما فائدة حبٌ تجدهُ مجرد سرابٍ لحظةً مواجهة المحنّة... أعطيت حباً نقياً ووفاءً لا يمكن معادلته بشيءٍ، فما الذي جنيت غير عذاب الأيام وفراقِ الوجود... ما

الذى أعطتني اياه بابل تلك... بعد أن ملأ قلبي حباً لوجودها...  
هي الأخرى لم تعط غير الفراغ... كنت أحس نفسي غريباً لحظة  
أعود لداري، أبصر إللاميد فلا أعرفها... والغريبة ازدادت بعد أن  
اشتعلت النيران... لم يعد أملاً لنلح وایاه القرار... كنت غريباً منذ  
جئ... وها أنذا أمضى مصحوباً بغيرتي !!

- قلتُ لَكَ لَنْ تَمْضِي شَوْقِيَا !!

- ما دامَ الربُّ المضيِّء أَزلاً يَقُولُ هذَا... فَمَا عَلَىٰ سُوَى الْأَنْتَظَارِ !!

- عبّاً ما تقرّ... لا جدوى من عبّ... هيا شوقيا... هيا أيها الطيب قم وتقدم !!

بعنايةٍ أنهض شوقياً نفسه، ولحظةً استقامَ كانَ نodusَ يراهُ  
نحيفاً مثلَ عودٍ، اندفعَ اليه بفرحٍ طفوليٍ واحتضنَ الجسدَ الذي كانَ  
يذوبُ تحتَ لساعاتِ بردِ سنٍ، ثمَّ أصواتٍ تتلاطمُ مثلَ أمواجِ الفراتِ،  
وخلالَ زمِنٍ قصيرٍ كانَ كلاهما يقفُ مأهوداً بالآخرِ، ثمَّ محاولةٍ  
للخروجِ من الفخِ، استأنفتَ الأجسادُ حركتهما المضطربة، كانَ سنٍ  
الرَّبُّ المضيءُ أولاً، يغادرُ لحظةً وجودهما وهو يتسمُّ برضاء، نظرَ  
نodusَ إلى معلمِه، وحثَّ خطاهُ فوقَ لمعانِ الرملِ الذي بدأ يضيءُ  
قمةً الطريقِ، مليأً، بتوعدةٍ خطى شوقياً، كانَ أمراً غريباً أن يخطو  
فوقَ كلِّ تلكَ الأوجاعِ والانهزاماتِ، كانَ يحسُّ بخدرِ وجودِه، لكنَّهُ  
ويبطئُ الحزنَ قرَزَ الذهابَ وملاقاةَ ائلَمِيد، مكشوفةً كانتْ أحلامُهُ  
وحمقاءً مثلَ وجهِ مجنونٍ كانتْ المسافةُ التي يريدهُ اجتيازها، كانتْ

ائلاميد نشغل فكره، تشغل زمان حضوره المحفوف بالمخاطر، لم تعد أحالمه سوى خطواتٍ حثيثةٍ متذكرةً هيأة اللامبالاة، ظلّ نodus ع يركض رافعاً رأسه، كان كلّ ما يحيط به يوقدُه اشتعالاً، فليس ثمّ ما يجب أن يقف، فجأةً كان يرى نورنا تحاول الامساك بضوابط وجوده، وكانت بابل تصبر خطواته مثل امرأة حزينةٍ، تلحقت الخطوات حاسةً بالارتباط محدثةً فوق انزلاق الرمل أصواتاً مدويةً لها وقع نغماتِ القيثار، قال نodus بفرح طفولي :

- معلمي... ها نحن نصل... فقط... حت خطاك !!

رفع شوقياً رأسه وتفحص امتداد العتمة، ليس ثمّ ما يبهر، كان الظلام يرسم فوق الأجساد ظلاماً وتكويناتٍ غريبةٍ، وتنعلى نثارات الروح مطسوسةً في غياهِ العتمة، لا شيءٌ سوى ظلٍّ تغوص عميقاً في لجيِّ الرمل وهي تركض محاولةً الامساك بتعقب وجودها، بدأ اللهاهُ يتعلّى رويداً، وبدأت الأجساد تشعر أنَّ لا مناص من المواصلةِ مهما كان الثمن، وتبيست أوردةُ العمر، كان الاحساس بالنهاية يقترب والعناد بازل المواصلة يعزز خطوة الأقدام الحاسنة بالارتفاع، صرخَ نodus وهو يرمي غضبه باتجاه عتمة السماء:

- لماذا تهجرنا آمالنا... حت خطاك معلمي فلا شيءٌ سوى العناد يقوى أقدامنا !!

صاح شوقيا من بين شفتين تعبتين، وحنجرةٍ تحسُّ اليأس:

- اي نodus نقدم... فلا شيء يمكن أن يوقف تقدم هذا الخطوط !!
- أو حقيقة ما تقول معلمي؟
- لن أشعر بنفسي مثلاً أشعر بها الآن... أعمالي تقابـت والعناد يملأ جوانـحي !!
- كيف كان هذا معلمـي... ارشـدنـي لأخذ منه !!
- لا أعرف كيف... فقط عليك نودعـسـ أن تقلبـ معنى السؤـال !!
- يا له فعل صعب وجـريء معلمـي ... من كان يـنـظـرـ قبل لـحـظـتـناـ ماـ كانـ يـصـدـقـ إـلـهـ أـنـتـ !!
- هـذـاـ يـجـبـ أنـ نـوـاجـةـ ماـ نـرـيـدـ... كـنـتـ أحـسـ نـفـسـيـ تـنـغـمـ فـيـ بـحـارـ مضـطـرـيـةـ منـ الـيـأسـ وـالـخـوـفـ... كـنـتـ أـشـعـرـهاـ تـجـفـ وـسـطـ كـلـ هـذـاـ الـخـرـابـ دـوـنـ أـقـدـرـ عـلـىـ فـعـلـ شـيـءـ !!
- والآن معلمـي... والآن؟
- الآن علينا ان نصل حتى ولو قـرـيبـاـ منـ النـهـاـيـهـ... يجب أن يـعـلمـ أـهـلـ بـاـبـلـ بـأـنـاـ حـاـولـنـاـ وـإـنـ الـيـأسـ ماـ سـيـطـرـ عـلـىـ جـوارـحـنـاـ بلـ كـانـ حـواـراـ بـيـنـ الفـعـلـ وـالـجـنـونـ !!
- حـسـنـاـ أـيـهـاـ المـعـلـمـ الطـيـبـ... ماـ دـمـنـاـ نـعـزـ وـجـوـدـنـاـ فـلـابـدـ أـنـ نـصلـ، خـطـوـنـاـ قـرـيبـ منـ نـهـاـيـهـ وـلـابـدـ منـ رـبـ يـسـاعـدـ وـجـوـدـنـاـ، لـنـ أـصـدـقـ إـنـ الأـرـيـابـ قدـ تـخـلـواـ عـنـاـ... فـقـطـ ماـ عـلـيـنـاـ إـلـاـ أـنـ نـمـرـ مـسـرـعـينـ لـكـيـ لـاـ نـطـفـيـ جـذـوـةـ الرـوـحـ !!

- لن ينطفئ شيءٌ ما دامت بابل تسكن شغافَ القلب !!

- ها أذا أرى معلمي شوقيا ثانية !! " قالَ نودعُن لِنفْسِهِ، ويدأت خطواته تغدو سرعتها حالمه باختصار أزمنة الطرقات، كانت عتمة الليل تتبدد رويداً، وثم انهمار جيء لرطوبة الأرواح، انهمار كان يغدو لحظات الوجود ف يجعلها تحن طويلاً الى أطياف المدن المركونة عند طرف المحال، كان شوقيا يبصر عيني ائلامي드 الغارقتين الى أعماق روحه بأجنحة من فرح، بفتحة دون احساس بالتعب، دون احساس بالانهزام، ويشعور طيب مثل خفة عطر، راحت حجرته تؤدي تراتيل عميقه ما لبنت أصاء الصحراء ووحشتها أن رددتها محاولة حفظ تلك اللحظات الى أزل الأزمنة القادمة، كانت آفاق المفاوز تمتلأ بنشوة الحب فترتخى أكف خشونتها وتغدو لينةً، طيبةً مثل فتاة .

الرمال تزحف / والعواصف تدوي / وتخفي الأحلام  
والتيه يسقط الأرواح / فستميل خيالاً من هياج  
تزحف العواصف / تجف الحقول / وبابل تنتظر اليابوع  
بابلنا عصيه ترفض أن تموت  
بابلنا عواصف من أمل وتوت، بابلنا مزارع وقوت  
بابلنا أغنية عن فرح وخبة ورقصة الملكوت  
بابل ... بابل ... يا أجمل البروق والرياح والمطر

فجأةً مطرَت السماءُ، وفجأةً استيقظَ سبات الأرواحِ، وفجأةً بدأت الأرواحُ تحسُّ وجودها متعرّضاً بخطواتِ التعبِ التي كانت تحبسُ انطلاقها قبلَ لحظاتٍ، ثمَّة فرحٌ بدأ يجري رحباً آمناً بينَ حضنِ الدمِ ونشوفِ الريحِ، كانَ شوقياً يتمتمُ بصوتهِ الرخيمِ محاولاً التمسكَ بجذلِ روجهِ، محاولاً اعطاءً خطواتهِ التي توغلتَ عميقاً في امتدادِ الوصولِ حضوراً أكثرَ صلابةً وأدقَّ، كانَ يرى من خلالِ بلي عينيهِ شبحَ نodusus الذي كانَ يهرويُ أمامَهُ مثلَ طائرِ القبرِ، يطفرُ بخطواتِ تجعلُ الرمالَ تتناثرُ من بينِ يديهِ، كانَ نodusus يشعرُ هياماً وصفعَ ريحِ كانتَ تكوِّن فوقَ رأسِهِ التعبِ الشاعري بسحرِ اللحظاتِ أطيافاً من الاستذكاراتِ، ثمَّ ريحٌ تدوى وخطواتٌ تخترقُ الصحراءَ، وحلمٌ ما يلبثُ أنْ يقتربَ رويداً، عالمٌ كادَت غربةُ الصحراءِ ووحشةُ قبضتهاَ أنْ تقْتلهُ لحظةً غيظَ، وظلَّ الجسدُ يلاحقُ الخطواتِ، والخطواتُ تلاحِقُ الأمانِ، والأمانِيةُ بدأَت تقتربُ مثلُ عطرِ امرأةِ حبيبةِ، بهدوءٍ امتلاً الأفقَ المعتمِ بضوءِ أبيضِ مزرقِ، توقفَت عيناً نodusus مدھوشتينِ عندهُ، ولحظةً استشعرَ أماناً زفرَ باريادِ وظلَّ يحدقُ طويلاً، طويلاً في البياضاتِ التي كانتَ تخترقُ أعمدةَ الليلِ، كانَ الفجزُ يغريَ سوادَ الصحراءِ ويحيطُها إلى امتدادِ لامِعِ بفضةِ زاهيةِ، اقتربَ شوقياً منَ الجسدِ المأمولِ بالوصولِ فألفَهُ يسكنُ قصوراً منَ الصمتِ، قالَ بصمتِ:

- ما لكَ نodusus؟

لم يفهُ الرجلُ بشيءٍ فقط رفعَ رأسَهُ وأشارَ باتجاهِ عربةِ شمشِ التي بدأتَ تصلصلُ طارةً أفقَ السماءِ بوشاحٍ منْ زهوِ الضوءِ، ابتسمَ

شوقيا وبطء... بطء شديد وانغماسٍ في لذة الانتصار بدأ يدونُ فوقَ سطحِ الرملِ الذي هدأت ريحه:

"أيها العابر زحف الريح، بفيضِ الأصرارِ، ترى على الرغم من وحشةِ المساءاتِ، وصمتِ اللحظاتِ، والسؤالِ الغريبِ، ترى إن ثمةَ خطواتٍ، يوشحن غبارَ الطريقِ، شمسٌ يجيءُ والأحشاءُ تحترقُ والنداءاتُ تملأُ أمواجَ الخوفِ، أيها العابرُ فوقَ وهجِ السماءِ / هو ذا الصوتُ يعلنُ احضارَةَ الأبدِيِّ، كانَ ملأُ الكونِ صرخَ الأزمنةِ، والطريقُ طويلاً لكنكَ تذكر لحظةً يدهمكَ الظلامُ هنا... إن الخطواتِ التي كانت تتجلُّ المسير... إنما كانت ترومُ الوصولَ إلى أرصفةِ الحبِّ... ترومُ الوصولَ إلى بابلَ حرارةَ العطاءِ والعودةِ الأبيةِ، البسمةِ الوضاءِ... والحكايةَ التي تحيطُ المقلَّ "

## الرقيم الرابع عشر - ١٥ -

تصحو أعمارنا على صبحٍ يشقُ الأرواحَ فتستفيقُ على فوراناتٍ من الهمومِ التي تكحلُ العيونَ، تجلسُ متكيةً إلى خطوطِ استذكارها، كانَ خيطٌ من شمسٍ يمترجُ وخيطٌ من استذكارٍ، تبدأُ الحناجرُ بدغاغةِ الشفاهِ وتبسُ الشفاهَ بربطِ الأقاويلِ، كانَ فجرُ المعبدِ يوقدُ أعمدةَ فاسحاً المجالَ لخطواتٍ تحاولُ ولوحَ عتمةَ المذبحِ، ثم تراتيلٌ تبدأً مثلُ خريرِ المطرِ ينقطُ رويداً، نقطةً صغيرةً تتلوها ثانيةً ألمعُ وأشدُّ ازرقافاً، ثم تنهمرُ قطراتٌ بأصداءٍ متلاحقةٍ تشبهُ أنينَ امرأةٍ عجوزٍ تفي نذر

عذابها الدائم، تتصاعد التراتيل مانحةً اكفرار المذبح ببعضًا من فراغه، وبصمتٍ تتلوُن الفراغات بهمساتٍ حلوةٍ لها طعم التمر، تغدو مخترقَةً غرفَ الكهنة، مجتازةً الممرات التي بدأت تنزعُ ترابَ نعاسها، كانت الليلةُ الفائتةُ معباءً بكوابيس لها وقعُ خفقِ أجنحةِ الخفافيشِ، تجثمُ فوقَ هواء الانعاسِ، فيعلو الوجيفُ وتبحلقُ العيونُ باختناقِ آمالِها، تتعالى التوسلاطُ فيجثمُ الألمُ ضاغطاً بقهرِ، تلوبُ القلوبُ نازفةً حيواناتها، رويداً تكبُو جيادَ الكونِ ويغدو كلُّ شيءٍ فراغاً يمتدُ طويلاً محاولاً سحلَ الأجسادِ إلى هوةٍ تضمُّ بينَ أرجائِها ثعابينَ وسعاليَّ وحيواناتٍ مبهمةً التكوينِ، ثمَّ عيونٍ تزرزُ لاصفةً، ترى انسكابِ الضوءِ الذي له شكلُ الماءِ فوقَ الرؤوسِ المشرابة، نافضةً أغطيةً غضبِها، عالمٌ كانَ يتحركُ بتوذِّة، ولحظةً غسلت الممراتِ جسدها بالضوءِ، تنفسَت الأرواحُ نومها بارتياحٍ، غادرت الخفافيشُ خفقَ أجنحتِها وهدأت نسماتِ المذبحِ، كانَ الصوتُ الذي يمنَحُ الحضورَ معناه، يلْجُعُ عميقاً في غربةِ الأزمنةِ، بودَ كانَ يحرقُ بخورَ الكلماتِ، فتهتزُّ عروشُ الأربابِ طرياً، وتنتظرُ وحدقةً في ألقِ التراتيلِ، ثمَّ صوتٌ له رنينُ الماسِ اللازوردِ لحظةً يسقطُ وسطَ إناءٍ من زجاجٍ، تمتلاً المساعاتُ بتغيرِ الملائكةِ، ويعلو خريفُ الأشجارِ، كانت سومرٌ تخلع عنها لباسَ الحزنِ متفاخرةً بقيامِ خطواتِها من كبوِ الأيامِ، تفرُك مساحةً أنظارِها، فتقفُ الأرواحُ مستفهمةً، مطلقةً رغباتِ السؤالِ، كانت العيونُ التي نامت وهي تحلمُ بالخرابِ، ترى وهي توقُّرُ

فجرها إن ثمة أخضراراً يصبحُ فجرَ الطرقاتِ، تطلقُ في فراغِ الشوارعِ  
ولغطِ الأوحاشِ متسمعةً، كانَ الصوتُ المرتلُ نداءً الوعِدِ، يجلو صداً  
الازمنةً، تقفُ سومرٌ متأهبةً، ولحظةً تقفُ ترمي الأجسادُ أغطيتها  
وتذهبُ موغلةً في لجِّ الأسئلةِ، تتنفسُ الأحلامُ الصداعَ، وتمسكُ  
عصا الانطلاقِ، تمتلأُ الطرقاتُ بفتةً بسيولٍ من الأقدامِ، بهديرٍ من  
الأسئلةِ، ببحورٍ صاحبةٍ عاليةٍ الموجِ من الأجسادِ التي تريدُ معرفةً ما  
يجري، ليسَ ثمةً صبحٌ راتةً سومرٌ مثلَ هذا، فجرٌ موغلٌ بالمباهاةِ،  
وشمشُ يرمي من خلالِ عربتهِ مهرجاناً من الألوانِ التي تبعثُ على  
السرورِ، ما الذي يجعلُ سومرَ مسورةً إلى هذا الحد؟!!  
ما الذي جرى لتحسُّ الأجسامَ بكلٍّ هذا الانتشارِ، وتتفجرُ إلى هذا  
الحدَّ بالسعاداتِ؟!!

ما الذي يجعلُ هذا الصوتُ طيباً، حلو المذاقِ مثلُ ماءِ الفراتِ،  
بعد أن كانتْ نبراتهُ قد فقدتْ رنينَ بهاها، وعطرَ زمنِ التصديقِ؟!!  
ما الذي يجعلُ الطرقاتِ التي كانتْ تتسللُ بالوحدةِ والضياعِ  
والحزنِ، تشعرُ بكلٍّ هذا الاسترخاءِ الذي ينم عن هدوءِ؟!!  
ما الذي يجعلُ البيوتِ المصبوغةِ بالحزنِ والانتظارِ تنزعُ ثيابَ  
رتابتِها وتلبسُ أرديةَ الاستمرارِ، كانتْ سومرٌ ترى وتمنُ الصوتَ  
المرتلَ امتداداً أزلياً، ثمَّ خيطٌ بدأ شمسُ يعقدُ طرفةً بطرفِ رغباتِ  
الأريافِ، أحسَّ انليلُ بالوجدِ يعتزمُ قلبهُ فتبهَ ملتفتاً، كانَ الصوتُ  
يخترقُ روحَ الإلهِ العطشى للآمالِ والتوصياتِ، فتوقفُ في أعماقِهِ  
سروراً ما يلبثُ أن يتتحولَ إلى رضاً وهدوءٍ ورغبةٍ في التصديقِ،

ينفضُ انليلُ مخاوفَ ليلِه فتضيءُ الأرجاءُ، يجلسُ الإلهُ محفوفاً  
بنداوةِ الغناءِ، فتهمسُ شفتاهُ بدلالٍ // هو ابنُ سومر يستيقظ... ما  
الذي يجري ليقني بكلِّ هذا الامتنانِ // تمعجُ غرفُ الآلهةِ بأنفاسِ  
الاستحسانِ، وتبسجُ في أحواضِ من سندسِ الفرح، ترى سومر برصا  
وتحركُ جذلَ المودةِ، فتبدأُ التراتيلُ طائرةً مثلَ أسرابِ من الحمامِ // ثمَّ  
سماءاتٍ تمتلأُ بالبياضِ ورفيفِ الأجنحةِ وهديلِ العشقِ، يبتسمُ شمشُ  
ضارياً قلبَ الكونِ بعاصِ روببِيتهِ فيسودُ الصمتُ وتهفوُ قحوفُ الرأسِ  
إلى خفةِ بردِ، تألفُ أصواتِ الفجرِ، وتبدأ نسمةُ شمش بالامتدادِ،  
يصيرُ الصبحُ امتحاناً بالبحيرةِ، تترقبُ العيونُ وجلةً، ولحظةً يسكتُ  
صوتُ التراتيلِ، تشرأبُ رؤوسُ المناداةِ، ترى سومر عمرَ المحنَةِ  
يتوقفُ، وثمَّ تلاشٌ للضجرِ والصخبِ والركودِ، تتعالى خفقاتُ الأجنحةِ  
فوقَ باحةِ المعبدِ، فتريقُ حركاتها دماءَ النعاسِ، يتمملُ سنُ  
ماعرضِ، وتبدأ شفتاهُ بهمسٍ مجهولٍ، ويفتحُ أين بصيصَ عينيهِ فلا  
يرى غيرَ العتمةِ التي كانتْ تهيمُ بأشباحِ مهوممةٍ لأجدادِ كانتْ قد  
نسيتها منذَ زمنٍ بعيدٍ، حركَ كعادتهِ دوماً أطرافَ أصابعِ قدميهِ  
وتحسنَ بهدوءٍ وجهَهُ الكثِ بالبياضِ، وبغيرِ ما رضا ابتسامَ لنفسِهِ،  
كانَ الصوتُ لحظتينِ ينفذُ إلى عمقِ دواخلِهِ مخترقاً تللاً من الحكاياتِ  
والآزنمةِ والأعمارِ، ظلَّ يصغي بفخرٍ فلقدْ كانَ يشعرُ إنَّ الأربابَ  
أعلنوا رضاهم وحضورهم، وإنَّ سومر لا بدَ وأنَّ تركَتْ جسدهَا  
باسترخاءٍ لذيدِ لحظةِ انسكابِ الصوتِ فقدْ هامَ أفقُها، فتحَ سنَ  
ماعرضَ عينيهِ وشمَّ بألقِهِ الذي يشبهُ برقةَ ناضجةٍ عطرَ التراتيلِ،

تافت متفحصاً المكان فرأى الشيخ صامتاً، حاول اخترق جدار صمته، لكنه ما لبث أن تراجع موقتاً إن تلك اللحظة المغسولة بالانتقام لا يمكن للروح أن تلمسها دون إقامة جدار للصمت، حدق في حيز وجوده وهمس لنفسه التي شمت ريح رضا الآلهة " يا له من صوت شجيٌ وعدبٌ !!

ويعد أن ملا رئتيه بعطر الأناشيد، وحرك قدميه دون أن ينهض، قال لنفسه التي أحسست باللود :

" لابد وإني سمعت مثل هذا الصوت... ولكن أين... ومتى ؟!! لم تقل الروح شيئاً وأطربت غارقة في ترقب مشوب بالحذر، كانت الحجرة الفارغة الأثاث تهيم في صحارى من المخاوف، نهض آين متکاً إلى عصاه، حاساً ثمة أنفاساً بشرية بدأ تمتزج وتلك الأنفاس الآتية من عند فراغ المذبح، ساد الصمت زمناً، كاهن واقف يتأمل وآخر لا يقدر على النهوض كي لا يخدش سعادة شيخه المتأمل، كان هو الآخر يركب سفناً من الارتياحات، ويروح مبراً صوب بابل التي أحس إن أعماقه تشعر بوحشتها، كان الصوت ينشد شيئاً، يعلو مثل عاصفة، ويهبط... يهبط مثل ضوء سن، مضي علينا، لكنه لا يمكن أن يبعد ظلمة الأرجاء كلها، قال آين لنفسه، محاولاً تذكر زين الصوت وايغاله في معنى الآمال :

" من تراه يكون... لا أظنه صوت عشتار ولا صوت ايا... الأرياب لا يمكن أن يغنو بكل هذا العنفوان... الأرياب مجانين خرس، لا تفظ حاجزهم غير أوامر الدمار... ربما كان صوت آخر... ولكن

من أين... وانت تعرف سومر وكل ما يحيط بها. عمرتك الأصوات حتى بـت تعرف الناس من خاللها، هو ليس بعيدا عنك... ولكن لا يسكن أزمنتكم البعيدة... ما الذي جرى آين... أو ضعفت ذاكرتك..

"أتراك صوتاً موغلًا في البعيد... من تراه يكون بحق الرب؟!!"

عجزت الأسئلة عن مواصلة الطريق، فظل آين يترقب، مصدراً بين وقتٍ ووقتٍ آهه استحسانٍ ورضا، كان سن ماغرض يرى معلمه سابحاً في مدياتِ البحث، حاول هو الآخر مد شباك تذكرة، أصغى الى الصوت وطمأن نفسه بقولٍ هامسٍ "يا له من صوت مفرد يرتل باسم الأرباب !! نمت الحيرة في عتمة الحجرة، ولحظة حرك آين عصاه باحثاً عن باب الحجرة نفضَّ سن ماغرض تعبةً ونهضَ واقفاً مصدراً عن عمِّ أصواتاً جعلَ الشيخ يتراجع ببطءٍ مبصراً الشيخ الذي سمرته المفاجأة، قال آين:

- أو لا تسمع سن ماغرض؟!!

- ما سمعت أجملَ من هذا أيها المجل!!

- عذْ وجليل هذا الذي يملأ فضاء سومر بالأمال!!

- فالحسن هذا أيها المعلم الحكيم... ترتيل يوقد سومر على أجمل ما تحب... منذ كم من السنوات ما صدح مثل هذا البلبل في صباحاتنا؟

- ربما تكون سومر قد نسيت مثل هذا النبع... المحنَّة سن ماغرض تجعل الأرواح لا تصغي الى غير ذلِّ الحزن... تنسى جذل الود... وتغفو على نسيانِ موحشٍ... لكم أوغلَ هذا الحبُّ في نفسي... أشعر

وكانه صادر عن فعلٍ علويٍ... لكن سن ما يغرس إن الأرباب لا يمكن أن يصدحوا بكلّ هذا الغناء... هذه حنجرة لا يمكن أن تكون حنجرة ربٌ عاطلٍ عن الآمال... وأربابنا مجرد حضوراتٍ فارغةٍ !!

- دومكَ هكذا أيها الحكيم... تبعد كلّ ما هو جميلٌ ورائعٌ عن فعل الآلهة !!

- ما أنا الذي يفعلُ هذا... بل هي الحقيقة... أرى في عمقِ نظري إنَّ الإنسانَ أكثرَ نفعاً وأقدرُ على فعلِ ما يعمّرُ الكون... الإنسانُ وجودُ أرضيٍ قادرٍ على فعلِ ما هو طيبٌ وبهيٌ... أما أربابكَ هؤلاء فلا يمكنُ أن تحرّكَ سكونَهم بغيرِ الأضاحي والتراطيلِ والدم... منذُ تلكِ السنواتِ التي صارت شعاعاتُ سومر فيها سواداً وأنا لا أرى فيهم غيرَ وجودٍ يعطّلُ الحياة... حتى أولئكَ الكهنةُ الذين يمجدونَ وجودَهم مجردُ ذئابٍ تتربصُ في فرائسِ الإنسانِ مومساتٍ واغانٍ ماجنة... واحتفالاتٍ معتمدةً بدمِ البواكرِ... وزنيفاً من الكلامِ الذي لا شيءَ بينَ طياتِه سوى وعدٍ كاذبةٍ ورسومٍ فاتنةٍ موغلةٍ بالكذبِ، ووعودٍ وأكاذيبٍ... هذا كلُّ ما يمكنُ أن يقدمهُ الكهنةُ وأربابُهم إلى الناسِ، أيُّ إلهٍ أعطى للإنسانِ شيئاً... وأين... دلنِ عليهِ، استقرّ... وأؤمنُ... أولئكَ الأربابُ مجردُ منافعٍ خلقَها الناسُ !!

- لكنَّهم منذُ أزليتنا يسيرونَ اتجاهاتِ الإنسانِ !!

- هكذا أوهمَ الإنسانَ نفسهُ... ليسَ ثمةً ما يسيِّرُ الإنسانَ غيرَ الإنسانِ نفسهِ... أيُّ ربٌ هذا الذي يقولُ لبشرٍ قُمْ بهذا الفعلِ ويقومُ بهِ... أيُّ إلهٍ يأمرُ الإنسانَ بأن يبلغَ بالدمِ ويفقدَ هيبةَ إنسانيه... لا

أصدقُ سن ماغرض، لا أصدقُ أبداً... أن للاهه دخلاً... مجرد فراغٍ  
ولا أعتقد إن للفراغ حضوراً متميزاً!!

- إنك تدفعني إلى هوة الاضطراب !!

- كنت أظنك منذ زمن طويل تقف عند تلك الهوة؟؟!!

- لقد ازدلت اضطراباً منذ بدأت تلقن مسامعي بكلم حقائقك تلك !!

- ما أقول لنفسي لا لأحد... وإن كنت تسمع فلأنك الأقرب إليها...  
وأنت حّ فيما تختار من أسئلة لتعجب عنها نفسك... لن يأتي ما  
أقول اعتباطاً... هي خبرة السنوات كما تعرف سن ماغرض، منذ  
فتحت عيني وأنا أعيش بين طيات هذه الحجر... كنت أسمع لهاث  
الكهنة وتوسلات العذارى الخائفات وأصغي بحزن لضحكات الليل،  
كانت هذه الحجر تشتعل باللذة والنزوات ما أن يركب شمس عربته  
ويرحل أغمض عيني وأصغي، ما كانت عندي مهمة غير الاصغاء...  
والتوسل لرب الصمت، كانت الأصوات ترمي فوق جسدي المرتجف  
هلاعاً، جبالاً من الأوهام، ما الذي يفعله الكهنة... ولحساب من...  
وماذا عن كل تلك العذارى اللواتي كنت أراهن ساحرات ببرك الدم  
والخوف والاسترخاء، كانت العيون تحدقني بخجل، متسللة طفولتي  
بالصمت، ما كان لسانى قادرًا، لكنى كنت أرى وأحفظ، وأحاول اطلاق  
سهام أسئلتي صوب مجمع الأرباب، منذ ذلك الزمان السحيق... ما  
سمع رأسي جواب سن ماغرض... أسئلة ولا شيء غيرها هي التي  
كانت تنمو بين عروقي، كنت أخافُ السؤال... أخافُ لهجة الكهنة

ولعابهم السائل فوق محاربهم، كانت خطواتهم توحى بالوجل والارتباك... يوماً أيها الحكيم البابلي... سأله احدهن بحزنٍ:  
- لم أنت هنا؟!!

ظللت لزمنٍ طويلاً تداعب قصائب شعرها، وترانى بعينين مهزوتين، كان جسدي يرتجف، وقلبي يخفق محاولاً الفرار من مكانه، أجلسستني عند حافة فراشها، وداعبت قذلة شعري بأصابع حنونٍ متوددة، وبعد صمتٍ قبلت وجنتي وأطلقت لروجها جواداً من طرقاتِ، قالت:

- ولم ترِد المعرفة أيها الكاهن الصغير كالوردي!!
- لأنّي أتألم...!!
- تتألم أنت... ولم هذا الألم؟
- لا أدرى ولكن أحسُ فيما يحدث خطأ!!
- ليس ثمة خطأ فيما يقرؤه أرباب سومر!!
- وما دخل أرباب سومر بهذا؟!!
- أو حقاً لا تعرف أيها الكاهن الذي بعمر الوردي؟!!
- لا أعرف... فليس ثمة رب يرضي بالجنون والدم!!
- ما تقوله أيها الولد الشقي لا أعرف معناه، ولا يمكن لسومر أن ترى إلا ما يقرؤه الكهنة، منذ رأيت وجه أمي وهي تعلمني إنني أبنه الرب وقريان وجوده... كنت حين ألتلمس جسدي أشعر إن ثمة أيدٍ كثيرة تدب فوقه دبيب الديدان المهووسية، كان شعوري يزداد كراهية كلما اقترب موعد الاحتفال وساعه دقت طبول الستو فزت روحي

واستقامت هلةً، ثمَّة ما جعلني أحسُّ ضياعاً أبداً، كانَ جسدي يتيسُّر وأوصالي تحولت إلى مجرد أعودُ خشبِ تدوم في الريح، أو قفوني عند حجر المذبح، وثمَّ جسدٌ أراه يطفح فائراً من عيون الصبايا، حسدٌ كانَ يجعلني أشتعلُ غضباً، محاولةً البحث عن سرّ هذا الاحتفاء، وجيشانِ الرغبات، كانَ رأسي يدورُ لائماً، محاولاً الامساك ببهاءَ الربِّ الذي يمكنه أن يزورني بعدَ كلِّ هذا الضجيج، رويداً إليها الولدُ الطاعنُ بالمشاكلسة، رويداً خبا الضجيج، وهدأت اشتعالات العيونِ الحاسدة، وظللتُ وحدي، كانَ الخوفُ يركبُ فراغاتِ جسدي، وحدهُ تبقى... هذا يعني إنَّ ثمَّة ما ينتظركَ من المخاوفِ والآلام، لكم حاولتُ انزالَ أنليلَ من علائهِ، لكنَّه كانَ يتكشفُ أمامي مثلَ وحشِ كاسِرٍ، مخالبٌ طويلةٌ تقطُّرُ دماً أسوداً، وعيونٌ بكثرةِ حصى الأرض تنظرُني بهوسٍ ماجنِ، وشفاهٌ تلعقُ لعابَ اشتهاها، كانَ أنليلُ ربياً مسخاً، ربياً تحفُّ به تراطيلُ القذاراتِ والغرابةِ، أغمضت عيني لبرهةٍ، ولحظةٍ فتحتها ببطءٍ، طالعني وجهُ الكاهنِ اللهِ، مسخاً بلحيةٍ تشبهُ جمرَ المواقدِ، وعينينِ على الرغمِ احساسهما بالتعبِ تبرقانِ بومضِ غريبٍ، ندت عنِ شهقةَ خوفٍ وتراجعتْ محاولةً الاحتماءَ بزوايا مذبحِ الربِّ، لكنَ الكاهنُ الذي كانَ يكتسرُ عنِ آنيابِ صفرٍ، أشارَ إلىَّ، فيبسَ الجسدُ وارتجمَتْ أعمالي خوفاً، كانَ عالمي يضيقُ، وثمَّة أصواتٌ مبهمةٌ تأتي من الحجرِ الغريبةِ البعيدةِ، تقدمَ الكاهنُ بعرفانِ الشيوخِ البطرينَ، أو تدري أيها الكاهنُ الشقيُّ، ما الذي حدث؟!!

- رِيمَاهُ قُتِلَ قَلْبِكِ الْخَوْفُ أَيْتَهَا الصَّبِيَّةُ الطَّيِّبَةُ الرِّيحُ !!

- لَيْتَ هَذَا حَدَثَ أَيْهَا الشَّقِيقُ ... لَيْتَ الْقَلْبَ تَوَقَّفَ وَانطَفَأَ ضَوْءُ الْعَيْنَ، لَيْتَ الزَّمْنَ صَارَ فَرَاغًا وَصَارَتِ الْأَشْيَاءُ مُجْرَدَ وَهُمْ، لَوْ كَانَ هَذَا مَا حَدَثَ لَمَا كَنْتُ كَمَا أَنَا الآنَ ... لَحْظَةٌ وَاحِدَةٌ وَأَكُونُ هُنَاكَ عِنْدَ كَنْ نُوْجي، اِنْغَمَارٌ فِي عَالَمِ الْلَّاعُودَةِ مِنْهُ، كَانَ الْكَاهِنُ يَنْزَلُ أَصْوَاتًا غَرِيبَةً، كَانَتْ تَرْنُ ... تَرْنُ وَهِيَ تَقْرَبُ مِنِّي، اِحْتَرَقَ الْمَعْبُدُ بِالاضْطَرَابِ، لَيْسَ ثُمَّهُ خَلَاصٌ، كَانَ كُلُّ مَا يَحِيطُ بِي يَحْدُقُ، يَحْدُقُ بِجَسْدِي الْخَافِقِ مِثْلِ رِيحٍ، شَامِتَّاً، أَخْذَنِي الْكَاهِنُ إِلَى مَا بَيْنَ يَدِيهِ، مَحَاوِلاً الْأَمْسَاكَ بِالْأَرْتَعَشِ، وَبِالنُّوْمَ وَالْأَنْكَسَارِ، اِسْتَقَرَ الْعَمَرُ لِلْحَاظَةِ، فَجَاءَ صَوْتُهُ مُثْلُ وَمُضْمِنَةٍ ضَوْءِ مُضْطَرِبَةٍ: "اقْرِبِي أَيْتَهَا الصَّبِيَّةُ !!

بَحْذِرِ أَوْقَنَّيْ عِنْدَ الْمَذْبُحِ الَّذِي اِشْتَعَلَ لِحَظَتِنِي بِبَخُورِ الصَّنْدَلِ، كَانَ الضَّوْءُ يَبْدُو شَفِيقًا، وَثُمَّهُ ظَلْمَةٌ زَرْقَاءٌ بَدَأَتْ تَغْطِي الْوَجْهَ ... الْإِحْسَاسُ بِالْأَثَمِ كَانَ يَرْكُبُ جَسْدِي، قَالَ الْكَاهِنُ بِصَوْتٍ تَعْمَدَهُ طَيِّبًا، كَائِنَةً صَادِرًا مِنْ بَسْتَانِ عَطْرٍ :

- هَا أَنْتِ أَيْتَهَا الصَّبِيَّةُ تَدْخُلِينَ بَيْتَ إِلَهِ الْأَكْبَرِ ... مَبَارَكَةُ أَيَّامِكِ بَيْنَ أَرْكَانِ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي يَسْكُنُهُ نَنَا وَتَقْيِيمُ تَدْبِيرَهُ نَنَكَال ... أَنْتِ عَمْرُ الرَّبِّ وَقَدْسُ وَجُودُهِ ... تَقْدِمُكِ سَوْمَرُ رَاضِيَّةً ... آمِلَةً بِأَنْ يَقْبَلَ الرَّبُّ مِنْحَتَهَا وَيَبْارِكُ أَخْضُرَ الْأَرْضِ وَنَضْجَ الشَّارِ ... أَنْتِ أَيْتَهَا الْحَلوَةُ ... الآنَ سَوْمَرُ كُلُّهَا ... يَوْمُ خَصِّبٍ يَوْمُكِ ... وَأَيَّامٌ مُنْتَجَةٌ أَيَّامُكِ ... وَعُمْرٌ مُدِيدٌ ... لَنْسَقِي زَرَعَ الْأَرْيَابِ وَتَقْيِيمِ الْصَّلَوَاتِ وَلَتَلْهَجَ شَفَّاتِكِ بِالْتَّرَاتِيلِ، قَوْلِي خَلْفِي أَيْتَهَا الْحَلوَةُ الْعَيْنَينِ :



- نعم -  
أليل... اجعلني أماً للحب... واختاً تواماً للرضا !!  
أ أني ل ل... اجع... ل ن..ي.. أ م م م ما... للحب  
ب... وواختاً لل لماذا أيها الرب الكاهن ؟!  
ارتعش الصمت الذي كان عذباً، وأخذ بيدي متلمساً لدونتها،  
قال :

- بالرضا... الرضا أيتها الصبية !!  
قلت وأنا أجُدُّ نفسي تلهب بالامتنان :  
- بالرضا !!  
- واجعلني أغفو وأنت بين ضوء عيني !!  
- واجعلني أغفو وأنت بين ضوء عيني !!  
- انليل أيها المبارك  
- انليل أيها المبارك

كان الصوت ، يردد صدى الخطوات التي كانت تلهث خارجاً، حاولت الاصغاء، حاولت الوجود خارجاً، لكن اليَد المعروقةُ الخشنة مثل كريهةِ نخل ، تلمسَت رقبتي فأشعرتني بالارتفاع ، خبت الناز التي كانت تشتعل في أعماقي شبَّ ناز آخر، ناز ما كنت أعرف بوجودها تحت ركامي كل تلك السنوات ، وبدأت يدُ الكاهن تهبط رويداً... رويداً أيها الولد الشقي (( هنا )) صوب مفرق النهددين ، كانت شفتاي تضطربان بجمير لافح لكنه لذيد مثل عسل التمر ، تلمس الكف حلة النهددين وبدأ يدعهما بتؤدة ، احترقَت أعماقي وتقيأت أحاسيسُها

المانعة، فجأةً أيها الولد الشقي، وجدت نفسي أقفُ عاريةً  
 أمام لعابِ الكاهن، كانَ يسيلُ اشتهاءً، ثمةً قطعٍ من قماشٍ خطّت  
 مساحةً المذبح، خرقَ ملونةً جعلتني أهيمُ في غبارِ من الفراغ، لهثُ  
 العجوزُ ومدَّ لسانَه لاحساًً أعمقَ احترافي، ببطءٍ كانَ لسانُه يتحركُ  
 فوقَ عصاراتِ الروح، ماصاًً رحيقَ مخاوفي، هداًً الاضطرابُ واستكانَ  
 الألمُ، قالَ الكاهنُ بصوتٍ شديدِ الوضوح، لكنهُ أجاجٌ فارغٌ من الحنين:  
 - هيَا ابنةَ أنتيل... تعالي نعمدَ مذبحَ الآلهةِ بدمِ بكارتكِ العزيزة!!  
 أخذني إلى صدرِه فاحاً مثلَ افحوانِ، وثمَ ضوءٍ غريبٍ يسري من  
 بؤبؤيهِ، تحسّنَ جسدي بهدوءٍ مذلٍ، ويداً يضغطُ نازلاً إلى ما بينَ  
 الفخذينِ، كانتَ حرائقي تزدادُ أزيزاً، وهلعي يرتمي بينَ أمواجِ من  
 الارتباكِ، انطربَ وجهي إلى كتفِه فأخذَ شفتيَ إلى شفتِه، وبحركةٍ  
 عارفةٍ رخيّةً بدأً يمصنُ لساني، لم أعدْ أتنفسُ غيرَ ضياعٍ وغماماتٍ  
 من ارتياحِ، كانَ الكاهنُ يعزفُ بكلتا يديهِ على قيثارِ وجودي، كانَ  
 صوتاً لهَ شكلُ خريرِ الماءِ، الذي كانَ يصدرُهُ جسدي وبينَشوةٍ رميُّ  
 ساقِي إلى علوِ المذبح، وما لبثَت نافورةً من الدم أنْ أثبتقتَ من بينِ  
 فخذي، لم أعدْ أعي شيئاً، كانَ الإلهُ أنتيل يرى سخبَ الدم وهو يلعقُ  
 شفتِي ارتياحاً، وكنتُ أجذّني أسقطُ... أسقطُ وسطَ هوةً من العتمةِ  
 والقلقِ والارتياحِ، وكانَ الكاهنُ يلمُ جسدهُ شاعراً بأنَّ ثمةً حيَاةً كانتَ  
 تسري ما بينَ فخذيهِ، حيَاةً تعودَت الانطلاقَ لحظةً ينهمرُ دمُ الضحايا  
 التي نذرَتْ إلهٍ لا يعي وجودَهُ ويستمرُ بمارسةِ ربوبيتهِ بغيرِ

جيـشـانـاتٍ مـن دـم وـأـثـام... أـرـأـيـتـ أـيـهـا الـوـلـدـ الشـقـيـ كـم هـي جـمـيلـةـ آـثـامـ  
 الأـرـبـابـ، كـلـ شـيـءـ يـبـدـأـ بـمـزـحـةـ أـرـضـيـةـ عـاجـزـةـ وـيـنـتـهـيـ بـلـهـاثـ مـاجـنـ،  
 يـنـسـكـبـ فـوـقـ الـجـسـدـ المـطـرـوـحـ عـنـ الـمـذـبـحـ وـالـحـاسـ بـالـمـهـانـةـ وـالـابـتـذـالـ،  
 لـحـسـ الـفـتـىـ الـذـيـ كـانـ مـذـهـولـاـ بـالـاضـطـرـابـ شـفـتـيـهـ، وـظـلـ يـحـدـقـ طـوـيـلاـ  
 بـوـجـهـ الـمـرـأـةـ الـتـيـ كـانـتـ تـبـتـسـمـ لـنـفـسـهـاـ مـحاـوـلـةـ بـعـادـ أـشـبـاحـ الـأـرـبـاحـ،  
 كـانـ عـالـمـهـاـ يـمـوـرـ بـالـرـفـضـ وـالـخـوـفـ، وـكـانـ عـالـمـ الـفـتـىـ آـيـنـ يـمـوـرـ  
 بـالـأـسـئـلـةـ الـتـيـ تـلـقـ حـمـاـتـ الـاحـتـاجـ، قـالـ سـنـ مـاغـرـضـ وـهـوـ يـرـىـ  
 مـعـلـمـةـ يـوـغـلـ عـمـيقـاـ فـيـ عـوـالـمـ أـزـمـنـتـهـ السـحـيـقـةـ:

- بـداـيـةـ خـرـيـةـ أـيـهـا الـمـعـلـمـ الـأـمـجـدـ !!
- كـلـ ماـ يـحـيـطـ بـمـعـابـدـ الـأـرـبـابـ دـيـنـهـ الـخـرـابـ !!
- أوـ هـذـاـ مـاـ أـجـجـ رـفـضـكـ وـعـقـمـ سـوـالـكـ ؟
- تـلـكـ هـيـ الـبـداـيـةـ أـيـهـا الـحـكـيـمـ... بـداـيـةـ سـوـالـ ظـلـ يـلـاحـقـيـ حـتـىـ  
 لـحظـتـيـ هـذـهـ !!
- يـالـهـ مـنـ سـوـالـ عـصـيـ عـلـىـ الـاجـابـةـ مـعـلـمـيـ !!
- فـيـ أـعـماـقـنـاـ ثـمـ كـثـيرـ مـنـ الـأـسـئـلـةـ الـتـيـ لـاـ اـجـابـةـ لـهـاـ... يـحـسـ  
 الـإـنـسـانـ بـالـعـجـزـ اـزـاءـ وـجـودـهـاـ، تـسـتـمـرـ شـفـتـاهـ عـنـ ضـيـاءـ
- مـبـاهـجـهـاـ، لـكـنـ أـبـدـاـ لـنـ يـسـتـطـعـ اـخـرـاقـ سـتـرـ الـوـجـوـدـ !!
- وـالـسـوـالـ، أـوـ كـانـ صـعـبـاـ إـلـىـ هـذـاـ الحـدـ ؟
- رـؤـوسـ الـأـوـلـادـ الـمـتـوـحـدـينـ هـيـ الـتـيـ تـلـقـ أـسـئـلـةـ حـائـرـةـ فـيـ  
 درـوبـ الـاجـابـاتـ !!

- نعم... أنت تكشف عن قماش أعمقى... تحاول الضغط فوق جرح كان حتى الهنية ينづف حيرةً وغرابةً !!
- أو أنت مثلك أنا سن ماغرض؟
- معلمى... الكأس التي شربت منها أشربتني منها برضاي وأشربتني الألواح ما تبقى، كنت لا أرى ثمة ضرورة لوجود وسيطٍ بين الآلهة والناس... ليس ما يدعوه لوجود كل أولئك الكهنة المخربين لتعاليم الأرباب !!
- صاح آين وهو يلوح بعصاه، مثل ولد شقى صغير، وجداً نفسه وسط مزرعة من ورد أحمر:
- ها أنت تطلق سؤالي سن ماغرض... كيف تمكنت من معرفة السر؟
- عن أي سرٍ يتحدث معلمى؟
- هو... هو سن ماغرض... الكاهن الذي لا مبرر لوجوده وسيطاً !!
- وغير هذا... لم كل هؤلاء الأرباب... لم تمتلك سومر بمعابد وتراتيل وأضاحٍ لا مبرر لوجودها، كيف يمكن لكل هؤلاء الأرباب تمثيلية أمور الأرض... لولا عنت هؤلاء وجنونهم لما كان الإنسان محاطاً بكل هذا الشقاء... دوماً تخترق صراعاتهم السماوية تاج ريوبيتهم لتحط ضيماً وشروعاً فوق رؤوسِ بنى الإنسان.
- هذا ما يملأ رأسي حزناً وأفكراً به !!
- أو أخبرت نبني بشيءٍ من هذا ؟

- جعلت أقوالي أمام عينيه مثل أحالم بعيدة... كان ينظرني مبهوراً... وكنت سن ماغرض أحاول ايقاعه في هوة الأسئلة... نبنيده هذا ابن لارض السواد، ولا أظن إن ابنًا مثله تظل جمجمته فارغة من أسئلة الوجود... لكم أنا سعيد بوجوده... سعيد بما قدر أن يفعل، ها هي سومر تستيقظ على صوت محبيه.. يا له صوت جميل يملأ روحي أملًا... سن ماغرض... أو تدري كم هي تعيسة تلك الأرواح التي تعيش دونما آمال... تعيسة وغير قادر على معرفة وجودها... ونبنيده أيقظ سومر وزرع الآمال بين جوانحها!!

- منذ كان لقاونا في بابل، وأنا أرى أحلامه تزداد وضوحاً، وهدف أيامه يزداد ضوءاً مثل شمش، خطواتنا اتسعت بالخطو لأنها ترى ذات الروايا وتسعى إلى مسعى واحد !!

- بلى... بلى سن ماغرض... ولواه ما كان لوجودنا ضرورة... لحظة أمن ساقى في أعمار حارات سومر وأرى تلك الخطوات المسرعة يضرب رأسى حديد السؤال... ما فائدة هذا المشي ما دام لا يؤدي إلى غير اعتياد اليوم... لم جاء الإنسان ما دامت أيامه تبدأ بغم باحث عن لقمة خبز، وتنتهي بفراغ باحث عن جدوى، مئات المئات مرروا دون أن يتذكروا أثراً وسؤلاً... أخذوا الكثير الكثير دون أن يتذكروا شيئاً ذا فائدة !!

- غريب ما تقول أيها الكاهن المقدس... وجود الانسان هنا يعني مجدًا للآلهة وحضوراً دائمًا لهم !!

- تبأً لمثل هذا الوجود... الانسان مجد لذاته، لا غاية من غاياتِ الأرباب !!
- كلامها يكمل الآخر... ولا معنى لوجود الآلهة دونما الانسان !!
- بل ثمة معنى لوجود الانسان حتى دونما الآلهة... حجرٌ غريبٌ هم أولئك الأرباب !!
- وما الذي تريده آين... ويبقى الانسان دون مأوى سماوي ؟
- ها أنت تعيدنا من حيث بدأنا... أو لا ترى معنى إن لهذا الكون الجميل العabic بالبهاء العازف أجمل افراح الأيام منسقاً وياعاً؟
- بلـي... ليس عبثاً كلـ هذا الاتساق... كلـ ما يحيطـ بـنا منـ ظـمـ وسائلـ خطـواتـ الرـضاـ... هـذا ماـ يـجـعـلـنـيـ أـشـعـرـ إـنـ ثـمـةـ وجودـاـ منـظـماـ لكلـ هـذاـ الاستـمرـارـ !!
- وإذا سنـ ماـ غـرـضـ... وإذاـ هـاـ نـحـنـ نـصـلـ إـلـىـ اـتـفـاقـ لـرـفـضـ كـلـ هـوـلـاءـ الأـربـابـ المـوهـومـينـ الـذـيـنـ تـخـلـواـ عـنـ سـوـمـرـ بـلـ أـحسـواـ التـخـالـلـ فـيـ أـرـضـ السـوـادـ كـلـهـاـ... وـاحـدـ يـعـرـفـ وـيـقـيـمـ وـزـنـاـ لـأـفـعـالـ الـانـسـانـ أـحـسـأـ أـقـرـبـ إـلـىـ نـفـسـيـ مـنـ كـلـ هـذـاـ الضـجـيجـ الـذـيـ لـاـ مـعـنـىـ لـهـ !!

توقفت شفتا سنـ ماـ غـرـضـ عنـ الاستـمرـارـ، كانـ الصـوتـ العـابـقـ بشـذـاـ الـورـدـ يـجـتـازـ الـمـرـاتـ وأـبـوـابـ الـحـجـرـاتـ صـافـعاـ الـأـذـانـ وـالـمـسـامـعـ بـفـيـضـ منـ الـحنـينـ وـالـوـجـدـ، تـحـركـ الـكـاهـنـ بـجـسـدـ أـحـسـ الـأـنـشـاءـ، كـانـتـ خـطـوـاتـ تـتـنـاغـمـ وـايـقـاعـاتـ الصـوتـ، تـحـاـولـ الـانـفـلـاتـ مـنـ حـبـالـ كـهـولـتـهاـ وـمـحاـولـةـ الرـقصـ، تـدـوـرـ مـسـرـعـةـ، وـيـبـداـ الـجـسـدـ بـالـانـشـدـادـ وـالـانـطـلاقـ،

كانت حنجرة الشيخ تتمتم بنغمٍ كان يحسُّه بعيداً، نغمٌ طمرته الأيام  
ودفنته في قبورِ من الذكرياتِ والآلام والانكساراتِ، منذَ غادر الفتى  
فتوتهُ وأمتلأً رأسهُ بغيارِ الأحزانِ، علا صدأُ الخوفِ الحنجرة الطيريةَ  
وغدا رنينُ الأنغامِ عواءَ ما لبثَ أن تحولَ إلى خرسٍ مجنونٍ، منذَ كم  
من السنواتِ كانت الحنجرة تحاولُ اجتيازِ محنتها، لكنها أبداً كانت  
تسقطُ في أعماقِ التراجعِ، صمتُ، وخوفُ، وانتظارُ قلقٍ، كانت  
الكلماتُ تموتُ والعيونُ تتطفئُ والقلبُ ينأى بعيداً عن شطآنِ الحبِّ  
والهياقِ التي كانت تفجرُ عيوناً من العذوبةِ والنداءاتِ المغموسةِ  
بحنينِ الانتظارِ، توقفَ الشيخُ عندَ بابِ الحجرةِ، وثمَّ لولوَ من ماءِ  
يسقطُ متهدياً فوقَ هضابِ الخدينِ الحاستينِ بالارتفاعِ، قالَ سن  
ما غرضَ مدارياً وجعَ معلمهِ، محاولاً لمَّ بقايا أيامِ البعيداتِ المقاصدِ:  
- أو لا نذهب... ربما يكونَ الملكُ بانتظارنا؟

قالَ آينَ مجتازاً عالمَ أحزانِهِ، مندغماً والصوتُ الذي كان يخفثُ  
رويداً:

- نعم... لابدَ أن نراه... فقد حانتِ الساعةُ !!  
معاً بهدوءِ، دونما احساسٍ بالذنبِ، دونما احساسٍ بخديعةِ  
الأوهامِ، خطَا إلى الخارجِ معاً، كانت الممراتُ تشعرُ بانهيارِ الأمانِ،  
وبثقةِ يومها الباعثِ على السعادةِ، امتدَّت الحجرُ بصمتها، وخبتَ  
جذورِ التراتيلِ، فتنفسَت سومرُ عطورِ ضياءاتِ شمسِ، وارتَّدتَ  
الشوارعُ والأزقةُ والحراري والمعابدُ والأسواقُ والبيوتُ والشطآنَ  
والبساتينُ والأسوارُ حلَّةَ الفضةِ، كانَ كلُّ شيءٍ يبدو مجلواً بعيونِ

الطهاراتِ، أشعةِ اللازوردِ، وبهاةِ من الذهبِ وشذراتِ أبخرةِ ترکمُ  
الأنوفَ، وتشعرُها بعظمةِ الاستمرارِ، كانَ آینَ يرى بظلمةِ مباصِرِهِ  
لأنَ الامادَ تجيءُ محملةً بأفعالٍ جسراً، كانَ يرى بأشدِ ما يشعرُ من  
نشوةٍ لأنَ سومرَ تحسُّ بما يحسُّ، وتشعرُ بما يشعرُ، وترى بما يرى،  
ثمةُ روابطٌ تزدادُ رسوخاً، وها هو يراها تشتدُّ أزرَ انباثِها، أوقعتَ  
عصاهُ نغماً فوقَ سطحِ الأجرِ، فبدأتِ الممراتُ ترتلُ صداها أنغاماً  
جعلتْ سنَ ماغرضٍ يلهثُ وراءَ عرباتِ الذكرياتِ، كانَ يرى الفتى  
الذِي كانَ يعبرُ شوارعَ سومرَ وهو مبهورُ الانفاسِ، محاولاً الامساكَ  
بقلاليبِ الغرابةِ، ثمَّ صفوَّفَ من البضائعِ، صفوَّفَ من الألوانِ الضاجةِ  
بالابهارِ، صفوَّفَ من الأشياءِ التي لا يمكنُ وجودُها في مكانٍ غيرِ  
هذا الامتدادِ، أشياءٌ ما كانتَ لتوجدُ لولا عشقِ أهلِ سومرِ لكلَّ ما هو  
بهي ورائعٍ ومتقنٍ الصنعِ، كانَ الفتى يكتشفُ بعينينِ تومضانِ سروراً،  
عينانِ متألقتانِ تشعرينِ بالانشدادِ إلى كلِّ هذا الوجودِ، وللحظةِ توقفَتِ  
خطواتُهُ عندَ بوابةِ المعبدِ الكبيرِ، كانَ يشعرُ لحظةً يقفُ أمامَ هذهِ  
البوابةِ المرصعةِ بالفضةِ والمرجانِ واللازوردِ، واللامعةِ تحتَ ضغطِ  
عيبي شمشِ البراقتينِ بالثقةِ والاطمئنانِ، يرهفُ مسامعَهُ للأصواتِ  
التي تبدو صادرةً من أعماقِ لا تنتهي لبني البشرِ، أصواتٍ سعيدةٍ  
غمورةٍ بعطورِ من السعاداتِ، بتؤدةٍ، ببطءٍ يقتعدُ عنبةُ البابِ ويتتابعُ  
بشفتينِ هامستينِ عمقَ الانطلاقِ، تسحرُ الكلماتُ ويدوّبُ في حبِّ  
مسراتِها فيلجُ الممراتِ باحثاً عنَّ يرشدهُ إلى ما يريدُ، يتحفَّصُ عنْمَهُ  
الحجاراتِ وصريرِ الخطواتِ الإلهيةِ، كانَ عالمُهُ الخارجُ يتهدِّمُ مشيداً

لعالمِ تحفَهُ ألوانٍ من الصمتِ والكلماتِ والأمالِ التي تطير بجناحينِ  
من فورانِ إلى حيثُ يقفُ الأربابُ ناظرينَ بفرحٍ صبيحةً صغارِ، كانتِ  
الممراتِ والأعمدةُ والحجرُ تتقدُّمُ فرحاً، وكانَ قلبُهُ يبحثُ بوجلٍ ولدِ  
وجدَ نفسهَ فجأةً وسطَ دوامةً من الرياحِ، فجأةً وجدَ أمامَهُ قاماً مثلَ  
جذعِ نخلةٍ، وعينينِ تلمعانِ مثلَ غيمةٍ مبرومةً، وهالةً من البياضِ  
الكثُّ، وطيفٍ من الابتسامِ الذي يغذى روحَ ناظرهِ، قالَ الصوتُ:

- ما الذي يبحثُ عنهُ والدي؟

ارتفعتَ القامةُ قليلاً، وasherبت الرقبةُ، ومطرَت العينانِ ذهلاً،  
وتوقفَت الخطواتُ باحثةً عن ملاذٍ يأوي فزعها وارتباكيها، لبرهَةٍ سادَ  
الصمتُ، ولزمنٍ كانَ الرجلُ الطويلُ القامةُ، يحدُقُ في الوجودِ المرتَبِكِ،  
مشعلاً طاقاتِ ابتهاجِهِ، وجَدَ الفتى نفسهَ ترتكنُ إلى جدرانِ الضياعِ،  
ووْجَدَها تسقطُ في هوةِ الارتِخاءِ، ووْجَدَها تغُورُ عميقاً في بساتينِ  
الذهولِ، لم يكن يرى غيرَ لصفِ العيونِ. وانشدَادِ الشفاهِ، حاولَ  
اطلاقَ عصافيرَ الأقوالِ، لكنَ الاجنحةَ قدرَتْ على الرفرفةِ، ابتسمَ  
الرجلُ بودٌ، وهدلَ بصوتٍ طيبٍ أشعَّ الدفءَ والأمانَ بينَ أعماقِ  
الفتى الذي كانَ يحسُ خواراً ووجعاً:

- ما لكَ خائفٌ... أيُخافُ الفتى من معابِدِ الأربابِ؟

لطمَ السؤالُ الوجهَ المحرزونَ، فنづفَ خوفاً واندهاشاً، وظلَ يحدُقُ  
في فراغِ الممراتِ، أخذَ الرجلُ اليدينِ الباردتينِ مثلَ ماءِ الشطِ اليهِ،  
فنبَرَ الفتى بصوتٍ متلجلجٍ حائرِ:

- لأنِي ما جئتُ لأع... ع ع ... رف ف !!

ضحك الرجل المكمل بالبياض، واقتاد الخطوات المرتبكة الى ظل شجرة، أجلس الفتى بهدوء أبوياً، وجلس قباليه متفحصاً مثل أب اختلاجات الروح، كان يرى إن ثمة شيئاً يمور داخل هذا الرأس الأشعث الملفوف بدتار منقوش بزهور خضر،  
قال الرجل: جئت تعرف ماذا يا ولدي؟  
قال الولد: ما يحدث هنا !!  
قال الرجل: أو لم تدخل بيت الآلهة من قبل؟  
قال الولد: كلا...!!  
قال الرجل: وما الذي تريده معرفته؟  
قال الولد: كل شيء !!  
قال الرجل: كل شيء عن ماذا؟  
قال الولد: عن المعبد والأرباب والتراث !!  
قال الرجل: ولم تريده معرفة هذا؟  
قال الولد: أحس في أعماقى رغبة للمعرفة !!  
قال الرجل: أعماقك ... وماذا تحس غير هذا؟  
قال الولد وقد وجد نفسه فجأة تكشف عن أستار ارتباكيها وتبوح بكلمات ظلت لأيام طويلة مستورة وراء صخور من الخوف والاحتجاجات والارتباك :  
- أحس إن لي ارتباطاً أليساً مع شمش وسن ... وإنني عشت بين أركان هذا المعبد زماناً طويلاً، أعرف كل شبر فيه ... ونشدّني إلى تراثي كهنتيه أواصر من أشياء لا أعرف ... هو عالمي الذي أرى

البقاء فيه... لم أعد قادرًا على البقاء بعيداً... أجذني أروح... ثم  
أجيء... السر يلاحق ليلى ويدون وعي نهارتي... ما جئت إلا  
لأبقى... هنا يجب أن أكون... هل يظن الطيب إن ثمة لعنة في أن  
يجيء ولد مثلي إلى معبد أنتيل؟

قال الرجل: لا لعنة في هذا... بل حب واختيار طريق!!

قال الفتى: لهذا جئت... أرجو أن تدلني على من يبني نفسي  
هنا !!

قال الرجل وهو يحدق في صمت الممرات ويرنو إلى وجه الفتى  
الذي اصطبغ بألوانِ من الأحلام والضياعات:

- أو تدري أيها الولد كم هو صعب اختيارك هذا... صعب  
الطريق الذي تريده مشيةً وحيداً... أبداً تمشي في دروب  
الحكمة ولن تصل إلى شيء !!

قال الفتى مقاطعاً بحزن: لا أريد غير الوصول إلى معنى  
وجودي !!

صمت الرجل طويلاً ولحظة أراد الإجابة، أنهض الولد وسار  
إلياه بخطواتٍ سريعةٍ صوب المذبح البعيد وهو يقول:

- ما أصعبه سؤالاً... وما أبعدها إجابة... لا أحد يقدر على  
اكتشاف مثل هذا المعنى صعب أن تطلق سؤالاً مثل هذا...  
صعب أن تملأ رأسك بأسئلة لا تؤدي إلى غير الاضطراب  
والإغفال بعيداً في دروب الألواح... أو تدري أيها الفتى...  
عفوك قل لي ما اسمك؟

قال الفتى بصوت رجل حكيم تعمده رخيمًا، جذلًا، يشبه صوت فاختة:

- سن ماغرض !!

تنفس الحكيم غبار أحلامه، وظل يتابع خطوات الفتى الذي كان يلتج بواية عمره، كان يرى الاضطراب يعدد خطوات، ثمَّة معنى بدأ يحدد وجودة اللحظة، كان آين يدق بعصاه، والصمت يطرب هياج الممرات، والفتى يلهث محاولاً اللحاق بخطوات الحكيم، قال سن ماغرض مردداً السؤال الذي قالتة شفاهه منذ كان ولداً:

- لا أريِّد الوصول الى غير معنى وجودي...!!

- وهل تركَ وصلت الى ما تريِّد؟

- أبداً... لقد ازدادت حيرتي... وازدت ضياعاً... لا شيء يحدُّ وجودي... ولا ثمة سؤال لا يلُّ سؤالاً... لقد صار عمري مجرد لفحٍ ريح !!

- وما كنت تريِّد غير هذا... بدأت بسؤالٍ واحدٍ حتى ملأت أرض السواد كلها بأسئلتك !!

- لا أعود ثانيةً من حيث بدأت... المعنى، أريِّد المعنى !!

- أو لم تصدق كلَّ هذه المعاني سن ماغرض؟

- الوجود ما يقلق نفسي... ايها الفتى سن ماغرض !!

- الوجود ما يقلق نفسي بعد كلَّ هذا المرور عبر السنوات !!

- وإذاً ايها الفتى الذي أتعب جسدي وأنهىَ النفس؟

- ما أغرب السؤال أيها الشيخ الكاد... كنت أظن أن السنوات أطافت كوانين الأسئلة وطمرت نزوات الفتوة... لكنني أراها الآن أشد اتقاداً وأكثر لوعة !!
- كلنا تعذبة السنوات... كنت أراك تتبعُ وتغور في عالم النسيان، فما الذي جاء بك الآن سن ماغرض... أو جئت لتقتل ما تبقى من جنون كهولتي؟
- بل أنت الذي جئت بي لتقتل أسئلة فتوتي... أبقيتني أنتظرك وسررت طويلاً في دروب القراءات والتفنن بالقول... أبقيتني رهن سؤالي الأول دون حتى أن تهمس لي يوماً مشجعاً صبياً، وحدك مررت ووحدي بقيت أنتظرك... شاخت أحلامك ومات وهج الحب في أعماق سراتك، أما أنا... أنا أيها الشيخ الذي أسمته سومر حكيمًا... فلا أحد يتذكرني حتى أنت... أقرب الناس إلي.. قلت آمالي دون رحمة منك... ما الذي دفعني إليك؟
- بل قل ما الذي دفعني إليك أيها الفتى سن ماغرض؟
- ها أنت تحاول استغلال تعليكي بك... تحاول إعاقته اختياري الجواب... كنت حين تغضّ عينيك وتتفوّ... أخرج مهولاً متفحصاً كل ما كنت تقرأ وتدون على أحد جواباً... لكنني أبداً ما كنت أرى غيري امتداداتٍ طويلةٍ مسحولةٍ من الأسئلة... كنت أظل خائفاً اللوم نفسي ازاء كل هذا المكر والخدعية، لماذا ترانا نفترق سن ماغرض؟
- لماذا ترانا نفترق... سؤالٌ ما خطر على بالي أيها الفتى الذي أضعت !!

- ها أنت تعرفُ ... ها أنت تحاولُ البدء ثانيةً !!
- أبداً لم يعد الوقت وقت بداياتٍ ... بل ثمة أمرٌ أهُم وأشدُ حاجةً !!
- ليس ثمة مهِم وأهم... كلُّ ما لديكَ يريدُ الاستمرار !!
- لكنَّها سومرُ أيها الفتى !!
- ومتى كانت سومرُ بعيدةً عنكَ أيها الشيُخُ منذُ كنا معاً... ونحنُ نفكُّر بسومرَ لم نر يوماً أشدَّ جمالاً منها، كانتَ تملأُ علينا أيامَ وحدتِنا... كانتَ تبُثُ في أعماقِنا أَجَلَ شذوَاتِ الارتياحِ، إنَّكَ تريِدُ الضحكَ علىَ أيها الحكيمُ الشيُخُ !!؟
- كيفَ هذا أيها الفتى الذي يرومُ الوصولَ إلى اللاشيءِ... لنْ أنسى أبداً ما كنا معاً... مَنْ ذَا ينسى رفقةَ فتى مثلَكَ، ملأتَ فؤادي بالحبورِ، وجعلتَ حنجرتي تسعى لأَلْذِ الكلماتِ... كنتَ يا فتى تغمُرني بفيضِ حنانِكَ... دونَ أنْ تطالبني بشيءٍ أبداً !!
- لكنَّكَ أخذتني بعيداً إلى ما كنتُ لا أريدُ... جعلتني أمشي فوقَ نيرانِ من المباحثِ والهمومِ ثمَّ ماذا... ما الذي جنينا معاً أيها الشيُخُ الذي يدعى الحكمةَ، ما الذي جنينا غيرَ الهمومِ في نهرِ الفراقاتِ والانتظارِ !!؟
- وما الذي تريِدُ أنْ تجني، سنْ ما غرض... هذِه هي المهمةُ... لا شيءَ يوصلُ إلى شيءٍ ...؟؟
- إنَّكَ تعذبُ أعماقي... تجعلني أشعرُ بالنَّدمِ والضياعِ... أو كنتَ واهمًا حقاً... أكانت أيامِي مجردَ نثارٍ من العبثِ... أو كنتَ أعومُ

إِيَّاكَ فِي الْلَا جُدُوِّ... مَحْنَةٌ أَنْ نَصِلَ إِلَى صَمَتٍ مُوحِشٍ بَعْدَ لَهَاثِ  
كُلَّ هَذَا الْعَمَرِ؟!!

- مَنْ دَفَعَ مَنْ أَيَّهَا الْفَتَى سَنْ مَا غَرَضَ؟

- كُنْتُ فَتَى يَحْلُمُ بِالْهَدْوَءِ وَالدَّعْمَةِ وَيَحْاولُ اثْبَاتَ وَجُودِهِ... لَكُنْكَ  
دَفَعْتَنِي إِلَى أَعْمَاقِ سَحِيقَةِ... مَا الَّذِي وَجَدْتَ أَيَّهَا الشَّيْخُ سَنْ  
مَا غَرَضَ... لَا شَيْءٌ... لَا شَيْءٌ الانتظارِ وَالْمَحْنَةِ وَالْخَرَابِ،  
خَرَابٌ دَمَرَ كُلَّ شَيْءٍ... دَمَرَنَا معاً وَأَهَانَنَا إِلَى مَجْدِ خَطُوطِ تَعْبَةِ  
وَمَوَاقِدِ مِنْ أَسْتِلَةِ الْإِشْتِعَالِ !!

- وَهَذَا مَا كَنَا نَسْعَى إِلَيْهِ أَيَّهَا الْفَتَى النَّفْسَ !!

- بَلْ مَا كُنْتَ تَرِيدُهُ أَنْتَ... أَنْتَ الَّذِي دَفَعْتَنِي إِلَى كُلِّ هَذِهِ الْلَّوْعَةِ  
وَالْتَّعْبِ الَّذِي لَا يَجْدِي شَيْئاً... مَا أَحْسَنْتِي بِفَتْوَتِي وَشَبَابِيِّ، دَمَرَتِ  
فِي أَعْمَاقِي أَلْقَ الْحَبَّ وَعَمَرَ الاعْتِرَافِ... دُونَمَا هَوَادِ رَمِيتِي وَسَطَ  
آتَوْنِ مِنَ الْأَمَالِ... آمَالٌ لَا طَائِلَ مِنْهَا... مَا الَّذِي زَرَعْنَا... وَمَا الَّذِي  
حَصَدْنَا مِنْ هَذَا الزَّرْعِ؟؟!

- إِنَّكَ تَوَبُّنِي بِكَلَامِكَ هَذَا... لَكُنِي قَادِرٌ عَلَى الاعْتِرَافِ... أَمَا أَنْتَ  
فَمَا زَلتَ تَتَمَسَّكُ بِأَذِيَالِ الْاسْتِمْرَارِ !!

- أَقْسُمُ لَكَ إِنِّي مَا أَحْسَسْتُ بِدَفْقِ الْحَيَاةِ إِلَّا مِنْ أَجْلِ سُومِرِ... هِي  
وَلَا شَيْءَ سَوَاهَا مَنْ يَمْلأُ قَلْبِي بِكُلِّ هَذَا الْاسْتِمْرَارِ... مِنْذُ وَطَئَتِ  
الْخَيْوَلُ هِيَاكِلَ الْمَعْبُدِ... وَدَمَرَتِ فَرَحَ الْبَيْوَتِ... وَامْتَلَأَتِ الْأَرْقَةُ بِالْدَّمِ  
وَلَا حَلْمٌ لِي... صَارَتِ أَحْلَامِي سَوَاداً... وَفَزْعًا وَمَقْتاً... صَرَثٌ لَا أَرَى  
غَيْرَ نَيْرَانٍ تَحِيطُ بِي... نَيْرَانٍ مِنَ الْفَلْقِ وَالْخُوفِ... سُومِرُ هِيَ التِّي

جعلتني أرى وحدتي، وأقفُ بعنادٍ ازاء رغبةِ السنواتِ... عنادٍ ربما  
أنسانٍ وجودكَ بعضَ الوقتِ !!

- مثلك أنا ... حبي لسومر أشدُّ مما تحبُّ... قلبي فتي ولا ينبعُ  
لغيرِ حبها... وأنت تعرفُ هذا جيداً... تعرفُ كم أرقني سنواتُ  
البحثِ... كنتُ أحلمُ بسومر من علومٍ و المعارفِ... كنتُ أريدها اشتعالاً  
دائماً... أغنياتٌ تعبأُ الحاجَر بالفرحِ والامتنانِ... لكنني ومنذُ وجدتُ  
نفسِي عندَ بوابةِ المعبدِ الكبيرِ... فقدتُ الخطواتِ... تستر خطوي  
عندَ نورِ الألواحِ... كانتِ الرُّقُم تسرُّعني وتجرُّني إلى أماكنِ مجھولةٍ  
وقصيَّةٍ... يطولُ الاكتشافُ وتطولُ المباحثُ... ثمَّ ترتمي نفسِي في  
أعمقِ الحكمةِ... عندها تجيءُ أنتَ... أنتَ أيها الحكيمُ الذي أتعبَ  
حضورِي... ليتني كنتُ قادراً على أن أظلَّ هناكَ... وتظلَّ أنتَ هنا !!  
- كيفَ هذا أيها الشيَخُ الفتى... لا معنى لفراقِنا... بل هو الأزلُ

الذِي جمعَ بيتنا ومحالَ أن نفترقَ... محالٌ أن ترى بغيرِ ما أرى !!

- أنتَ تشددُ القبضَ علىَ... أريدُ الانفلاتِ... أريدُ الاحساسَ بفقوتي  
وشبابِي... أريدُ العودةَ من حيثُ بدأتُ... أعدني أيها الرفيقُ الطيبُ  
الذِي أكرهُ... أعدني إلى ما كنا قد بدأنا معاً !!

- خرفٌ وصبيٌّ أخرقَ أنتَ... لأنَّكَ رأيتَ نفسَكَ... تتحدثُ  
بصوتِ الفتى دونَ أن ترى وهنَ الخطواتِ وتعْبُ الابصارِ... كلُّ ما  
كانَ ليلاً صارَ محمولاً على تاجِ البياضِ... سرقتنا الأيامُ يا  
صاحبِي... ورمتنا السنواتِ إلى انتظارِ مملِّ... لكمَ أخذتنا الأوهامُ  
بعيداً... نهاراتُ التأملِ عندَ ضفةِ الفراتِ... ومحنةُ بابلَ التي كسرَتْ

ظهر حضوري... ونبونيد الذي كان يبحث عن عمر يجد الأعمار...  
كانت أحلامنا تريد... وخطواتنا تريد... والارض التي نحب ونشعر  
تريد، عمر موغل بالقدم هذا الذي تحمله فوق كاهلك... تحس نفسك  
فتى... لكنك سن ماغرض شيخ... بل كهل عجوز... تسير به  
خطواته الى عالم اللا رجعة... هناك عندك نوجي... سترقد بسلام  
وتنسى كل هذه العذابات والأوهام والأكاذيب... ستصير سومر أمام  
عينيك مجرد ذكريات بعيدة وتحترق الحكمة أمام هول ما تسمع وترى  
من آثام... لابد من سؤال هناك... فماذا يكون جوابك... عن ماذا  
يمكن أن تتحدث... عن أي الحقائق والجنون... لا أعتقد إنك قادر  
على وصف كل ما كنا نحلم به... مهنة سن ماغرض... مهنة  
هنا... ومهنة هناك... أيامنا وسنواتنا مكفنة بالآثام والجرائم  
والصمت... كم جعلت نفسك تصمت دون ارادتها... كم رأيت دون أن  
تعلن... أو كنت تخاف الموت... أم ترك خائفاً من المواجهة... هل  
كان عمرك صادقاً... لا أظن أيها الفتى الشيخ؟!!

- عمري يتفتت وسنواتي صارت هباء... قتلت كل ما في دواخي من  
رغبات... وما جنينا غير هذا الاسراع في العبث والارتباك.. !!
- لا تلوم نفسي كلانا قتل الآخر... قتلت فيك فتوتك وقتلت في  
رجولتي وخصب أيامي... وها نحن نلتقي ثانيةً فتى وكهلاً... كهل  
يشعر بالفتوة... معاً لابد أن تسير بنا الأيام منذ هذه اللحظة !!
- والى أين يمكن أن توصلنا بعد هذا التعب والكد والعذاب؟

- لا أدرى لم يعد ثمة يقين... لم أعد أصدق ما يحيط بي... أظنه فراغاً... فماذا تظنه أنت؟
  - ها أنت تتضئني واحداً... وتضع نفسك واحداً !!
  - هو لفظ لساني لا غير... خطواتنا ما افترقت يوماً، ولا أظنها تفترق أبداً !!
  - والآن سن ماغرض، الى أين ترانا نريد الذهاب... الى أين؟
  - ربما حلم قديم يجيء... خطواتنا تذهب باتجاه وجوده... نريد لارض السواد بقاء أزلياً... نريد زماناً قادرًا على ايجاد معنى لكل هذا الوجود !!
  - أو قادرة سومر على الاجابة... أيها الحكيم الطيب؟؟
  - لن تعجز المدن عن الاجابات... سومر قادرة على تأسيس كل ما تريده ما دمنا نؤمن بحضورها الطيب !!
- يصر باب المذبح بأنين مكتوم، فتنبه آين، ورفع سن ماغرض رأسه طارداً وجود الفتى الذي كان يحاصره بألم السنوات، زفر بارتياح وأطلق لعينيه مسافات التحديق، كان المذبح يورق بعطر ما ليث أن اخترق الأنوف، كانت المرأة تتكون إلى نفسها لافة عذاباتها بأردية من غnaire، أبصر آين أنليل يتحقق في الدم المتيس، وأيا بيتسم ببرضا شفيف فيما كانت عشتار تمسك برفقة ديموزي محاولة جره إلى الفضاء الفسيح، فيما ظل شمش يرى بصمت، وسن يرى بتعجب، ومدوك يرى بحزن وانكسار، بصمت رفت المرأة رأسها، وحين

أبصرت الرجالين الرافلين بهم الحكمة، رأتهما بانشادِهِ، ورأياها بحبورِ  
وودٌ وافتنانِ، قالَ آين بصوتِ له شذا التفاحِ:  
- ما أجملُ ما ترثِل مالونيد !!

ابسمت مالونيد بامتنانِ امرأة عارفةٍ، ولمَّا عذاباتِها إلى صدرِها،  
كانت تحسُّ إنَّ ثمةَ اضطراباً يوحشُ بطنَها، حركاتٌ كانت تظُنُّها مجردَ  
وجعٍ، لكنَّها أحسَّت بالآلفةِ لها، فعاشت تأملُ ساعةَ البدءِ، قالَ سن  
ما غرضُ:

- كيفَ حالُ الملكةِ الأمِّ؟

قالَت مالونيد بعطرِ صوتها الشاعِر مثلَ شمشِ:  
- كما يرى الحكيمُ الأبُ... بطنٌ وارمَة... وانتظارٌ لا تحسُّهُ  
امرأةٌ سواي !!

قالَ آين مازحاً: ما أغريَها من اجابة... أعرفُ انهُ الانتظارُ وودٌ  
الأمومةِ !!

قالَت مالونيد بانتشاءٍ: نعم ولكن لامرأةٍ لن تعيشَ ما أعيشُ !!  
تبهَ آين لعيقِ الردِّ، فأبصرَ فسحةَ المذبحِ التي تتَّكأُ إلى عتمَةِ  
شفيفَةِ، كانَ يريُد الامساكَ بوجودِ آخرٍ، ولحظَةَ أحسنَ بخيبةِ الأملِ  
تراودُ عينيهِ، عادَ ملقياً أبصارَهُ إلى الوجهِ الأسمُر المشرَّب بصفارِ  
فققِ، تنهَّدت مالونيد تريُد زحزحةً ارتباكيَّها أمامَ هذا الحضورِ الذي ما  
كانت تحسُّبُ لهُ حساباً من قبلٍ، كانت ترى فيهما آمالاً تمرقُ فوقَ  
جسدِ الرضا والودِ، وتحاولُ الاخترافَ من وجودِ معارفها المبذولةِ  
بسخاءٍ، قالتَ بعدَ أن أطئَنَّ رأسَها:

- لن تجده هنا... أيها الأقدس، لقد خرج منْ الفجر !!

قال آين: إلى أين تراه ذهب؟

قال سن ماغرض ممسكاً بنشوة المعرفة: كما هو دوماً... لابد وإن البداية حانت... اللحظة لحظة تبدأ تتساوي الرؤوس ولم يبق غير سر المعرفة... معرفة اللعب والتخطيط... نبنيد يعد لاحتياز المسافات... وسومر تؤهله ليكون سيدها الآن !!

قال آين: أو لا تود مالونيد الارتياح؟

قالت : أحـسـ بالـأـمـ وـالـثـقـةـ هـنـاـ... عـنـ مـذـبـحـ اـنـلـيلـ لـابـدـ وـأـنـ

يرى ولدي النور !!

- هل تريده الملكة الأم كا هنا؟

- لا... بل أريده إبناً باراً... ورفيقاً طيباً لأرض السواد !!

- حسناً مالونيد... حسناً... وإن سرك أبوك آين بسر؟

- أنا أيها الأقدس... أو تعتقد إن المرأة أهل لحفظ السر؟

- ولم لا... إذا كانت تلك المرأة عارفةً مثل العزيزة مالونيد !!

- إنك تجعلني أرى نفسي بغير ما كنت أراها !!

- كلنا هكذا نرى أنفسنا بغير ما يراها الناس... الرؤيا أيتها

الملكة الأم حوار الأنفس رسول الحب... هي التي تحدد

الوجود وتعمل على تثبيت خطوات الاستمرار !!

- وأي سر يريده الكاهن الحكيم إفشاءه لأمرأة مثل؟

- لا أريده التصديق بوهم المعابد وجنون الكهنة... لم يعد

أرباب سومر ذوي فائدة لانسان سومر، كانوا مجرد أرباب

مغربين بالدم... وهم اليوم يعيشون في جحور التخاذل  
والنرجس !!

- ما الذي يقوله الأب الأقدس ؟ !!

- ما سمعت مالونيد... كل ما كان كذلك... وكل ما يجيء اليوم  
حقيقة... حلم الأرياح مجرد رغبات ماجنة، مجرد محاولة في  
استلاط روح الإنسان وعظامه وجوده... هو لاء لا ضرورة  
لوجودهم مالونيد !!

- كلام خطير هذا الكلام الذي تقوله ايها الحكيم الطيب !!

- وأرى وقع الخطورة مرسومة فوق نبرات صوتك العذب مثل  
ماء الفرات !!

- حذر هو أيها الرب الأقدس... حذر امرأة عاشت أيامها ترقب  
مثل هذه اللحظات... لابد لسومر من سؤال، لم جاعوا...  
وكيف يكون الاستمرار... أرض السواد تعودت أسماء آلهتها  
وأنت تريده مثل هذا التعود... كيف يكون الحديث والقناص  
صارت ارثاً... صعب أن ترى سومر وهي تنهض من كبوتها  
مثل هذا الأمر... ما معنى أن تقول دون فعل ؟ !!

- مالونيد... هي أحلامي عاشت وأيامي طويلاً... أحلامي لم  
تجد أرضها بعد.. لا أريد أن أثقل سومر بها لأن ما دام  
الطريق الذي نسلكه مالونيد طويلاً وصعباً... ولا ندري كيف  
ينتهي بنا !!

أحسَتِ المرأةُ بخفقانِ فؤادِها، وذابتِ آلامُ بطنها لحظةً اصطدمتِ  
الأكفُ الصغيرةُ بجدارِ الرحم، كانَ الجنينُ يتحركُ سابحاً في بحرٍ منِ  
الامواجِ الساخنةِ، اتكأتَ إلى جدارِ المذبحِ، وأمطرتِ عيناهَا حناناً،  
ثمةَ اشعاعٍ بدأً يسريُّ حضورها، شعورٌ غريبٌ بالامتنانِ والرأفةِ  
والأملِ، جسَّ آینَ نبضَ يدها بيدِ عارفةٍ، فأطلقتِ المرأةُ لنفسها وردَّ  
الارتياحِ، وبقدرةِ عارفٍ تفحصَتِ الوجهينِ اللاصفينِ بغصةِ البياضِ،  
كانتْ ترنو اليهما مثلَ مَنْ يرى غريباً فارقةً زماناً طويلاً، كانتْ تبصرُ  
في لمعانِ العيونِ امتداداً من الاخضرارِ الموشومِ بالفرحِ، قالَ الكاهنُ  
آینَ بحنوِ أبِ عارفٍ :

- أو تشعرُ الأمُ الملكةُ بوجعِ ؟

ابتسمت مالونيدُ لهذا الوصفِ الذي كانَ رقيقاً مثلَ ورقَةِ لوتس،  
طيعاً مثلَ ماءِ القرابينِ، حلواً مثلَ برِيقَلِ بابلِ، كانتْ تشعرُ بالجسدِ  
الغضِّ يجري سريعاً بينِ جوانحِها محاولاً إلافتَ من سيطرةِ الظلمةِ  
التي تلفُّهُ، تحركَ أولاً ببطءٍ وما لبثَ أن لبطَ ضارباً الجدارَ بكلتا  
قدميهِ، أحسَتِ المرأةُ وجعاً لذِيذَاً، ومائعتَ مثلَ قطةٍ تبحثُ عنِ  
أطفالِها، كانَ الجسدُ النابضُ يحسُّ ارتخاءً، والعينانِ التعبتانِ تشعلنِ  
بحاجةٍ إلى النومِ، أغمضتِ جفنيها وزرفتِ ممسكةً بقبضةِ البابِ  
القريبِ من متكأِ المذبحِ، قالَ سنِ ما غرضُ :

- وجهِكِ تعبٌ... لابدَ من راحةٍ !!

قالَتْ مالونيدُ: نعم... أحسُّ إنَّ الساعةَ تقتربُ !!

بهدوء، خطَّ الملكة باتجاهِ البابِ، يتبعُها بخطواتِ وجلةِ الكهلانِ  
 اللذانِ كانا يشعرانِ لحظتهِ بسرورِ أطلقَ لحنجرتيهما وردَ الارتياحِ،  
 تمسكتِ المرأة بالجدارِ راغبةً اجتيازِ العتمةِ الشفique ناحيةَ الضوءِ،  
 لكنَّها شعرتِ إنْ ثمةَ خيطاً من دمٍ يسري من بينِ فخذيها، خيطاً أرتبطَ  
 وأجرِ الأرضِ ببقعِ حمرٍ تحولَتْ رويداً إلى كتلِ سودٍ جفتَ لحظةَ  
 لاحها الهواءُ، جثاً مالونيد على ركبتيها، وبدأتْ تحدقُ في عريبةَ  
 شمشِ التي ملأَتْ بضيائِها عتمةَ البابِ، رويداً ارتجفتِ الأرضُ، رويداً  
 أغمضتِ عينيها، رويداً بدأَ الْمُلْذِيَّ مثلُ غناءٍ يسري من بينِ فخذيها  
 ما ليثَ أنْ صارَ صوتاً يصرخُ بوهنِ، جعلَ الكاهنينِ يجثوانِ بهلعِ ما  
 ليثَ أنْ تحولَ إلى توسلٍ محمومٍ، وجريانِ صوتِ الحجرِ الصخريَّةِ  
 التي كانتْ تغسلُ بضياءِاتِ شمشِ البهيةِ مثلَ صباحاتِ سومر...  
 وبدأتْ تطلقُ حمامَ بيضَ ملأَتْ السماءَ بهديلٍ ما سمعتهُ الأذانُ منذَ  
 زمنِ طويلِ .

## الرقيمُ ن - ١٦ -

الأفقُ يشتعلُ بالرجاءِ، والخطواتُ تلهُ خلفَ سرابِ من لا  
 شيءَ، كانتْ تزيدُ الامساكَ بفعلِ وجودِها، تستيقظُ بعمرِ الآمالِ، فلا  
 تجدُ غيرَ عواءِ مسحورِ، وغيابِ في دوائرِ من الفراغاتِ، رحلَ شمشُ  
 فشعرتِ الأجسادُ بالارتياحِ، والعيونُ بالعمى، والأنفسُ بالاضطرابِ،  
 والخطواتُ بالكلِّ، جاءَ سنُ فشعرتِ الأجسادُ بالتخاذلِ والوقوعِ إلى  
 برودةِ الرملِ، والعيونُ بالانبهارِ إلى الاستداراتِ التي كانتْ تحاولُ

الامساك بفصل المفاحير، والانفس بالهدوء والأمان الذي جعلها تبصر  
بعيد الإله وكأنه بين جمر الديرين، والخطوات بالانتشار والسرور،  
كانت الكلمات تلجم تعب الأيام، فترى أن ليس ثمة خلاص، دوائر  
مغلقة، ودوران لا يمكن أن ينتهي بشيء، ما الذي يمكن أن يقولا...  
وامن كل هذا الضياع والتعب والخوف؟!!

كانت الخطوات تحاول الاستمرار، لكنها تصطدم بجدار من  
المشاعر الدافعة إلى مدن اليأس، تتلبسها حالات من الفوضى  
والارتباك فتركت إلى الصراح، صرراخ مدو يشرخ جسد الصحاري  
ويجعلها تتنهى متوجعة، كلها كان يأكل رغوة صمتها ويتنقيء نحيياً ما  
يلبث أن يعلو لاماً أطراف الروح...

الأفق يشتعل بالتوسل، بالانهزام، فتظل الأقدام تسجح في دروب  
المتاهمات، ليس ثمة ممر يؤدي إلى الاستقرار، ليس ثمة ما يجعل  
الروح ترفل بأمن وجودها، مانعت الخطوات ترتبك، ولحظة ارتكابها  
تفجر بنواح يحرق أعماق النفس ويحيطها رماداً، كان شوقيا ينظر  
إلى الأفق المشغول بالبرتقال، محاولاً سبر غور وجوده، يتحقق في  
المدى المنكسر الحواف فتلطم عتمة التصور، اللحظة تبدو انلاميد  
باسمها... تركض اليه بخطواتٍ واسعةٍ، لكنها رويداً تصير مثل رمل،  
يحاول جاهداً الامساك برأس قواه، لكن الأزمنة تختلط، والوجود الذي  
كان يصير مجرد عبء يحمله فوق كتفيه، ينوء بزمن الغربة،  
وتلاحقه الكلمات مصفقةً، يتحسن ألم شفتيه وتشقق صمتها،  
ويشعر أن ثمة ملحاً يسري بين جوانحه، يتلبس التعب هيأة الخوف،

ويعبر الخوف جسور المواساة فتاجأ الأرواح اليه " ماذا يمكن أن تجد في خضم هذه العزلة المفروضة عليك، وما الذي يمنحك التيه الذي تعيش لتواصل سر وجودك ... ألاً شوقيا وأنت تحلم بالوصول إلى سر انتمائك، لكنك تكتشف بعثة، وأنت تتوارى خلف هذا الضياع، إن كل ما عشت كان مجرد وهم، انسكب فوق رأسك انسكاب ماء حار تورمت أوردة ضياعك، وعيثاً عبثاً شوقيا كنت تطارد أحلاماً من فراغ وأكاذيب، كان ز منهك يتسرب من بين يديك دون أن تقدر على فعل شيء لا شيء أنت أيها التائه بين مجاهيل الكلمات، تعب ومجنون، خراب يلاحق حكايات نفسك التعبة ... امتنأ رأسك بالأسئلة، كنت تعتقد ها خطأ يوصلك إلى ما تريده، ما الذي تريده شوقيا ؟

لا شيء خلو مرتبك وأسئلة أشد ارتباكاً، وضياع، أضعت نفسك في أمواج من الأكاذيب، وجودك كذب، المرأة التي تحب كذ ... لا ... لا شوقيا، ما لك لا تستقر على شيء، مالعقولك يأخذك إلى ما لا تريده بعد إن كنت تركب جواده ركوب فارس عارف، أئلاميد ... تعالى اليه، تعالى لأرى كم من السنوات مررت وأنا هنا، أفوز محاولاً الانطلاق إليك، زمني يتهدم وأوهامي تقيم صرحاً من التباس، أي معنى لكل هذا الضجر، أي معنى لكل هذا الشتات الذي أعيش، مالي أتيه واتعب نفسي، ركبني الحزن ولم أعد قادرًا على المثول بين يدي المحبة، أئلاميد ... أئلاميد ... اقتربى ايتها المرأة التي أحب، حاوي الأخذ بيدي فلم أعد أبصر شيئاً، ظلام دامس وأقدام تتعثر في فراغ الرمل، وأحساسٌ تضطرم مثل نيران، دواخلي تشتعل، أئلاميد، ولا أحد

يطفئ رغباتي المجنونة، كنتِ تأخذين بيدي لحظةً تطفحُ أحلامي، فلمْ أنتِ بعيدةً، لمْ كلَّ هذا الجحود، غريبٌ وسطَ كلَّ هذا العواء المرهون بالخوفِ، إلى أين تمضي بي مخاوفي، ما لها لا تتأدُّ وتتمُّ عبر بوابةِ الأزمنةِ، لستِ وحدكِ فثمةً من ينظرُ بابلَ وأزقتها ورقم الطينِ والبلوى، ما أتعبني غيرُ ريحِ بابلِ التي تهبُ مثلُ سياطِ، تضرِبُ فأقومُ مهرولاً، أيُّ الْمِ تعيشُ شوقياً، وأيُّ لذَّةٍ هي لذَّةُ الاستذكارِ، لمْ تركتَ قرَّ الكهوفِ ما دمتَ غير قادرٍ على التحمل... لمْ شوقيا تحاولُ اطفاء مسراطِ آمالِكَ، غنِ إنْ قدرتَ، غنِ واجعل روحكَ تترطبُ، أوَ ما كنتَ تقني وأنتَ تملأُ صحفَ الرقم بالكلماتِ، حنجرتي جافةٌ وميتةٌ، والخوفُ يجعلها مثل أرضِ يبابِ، غنِ من أجلِ ألاميد... غنِ وستتبقُّ من حنجرتكَ سلالاتٌ من الودُّ والبهجةِ.. ما أجملها لحظةً، تجلسُ مأخوذاً عندَ قدمي المرأةِ التي تحبُّ، تبصرُكَ برصاصِ أنتَ ولهمَّ، وتداعبُ خصلاتِ الشعرِ المعجونةِ برائحةِ الطينِ، تحدقُ ملياً في أفقِ العينينِ، ما الذي تبصرُ شوقياً... لمْ أنتَ دائمُ التحديقِ في لمعانِ العيونِ، ما الذي شدَّكَ إلى انتئاكَ هذهِ، ما الذي جعلَ قلبكَ يخفقُ بكلِّ هذهِ المعاني، حدق شوقياً، حدق طويلاً فربما لم تجد يوماً من تحدقِ في عينيهِ، ما الذي تفعله لحظتها، تظلُّ عاطلاً مثلَ مجنونِ، تأخذكَ العتمةَ إلى فراغِ، والفراغَ إلى ضجرِ، والضجرَ إلى جنونِ وتيهِ، حدق شوقياً واقرأ مساحاتِ الفرح فوقَ هذا الوجهِ الذي يشبهُ أدمَةَ رقيمِ طينيِّ، ما سرُّ علاقتكَ بالطينِ، كنتَ تفرُّ بخطواتِكَ صوبَ الشطِّ، تتابعُكَ صرخاتُ أمِكَ وتوسلاتها بالعودَةِ تركضُ مثلكما تركضُ الآنَ،

كان ثمة سطِّوطينٍ وأشجارٍ وارفة الظل، ورفقة درب مخايل،  
وصبايا ينتظرن عري الأجساد الضامرة بخجلٍ، تركضُ وحيداً... وليس  
غير ثمة شبحٍ بعيدٍ يلاحقكَ، ما أتعس أيام هذا الفتى، ما أتعس  
نفسى التي طاوعته، لمْ قلت له نعم، وكيفَ خرجت من أعماقى دون  
اعتراضٍ كانت أمي تعترض وهي تراني مصبوغاً بالطين فأنفجر  
ضاحكاً، فأصنع لها بهدوء صبيٍ ماكرٍ شكل حيوانٍ عجيبٍ، تبتسم  
وتأخذُه إلى كلل عينيها، ولحظةٌ تعرف وجوده، تشمُّره جانباً وهي  
تصيح ناهراً :

- لمْ تصنع هذه الأشكال الغريبة... أقسم بأنليل إنك سوف تثير غضب الأرباب، لمْ لا يستقر رأسك على شيءٍ نافع ؟
  - وما فائدة الأشياء النافعة ما دام كل ما يحيطُ بنا خيالاً مخيفاً!!
  - لا أعرف عن ماذا يتحدث ولدي المسكين... لابد وإن الأرباب وضعوا في رأسك شيئاً مخيفاً !!
  - ولمْ يضع الأرباب أشياءً مخيفة ؟
  - لأنكَ تصنع ما لا يرضي أنفاسهم !!
  - ما أطيبك يا أم... أو تدرير ما الذي يجعل الأرباب مجرد ضياع لا أساس لوجوده !!
- صاحت الأم وهي تفر من أمام ولدها الذي انبطح إلى الأرض،  
ضارباً قد미ه في بطن الهواء الذي بدأ يتحرك بدوايات أثارت غبار  
الحجر الطينية :
- اسكت... اسكت وليحفظ وجودك انليل من أجلي !!

تتحرك الريح مدوية، وبحركها تستدِّ نداءات الوحشة، أو تراها عقوبةً أليل حقاً، أو أخفى هذا الربُّ حقدَه نحو كلَّ هذه الأعوام ورماءَ الآن، ليشعرني بهبته سلطانه، أيُّ معنى لوجود ربٍ حاقدٍ ومنتفِّع، أيُّ فائدةٍ ترجي من خطوات ضياعنا، إلى أين شوقيا... وقد بدأت أيامكَ عبثاً وصراخاً وتوصلاً، فوضى تلك الأيام التي تحرك أقدامكَ إلى معيَّرِ كن نوجي، غنِّ... أو اضحك، أو انطاح فوق جسدِ الرملِ البارد.. ابصق بوجهِ سن، ما الذي يحدث أن أنت لعنة أربابِ بابل، حفنةُ أربابِ مجانيِّين... سفلةٌ لا همَّ غير الانقيادِ وراء دمِ الملذاتِ، وهمَّ كلَّ ما يقررون، وكلَّ ما يملؤون به حياةَ الإنسانِ... إللاميد ... تعالى لنغنى معاً، صه... صه أيها الحبُّ، لم تكره حناجرُ بابل الفرحةَ، هيَا لننقى... لا... لا لنقم مقاماتِ الانتقام، تعالى حبيبتي لتشعل ليلَ بابل بالحرائقِ والدم، ل يجعل الأنين المتосلَ اللاهثَ خلفَ عطرِ الحبِّ صراخاً ووجعاً، لندرِ كلَّ صروح البهجةِ، أبداً لن نقدر إللاميد... لن نقدر ما دمتِ تملاين حناجرنا بالضحكِ والغناءِ، من يعشُّ الغناءَ والحبِّ لا يمكنُ له أن يتنهج لمرأى الدمِ ها هي بابل تسبح في أنهارِ من صهيلِ الخيولِ واللوعةِ والدم، كلُّ ما نراه صار أحمراً قانياً، الشوارعُ إللاميد التي كانت تحتضنُ الفرح، أراها الساعَةُ، انظري ... تتوسدُ أعماراً من الخوفِ والقلقِ، ما الذي جرى؟!!

لم جفَّت حناجرُ الورِد، ونبَّت في الطرقَ عناقيدَ الشوكِ،  
العيونُ إللاميد تتسلُّ، والشفاهُ أصابها عطبُ اليباسِ، وأنتِ بعيدةُ،

بعيدةٌ مثل ضوء الشمسِ، كلُّ ما كانَ لنا صار مجرَّد ريحٍ، عذاباتٌ  
أزليَّة، دعى إليني أتوسُدُ شعركِ الطيبِ العطرِ، دعى إليني أحُدُ لوجودي معنى،  
كلُّ شيءٍ دمرَ كلَّ شيءٍ، الحبُّ أحسْه علقةً، الكراهيةُ سيفٌ يمتهنُ  
وجودَ الإنسانِ، الشرُّ، والقتلُ، والخوفُ. والصمتُ، حقائقٌ مزروعةٌ في  
الأعماقِ، أما ما كانَ يمُرُ فوقَ مباحثِ أيامِنا فلا شيءٌ غيرَ غبارٍ،  
اقتربي أيتها الساحرةُ الأبديَّةُ ابنةُ أوتوشم... استمعي إلى صباتِ  
الكهوفِ، وأملأيُّ أوانِيكِ من لوعةِ الأماسيِّ الحزينةِ، أيُّ ضحكٍ هذا ،  
لمْ تضحكينَ بعدَ كلَّ هذا الصمتِ، آه... ما أتعسُ وجودكَ شوقياً، ما  
أقسى منكَ وأشدُّ تخاذلاً، لحظةً أبصركَ الحارسُ، حركَ حفنيه تعجبًا،  
وبصقَ إلى وجهكَ، لم تفهِ بشيءٍ، كانت الأرضُ تتزلزلُ من تحتِ  
قدميكِ، أطربتَ بخجلِ مكتومٍ فأمرَكَ أن ترفعَ رأسَكَ، وثانيةً أمتدَتْ يدُهُ  
الخشنةُ المتوجحةُ إلى خدكَ، ما الذي فعلتُ، لا شيءٌ، كنتَ تمشي  
مسرعاً في دربِ التخاذلِ، لا ترومُ إلى شيءٍ غيرَ الحفاظِ على  
وجودكَ... من أجلِ ماذا ... وكيفَ؟!!

كنتَ ترى عيني الحارسِ الباسمِين الشامِتِينِ الموغَلتينِ  
بالاحتقارِ، فترمي نفسَكَ في قبورِ الصمتِ / لاشيءٍ يقيِّمُ الفرحَ/  
لا شيءٍ يحدُّ عمرَ المأساةِ / لاشيءٍ يقيِّمُ أعمارَ الحبِّ... كلُّ أيامِنا  
مجرَّدُ هواءٍ يمضي، يقولُ الحارسُ من بينِ شفاهِ حجريةٍ:  
- أنتَ شوقياً الكاتبُ الرَّقام؟!!

تهتزُ اللوعةُ، اسكتَ نودعَس، أوَ لا ترى تلكَ الشجرةَ البعيدةَ،  
كيفَ يمكنُ أن تورقَ الأشجارِ وسطَ كلَّ هذهِ الرمالِ، كانَ ليَلُ الكهوفِ

غريباً، وكنت أشعر وإياه بألفة العاشقِ، قال الحرس وهو يصفقني  
على مؤخرتي ويدفعني إلى لب العتمة:  
- أو تسب انليل وتلعن الآلهة... كيف تجرؤ على قول ما لا يمكن  
قوله !!؟

عن إلاميد، أرجوك فما عدت أتحمل، دع حمامات بابل ترثيل  
معك، وإلا جف نهر رضاي وصرت مجرد شبح خرب، هو الذي دفعني  
إلى هذا القرار الذي لا طائل وراءه، لا شيء إلاميد غير أفق يشتعل  
وريح تقوى وأصوات ذئاب، لاشيء غير رمال تنز تحت لهاه الأقدام  
التي لا تعرف إلى أين تتجه، آه نodus... آه كيف سولت لي هذا  
المشي الغريب، عن أو إبك... فلا فرق، لم يعد ثمة فرق بين حنجرة  
تنبيس بالدموع وأخرى تورق بالفرح، لا فرق بين عين تدمع طريراً  
وأخرى تلطم حزنها، عن إلاميد... فليل الصحراء طويلاً وخطواتي  
ثقيلة وبائسة، وحزني صار بحجم الفرات، آه أيتها إلاميد... آه يا  
عمراً كراهية، اسكنتي فلقد قتلني نodus وجعلني فراغاً أجوف يعوي  
وسط دوامة الريح، نodus، لم أنت بعيد... اقترب... ما الذي أصاب  
شفتيك ما لي أراك صامتاً، أو تفتر في ممر للخلاص، لم يعد أمامنا  
غير الذهاب إلى كن نوجي هو ملجؤنا الوحيد، عالمنا الأزلي الذي  
لابد أن تطأ أقدامنا، وحدك تبقين، وحدك تمر بك الأيام لترنك فرحاً  
وورداً وانتشاء، وحدك تبقين سيدة الأزل، إلاميد... اقتربى، تعالى  
ننكا إلى قلب بابل، لا... تعالى نذهب إلى هناك عند جرف الشط  
البهي، هناك إلاميد... نغنى ونضحك وننتشى بزهرة القبل، هناك

نصنع حبًّا، لا لم أعد قادرًا على ممارسة الحبّ بعد أن تعباً جسدي وروحي بالكراهياتِ، في صباحاتِ الكهوفِ، تبدأ الأنفسُ بالارتجاجِ، وتنهيُ في لعبِ الشمئزلِ والشرّ، لا أحد قادرٌ على تحمل أحدٍ، لا أحد ي يريد لأحدِ الودَّ، عالمٌ نجسٌ لا ثوابتَ فيه ولا رحمةً، ما الذي جعلني ألحُ بوابةَ الجحيمِ غيرِ محبتِي وانفجارِ أوردةِ عمرِي أمامِ سماواتِ بابلِ المكتظةِ بمساراتِ الأعمارِ، خربةٌ هي الأيامُ بينَ جدرانِ الكهوفِ، وميتُ الإنسانُ الذي يظلُ يتبعُ حضورَه برضاءِ الجنونِ، ولكن إلى أين يمكن أن تسير بهِ الخطواتُ، والصحراءُ امتدادٌ وامتدادٌ، أركانٌ محفوفةٌ بالتللاشي والنسيانِ، بابلُ إللاميد لم تعد سوى خطواتٍ سائرةٍ في دروبِ المحنَّةِ، آهِ نodusus.. أيها الفتى الغارقُ في توسلاتِ صمتِكِ، ما الذي أصابَ حنجرتكَ، فهو الجفافُ أم الخوفُ؟!!

كلَاهما محنَّةُ يا صاحبي، كلَاهما أملُ ضائعٍ بينَ أزيرِ الرملِ ووعاءِ الأصواتِ البعيدةِ، أريدُ بعضَ الانتظارِ، أريدُ بعضَ الصمتِ، أريدُ هواءً نقىًّا يملأُ رئتي بحبِ الأبدِ، إللاميد... هل تراها النهايةِ... أم ثمةَ وصولٍ آخرِ... ولكن إلى أين يمكن للمسافاتِ أن تتجهَ؟!!

فراغُ هو زمني، والكلماتُ مجردُ رغبةٍ نافرةٍ، غنِّ أيتها الوردةُ الصامتةُ، دعْ حنجرتكِ تطلقُ أزاهيرَ فرجهَا، ما لكِ صامتةً، مالِقلِيلِكِ لا ينبضُ مثلكَ كأنَّ، أوْ توقفَ زمنكِ مثلكَ توقفَ زمني، اسمعْ نodusus... اسمعْ أيها الفتى الذي رمانا في محنَّةِ البوحِ، أوْ تسمعْ، اقترب قليلاً... آهِ كم هو عذبُ وطيبُ هذا الذي يملأُ ليلَ المفازاتِ، عذبُ وخالٍ من الحبِّ، دعْ أحلامكَ تموتُ بينَ طياتِ الرملِ، خيرٌ من

أن تصل إلى اللا شيء، نعم يا صاحبي، الجنون يقتل قافلة حبي،  
الجنون يملأني صخباً، ولكن كيف... هذا السؤال الذي يزحف فوق  
هدير الأمواج، محاولاً للفلة جمجمتي، كيف والجدران هنا... والجدران  
هناك، جدران عالية تحرسها تنانين العالم الآخر، اسكت واهداً أيها  
الفتى، خطواتك لم تعد قادرة على النهوض، حسناً... استرح، ودعنا  
ننتظر مصيرنا، ودعنا نحلم بالموت، منذ زمنٍ ورأسي يغلي بلحظةٍ  
موتي، كنت أصفها، لكنني أبداً ما استقر قلبي على طعم وجودها، أي  
لحظةٍ رهيبة تلك التي نعيشُ، شبح الموت يطاردنا بصمتٍ، ونحن  
نتوسلُ بضجيج صاحبٍ، ما أصعبها لحظةً، كنت نودعس، أَ أَنمَتْ...  
حسناً... كنت أحبُّ إلالميد لكنني أرى أحلام الموت تبدُّل هذا الحبّ،  
كنت... نودعس... ما لك لا تقول سوى الصمت !!

كان قلبي يرسم دريَاً ومباني، وحقولاً وانتظاراً لمجيء اللحظةِ  
الحاسمة، أغمض عيني تحيطني فواحات الأولاد، أفتحها ببطءٍ،  
فأبصر الوجه الغوشاء، نحيبٌ وصمتٌ، نحيبٌ، وصمتٌ، نحيبٌ  
وتتوسلُ، ثم ماذا... تبدأ لحظة البرد، ببطءٍ ترتفُّ ديدان البرد، قدمي،  
أصابعِي ، ساقي، ثم هدوءٌ تلاشى بعده ذاكرتي، كنت أسمع صوتَ  
إلالميد الغارق بالحزن، لكنني أخافُ الكلام، لم أعد قادرًا على اطلاقِ  
أساريرِ البوح، صمتٌ، تتجمدُ أصابع يدي، أحاولُ تلمسَ رأسي،  
فترتمي أوجاعي عند عيني، أكواَم من الكلماتِ الباردة، أتوسلُ لها  
فتهربُ مثل بطةٍ خائفةٍ، إلالميد قولي لي إنني لم أمت بعدُ، يتوقفُ  
السان عن النطقِ... أَ أَ... يتحركُ الرأسُ وتغدو الذاكرةُ مثل قدرِ

ماءِ يفورُ، يحترقُ الزمانُ... ثم طفلٌ صغيرٌ يudo باتجاهِ الشطوطِ، ثم ولدٌ يلهثُ خلفَ طينِ الفراتِ، ثم شابٌ يتفحصُ رقمَ الطينِ بهفةَ العاشقِ، يقرأً... يدونُ... يبكي وحدتهِ بصمتٍ، ما الذي يجيءُ والى أينَ تراهُ يذهبُ بكلِّ هذا الخرابِ، اجلسُ إليها العاجزُ عن ذكرِ الحقيقةِ... اجلسُ ودعني أملأ ذاكرتكَ بأشياءٍ لم تعد تتذكرُ منها غيرَ طينِ البعدِ... أو كنتَ أنتَ كلُّ هذا الانشطارِ، تجلسُ المرأةُ العجوزُ قبالتَكَ، باصرةٍ يديكَ المرتجلتينِ بقلقٍ، يغدو الحضورُ بعيداً، تصيرُ المسافاتُ احتراقاً للصمتِ، غنِيَّاً إللاميد... أو دعني أغني لكِ، ماذا يمكنُ لحنجرةِ يابسةٍ أنْ تقولَ، الموتُ... تجفُّ رويداً الذاكرةُ، يغيبُ الصبيُّ والشطوطُ، ويعجزُ الولدُ عن اللحاقِ بذاكرةِ صباحٍ، وتصيرُ رقمَ الطينِ أعمدةَ دخانٍ، مالِ كلَّ شيءٍ يحترقُ، لمَ كلُّ هذهِ النيرانِ، لمَ الاحتراقُ، أيتها المرأةُ التي احترقتَ بحبها؟!!

غنِي... أو دعني أعبءُ حنجرتي بورودِ الفرح بعدَ أنْ أحستَ اليباسَ، اجلسَ، اجلسَ نodusسَ، الموتُ يدمِرُ الذاكرةَ... لا شيءَ غيرَ رأسِي يمورُ برائحةِ الأزمانِ، صحراءُ وهديرُ شوقٍ صارخٍ في أعماقيِّ، وصمتٌ طويلاً يغلقُ وجودةَ فوقَ ملمعِ الأحداثِ، ياله من سرُّ جميلٍ، إنْ تموتَ وتموتَ معكَ الأسرارُ، يموتُ الحبُّ، ويشتُدُ جدبُ القلوبِ، أعماقي تحملُ زادَ الرحيلِ، الى كنِ نوجي أريدُ الوصولَ، لا شيءَ سوى أجسادِ مستكينةٍ ترهقُها توسلاتُ البقاءِ، ودروبُ العويلِ، ولعبُ من المتأهباتِ، الى أينَ إللاميد... من يوقفُ هذا النبعَ الدفقَ من أعماقِنا، صراغٌ وعدَابٌ لا يستحقُهُ مثلي، لا يمكنُ للأربابِ أنْ

يحاسبوا أصحاب القلوب المفعمة بالود والمغمرة بالسعادات، من أجل  
ماذا خلقَ الإنسان؟!!

ولم يعرضه الأرباب لكل هذه الامتحانات، عريٌّ وموتٌ، عطشٌ  
يمتص شوقَ الأرواح، ورياحٌ تدوي وتصفو، ولحظةٌ مخاضٌ، ويُحْ  
هذه الصحاري لم تحيا دون يقينٍ... اجلس نodus... لم أنت نائمٌ  
هذا... ويُحْ المدينة التي تركتك توارى خلفَ جفافِ أحلامك، وحدكَ  
شوقياً... وحدكَ توسيطُ خطايا الامتهان، ليلى طویلٌ هنا... ليلى يُثقلُهُ  
الآنيُّ، وأنا وأنت حكايةٌ لا تنتهي نodus، غضتنا الخطواتُ،  
وتوجهت عيونُنا بمداععِ من دمٍ، ليس ثمة أشباحٌ، ليس ثمة أنيسٍ  
غير الوحدةِ، والافقُ المنطفئُ للأرجاءِ، ريحُ عاصفةٌ تلكَ التي  
تدوى... وأنت نائمٌ نodus ولا أحدٌ يوقفُ شتاتَ مصيبيكَ، غنِ إنْ  
استطعتَ... قلْ ما يحلو لكَ... أو استمع... كنت دوماً تريدهِ  
الاستماعَ... يا لكَ من ولدٍ طيبٍ، من صديقٍ فقاً عيني الزمانِ،  
ارتعاشةُ نورٍ أنت نodus، وانهيارُ ضوءٍ... أين تركَ تهيمَ الآنِ، أو  
ترنو إلى طيبةِ بابل وجراحها، أو ما كنت تهمسُ لي... إنْ علينا أنْ  
نضمدَ جراحَ الحبِّ... فما لكَ غادرتَ... مالِصمتَكَ يأخذُكَ إلى مفازةٍ  
القدرِ مثلَ خيالِ، خضراءٌ... خضراءٌ تلكَ الرمالُ التي تنامُ فوقَها،  
خضراءٌ مثلُ بساتينِ بابل، وثمَّ أخنيَّةٌ تهيمُ فوقَ شفتينِكَ دونما قرارٍ، لمَ  
لا تغفي؟!! حسناً إلالميد... لابدَ أنْ نقفي معاً... فليس غيرُ سرابٍ  
وجفافٍ ورمالٍ، ليس غيرُ ارتعاشةِ عمرٍ بينَ يدي الفجيعةِ، كم أنا

بشوقٍ لرؤيه المطر... لم لا تمطر سماءً شعش، لنغفي عسى أنليل  
 يبتهج... ويملاً الصحراء مطراً  
 // من ينزع من ذاكرتي حلماً  
 من يقدر أن يقلع وشماً يتربع فوق عقودي الأربع؟  
 يغرس وسط كياني جذراً  
 كالنخلة تخترق الأرض !!  
 تفتح نحو الرب القلب  
 تهطل بين سنين العمر جدائها... تنمو... تتطاول  
 من يقع تلك السيدة الأزلية من قلبي ؟!  
 من ينسيني صوتي؟  
 من يقطع نفسي  
 لا أحد يكسر جدران الفقص الصدري  
 فهناك تنام أميرة أحلامي  
 تغفو عيناها الناعستان  
 تحلم... تحلم... تفتح باب القصر الوردي  
 تخطو بين زهور النرجس... تجمع باقةً ورد عذراء  
 تبعثها لحبيبٍ قد بات بعيداً  
 فيدقُ لها القلب سعيداً  
 كصغيرٍ في ليلة عيدٍ //

لا تبك يا لبة القلب... لا تهمري دمع العينين، كي لا يشمث  
 انليل وتجن عشتار، ابتسمي يا درة بابل وألق عمرها المديد، فما

عادت روحِي تتحملُ ألم الفراقاتِ والبعادِ، ليسَ غيرَ الآثام تحبطُ  
جسدي الميتِ، لأنّه في أمواجِ الرغبةِ، اصمتني أناً لميد، أرجوكم فما  
عدت قادرًا على المشي بين يدي الانتظارِ، توقفتْ أزمنتي وتلاشتْ  
أزمنةُ الذاكرةِ، فراغٌ ما أحسُ بهِ، فراغٌ يشعرني بالغثيانِ، بي رغبةٌ  
للصرخِ بي رغبةٌ للموتِ، بي رغبةٌ للتلاشيِ، دعني أتمددُ واستريحُ،  
دعني صمتِي يتوجهُ في أسرابِ دمائيِ، وحدي أناً لميد... وحدي أبصرُ  
الامتداداتِ الشاسعةِ الحاسنةِ بالانتصارِ، دمٌ هو الذي تعصفُه ريحُ  
الصحراءِ، دمٌ يشبهُ ذاكَ الدم الذي تنزفُه بابلُ ليَلَ نهارَ، هل ما زالتْ  
بابلُ تنزفُ، أناً لميد ؟؟ !!

وأنتِ كيفَ تمضي الأيامُ بحضورِ عذابِكِ... !!؟  
كيفَ هي الأحلامُ التي كانتْ تغطي فروةَ رأسِكِ، أتراها جفتَ كما  
جفتَ أحلامي وماتتْ، يا لها من أحلامٍ كانتْ تملأُ شوراعَ بابلَ فرحاً،  
خطواشنا الراكرةُ بين أحضانِ الطرقاتِ، وضحكائنا التي ما انتهتْ ما  
دمنا نشعرُ بالأمالِ، كنتِ أنتِ من يدبِّرُ أمرَ المسرةِ، وكنتُ ألوذُ اليكِ  
مثلُ ولدٍ صغيرٍ، آهِ أناً لميد... كم أحبكِ، كم أعشقُ صفاءَ العينينِ  
اللامعتينِ وهما تتصفانِ بالحبِّ، أيُّ سحرٍ رهيبٍ يحملُ هذا الوجهُ  
الذي يشبهُ سمرةَ رقيمِ، سحرٌ بهيٌ يحلقُ بي في سعةِ الفضاءاتِ، لا  
تبكِ يا حلوةَ عمري... فلم تعد للبكاءِ فائدةً، لا جدوى ما دامتْ  
أعمالُنا تتغمرُ في آبارِ من الفوضى والاضطرابِ والجنونِ، كانتْ بابلُ  
تمرُّ أصابعها فوقَ جداولِ قلبيِ، فأشعُرُ باريادِ يشبهُ لحظةَ  
الملامسةِ الأولىِ، يقشعرُ الجسدُ وتتمو الأحساسُ رويداً، وما تلبثُ

أن تنتهي وتتهرّب وتُضجّ بِلَهَا صَاحِبٌ، كَانَتْ بَابُ تَمَلُّقِ قَلْبِي مُودَةً،  
وَأَمْلَأُ أَحَاسِيسَهَا حَكَايَاتٍ وَقَصَائِدَ، لِنَفْسِي مَعًا، مَا لِكَ صَامِتَةً، كَيْفَ  
جَعَلْتَكِ بَابُ تَرْفِينَ بِكُلِّ هَذَا الصِّمَتِ، أَنْتِ الَّتِي كُنْتِ تَمَلَّئِنَّهَا فَرْحًا  
وَوَدًا وَسَعادَةً... كَانَتْ خَطْوَاتِنَا تَمَجِدُ كُلَّ بُوَابَاتِ الْعُشُقِ، تَرَى وَتَحْلُمُ  
وَتَمَجِدُ، آهٌ أَلَامِيدٌ... آهٌ مَا أَصَعَّبْ أَنْ يَسْتَظِلَّ الْإِنْسَانُ بِوَحْيِهِ  
وَاسْتَذْكَارِ أَوْهَامِ الْمَارَاتِ مِثْلَ خَبِيبِ جِيَادِ مَسْرُوعَةِ، أَيُّ مَعْنَى لِوْجُودِي  
بَيْنَ أَحْضَانِ كُلِّ هَذِهِ الْاِحْتِرَاقَاتِ، نُوَدِعُنَّ إِنْكَ تَعْذُبُ قَلْبِي بِصَمْتِكِ  
الَّذِي لَا مِبْرَرَ لَهُ، أَنْتَ مَنْ دَفَعَنَا إِلَى خَضِمِ هَذَا التَّيِّهِ، فَلِمَ  
تَخْلِيَّتْ عَنْ حَلْمِكَ فِي الْوَصْوَلِ، أَلَمْ تَرِيدُ الْوَصْوَلَ إِلَى نُورِنَا، اَنْهَضْ  
يَا ابْنَ سَنِّ، هَا هِيَ الْمَرْأَةُ الَّتِي تُحِبُّ، تَتَنَظَّرُ أُوْبِتَكَ، مَذَّلَهَا يَدَّ  
وَجُودِكَ، وَدَعَهَا تَنْفَضُّ عَنْ كَاهِلِهَا غَيْرُ الْإِنْتَظَارِ التَّعْبِ، اِيَّهَا بَابُ كِمِ  
أَتَعْبَتِ الْقُلُوبَ الَّتِي تَهْيِمُ حَبَّاً بِوَجُودِكَ الْفَاتِنِ، لَمْ تَرْمِنَ كُلَّ آثَامِكَ  
فَوْقَ كَوَاهِنَا التَّعْبِ، تَتَخْلِيَّنَّ عَنْ وَجْدَنَا الْبَاعِثِ لِوَجُودِكَ، مَاذَا أَنْتِ  
بِدُونِنَا نَحْنُ؟! لا شَيْءَ سَوْيَ شَوَّارِ مَهْجُورَةٍ وَازْقَةٍ مَمْلُوَّةٍ بِعَوَاءِ  
الْكَلَابِ، وَجَثِّ مَتَعْفَنَةٍ، لَا شَيْءَ سَوْيَ عَفْنِ وَانتِظَارِ، سَوْيَ وَهُمْ تَحْفَهُ  
أَكَاذِيبُ النَّسِيَانِ وَالْإِنْهَازَمِ، أَيُّ مَعْنَى لِمَدِينَةٍ تَسْمَى بَابُ دُونِنَا أَحْبَبَهَا  
الشَّاعِلِينَ مَوَاقِدَ الْإِسْتِمَارِ، كُنْتُ أَرَاهَا تَوْقُدُ مِبَاخِرَ فَتوْتَهَا، فَأَوْجُ فَرْحَا  
وَتَسِيقُ قَدْمِي بِحَثَّاً عَنْ مَسَرَّاتِ، كُنْتُ أَرمِي رَأْسِي عَنْدَ أُولَى خَمَارِ،  
أَعْبَءُ الْمَحْبَةَ وَالْغَنَاءَ، أَلْعَنْ صَمَتَ الْأَفْوَاهِ الَّتِي تَرَى خَرَابًا وَلَا تَعْلَمُ  
عَنْهُ، يَتَقَيِّعُ رَأْسِي غَضَبَهُ، روِيدًا تَسْكُنُ الْاِضْطَرَابَاتِ، وَتَنْمُو أَشْجَارُ  
الْإِسْتِقْرَارِ، أَشْمُ رَائِحَةَ الْخَمْرِ الْحَادِهِ، وَأَمْلَأُ حَنْجَرَتِي بِلَذْعِ حَرَاتِهِ،

تاتهبُ أعمالي، وتدورُ الأسئلةُ، تدورُ الأشياءُ، تتغيرُ، تبدو مثلُ  
أشباحٍ راقصةٍ، تدقُّ طبولَ الأحلامِ، فتهبُ مترافقاً مثلَ لهبِ نارِ،  
أدلقُ كؤوسَ أزمتي، فتصغرِي الأذانُ وتتهافتُ لسماعِ قطراتِ الدمِ  
المتساقطةِ فوقَ آجرِ الحانةِ، نقطةٌ... نقطةٌ... وبهدوءٍ تعبأُ  
الأذانُ بالسعاداتِ، يا له من عالمٍ غريبٍ لذينِ مثلَ طعمِ البرتقالِ، عالمٍ  
بابلَ المتلاشي تحتَ ضغطِ سبابِ الخيولِ، تمنزجُ البكاءاتُ بالصهيلِ،  
ويغدو الألمُ أرديةً تسترُّ امتداداتِ البوحِ، تصمتُ إللاميد... ينبطحُ  
نودعسُ، يضيعُ نبونيد بينَ حفرِ الكهوفِ، جثةٌ متعرفةٌ شوهاءُ،  
ينسكبُ حزنُ سنِ ما غرضُ فوقَ فسحةِ الكهوفِ، ويبقى الأولُ أو لا...  
الرجلُ البعيدُ العارفُ بكلِّ شيءٍ هو وحدهُ من يرى ومن يحفظُ، حتى  
بابلَ نستَّ أحلامها، ولم تعدْ سوى أزمةٍ تدوي في فراغِ، كنتُ أرى كلَّ  
ما يحيطني بفرحِ، فلمَ أراهُ الآنَ ظلمةً واسوداداً، ما بالِ الأشياءِ  
أفرغتُ بهجةَ أيامِها، عنِ أيتها الآمالُ المسفوحةُ فوقَ أكفانِ الأعمارِ،  
عنِ ليكما تجفُّ الحناجرُ، وتحولُ الأيامُ إلى نواحٍ وسوادٍ وانتظارٍ عندَ  
بوابةِ الصمتِ، لم تعدْ بابلٌ تحوي آثارنا ومخاوفنا، فلمَ تريدينَا أبناءَ  
بررةً، لمَ لا نصمتُ، أو نرحلُ، أو نموتُ، لا مفرٌّ أيها الفتى نودعسُ،  
لا مفرٌّ إللاميد... الأبوابُ أغفلتَ، والشوارعُ تشخبُ دماً، والصحراءُ  
تشغلي بتراثيِّ آثمهِ، يا لهُ حزنٌ أن يرى الإنسانُ وجودهُ، أيامهُ تتهدمُ  
بينَ يديهِ دونَ أن يفعلَ ما يرضي نفسهُ عذابها، هذا الذي نعيشُ  
شوقياً... عذابًّا، أغمضَ عينيكَ، أغمضْتَهما، تمددَ باسترخاءٍ،

تمدّث، امحِ ذاكرة ضجرك، محوث كلَ شيءٍ، والآن شوقيا، تأمل  
بروح النسيان... ما الذي ترى؟!!

- لا شيءٌ غير مضاتٍ ضوء شاحبةٍ ويعيده... لا شيءٌ غير  
سواحلٍ من الأمواج الحمر... !!

- والآن هل رأيت الذي هناك... نعم... هناك شوقيا... عند تلك  
الزاوية القصية من روح نسيانك

- ماذًا... أيةً رؤيا هذه... انتظر دعني أرى قليلاً... دعني أحدقُ  
في تلك الملامح الطيرية البارزة بالضوء مثل شمس !!

- أوَ رأيت الآن...؟!!

- كلُ شيءٍ واضحٍ وجلٍ... كلُ شيءٍ مغمورٍ بعمرِ الضياء... أيُّ  
بهاءٍ هذا الذي يسكنُ الروح نسياني... لكنني لم أعد أتذكر شيئاً،  
جفَّ نهرُ الأيام وغدت مجردَ أرضٍ جرداً متشققةً !!

- اقترب قليلاً... اقترب // ها أنا أقترب... يضعُ انليلٌ كنهُ فوقَ  
رأسِي مباركاً ويلهجهُ الأريابُ بكلماتِ الترحيب والمباركة // يقولُ  
انليلُ بصوتٍ خشنٍ لرجلٍ عجوزٍ، أتعبهُ اللعبةُ الأزليةُ

"أي شوقيا... أيها الفتى البابلي ... ها أنت تجيءُ ثانيةً...  
محفوظٌ بالارتباط.. كيف تركت كلَ هذهِ المباحثِ وجئتَ فارغاً مثلَ  
قصبةٍ... لمْ شوقيا أنسنكَ المحنَةُ عطرَ الكلماتِ... أوَ كنتَ تعيشُ  
وهماً، أم تراجعتَ تحتَ ضغطِ الأزمنةِ، أوَ ما كنتَ تتحدثُ دوماً عن  
الاختبارِ، ومحنةِ الحالينَ بالخلاصِ، ها أنتَ ايها الحالُ تسقطُ عندَ  
بوابةِ أولِ تجربةٍ... لمْ لا تمنُ كلماتِكَ صدقَ مقاصدِها... لمْ جعلتها

مجرد طبولٍ تدوى في الرؤوسِ الغريبة دونَ صدقِ المحاولةِ وایمانِ  
القول... اي شوقيا ايها الولدُ الشقي... ها أنتَ تجيءُ فما الذي  
يمكن أن يفعله لكَ أريابُ أرضِ السوادِ؟!!

تنمو نخلةُ الإيقاظِ، وتثمرُ ضوءاً منْ أوهامِ، يتکأُ شوقيا إلى  
نفسه، فيهدأُ صجیحُ الآلهةِ، وتبحلقُ عيونُهم في مساحاتِ الجسدِ  
المتهالكِ الواقعِ مثل عودِ خيزرانِ، تمددُ عشتارُ شعرِ الرأسِ فيشتعلُ  
بالسوادِ، يمسكُ آيا فروةِ الرأسِ فتهبُ الأسئلةُ جنلاً، يمنُّ مردوكُ  
رضاهُ للأكفِ فتبدأُ بالاحساسِ، يقومُ نnar متلماً الجسدَ الراخِ تحتَ  
وطءِ الخوفِ فيشرأبُ واقفاً، تحركُ ننکال مباھجها، فنعدو الأقدامُ  
نافضةً غبارَ ارتباکها، يوشِّرُ أنليلُ فتلهم التراتيلُ بمساحاتِ الحناجرِ " "  
هو الذي جاءَ / ليعرفَ سرَّ الخلودِ / فقني باسمِه يا بابلُ / هو الذي  
أقامَ المسراتِ / لنتهوا بالألمانيِ النفوسُ / فقني بذکرِه يا مساحاتِ الحبِّ /  
هو الأولُ الذي سيَدِّي الحبَّ وأقامَ للبهاءِ الوجودَ / هو معنى بلادِ  
السوادِ / هو الألفةُ الآمرةُ والامتدادُ الذي لا يلينُ / هو السيدُ الأولُ /  
والعميقُ السؤالِ / الباعثُ لمجدِ المحبةِ / فقني حناجرِ الأمهاتِ /  
والصباياِ / والنساءِ المنتظراتِ / هم المجدُ عنَّ انبعاثِ المحبةِ، فقني يا  
مدنِ الأخضرارِ / عارفٌ تجيءُ اليهِ أعمدةُ المعرفةِ / زمنٌ تشيدهُ  
الأزمانُ / هو الأولُ السيدُ بابليُّ هواهُ / فيبقى إلى الأبدِ / هو الذي رأى  
كلَّ ما يؤدي النفوسَ، ويرسمُ فوقَ أورامها يبسَاً، هو الذي أعطى  
للكلامِ بعدَ السؤالِ / فقني بذکرِه يا بلادِ الأخضرارِ... //

تصمت شفاه الآلهة، وتبثق عيونهم أضویة من فری، يهمسن  
انلیل برجاء الالوهية :

" اي ولدی شوقیا... ما الذي تسعی اليه... ها أنتَ بین أحضانِ  
الأرباب، فقل ما ترید علنا نقدر على تحقيق مرادک "

يرفع شوقیا رأسه ببطء، محدقاً باستغراب بهیأة وجوده، كانَ  
يحاول الاستذکار، يتحسّن بقایا جسدِ المیت، المتواری تحت ضغطِ  
من الأوجاع، فيجدُ ثمة أشياءٍ تتبعُ، وتحركُ، يرفع يديه متفحصاً  
وجودها، ويهزُ رقبته نافضاً ترابَ غیابِه الذي استشعره طويلاً، كانتَ  
الأربابُ تنظرُ بهدوءٍ، بصمتٍ، بقلقٍ، ما لبَث أن تعاوی رويداً، اطلقتَ  
عشتار لصوتتها العنان، فانبثقَ من خفقِ ریح باردة، كان شوقیا  
يجسّه سائلاً مثلَ ماءٍ.

- اي شوقیا، أيها الرقامِ الراکضُ خلفُ وهجِ الحکایاتِ... الضائعُ في  
بحورِ الأسئلةِ... لمْ جئتْ ؟!

- لا أدری لمْ كان مجیئي !!  
قالَ آیا وهو يداعبُ شعر رأسِه الكثُ المسدولَ الى كتفیه مثلَ  
جذعِ سیسبانِ :

- اي شوقیا... ايها الحالُ بخلاصِ الانسانِ... التعبُ من  
خطو الكلماتِ... لمْ جئتْ ؟!  
- لا أدری لمْ جئتْ... وكيفَ !!

قالَ دیموزی وهو یلاعُب قیثار سعادتهِ، مصدراً أنغاماً طریةً مثلَ  
قشرِ تمرِ :

- شوقياً أيها الغرِّ بمياهِ الحبِّ... والباحث عن أبدِ الكلماتِ...  
وموارِدِ آمالِها... لمْ جئْتَ؟؟!  
زفر شوقياً حزناً... وأجهشَ باكياً، ومن بينِ مدامعِه قالَ بحرقةٍ  
الخوفِ :

- لا أدري !!

ابتسمَ مردوكَ ومطَّ لسانَه، مطلقاً شهباً من نيرانِ صفرِ،  
تراجعَت الآلهةُ وعصفَت ريحُ الخوفِ والاضطرابِ، ولحظةً هداً قالَ  
بصوتِ متكسرِ الأوردةِ :

- أوَ لا يدري شوقياً... ماذا كان يقولُ... كنتَ تلعنَ وجودنا...  
وتحرضُ على أن لا تبني بابلَ معابدَ الامتنانِ... أوَ نسيتَ كم  
سبَّيتَ مردوكَ الذي أمامَكَ... حلمٌ قاتلٌ لوجودِ الأربابِ كنتَ  
شوقياً !!

بكى شوقياً بحزنٍ واقتعدَ الأرضَ نافضاً الترابَ فوقَ رأسِه، كانَ  
يغرقُ في شطآنِ من الدِّم، كلُّ ما يحيطُ به غداً مزوفاً الأحمراءِ، لمْ  
يعد يعيَ غيرَ حقيقةِ وجودِه الآنَ، كانَ يحاولُ الولوجَ إلى عمقِ أزمنتهِ  
الغابرةِ، لكنَّه ما يلبثُ أن يتراجعَ موتوراً، مرتكباً سابحاً في وهمِ أيامِ  
الماضياتِ، قالَ انليلُ وهو يوقفُه مثلَ جذعِ نخلةٍ :

- اي أيها الرقامُ، ما الذي جئتَ تريدهُ... قُلْ ولا تخفْ... فلكَ  
مني أنا انليلُ ربُّ مجمعِ الآلهةِ كلُّ ما تريدهُ؟؟!  
قالَ شوقياً بصوتِ وهنِ حزينِ منكسرِ :  
- لم أعد أتذكرُ شيئاً أيها الإلهُ الأجلُ !!

قالَتْ عشتار متباهيَةً: وَلِمْ تُرِيدُ التذكَرَ... مَا دَمْتَ مَعْنَا؟

قالَ مَردوكُ: أَيْ عشتار دُعِيَّهُ يَطْلُبُ مَا يَشَاءُ

صَاحَ آيَا غَاضِبًا: لَمْ نَدْلُلْ هَذَا الْأَنْسَانَ الَّذِي لَا فَائِدَةَ مِنْهُ !!

سَعَلَ اُوتُوشَمْشَ وَعَدَلَ هِيَأَهُ حَضُورِهِ، وَبَعْدَ أَنْ أَقَامَ نَصَبَ

الْمِيزَانِ، حَرَكَ أَعْدَمَهُ الْفَرَاغَ فَنَاثَرَتِ الْكَلْمَاتِ، تَرَاجَعَ الْأَرْيَابُ قَلِيلًاً

وَظَلَّتْ عَيْنَا اَنْلِيلَ تَبَصِّرَانِ رَبَّ الْعَدْلَةِ وَالْحَقِّ، وَهُوَ يَقْتُلُ رَقْمَ الطِّينِ

مَثْلُ مَنْ يَحَاوِلُ الْعَبَثَ بِأَشْيَاءِ ثَمِينَةٍ، بَعْدَ حِينَ، بَعْدَ أَنْ هَدَأَتِ

النُّفُوسُ، وَانْقَشَعَتْ ظَلْمَةُ الْمَكَانِ وَامْتَلَأَتِ الْأَرْوَاحُ بِنُورٍ وَجُودِهَا، قَالَ:

- شَوْقِيَا... كَنْتَ تُرِيدُ وَجُودًا يَؤْكِدُ مَعْنَى وَجُودِكَ، أَلِيسَ كَذَلِكَ؟

- نَعَمْ... أَظُنُّ أَنَّ هَذَا مَا كَنْتَ أَبْحَثُ عَنْهُ !!

- بَلْ هُوَ عَيْنَهُ أَيْهَا الرَّقَمُ التَّعْبُ... وَالآنَ أَوْ تُرِيدُ الْإِجَابَةَ لِهَذَا

الْسُّؤَالِ الَّذِي أَتَعْبَكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ؟

- وَمَا فَائِدَةُ الْجَوابِ الْآنِ... وَقَدْ غَادَرْتُ بَابَلَ وَغَادَرْتَنِي؟!!

- مَنْ قَالَ هَذَا شَوْقِيَا... لَمْ نَقْرَرْ بَعْدَ إِنْ كَنْتَ تَغَادِرُ أَمْ لَا !!

- لَكَنِي رَمِيتُ نَفْسِي وَسْطَ تَنِيمِ الصَّحَارِيِّ وَلَا أَمْلَ لِخَلاصٍ !!

- وَهُمْكَ جَهَنَّمَ تَوْمَنُ بِهِذَا... وَهُمْكَ سَمْرَ قَدْمِيكَ إِلَى أَرْضِ

الْخُوفِ... أَوْ تَدْرِي شَوْقِيَا لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بَابَلَ سُوَى

خَطْوَاتٍ !!

شَهَقَ شَوْقِيَا بِحَزْنٍ، وَسَقَطَتْ أَقْدَامُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَأَنْهَضَهُ آيَا،

ضَارِبًا قَفَاهُ ضَرِبَاتٍ سَرِيعَةٍ أَعَادَتْ إِلَيْهِ تَوازِنَهُ، فَرَاحَ يَبْصُرُ الرَّبَّ الَّذِي

كَانَ يَبْتَسُمُ بِشَفَافِيَّةٍ أَشَاعَتْ فِي دُواخِلِهِ شَيْئًا مِنَ الرَّضَا وَالْاطْمَنَانِ :

- أو حقاً ما تقولُ أيها الالهُ الذي يشيعُ البهجةَ؟!!
- أبداً شوقياً... الالهُ لا تكذبُ !!
- هذا ما لا يمكنُ أن أصدقُه... كلُّ أزمنتي صارت نثارَ أوهامِ،  
ولو أعدتَ لي ذاكرتي لكشفتُ لكَ عن مئاتِ الأكاذيبِ التي  
أقامها الأربابُ هناكَ !!

صرخَ آيا محتاجاً، وهو يمسكُ برقبةِ شوقيا التي استطالت لتصلَّ  
إلى سقفِ الضوءِ، كانت العينانِ التعبتانِ الحاستانِ بالانهيارِ، لا  
تبصرانِ سوى وحشةٍ فاتمةٍ، حاولَ انليلُ ازاحةَ اليد القابضةِ فاستدارَ  
آيا وشمرَ شوقيا إلى عمقِ هوةِ مظلمةٍ، كانَ يسقطُ رويداً... يسقطُ  
دونَ أن يستطعَ الوقوفَ، فجأةً رأى كلَّ شيءٍ، كانَ صوتُ الربِّ  
يلاحقُهُ، وضحكاتُ الأربابِ تصطدمُ ذاكرتهُ، فجأةً اتضحتَ الرؤيا، وبدأ  
الجسدُ بالصمتِ، كانَ الرأسُ المتوجُ يضطرُمُ بأسئلةٍ غريبةٍ، أسئلةٌ  
كانَ قد نساحتُها منذُ أولَ لحظةٍ ضوءٍ، بدأتَ الريحُ تدومُ، وثمَّ عمودٌ منْ  
رملٍ فضيٍّ أصفرَ بدأً ينبعُ منْ جسدِ الصحراءِ، عمودٌ ما لم يُبَثْ أنْ  
انشطرَ إلى مئاتِ من الدواماتِ المدويةِ بضجيجِ صاحبِ حاولَ الجسدُ  
الانطلاقَ وحاولَتِ الروحُ ولوَجَ معابِدِ الأحساسِ، وحاولَتِ الأقدامُ  
استنهاضَ هممها، لكنَّ النفسَ ارتكتَتَ إلى الصمتِ، صمتٌ توغلَ في  
خلاياِ العمرِ، ثمَّةُ انهزامٍ يكبرُ وألامٍ تشتدُّ، وجسدٍ يخورُ متلاشياً،  
انفجرَتْ حنجرةُ الاستذكارِ، وبشدَّةٍ انجدستْ صخورٌ من الأحلامِ، ليسَ  
ثمَّةُ غيرَ معنىٍ واحدٍ لكلَّ هذهِ الضياعاتِ، معنى أنْ يظلَّ مشدوداً إلى  
فraigِ صاحبِ غريبٍ، كانَ شوقياً يتبعُ لحظاتِ التلاشيِ، يتبعُ ذوبانَ

ال أيام بين كتل من الارتكاكات والضياع، لم تعد ائلmid سوى وهم يحاصر وجوده، وهم أشعـل نيرـن الغـربـة والانـكـسـارـ، انـدـفـعـ الجـسـدـ بـبـطـءـ في دـوـامـاتـ من الرـمـالـ، كانـ نـوـدـعـسـ يـغـمـضـ عـيـنـيهـ مـسـتـقـرـاـ عـنـ دائـرـةـ الـاـنـتـهـاءـ، بهـدوـءـ اـرـتـفـعـتـ تـرـاتـيلـ الـأـمـالـ، وـبـدـأـتـ خـيـولـ عـرـبـةـ شـمـشـ تـنـهـاـوـىـ فـيـ أـفـقـ الـاحـمـارـ، اـنـشـقـتـ ظـلـمـةـ الصـبـحـ، وـتـلـاحـقـتـ خـيـولـ الفـضـةـ طـارـةـ كـبـدـ السـمـاءـ، كانـ شـوـقـيـاـ يـشـعـرـ اـرـتـياـحـاـ لـذـيـذاـ مـثـلـ عـطـرـ وـرـدـ، أـبـصـرـ الضـوءـ، وـتـنـفـسـ رـطـوبـةـ الـفـجـرـ النـديـ، روـيدـاـ اـنـكـاـ إلىـ هـمـومـ جـسـدـهـ، وـهـبـ وـاقـفـاـ، تـأـمـلـ اـبـيـاضـ الـأـفـقـ، وـبـحـدـةـ الـمـنـظـرـ بدـأـ يـنـدـفـعـ إـلـىـ أـمـامـ، كـانـتـ اـئـلـمـيـدـ تـقـفـ هـنـاكـ، وـمـنـ وـرـاءـهـاـ تـتـكـشـفـ مـئـاثـ الـخـنـاجـرـ الـهـاـتـفـةـ، وـثـمـةـ شـوـارـعـ تـرـفـلـ بـوـفـرـ منـ ثـلـوجـ الـأـمـلـ، أـزـقـةـ تـحـسـنـ الـانتـظـارـ، وـتـلـهـوـ بـفـرـحـ مـنـتـظـرـةـ الـوـصـولـ، بـدـأـتـ الـخـطـوـاتـ تـتـسـارـعـ وـضـغـطـ الـرـيـحـ يـخـفـتـ، وـنـسـيـمـ الـصـبـحـ يـشـتـدـ بـدـلـالـاتـ الدـفـءـ... لـيـسـ غـيـرـ لـحـظـاتـ وـتـنـتـهـيـ الأـسـئـلـةـ، لـحـظـاتـ وـيـتـحـولـ الـحـلـمـ الـذـيـ كـانـ مـيـتاـ إـلـىـ أـمـلـ شـدـيـدـ السـطـوـعـ، شـدـيـدـ الـاـنـبـهـارـ، ماـ لـبـثـ أـنـ أـمـسـكـةـ السـائـرـ بـحـبـ وـرـاحـ يـرـكـضـ... يـرـكـضـ دـوـنـ أـنـ يـلـفـتـ إـلـىـ الـوـرـاءـ أـبـداـ.

## الرقيم الحادي عشر - ١٧ -

### "صورة الترتيل الأول"

• ما الذي يوهج ريح السؤال؟!!

زمن تلهو الغرية بعلامات التكווين / يورق رأس الأفعى، فتنصب  
السم فوق الأعمار الواهمة بالرؤيا / كان الأمس سؤالاً... فلم لا يغدو  
اليوم جواباً!!?

تحير الأمسيات بالجnoun / فتضج صباحات الخوف بارتباك  
المسارات / كان العالم ينشئ فجراً من ضوء ودماء / كان العالم يتختز  
مثل صباح المفجوعين بأحلام الأوطان / كان العالم يعذب عمر  
الأسئلة فتدعوا مثل قلب مملوء بدخان / العمر محطة مأساة / العمر مذ  
بين الماضي والآتي والسابق من أزمنة الإنسان، العمر زمان للوعة،  
وصياخ المذبوحين بطين الرغبة / تبدو محطات الأعمار... فارغة،  
فماذا هذا النسيان؟!!

لماذا تلعب أعمق الفجر بقيظ الأرواح، وما سر الهميمة العرجاء  
في مدن الخوف؟

ما السر في بضع اثاث يأكلن سباع المحن؟

ما السر في موت الغابات بفؤوس الوحدة؟

ما سر الرغبة في اعلان السر... الخطو منايا / الخطو خطايا/  
الخطو ضياع العمر بين الاغنية والقيثار / العمر نثار الفوضى / فكيف  
تلثم الأسرار والطرقات تملأ حنجرة المارة بسؤال محفوف بعناد / تصمت

فوضى الاعلان، فتحن الأطياز الى شطآن الطين ((يا قوتي...))  
فraig حزين يسريل اوردة القلب، ويغسل جوف الهم / وحدك تؤسس  
المكائد / وحدنا نعمر الأفق بالبياض / وحدهم يشيدون أبنيـة النشيد /  
جمعاً أسف / والأعمار موج من برق الصيادين، لا ترم لهب السرّ  
إلى لغة الخرافـة، فالحقيقة تدون الزقـفة بوفرة الأخضرار / تبوح الأفواه  
الأرقـة بلهـاث الركاض / عند وحدـة القـلب تمـوت وردـة الانتـظـار، عـلـى  
قافـلة الرجـاء تمـرـ، تأتـي بورـد المـنـايا / تلك بعـض أفلـاكـنا سـائـرة في فـلاـة  
الدـسيـسـةـ، واسـودـادـ الغـصـونـ / وحدـها الـطـرقـاتـ تـمـرـغـلـ الأـلسـنـ بـطـھـينـ  
الـمـراـضاـةـ / تـسـأـلـ أـقـدـامـ النـسـرـ عن لـونـ فـضـاءـ الأـطـبـاقـ، فـتـمـتـلـأـ  
الـمـاحـاسـنـ بـالـجـمـالـ / نـفـتـحـ بـابـ السـرـ ... المعـبدـ مـأـهـولـ بـالـمـارـاـرـ منـ  
أـصـحـابـ الشـائـنـ، المـذـبـحـ مـدـجـحـ بـالـحـكاـيـاـ، وـحدـها هـوـةـ المـسـيـاـتـ تـترـنـمـ  
بـشـقـاءـ الـأـرـامـلـ / كـيـدـ أـعـماـرـهـنـ المـفـروـشـةـ بـلـعـابـ الـخـدـيـعـةـ / تـبـصـرـهاـ  
الـنـورـسـةـ، فـتـرـحـلـ الـخـطـوطـ بـسـرـعـةـ العـنـادـ، كـانـ حـزـنـاـ ثـقـيلاـ يـدـاعـبـ سـتـرـ  
الـتـرـهـلـ بـالـأـنـتـظـارـ / وـتـنـتـشـيـ الرـغـبـةـ بـالـأـنـيـنـ / تـلـامـسـ قـاعـ الـمـلـافـاتـ،  
تـصـفـعـهاـ رـيـاحـ التـذـكـرـ / عندـ أولـ الـمحـطـاتـ تـنـتـظـرـ، عندـ أولـ فـجرـ  
الـمـبـاهـاـةـ تـجيـءـ / خـطـوهاـ بـرـقـ شـهـوـتـهاـ الدـافـقـةـ / حـلـمـهاـ جـدـولـ لـهـاثـ  
تـجـلـسـهـ خـاصـةـ / يـجـلـسـهـ رـغـبـةـ بـالـافـضـاحـ / تـجـلـسـهـمـ صـورـةـ الـهـمـهـةـ/  
تـقـولـ اـخـتـبـئـ لـكـيـ لـاـ تـرـىـ لـعـبـةـ الـعـرـيـ وـالـفـورـانـ، يـغمـضـ عـيـونـ التـرـقـبـ،  
فـتـدـخـ مـسـتـورـةـ بـنـورـ الـأـنـوـثـةـ، روـيدـاـ يـتـلـمـسـ شـفـاهـ مـلـذـاتـهاـ، وـيـطـلـقـ  
سـمـاءـ بـرـدـ الـخـفـوتـ / تـلـمـهـماـ آـهـةـ الـاـهـتـازـ / يـذـوـيـانـ فيـ رـغـبـةـ الـواـحـدـةـ/  
تـظـلـ تـبـصـرـ عـرـيـهـ، لـمـ يـكـنـ غـيـرـ خـطـاسـ الـلـهـاثـ فيـ دـورـقـ الـفـتـنةـ / تـظـلـ

تعمر ضحكتها بالانفلات / تعجزهم لحظة الارتخاء / يتوسد همسنا المرمرى / تتسود فحولة براعته / تنام الحمامُ بفتقه / وتمتلأ العقول بالفraig / كان مجدها راكضاً خلفَ هوس الانتظار يلتمس اسمرار النهدين / تعبَ لبَنِ اضطربابها وترتجفُ بضوءِ الانتشاء / تقولُ التي في حلمها زورقٌ وبحرٌ وازرقاقُ الشيطان / تقدم / فيعلو موج لهاثها / وتبدو المسافةُ بين صدرِ الحدائقِ وصدرِ البلاطِ فارغةً / يدفعُ المدُّ جزءاً الانوثةً فتقيمِ الآثامِ مأتمَ بهجتها / اعطي دورقاً من لهاش / اسكبي فوق سطحِ المودةِ نهرین من امنياتِ / تعرى بصدقِ العطاءِ / تستري بمنج التحدي / اصمتني عندَ أولِ قولِ خجولِ / قالت / نلعبُ لعبةِ الافتراضِ / اختباً / فتجيءُ المرايا لعنَّةً آسرةً، تشاهدُ سرَّ الانوثةِ، تنتظرنَا بلهفةِ المستحيلِ، اقتربِي / يقولُ الضوءُ / التصفي والمستحيلُ / تمسكُ اللحظةَ ببهرجِ الأسئلةِ، ما لنا لا نضيعُ في بحورِ التشتبِ / مالِيَاماً ناسنِ / مالفجرنا مكبلًا بالانحطاطِ / ما الذي رأيتَ ينبعُ الانوثةُ وهو فاترُ، ما الذي تمنَخَ الوردةُ الذابلةُ، ما الذي يمنَخُ اليأسُ... ما الذي يمنَخُ القلبَ إنْ غلقتُهُ الأكاذيبُ، ما الذي تمنَخُ الخطيبةُ للجسدِ الميتِ بدأِ الانتظارِ .. ما الذي تمنَخُ العنوسَةُ المصطربيةُ... ما الذي يمنَخُ العمرُ لقلقِ السنواتِ... ما الذي يمنَخُ النبعُ لجفافِ الضفافِ... ما الذي يمنَخُ القبرُ لوحدةِ الميتينِ... ما الذي يمنَخُ الأنينُ للتوجعِ، ما الذي يمنَخُ العمرُ للاهتزازِ؟؟

يفصلُ العمرُ آثامَهُ بطاسِ المحبةِ، هو السرُّ بينَ قلبينِ، توهجُ وارتياحُ، قبلةً آسرةً وارتماءً، هوسٌ بعدَ عمرِ الكآبةِ واليأسِ / منحُ من

وفاءٍ... وقولٍ... وحلمٍ تسعى اليه الخطى/ أنتَ لا تعرفُ الفرقَ بينَ  
 حلم كالعسل السرمدي/ وحصانٌ عتيقٌ دمرتهُ حروبُ الأكاذيب !!  
 لا تعرفُ نبض الولاءاتِ لفيضِ البروقِ... أنتَ لا تقوى على قتلِ  
 السؤالِ بفعلِ الجوابِ، عاجزٌ لهوكَ عندَ عرياتِ الغربيةِ/ تركضُ البهجةُ  
 عندَ انهمارِ المطرقِ/ تطرقُ بابَ الرجاءِ/ تفتحُ لمسةَ الأمسيّةِ، تقولُ  
 أتيتُ فدعني أريخُ اضطرابَ المسافةِ والصباحِ/ يشمُ عطرَ رغبتها/  
 بصمتِ اللقاءِ، يقتعدُ اللحظةُ متأملاً ضمورَ الجنونِ تغمضُ أنفاسها،  
 مطلقةً للصباحِ رجفةً الأعدادِ/ منذَ متى تعدُّ العدة ؟؟!  
 يا له من لقاءٍ صموتِ... تجلسُ ملفوفةً بالترقبِ... لا ترغُبُ ببدعِ  
 بياضِ الانتماءِ... تظلُّ تبصرهُ ساهماً... يظلُّ يبصرُها بحنينِ  
 الأمومةِ... تبصرُهما المسافةَ بشرودٍ... تقولُ... تقدم شوقيا !!  
 تراجعُ الرغباتِ... وتحامُ المسرةُ بعطرِ اللقاءِ... اليكِ تجيءُ  
 عطورُ البرتقالي... اليكِ تقيمُ البحارُ أفراحها... اليكِ تغنى زرازيرُ  
 الفراتِ... اليكِ... ما الذي ن فعلُه ... ( لا جواب ).  
 غيرُ لمعِ العيونِ وبسمةٍ عامرةٍ بدهورِ من الأمنياتِ... أيُّ معنى  
 لكلَّ هذا الضجيجِ... والزمانُ يمزُّ بهدوءِ العزلةِ، تستقرُ الأكفُ ويرتفعُ  
 موجُ البحرِ... رويداً تحرُّ العاصفةُ في فضاءِ التمسكِ بالعنانِ...!!  
 ما الذي ن فعلُه ... ؟ ( لا جواب )

يقولُ/ اقتلني صمتنا بسهيلِ المباهاةِ/ اطلقِي لحنجرةِ العقلِ  
 اخراسها/ اجعلني صمتكِ زورقاً للنجاةِ/ تبتسمُ الوردةُ، وتحركُ ساقَ

آمالها / تقول بهمس الأنوثة / هو العطر نمنحة للضياء / هو الصخب  
أمنحة للاحتجاج ... هو العمر يا بحر أزمتي أمنحة اليك  
خطوة ققة / والمسارات تجيء مسرعة مثل عاصفة الخراب /  
الحروب تدمر مزارع أحلامنا / فجأة تخفي الوعود / كان سبباً حزيناً  
يوم الدسائس واطلاق قبرة الوداع / قالت ... دعني أراك ... فلم أعد  
أتطيق البعد ... أمس ما منحتني لحظة لأرقص فوق نثار أعمارنا ...  
دعني أراك فلم أعد أقدر على فعل ما يقرره المحال / غداً ... تجيء  
المسرة بشهوة الأعمار / فجأة تخفي السنوات / وحدّها تبحث عن  
سؤال غريب / تسمع همس الشفاه والشمماتات الطائرة في فضاء  
الترقب ... السؤال محنّة ... والجواب انكسار /  
قالوا ... علّه تبدّل فعل محبته بعطر الانوثة !!  
قالوا ... اخنفى بين موج الكلام ولم يعد قادراً على الرجوع !!  
قالوا ... اللسان حيرة حارسٍ لعمر الفراغ !!  
قالوا ... بل أسمهم في نقل ارث أجداده صوب طين البلاء !!  
قالوا ... محنّة أن يظل السوء قالوا...ال يابساً ... ويحضر عمر  
الجواب !!

فوق صدرِ الدروبِ / تتذكرة انهمار الجنونِ / تتكأ الى غربتها  
والأقوايلِ / كانت لا ترى غير قتالِ الخفافيش في ظلمةِ الاضطرابِ /  
تطلُّ صامتةً / ترقبُ المهزولةَ / كلُّ ما مضى تشعلهُ الأسئلةُ / كلُّ ما  
يجيءُ تقتلهُ ريخنا العاطلةُ / كلُّ ما تخباءُ الأنفسُ تنثرهُ آمالنا الفاشلةُ /  
كُلُّنا أغنيةُ والصدى لعنةُ فاشلةُ /

تملاً أنظارها لوعةُ / والعمز يتحدى أوبية المسألةُ / تنهشُ اللغةُ  
جسدُ الفضيحةُ / صمتُها غضبٌ / بوحُها زهرةُ عابقةُ بالسؤالِ / عمرها  
رغبةُ الغثيانِ / تتهمنُ أحجارُ الفسق فتلودُ بمدياتِ محبتها / قد لا  
يجيءُ أبداً... عطلةُ المسافاتِ وأتعبه لقاءُ المساءِ، ظلَّ فارغاً يلهو  
بغبارِ الأفنديةِ، ما لها لا تجيءُ اليَّ، أو أتعبه البحثُ عن ملجاً لتثبتُ  
لواعجَ حزنها، أتعبه السيرُ خلفَ الدروبِ الموجلةِ بالشماتةِ اعلاناتِ  
المكرِ... قد لا يجيءُ أبداً... وقد ينهمرُ مثلَ فجرِ الشتاءِ، باردُ،  
صاحبُ، تحملُه نسمةُ الاشتئاعِ / قد تكونَ النهايةُ مسلةُ الانتهاءِ / قد  
تلحقُ الطرقاتِ بفضائحِ الأزقةِ وخوفِ البيوتِ / قد يحملُه الطينُ الى  
بلِ الحكاياتِ / تتدفعُ لحافَ انتظارها / والسؤالُ سيرحرقُ حنجرةَ  
الارتباكِ / وحدكِ أبداً أيتها الراغبةُ بالجنونِ، مالهذا السكونِ يداعبُ  
أورديتي... أينَ ماذا تسيرُ بنا الأزمنةُ وحدُها بينَ صمتِ الحيطانِ وقرُّ  
المساءاتِ اللائقةِ في الفراغِ / وحدُها تفجرُ صحوَ السكينةِ، بهدوءِ  
الأسئلةِ / ربما غيبةُ الكهوفُ بينَ جدرانِ آثارها !  
ربما نسيَ إنَّ الأنوثةَ بينَ فجرِ الكلامِ والتحققِ !!  
ربما أحسَ الضياعَ، فتاةً في اضطرابِ العالمِ !!

ربما صدقَ لغَوَ المسافاتِ فارتَكَنَ إلى بحرِ الانهزامِ / ربما... لا  
 شيءٌ في محنَةِ الأفلينَ... مسالِكُ من دماءٍ / قطرةً... دمعةً... ثيابُ  
 حدادٍ... كهوفٌ تمتلأ بالضجيجِ... قطرةٌ من لعابِ التشفى... فائضٌ  
 من بقاءٍ... لا رغبةٌ للقاءِ الأولِ بالآخرِ... لا جدوى من صَفِ يحملُ  
 أسئلةً عرجاءً / اقطعْ أوصالَ الوصلِ فقد تبقىَ / ما جاءَ الوهمُ ليروحُ/  
 يبقىَ يعجنُ لغَوَ الآثامِ / يلغى بوحُ الأرواحِ / يصدرُ أمراً أن لا تبقِ  
 نسلاً للسؤالِ / لا تبقِ إنساناً يسألُ / دمرَ في حلمِ الأولادِ عطرَ الأجوبةِ/  
 قد تكبرُ / تستفحُلُ / فتصيرُ أفعى تنجُبُ تللاً من الشعابينِ / لا جدوى  
 من شيءٍ يقتلُ حلمَ الرأسِ الأولِ / الأحلامُ ضحْكُ المتخومينِ / وبكاءُ  
 المسحوقينِ بدِمِ الْآلهَةِ / الأحلامُ صدفةٌ ملكيةً / غير مسموحٌ لثيابِ  
 الحزنِ تجاوزِ أزمنتها / كانتْ تراهُ بعيداً يثيرُ في غضْبِ / يلهو  
 بالكلماتِ / يصمتُ / يلعنُ كهانِ الآثامِ / يعرفُ سرَّ البلوى / لكنَّ الحنجرةَ  
 تموتُ / يقطعُ أوصالَ الأحلامِ / حلمُ للبغضاءِ / حلمُ للخوفِ / حلمُ  
 للكراهيةِ / حلمُ للجنونِ / حلمُ للراغبينِ بجهلِ الأربابِ / حلمُ لقتلةِ  
 الآمالِ / حلمُ للذِي يربطُ البهاءَ بالخرافةِ / حلمُ لداعِ الفراغِ / تصمتُ  
 الحنجرةُ / فتضجُ المساعاتُ بالأئنِ / محنَةٌ تنتظِرُ / والكهوفُ نداءاتُ  
 تميُثُ الصباحَ / كانَ ليُلها صخبٌ من جنونِ / كانتْ ليَلَهُ ضجرًا من  
 جنونِ / كانَ صبُحُها تأملاً لعمرِ الخطواتِ / كانَ صبُحُهُ نورسَةً هائمةً/  
 كانَ عمرُها امتحاناً عسيراً لفتحِ الأحبةِ / قبُلُها سربُ قبراتِ يطرنَ  
 بعيداً / كانَ قلبُهُ يتَشظَى بالسؤالِ

هل تراهُ يعودُ... وإذا ما أتى... كيفَ تكونُ لقاءاتُ أعمارِنا ؟ !!

هل تراه يهمد الروح بترتيلِ أحلامنا... وكيف يكون المسار؟!!  
نلتقي عند فسحة المسألة، تنظره بكسل الارتباك، فتضجع مدامعه  
بالحنين، كان يشعر بالابتعاد، وتشعر بالدنو قبل الغربة بين أجنحة  
العيون، فرفقت المخاوف، وصداً السؤال/ ظلَّ لزمنٍ يبصرُ أوبتها/ لم  
تعد تطلقُ صهيلاً التحدي/ كان وردها يابساً/ عمرها تحفةُ الفلووات/  
صمتها معجزةً/ لحظةً قال... اقدمي... لم تعد قادرةً... أغلقت نهر  
آمالها، وأعطيته خواراً وخوفاً/ قال... ما لك لا تصدقين اليقين... هذا  
أنا... دمرتني الرجلة... دمرتني أسئلة الانتحار/ قيدوا عبني...  
واطلقووا كلاب الخديعة... جسد منهك ونباح... هذا أنا خرس من  
دخان/ صدق صمتها/ وأعطيته سر الانتفاء/ اليك أجيء... إن أردت  
المسافة موصلاً السنبلة قبلة/ لحظة من هوسي/ لحظة من قلقٍ/ زمنٌ  
من ترقب الأجوية/ قد تظلُ الخطى نزوءة، واللعبة سر الخديعة/ أتمشي  
الخطايا بثبات النمية/ تشم العجائز أسنة الأبخرة، هو/ ما له لا يقيم  
للوفاء نغمةً من رنينِ الدموع؟!!

تكمُل دورة العمر، تحملُ رقاً من جوابِ/ قالوا... علىها لا تبوح  
بالخراب، وتستظلُ فيء المرافق، قد تكمُل المسافة بين رغبتها  
والانتظار/ قالوا... تقييم لأحلامها مدفناً، وللشقاء حنجرة من ضبابِ/  
تصمت الزهرة بعيقِ التمني/ ترسلُ حلمها فيهبُ الضياء مرسلًا  
خمسة/ اليك تعبر المسألة... فلا ترد الجنون إلى غربة الافتراض/  
تنطقُ الريح بسرِّ الحروب/ أغنية لاهية/ نغمٌ من رثاءٍ/ قيثارة من  
تسوِّل للمجون/ خمرة من بقايا مذابح الفاتناتِ/ رحلة عبر خطِ التذكر  
بين عري المروعة وانهصارِ الضبابِ/ تمسك صمتها، وتهبُ النار سنا

مفرقها / تجيء اليه / تحط فجر محنتها عند قدم الأسئلة / ما لنا لا  
 نقيم للحد سورة، تعصفُ الخرابات دماراً / الحروب قلعة الانتهاء / بابل  
 وجع أبيدي من اناشِ التذكرة هي الأمر بالابداء، والطريق الذي تأمله  
 الخطى، كانت الخطوة تتبعُ الطريق، والسؤال يبعد الانكسار / تلمس  
 فجر العابث بالركوب / يقول / لا فجر بعد الان / لم تعد آمالنا واحدة...  
 خطونا اختراقُ الدروب... خذِي صمت أورديتي، واصرخي بشذا  
 الرغبة / يقول / يا لها محنَة بين قلب صبي وجسد أنهكة الجري وراء  
 السراب / يا لها لعنة بين وهج المحبة والاعزل / غربتي رقصة طاعنة  
 حطام السيوف / أثر من معابدِ آيلة للسقوط / غربتي رقصة طاعنة  
 بالركوب الى الأسئلة / تخطو اليه / بخفة ورد المساعات / صباح بهي /  
 صباح آمالها، وردة مثل جمر المواقف، أحمرار شفيف / ودم مشتهي،  
 وأنين خافت بالسؤال / كيف ترانِي أيها الموغِّل بالخراب !؟!  
 يبصُر شفق الشفتين، وورَدَ الخدوِد، وانسدال الضياء فوق سفح  
 الغناء، يبصُر قامة البرتقالي، ويغضُّ ستَر التردد / بابل صورة من رثاء  
 قدِيم / دع هذه الأمنيَة... بابل أغتيَة... بابل صفحة من عيون  
 الحمام، شجر من فرات النوارس، بابل بوح أرواحنا... فلم العذاب !؟!  
 تنهمر اليه / قبلة عند ستر الكهوف / ثانية يتلمس الوجع الخفي /  
 تمنَّه ذروة الانتهاء، خذ ما تشاء من الأماني، فالخيط بوصلة  
 الحبيب ما بين بابل والفواد / قبلة عند صبح الغرابة / تهمس الأفندَة  
 بآذ الكلام، مالَقْبَي لا تهزه الأغانيَات... ولم يعد قادرًا على الارتفاع  
 بين أحضان زهرتِ العاشرة !؟!  
 ما لنا نسبُ في بحرٍ شيخوختنا... والعمُر زهرة من جنون !؟!

يحتضن ليل الكهوفِ، يتوسد رذاذُ الحلم البعيدِ، طيفُها علقم،  
الحجراتُ وحدَّة الشاذةُ بالافراقِ، يحطُّ خطأه بصمتِ المخاوفِ... الى  
أين تريـدُ الذهابـ؟!!

- الى أين تمضي وحارسـ هنا... وهنـاكـ... وهنـاكـ؟
- الى ماذا تريـدـ... وجدرانـ أحـزانـا كبرـت بـ فعلـ الانتـظـارـ؟
- الى ماذا تحـاولـ جـرـ خـطـى العـمـرـ... والـترـفـ مـثـلـ صـوتـ النـداءـ؟  
يموـثـ حـلـمـ الرـهـبـةـ/ وتـغـدوـ الـكـهـوـفـ مـاـقـيـ منـ تـرـفـ الـأـعـمـارـ/ تـنـزـ مـحـنـةـ  
الـأـلـمـ الـمـسـتـبـاحـ/ عـنـ صـبـحـ الـمـآـسـيـ تـلـمـ العـيـونـ جـمـ اـعـلـانـهاـ/ الىـ  
أـينـ... يـعـدوـ السـؤـالـ بـعـيـداـ... تـلـاحـقـهـ رـعـشـةـ الـمـسـتـحـيلـ... بـاـبـلـ وـهـمـ  
الـاـنـطـفـاءـ/ درـبـ أـسـرـارـناـ فـيـ زـمـانـ الـلـقاـءـ/ بـاـبـلـ مـلـتـقـىـ الـمـارـقـينـ باـجـاهـ  
الـوـعـودـ/ تـجيـءـ... يـقـولـ النـداءـ، فـتـحـزـنـ الـأـورـدةـ، وـتـجـفـ عـيـونـ الـبـكـاءـ/  
تلـقـيـ صـدـفـةـ عـنـ صـفـاصـفـةـ الـيـاسـمـينـ/ هـكـذاـ اـسـمـ نـخـلـتـناـ التـيـ سـورـتـهاـ  
الـحـرـوبـ/ وـاـنـتـمـتـ لـلـفـرـاغـ/ يـتـكـأـ الصـمـتـ اـلـىـ الـمـلـمـسـ الـمـخـمـلـيـ/ يـدـاعـبـ  
صـرـةـ الـبـوـحـ/ كـانـ رـغـبـةـ بـالـنـمـاءـ، وـدـلـوـ يـتـشـظـىـ/ لوـ يـصـيـرـ نـخـيـلاـ فـوـقـ  
هـامـ الـفـرـاتـ/ وـدـلـوـ يـمـلـأـ الـطـرـقـاتـ بـحـصـىـ الـأـغـنـيـاتـ/ وـدـلـوـ كـانـ بـحـجمـ  
الـمـدـيـنـةـ التـيـ أـمـتـهـاـ الـهـوـاجـسـ فـبـثـتـ صـمـتهاـ/ وـارـتـدـتـ ذـبـةـ الـاـنـتـظـارـ/  
وـدـلـوـ.../ ماـ انـزـرـعـتـ لـوـهـمـ وـماـ أـنـبـتـ غـيـرـ فـرـاغـ الدـمـارـ/ كـانـ يـمـلـأـ  
الـأـغـنـيـاتـ بـضـيـجـ الـحـرـوبـ، صـهـيـلـ الـجـيـادـ الـعـامـرـةـ بـالـدـمـاءـ/ يـعـاـ  
الـصـمـتـ بـهـوـلـ الـفـجـيـعـةـ/ يـمـحـوـ بـحـزـنـ تـرـاتـيلـ بوـحـهاـ الـمـسـتـهـامـ/ عـنـ  
سـدـرـةـ الـفـجـرـ/ يـجـسـ نـبـضـ الـأـلـمـهاـ/ يـكـشـفـ عنـ قـلـقـ الـاـنـدـثـارـ...  
الـمـسـافـاتـ تـمـضـيـ بـخـطـوـنـاـ صـوـبـ عـمـرـ الـفـنـاءـ/ أـعـمـانـاـ لـعـبـةـ منـ حـوـارـ  
سـخـيـ/ تـدـوـنـ الـاـرـتـكـاسـ/ تـسـوـدـ طـيـنـ الـحـكـاـيـاتـ بـغـبـارـ الـمـدـامـ

والانكفاءِ / نعوشْ تقرُّ الصحوَ فوقَ مائدةِ المذبحِ / رينا عجبٌ ما  
نلای... عجبٌ جنونُ أفندينا... عجبٌ كلُّ هذا العذابِ !!  
تهبُّم رغوةُ الكهنةِ / ويغدو النشيدُ / رفضاً لموضعِ الفكرةِ // الآلهةُ  
حمقُ العذوبةِ... وعذريةُ ماكرةٌ... الآلهةُ فجوةٌ من ظلامٍ بينَ قلبِ  
يمجدُ فعلةُ الخرسِ السرمدي... الآلهةُ فارسٌ من حديدِ الرمادِ //  
تصحو الأقدامُ / بقترةٍ فيطيرُ لقلقِ الأزمنةِ / كانتَ اليه تحدقُ... وترمي  
عمرَ انتظارِها إلى لبِّ انتظارِهِ يقولُ... مالنا نظلُّ غريبينِ دونما  
سفرٍ... أو زواجهِ من خرقِ الرغباتِ !!  
تقولُ: وأعمارنا أيها المبتلى بالكلامِ؟  
يقولُ: عيّناً تمنخنا بابلَ مجدَ الأكاذيبِ !!  
تقولُ: ما لكَ تساوي وحدتي بالخرابِ؟  
يقولُ: واحدٌ قولُ الاحاسيسِ... واحدٌ انتما... بابلُ وعمرُ الأحبةِ  
والفراغِ / واحدٌ فرخُ المسألةِ !!  
تسكبُ صمتَها فوقَ نارِ التذكرةِ / يتعرى المساءُ / ما لنا لا نضيفُ  
إلى آثامِنا فجوةٌ من عبُّ الاغنياتِ؟!! ما لنا لا نمزقُ صدرَ المواسمِ  
باللهاثِ / ما لنا لا نجدهُ زرعَ القلوبِ بورِدِ النياشينِ؟!!  
أمنحُها قلقي... وحدتي التي شيدَتْ وحدتها فوقَ ظهرِ المساءِ...  
أمنحُها لعبتي الماكرة... ترقبُ ما الذي تدونُ وما نفعُ الأقاويلِ،  
والمعدنُ صفاءُ الخرافاتِ / توضأُ بضياءِ الفتنةِ / واطلق سهامُ  
الاحتجاجِ / فلتنتظر... ماذا؟

فتى يجيءُ بدهرِ الحكايا، والمواويلِ المطرزةِ بالرخاءِ / فكرةً ماكرةً/  
تبيسُ وهجِ العقولِ / ترمي الفطنةَ في عمرِ المحنَةِ / تجعلُ الآمالَ  
 مجردَ رغبةٍ بالفارارِ / يجيءُ الذي يقيمُ عدلَ السماواتِ... علَّهُ منْ عهدِ

الرمالِ مختبئٌ بينَ تجاويفِ أدمغةِ الكهنةِ/ كذبةٌ آمنةٌ/ أو كذبةٌ من  
ورقِ الانتفاحِ/ علّهُ مخاضُ الأقاويلِ عندَ سفحِ العروشِ/ لنقمْ ظلمتنا  
ما نريدُ... لتأخذَ الامِّ أعمارنا صوبَ شطِ المكارهِ... لنقمْ طقوسَ  
المباهاةِ ولنهددَ كلَّ أفرادِ المشاةِ/ بعدها فليجيءَ ما يشاءُ لهُ  
المجيءِ/ ولنقيمْ عدلةً بينَ فخذِ الأكاذيبِ وتراتيلِهِ/ رينا لأننا ما نسينا  
وجودَنا الآفلَ... انليل ما أقمنا لغيركِ معبداً من عطشِ ودماءِ/ رينا  
أقمْ بينَ أحلامِنا والظلمِ ستراً من ذهبِ الرقابِ وخشى المهزومينِ...  
انليل اعطانا أعمارنا هبةً من فضاءِ التمتعِ وامنحِ أكاذيبنا آلهةً من  
مجنونٍ// بعدها... لن يجيءَ... هذا المخلصِ السرمدي... وهمهُ  
لعبةٌ من رمادِ المعابدِ والكهوفِ وفيهِ الكهنةُ الموغلينِ برداءِ الرذيلةِ/  
كانَ فجرنا المرتجمِ، غيرَ إنَّ السنينِ صيرتَ كونُهُ شوكَةً من زغبِ  
النازحينِ/ تمنحُهُ الشفاءُ أدعيةً من فتاتِ القلوبِ، رينا هبْ لنا...//  
يهبُ المجنونَ، يهبْ فعلِ المبازلِ... يهبْ جمجمةً من فراغٍ... يهبْ  
الدروبَ التي تشحذُ الساقطينِ... يهبُ المريايا التي تسقطُ البهجةَ في  
بئرِ عذريتها، يهبْ عروشَ الرمادِ ودخانَ الحروبِ... يهبْ المعاني  
الموغلاتِ بأشدِ التأوهِ، يهبْ أفرشةً من شتاءِ، ووحدةً من انوثةِ  
المساءاتِ المحروقةِ بالأنينِ، كشفَ عمنَ يهبْ الكشفَ عن سريةِ  
الغرفِ الصامتةِ بينَ حدَّ الترقبِ وهوسي التامسِ الفاتِرِ والسكونِ، ما  
لهُ عاطلٌ عن ممارسةِ صدقِ الأبوةِ !!؟

انليل ماتت... والصغار يلهثون خلفَ عطرِ الدماءِ !!

تصبحُ الشفاءُ الملمومةُ بديمِ الحزنِ // حروباً !!

تقفُ بابلُ عندَ بوابةِ الفكرِ الطارئةِ/ تمرُّ الجيادُ بغزارةً من ريشِ  
النعامِ/ أقدامُهم خشبٌ للحرائقِ/ أحالمُهم مرقدٌ لسفرِ الدماءِ/ تمرُّ

أوهامهم فوق سطح آمالنا فتن الحبيبات / وتتوهج وردة الابسام /  
بابل ما لك صامتة / مالا حلامك لا تستجيب لريح النداء / باب ... لا ...  
أبوابنا مقفلة والجزع موقد الانتظار ... ما الذي ننتظر؟!! لا يجيء ...  
قالها أبدا الفتى البابلي الذي مزقته الحرابة / قالها لحظة كان الرمان  
يبصق عمره قطرة من فناء، لن يصدق الورد أقواله... ظل يسكنه  
الرجاء... بأن المدينة يوقدوها فجر أحالمها... أبداً لن يمر فوق هذا  
المساء... قتي مثله... خلاص تؤسسه رغبة الاحتجاج... اسمه  
هادياً... لكنه يوغل بالرفض والسكوت / لا شيء يزحزح عرش التجبر،  
ويزيل صبغ الشفاه غير نار العمر المبذول بالامتهان

قالوا: علة واقف عند باب الدهور الأخيرة !!

قال: ما الفائد إن جاء فارغاً من سؤال؟

قالوا: علة ينتظر الساعة الآتية !!

قال: الانتظار مهنة كاسدة لصحو العقول !!

قالوا: ربما كان يرغب بفكرة عامرة بالرجاء !!

قال: كيف يؤمن بالحقيقة... وأفكارنا نثار أكاذيب !!

قالوا: تبدأ بالسؤال... والسؤال... والسؤال !!

قال: الأسئلة... يا لها رغبة من مقاصد تعبة؟!!

قالوا: وكيف السبيل إلى المنتهى؟

قال: اليكم أقصى سفر الأزمنة... زمن من رمادي... زمن من  
عناد... زمن من مقاصل وسيوف... زمن من حتوف... زمن من  
جنون... زمن من سكون... زمن من خيانات خطوة الوعد... زمن  
من مجدى مقتول... زمن قاتل والآخر مقتول !!

قالوا: إنك نوهم أعماننا بالخلاص !!

قالَ: وأوْهُمْ نفْسِي بِكُمْ... لَنْ تَمَرَّ الْمَسَافَاتُ بِجِيَادِ الْأَزْمَنَةِ إِنْ لَمْ  
يُجِيءِ الرِّجَاءَ !!

قالوا: تعذبنا أقاويلُ المعايدِ... ورقم التفريق بين دالٍ ونونٍ !!  
قالَ: لِيُلَمُ فَجْرٌ مُبْتَغٍ... لِيُلَمُ مَا لَهُ مُنْتَهٍ... لِيُلَمُ ظُلْمَةً...  
وامتداداً !!

قالوا: مَا لَكَ تَأْخُذُنَا بِالنَّدَاءِ إِلَى قَمَةِ الانتِظَارِ !!  
قالَ: النَّهَارَاتُ تَرْتَلُ أَعْمَانَنَا بِالنَّشِيدِ !!

قالوا: إِلَيْكَ نَمْنَحُ السَّرَّ المَرْتَجِيِّ... إِلَيْكَ نَقِيمُ فَخْرَ الْخَطَا... فَكَنْ  
مَا نَرِيدُ !!

ظَلَّتْ عَيْنُ مَعَافِهِ تَشَذِّبُ أَصْلَ التَّوَاصِلِ، يَبْصُرُهَا مُثْلُ مَوْجٍ يَلْطُمُ  
صَدْرَ العَزَاءِ / تَمْسِكُ لَبَّ لَوْعَتِهِ / فَشَلِي أَنْ تَبَدَّدَ وَقْتَكَ بِخَلْقِ دروبِ  
قَصْبَيِّ / فَشَلِي إِلَيْكَ تَمَدِّدُهُ أَسْوَرَةً مِنْ زِيدِ الْعُمْرِ / تَشَعُّرُ أَنَّ السَّرَابَ يَلْفُ  
الْعَنَادِ يَجْلِسُهَا وَرَدَّهَا مِنْ ضِيَاءِ وَخَزْفِ مَرْمَريِّ، يَقْبِلُ كَفَهَا الرَّقِيقَةَ مِثْلَ  
رَوَانَةِ نَاضِجَةٍ / تَقُولُ... مَالِي أَرَاكَ تَسْرِيَلَكَ الْمَخَاوِفُ، أَ أَتَعْبُتُكَ  
الْمَمَاشِي؟ !!

يَقُولُ: أَمْلِي أَنْ لَا تَلَاعِبُ أَعْمَانَنَا بِمَسَاءَاتِ سَاحِرَةِ، تَجْلَلُنَا فَتَنَّهُ  
الرَّغْبَاتِ، أَمْلِي أَنْ نَسِيرَ إِلَى مَا نَرِيدُ بِلَا هَمْسٍ وَهَارِسٍ يَنْتَظِرُ...  
أَمْلِي يَا... مَاذَا يَقْتُلُ آمَالَ الْعَشَاقِ إِنْ مَرَّتْ أَيَّامُ الدَّمِ !!

مَاذَا يَفْعُلُ الدَّرْبُ إِنْ خَلَّتْ سَاحَاتُهُ مِنْ خَطُوطِ الْعُشُقِ؟ !!  
مَاذَا تَفْعُلُ بَابُلُ إِنْ غَادَرَهَا عَشَاقُ الْانْهَارِ وَغَنَاءُتُ اللَّيلِ وَسَكَارِي  
الْحَانَاتِ؟ !!

مَاذَا نَفْعُلُ بِالْعُمْرِ، تَبَدَّدُهُ غَرِيبَةً... وَلَفْظُ بَذِي عُ... وَسُوطُ...  
وَصَهِيلُ دَخَانٍ؟ !!

ما نفع الأعمار... تبدها الأحزان !!؟

بابل / ممر الياقوت اليها / ممر العشق ونفط الأكفان !!

بابل قيثار الورد ... معنى أن يحتفظ الإنسان بمعنى الإنسان !!

جفافٍ، يحاول إيقاظ الصحو علّه ينبع ترتيلًا، تكُفُّ الأماسي /  
وتنتحر الأزمنة / فراغٌ يملأ جعبَة الصمت / يملأ ليل المعرف / الكهنة  
فكرةً من الأعيب / الكهنة مجده أفعال الشرور / ونداءات الفرقه / تمنحه  
الآن، يمنحها استجابة اللازورد، طيفَ الوانها يغضُّ نهر البقاء /  
فترتمي بين القلب والسؤال، تهيم اليه مانحةً عطرها لصمت الولاءات،  
تقول... اليك أمنح المستحيل... فخذ قدرى !!

تمنحه بابل صباحاتها الموعلة بالابتزاز / تقول... اليك أعطي  
ذور الفؤاد !!

تمنحه همسةً مثل فجر ندي / تقول... اليك أمنح عرش  
الجنون... فاستقم بالنداء وخذ صولجان الخلود !!

تمنحه بابل بعد أن تنقض آثامها من ثدي أمومتها / تقول... اليك  
مجده الآتين... وبقاء الأزمان !!

تقول وقد أخذت اليها بصر الأمومة - كلانا نمنحه فجر  
المسرات !!

#### • صورة الترتيل الثاني

نقدم فذاً زمان الرهبان... عبرنا حمرة الفجرِ محاوليَن الوصول إلى  
قلب التوحد / ترتيل بابل بشفاه المبعوثين من موت الانتظارات / أزمانهم  
دمرتها وحشةُ الأمكنة، أرواحهم خربتها مخاوفُ العارفين بكشفِ  
السرّ، الانهيارات تحفُ العروشَ والمشاةُ أقدامُهم محنَّةً من نرجس

وقداحِ الراغبينَ، تمشي بهم مكائدُهم باتجاهِ لغوِ الخديعةِ، وحدُها بابلُ  
تشرَبُ بدرَ الانتظارِ... إلى ماذا تروحُ بنا الأمكنةُ... وكيفُ نؤسسُ  
لأحلامنا مجدًا وحدثها، تعلو بينَ حضنِ المعابدِ والممراتِ وشَطَانِ  
التراتيلِ، أنغامُ الحُسنِ/ تتمو كالعوسمِ حلو شكلِ مراتِها، بلذةِ أسئلةِ  
الابتعادِ، قالَ - تقدم فلم تعد ثمةَ رهاناتٍ خاسرةٍ !!  
الاختراقُ ابتداءُ اللعبةِ، كانتْ جدرانُها هوساً وصمتاً، وفراغاتٍ  
مدويةً بالأنينِ، تلبسُ النسوةُ تيجانَ الربِّ مهلهلةً بالذهابِ إلى فضةِ  
المرجى، بابلُ صوتِ التراتيلِ... ومعبدُ الوحدةِ الآملةِ !!  
كانَ يحدثُنا عن زمنِ مضى/ عن زمنٍ كانَ شاهداً دونَ لهفةِ  
الأوردةِ، قالَ - اسمعي ايتها الآتيةَ من وجعِ القلبِ !!  
لمَّتْ حسنَ مباهجها واقتعدَتْ دربَ السؤالِ/ مالهُ صامتٌ بعدَ كلِّ  
هذا العناءِ !!

قالَ/ لحظةٌ ينطقُ الدهرُ... تصمتُ الكلماتُ !!  
قالَ/ لحظةٌ تؤسسُ أعمارها تنتظرُ الكلماتُ !!  
قالَ/ لحظةٌ تغدو الأفعالُ مناراً تخجلُ أزميلُ التدوينِ !!  
قالَ/ لحظةٌ تمشي أقدامُ الجمعِ تتوقفُ الذكرةُ !!  
قالَ/ لحظةٌ تصبحُ الطرقَ مأهولةً بالاستمرارِ... تنمحي ذاكرةُ  
الكلماتِ !!  
قالَ/ ما فائدةُ الأزميلِ وكلماتِ الطينِ، والمعنى مبنيٌ من أساسِ  
الفكرةِ !!  
قالَ/ لا جدوى من صمتِ الأحلامِ وايهامِ المهوومينَ !!  
قالَ/ العيبُ أقولُ لكمَ - أن تبقى الكلماتُ خرساءً عندَ عرشِ  
السفاحينَ !!

قالَ/ تدوينِ الفكرةِ ... يأتِي من ايقادِ النفسِ واعمالِ الاعمارِ...  
الحقُّ في قولِ المنتظرِينَ ... القولُ في اكثارِ أسئلةِ الردِ !!  
قالَ/ فلتتصمَّتْ أذانُ المبعوثينَ خلفَ غبارِ نهاراتِهم الفاحلةَ !!  
أجلستُهُ عندَ عتبةِ بابِها / كانَ يحملُ قيثاراً من ميلوخا، دنبوسٌ  
مصفولٌ بعقيقِ دلموني، ترنُّ أوتارُ القيثارِ بفخرِ الاغنياتِ، تبهَرُ  
حمرةُ الشفقِ البابلي، تلاحمَهُ عذاباتُ خطوهِ التعبَةِ، كانَ سراً تراهُ  
البيوتُ سؤالاً !!

تراهُ الطرقَ آفةً من جنونِ، تراهُ الأزقةَ محنَةً موغلةً بالقدمِ، يراهُ  
النخيلُ سيداً، يراهُ الفراتُ مبحراً باتجاهِ المعرفَةِ، يراهُ الاخضرارُ مزيجاً  
من خضرَةِ الأرضِ واسودادِ السماءِ، تراهُ المعابدُ مارقاً مغشياً لسرِّ  
التعديِ، تكرهُهُ الآلهَةُ حَدَّ البصاقِ فوقَ جمجمَةِ بوحِهِ، انليلُ يراهُ غريباً  
يطاردُهُ شذوذُ السؤالِ، عشتارُ تلاحمَهُ بالفضائحِ، ديموزي يطالِهُ  
بالتَّعلُّقِ والنماءِ، مردوكُ يلاعِبُ رأسَهُ بوهمِ التَّكبيرِ، هو وحدهُ تسييرُهُ  
ال عبراتُ وأحلامُ المنسيينَ بينَ نومِ الكهوفِ، كانَ عارفاً بأنَّ البدائياتِ ...  
رقابُ تتدلى وسيوفُ تحمرُ وحرائقُ لبيوتِ الأحلامِ، لكنَّهُ يظلُّ يسيراً ...  
 تتبعُهُ خطوةً ... خطواتِ ... تمنحُهُ الخطى نفسهاِ ... بينَ شرِّ  
الحرائقِ والسكوتِ، يعلنُ معدنةً البابلي / يقولُ ... هي المسألةُ لا  
السؤالُ ... تعالوا نبصرُ ما الذي جعلَ البيغاءَ نورسَةً / ولماذا تعوي  
الجيادُ / ولماذا تموتُ الأيانَلُ عندَ وكرِ الذئابِ..؟ ولماذا تنجُبُ الأمهاتُ  
رمادَ الحروبِ ؟!!

تنتحبُ الشفاهُ بالسؤالِ / توقنُ إنَّ ليلاً الصحاري صيرَهُ عارفاً  
بامتدادِ الفراغِ / يضربُ وترَ القيثارِ فترنُ أحجارُ الكهانِ، ورويداً تسقطُ  
أمتعةُ الملهأةِ / يضربُ وترَ آخرًا... يصدرُ نغماً من معنى، الوترُ

الثالث يطلق انذاراً، الرابع يصرخ محتاجاً عن جدوى أنغام لا تثمر  
ضجراً، الخامس توقيطه الأحلام، فيرنُ فوقَ الجسدِ المذبوح، يثمرُ لا  
جدوى، اللاجدوى تثمر شطآنٌ من أوهام، تجلسه قبالةِ أحالمها،  
وتقولُ أتيتُ إليكَ، فلمَ لا تجيءُ إلَيَّ ...؟!

يمنحها نغمةً من اصفاري الشموسِ، ويزوقُ السوادِ اللامعِ بزهرِ  
الأعمارِ، يوشحُ جسدها ببياضِ الآمالِ ويجعلها سيدةً للمساءاتِ،  
وامرأةً للقمرِ، تزدهي بابلُ بالحضورِ، تغدوُ الجيادُ سيرها باتجاهِ الممراتِ  
القصيةِ، كانَ يفجرُ الصبحَ بالنداءِ... هلموا إلَيْ... فها هو الزمنُ  
البابلي يجيءُ !!

يشططُ فوقَ مسلاتِ التخويفِ، والخوفِ والانهزامِ، يمنحُ للوترِ  
السابعَ قدرةً خارقةً، يصيّرُ وردةً ومساحةً لسباقِ العيونِ، ومنزلًا  
لأ فقدةِ الغاربينِ، ومدنًا تنتظرُ الطرقاتِ، كانَ يركبُ سرَّ عودتهِ، يقولُ،  
لحظةً تجلسهُ إلى جانبِ أنوثتها الساحرةِ !!

- كانَ ليُلِّي الكهوفِ عنيداً... كانَ ليُلِّينا تقلُّهُ الهممَاتُ... يثمرُ  
ندماً... وحكاياتِ ماكرةٍ وجئوناً... كانَ يحدُثنا صمتنا عن  
مدنِ آفلةٍ، فتهترُّ حاجزُ الاحتجاجِ // يا ليُلِّ... يا عذابَ  
الحالمينِ //.

يظلُّ حدُثُ صبحها، فتحفتُ نازِ الانوثةِ، وتطلقُ جسدَ اللذةِ من  
مقابضِ العنفوانِ، تقولَ :

- وماذا عن سيدِ بابلي مضى ؟

ظلَّ لزمنٍ ينكثُ غبارَ لوعتهِ، كانَ يراهُ يجلسُ في ظلمةِ الكهفِ  
الباردِ مثلَ قرَّ الشتاءِ، عينانِ قاتمتانِ وشعرٌ يرتدي حلَّ البياضِ وثمِّ  
ضوءٍ يسطعُ بينَ الشفتينِ، حلمَ كانَ وجودَهِ، مخضراً كانَ يمرُّ

بخطواتِ الانتظارِ، كيفَ يمكنُ لمشاعلِ الأملِ أن تخبو، ظلَّ صامتاً  
يتربُّ مضيَ السنينِ بينَ بابلَ والحلْمِ القديمِ، خطو المسافاتِ وامتدادِ  
الطريقِ... نفرٌ تنتظرُ، واوروكٌ تقيِّمُ النشيدَ، وتتلوا سومرُ قلبَ بهجتها  
لسوادِ لکش، كانَ يداعبُ فضاءَ البعادِ، ويقبلُ جبينَ سن، فتضيِّعُ  
الممراتِ الموحشةُ بالغرابةِ، قالَ - هذهِ سومرٌ تزفُّ أحلامِها !!

يمسُكُ القلبُ ضخَّ الأفراحِ، تهيِّمُ المساعاتِ بالحنينِ، ترتلُ نشيدَ  
التوحدِ، تلمُ المسافاتِ خطواتِ الغربةِ، هي ذي بابلَ رجاءُ الآملينَ  
تقبلُ لألاءِ الجبينِ السومري... تؤلمُ الأرواحَ ولائمَ الأفندةَ، تقولُ  
الحكايةَ: " ربما تدُونُ الحروفُ بعضَ البذار... فمن يزرعُ وحولَ  
المشقةِ؟؟ الدروبُ تسكنُها أوجاعُ أعمارِنا / كانَ يحلمُ بأنْ تصيرَ  
المسافاتَ مطرفةً، والمزارعُ غناءَ الفواخرِ / وتقبلُ سومرُ شفاهَ  
السنينِ / قد تقيِّمُ السؤالَ، كانَ الفتى يقتعدُ الأسئلةَ / والجوابُ امتدادُ  
بيَنَ أفقِ الرجولةِ... وفعلِ الرؤوسِ / كانَ سيدُ يطيلُ الأبصارَ في لبِ  
المسألةِ // حلمٌ قد ماضى... حلمٌ قد ماضى... حلمٌ قد... مضى... لا  
ما بالُ الأحلامِ تسودُ أرواحَنا

قالَ: أتقدرُ يا رقمٌ أن تكتبَ ما دونتهُ المعارفُ بدمِ السنواتِ ؟

قلَّث: وطينُ الروح يصيِّر رقمياً... ما أجملُ الواقعَةِ؟؟!!

قالَ: أتقدرُ أن تبيحَ للحروفِ انطلاقَ العصافيرِ؟؟!!

قلَّث: وضيِّمُ الكهفِ يقتلُ محتني... حوفي رجاءُ أيها  
المرتجى؟؟!!

قالَ وعسلُ اللسانِ يحيطُ بالشفتينِ !!

- لنكتبُ كُلَّ ما نرى... ونعشقُ أيها الذي ما عرفَ الانتظارَ !!

قلَّث / فلتقلَ ما تشاءُ

قالَ / بلى !! لكنَّه ضاعَ في لججِ الانفعالِ / كانَ خطوهُ يتابعُ  
عواصفَ الامتحانِ، ظلَّ يمسكُ ليلَ الكهوفِ بحبلِ الحكاياتِ، يدونُ  
أحلامَهُ فوقَ قلقِ القلوبِ، شاهدَ قد ماضى، وانجبَتْ أيامُنا شهوداً من  
رسلِ العارفينِ، كانَ يوشمُ القلبَ بورٍ من مطامحِ، يقولُ / يا صانعَ  
الكلماتِ ترجل ولترى ما تبوحُ بهِ الأملَنةُ !!

"شوقيا عذبٌ ماءُ أنهارها، عذبٌ ماءُ شطُّ الفراتِ " !!  
تعلمهُ الحكايا... إنَّ المسافةَ بينَ زمنٍ من ترابِ وصهيلٍ... وزمنٌ  
تؤسسُهُ أعمارُ الوردِ / خطواتٌ من علوِ الفكرَةِ / كان... يا ما كان...  
ماكَ اسمُهُ نبونيد... كانَ يحلمُ بأنَ يجعلَ الأرضَ عامرةً باخضرارِ  
الأعمارِ... كانَ سيداً لم ترُ ---  
--- لكنَّه غادرَ قبلَ قولِ السؤالِ.

## صورةُ الخاتمةِ

على الرغم من كلّ الجنون... وما حدثني به المنايا والشجون...  
أمسكتْ أزميلَ كهولتي وانتميَتْ إلى كلّ ما يمكن أن يجعلَ للسؤال  
جواباً... قادرًا على أن يبوح بفعلِ المستحيل!!  
أنا شوفقيا.. البابلي المنشاً.. السومري الفكرة والتكونين.. ابن نفر  
وكيش ولکش واوروك وآشور.. أدونٌ ما يمكن تدوينه.. لكنني أبداً...  
أبداً أظل مشدوداً إلى فكرة قالها حلمٌ قد مضى...  
- يال أرضِ السوادِ... كم أنتِ عامرةً بالرجاء!!

أنتهت

في غرة يوم ١٣ / ٢ / ٢٠٠٠

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤١٢) لسنة ٢٠٢٠  
طبع في مطباع دار الشؤون الثقافية العامة